البرهان في وجوه البيان

ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب

تحقيق

الدكتور احمد مطلوب الدكتورة خديجة الحديثي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

البرهان في وجوه البيان

البرهان في وجوه البيان

أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب

الدكتورة خديجة الحديثي

الطبعة الاولى

١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الاهداء

الى الأديب العــربي الكبير

الدكتور طه حسين

31st October, 1961

Mr A. Matloub,
College of Arts,
Baghdad,
IRAK.

Dear Mr Matloub,

We shall be glad to agree to your publishing Chester Beatty Ms. 3658. We hope you will send us a copy of your publication when it is out.

With all good wishes,

Yours sincerely,

R. J. Hayes

Hon. Librarian.

اجازة طبـع المخطوطة

قِصَّةُ الكِتَابِ

بسم الله الرحمن الرحيم

١

ألقى الدكتور طه حسين في مؤتمر المستشرقين « ليدن في الحادي عشر من ايلول ١٩٣١ » بحثه « البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر » بالغة الفرنسية . وقد ترجمه الإستاذ المرحوم عبدالحميد العبادي ، ونُشر تمهيدا لكتاب « نقد النثر » سنة ١٩٣٣-١٣٥١ .

وفي هذا البحث قرر الدكتور طه حسين ، أن كتاب « نقد النثر » لا يمكن أن يكون لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ[١] ، بل هو في الغالب لكاتب شيعي ظاهر التشيع ، قد صنّف كتبا عدة في الفقه وعلوم الدين[٢].

وهذا أول شك يلقيه أديب عربي كبير على الكتاب ، وان لم ينتبه

---

(١) يذكر الدكتور بدوى طبانة فى كتابه « قدامة بن جعفر والنقد الادبى » ص ٨٦ وما بعدها ، أن الغموض أحاط بحياة قدامة وبتاريخ وفاته ، ولكنه يرجح انه توفى سنة ٣٣٧هـ ، وأيد ذلك بأدلة ذكرها بالتفصيل .

(٢) ينظر تمهيد كتاب نقد النثر ص ١٩ .

وأشار الى ذلك فى كتابه « من حديث الشعر والنثر » ص ٧٧ ، يقول : « وكتاب قدامة ـ وأنا متحفظ فى نسبته الى قدامة ـ مؤلف بالضبط على طريقة ارسطوطاليس فى كتابه الخطابة » .

الى النقص المبين في نسخة الاسكوريال التي اعتمد عليها هو وزميله العبادي عندما أخرجا الكتاب . مع أنّ مؤلفه ذكر أنّ البيان على أربعة أوجـــه : فمنه بيان الاشياء بذواتها وان لم تبن بلغاتها ، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند اعمال الفكرة واللب ، ومنه البيان الذي هو نطق باللسان ، ومنه البيان بالـكتاب الذي يبلغ من بعد وغاب .

وقد قال الدكتور طه وزميله ان المؤلف ضمن الوجه الثالث من أوجه البيان ، الـكلام على الوجه الرابع ، وهو البيان بالـكتاب[1] . ولم يحسا بالنقص المبين في الـكتاب ، مع أنّ مؤلفه نبّه في أثنائه على أمور سيذكرها فيما بعد ، ولم ترد في النسخـة المطبوعة باسم « نقـد النثر » . من ذلك قوله : « وأما الحديث : فهو مايجري بين الناس في مخاطباتهم ومناقلاتهم ومجالسهم ، وله وجوه كثيرة . فمنها الجد والهزل ، والسخف والجزل ، والحسن والقبيح ، والملحون والفصيح ، والخطأ والصواب ، والصـــدق والـكذب ، والنافع والضار ، والحق والباطل ، والناقص والتام ، والمردود والمقبول ، والمهم والفضول ، والبليغ والعيي » .

ثم جاء الـكلام بعد ذلك على الجد والهزل ، والسخيف والجزل ، والحسن والقبيح ، والملحون والفصيح ، والخطأ والصواب ، ولكن القول في الخطأ والصواب لم يتم ، ولم يأتِ الحديث عن الصـــدق والـكذب ، والوجوه الأخرى التي ذكرها المؤلف .

ومن أمثلة ذلك ـ أيضاً ـ ماجاء في باب تأليف العبارة : « وقد ذكر الخليل وغيره من أوزان الشعر وقوافيه مايغني من نظر فيهـــا .. الا أنّا نذكر جملة من ذلك في باب استخراج المعمى تدعو الضرورة الى ذكرهـا فيه ـ ان شاء الله ـ » .

---

(١) ينظر تمهيد كتاب نقد النثر ص ٢١ ، وهامش ص ٤٣ من أصل الكتاب .

وليس في النسخة المطبوعة اشارة الى باب المعمى ، وذكر العروض والقافيــــة .

ومن أمثلة ذلك ما جاء في آخر النسخة المطبوعـــة : « وأما مراتب القول ، ومراتب المستمعين له ، فقد تقدم القول فيه ، وبالله التوفيق » .

واذا تصفحنا « نقد النثر » لم نـرَ اشارة الى مراتب القول ، أوالى مراتب المستمعين ، مع أنّ هذه المسائل كلها في النسخة التي نقدمها للطبع باســم « البرهان في وجوه البيان » لابي الحسين اسحاق بن ابراهيــم بن سليمان ابن وهب الـكاتب .

ومع أنّ الدكتور طه حسين نبّه الى أنّ كتاب « نقد النثر » لايمكن أن يكون لقدامة بن جعفر ، نرى الاستاذ عبدالحميد العبادي يؤكد على أنه له . ولـكنه قبل أن يبدي رأيه في هــــذه المسألة يذكر أن المرحوم العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي عندما اطلع على كتاب « نقد النثر » بالاسكوريال لم يشك في أنه لقدامة ، وكتب يقول : « كتاب نقد النثر ، المسمى بكتاب البيان ، مما عُني بتأليفه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، وهو كتاب لانظير له في فنه ، يحتاج اليه . وما وقفت عليــــه بالمشرق ، وقد ألـَف كتابا آخر سماه بنقد الشعر ، ولـكنه بالنسبة لهــذا صغير جدا »(١).

وانتهى الاستاذ العبادي بعد البحث الطويل الى أن الـكتاب لقدامة ، ودليله على ذلك :

أولا : ان الـكتاب لامحالة قد كتب في عصر قدامة . والدليل القاطع على ذلك أن المؤلف يصف حادثا وقع لابن التستري ، وشهده هو بنفسه .

ثانيا : ان المقارنة الموضوعية بين كتابي « نقد النثر » و « نقدالشعر »

---

(١) نقد النثر ص ٤٢ ، وتقرير الشنقيطى رقم ٢٤٣ (مكتبات) بدار الكتب فى القاهرة ص ١١ .

ترى تقاربا عجيبا في كثير من المعاني ، فضلا عن طريقة التعبير عنها ، مما يرجح أن الكتابين صدرا عن مؤلف واحد . وقد اعترضت الاستاذ العبادي أسئلة ثلاثة هي :

أولا : كيف عرف الكتاب بنقد النثر مع ان اسمه الحقيقي «البيان» ؟

ثانيا : بم يفسر عدم ذكر كتب « الحجة » و « الايضاح » و « التعبد » و « أسرار القرآن » ، ضمن ماورد من كتب قدامة في المصادر التي بأيدينا ؟

ثالثا : مَن أبو عبدالله محمد بن أيوب المذكور على الورقة الاولى من النسخة الخطية ؟ وهل له صلة بالكتاب ؟

وأجاب عن السؤال الاول : بأن الاسم الحقيقي للكتاب هو من غير شك « كتاب البيان » كما جاء بالورقتين الاولى والاخيرة من نسخة الاسكوريال . وان غلبة اسم « نقد النثر » عليه ، انما ترجع الى محض المقابلة بينه وبين كتابه « نقد الشعر » ، والى أنّ كلام المؤلف على باب المنثور هو أطول فصول الكتاب وأجودها من غير نزاع .

وأجاب عن السؤال الثاني : بأنّا نرى أنّ الكتب الاربعة المذكورة اما أن تكون قد ضاعت وفات المؤرخين ذكرها واما أن تكون فصولا تضمنتها كتب قدامة .

وأما أبو عبدالله محمد بن أيوب ، فخلاصة رأي المستشرقين فيه مايراه « درنبورغ » من أنه كان تلميذا لقدامة ، وأنه أخذ عنه مادة الكتاب ثم تولى صياغتها[1] . وقد تبين أن درنبورغ لم يستمد رأيه هذا من مصدر

---

(١) يقول الاستاذ عبدالحميد العبادى فى تحقيقه نقد النثر (هامش ص ٤١) : « وبعد صدور الطبعة الاولى من كتاب « نقد النثر » اطلعت على بحث كتبه الاستاذ (لفى دلافيدا) ، وذهب فيه الى ان ابن أيوب هذا قاض أندلسى عاش من سنة ٥٣٠هـ الى ٦٠٨هـ ، وانه مؤلف كتاب « نقد النثر » وانه استمده من مصنفات قدامة . وقد وافق الاستاذ كراتشكوفسكى على هذا الرأى » . تنظر مقدمة البديع لابن المعتز ص ٥ .

وهذا ما يراه بروكلمان ولا يحتاج هذا القول الى تعليق بعد أن ظهرت حقيقة الكتاب . (تنظر دائرة المعارف الاسلامية مادة قدامة) .

قديم ، وانه انما أخذه من ظاهر العبارة الواردة بالورقة الاولى من الكتاب ، وهي : « كتاب نقد النثر مما عني به أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ للشيخ الفقيه المكرم نفعه الله » .

هذا ، وليس في الكتاب على الاطلاق مايدل على أن مؤلفه أو محرره أندلسي ، وان ابن أيوب هذا فقيه اندلسي انتسخ له الكتاب ، وانه من أهل القرن السابع الهجري على أكثر تقدير .

وعلى هذا الاساس أخرج المحققان : الدكتور طه حسين والاستاذ عبدالحميد العبادي ، الكتاب باسم « نقد النثر » ولقدامة بن جعفر ، وطبع مرات .

★ ★ ★

وكتب الاستاذ محمد كرد علي يقول إن كتاب « نقد النثر » ليس لقدامة بن جعفر ، وانما هو منحول له . ومن يتأمل عبارته يجدها أشبه بعبارات أهل القرن السادس والسابع . ثم يقول : « وبلاغته موضع نظر ، فقد رأيناه في مقدمة « نقد الشعر » يدخل على موضوعه مباشرة ، وفي مقدمة « نقد النثر » أسجاع تنادي بأن الكتابين لكاتبين مختلفين في الطريقة والاداء »(١) .

★ ★ ★

ونشر الدكتور علي حسن عبدالقادر سنة **١٩٤٩** م مقالة قيمة عن « نقد النثر » أو « البرهان في وجوه البيان »(٢) صحح فيها خطأ شاع سنين طويلة ، ورد اعتبار مؤلف طغى على اسمه الزمان . وكان هذا بعد أن عثر على نسخة جديدة كاملة من الكتاب في مكتبة تشستربيتي (Chester Beaty) في دبلن عاصمة ارلندة .

---

(١) تنظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (المجلد ٢٣ سنة ١٩٤٨) ص ٣٩ .
(٢) تنظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (المجلد ٢٤ ، ج ١ سنة ١٩٤٩) ص ٧٣ وما بعدها .

وفي هذا البحث الجليل أثبت أموراً أهمها :

أولا : ان الكتاب المطبوع باسم نقد النثر هو كتاب « البرهان في وجوه البيان » .

ثانيا : ان مؤلف الكتاب أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب ، وليس قدامة بن جعفر صاحب « نقد الشعر » .

ثالثا : ان الكتاب المطبوع باسم « نقد النثر » أقل من نصف الكتاب الاصلي بكثير .

وقد جاء بأدلة واضحة للبرهنة على هذه المسائل ، سنعرض لها حينما نتحدث عن توثيق الكتاب . وكان الدكتور علي حسن عبدالقادر أول من أثبت ذلك ، ورد اعتبار مؤلف طغى على اسمه الزمان وطمسته الايام .

* * *

وكتب الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي بحثا عن « نقد النثر » وشخصية مؤلفه المجهول ، وأكد فيه على ان الكتاب ليس لقدامة بن جعفر بدليل(١) :

أولا : انه لم يذكر أن لقدامة كتابا في هذا الموضوع .

ثانيا : ومن العسير أن يؤلف كاتب بحثين في موضوع واحد كالنقد، ثم لايحيل القاريء في أحدهما على الآخر ، مع أن مؤلف « نقد النثر » يحيل على كتبه الاخرى كثيرا .

ثالثا : وان شك العلماء والباحثين في نسبة الكتاب لقدامة ، وجزم بعضهم جزما يعتمد على الدليل بأن الكتاب ليس له . كل ذلك ينفي أن يكون الكتاب لقدامة .

---

(١) ينظر كتاب الايضاح للقزويني (طبعة الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي) ج ٦ ص ١٦٥ وما بعدها .

رابعا : وان شخصية قدامة ، شخصية المستقل في آرائه ، أما شخصية صاحب « نقد النثر » فهي شخصية المحتذي لغيره •

خامسا : وان الاتجاه السياسي والديني لمؤلف « نقد النثر » ، هو الاتجاه الشيعي •

سادسا : وان ثقافة قدامة ثقافة عقلية صبغت بصبغة الادب ، أما ثقافة مؤلف « نقد النثر » فهي ثقافة أدبية علمية صبغت بصبغة الفلسفة • واتجاهه العقلي أكثر تأثرا بثقافة المتكلمين منه بثقافة الفلاسفة ، وثقافته الدينية واسعة جدا •

سابعا : وان منهج قدامة في النقد منهج تفصيلي ، ولكن منهج مؤلف « نقد النثر » منهج اجمالى خصب ، اتجه فيه صاحبه الى بحث ألوان البيان وفنونه عامة ، والى بحث البلاغة وعناصرها •

ثامنا : وان أسلوب قدامة أسلوب مرسل بعيد عن السجع والازدواج ، أما أسلوب مؤلف « نقد النثر » فأسلوب أديب حريص على السجع ، فان لم يواته السجع واتاه الازدواج • والتفاوت بين الاسلوبين دليل قوي على أن الكتابين لشخصيتين مختلفتين •

وأضاف الاستاذ خفاجي أن الكتاب قد يكون لوالد قدامة « جعفر ابن قدامة بن زياد » المتوفى سنة ٩١٣ هـ . والادلة التي تؤكد هذا الرأي هي :

أولا : ان ثقافة الكتاب العلمية لاتدل على أنه من معين ثقافة القرن الرابع الواسعة ، وانما تدل على أنه قد ألف بعد عصر الجاحظ وفي أواخر القرن الثالث الهجري . والاعلام الواردة في الكتاب والتي لا تتجاوز ذلك التاريخ أصدق شاهد على ما نقول .

ثانيا : وكثير من مؤلفات جعفر قد نسب لابنه قدامة خطأ ، وقد شك

بعض الباحثين في نسبة بعض كتب قدامة له ، ورأى أنها لابيه ، كالمطرزي شارح مقامات الحريري .

ثالثا : و « صنعة الكتابة » التي قال عنها الخطيب البغدادي أن لجعفر مؤلفات فيها ، ترادف « نقد النثر » وكلمة « البيان » . وهي اصطلاحات كانت تدل في ذلك العصر على قواعد البيان التي يضعها العلماء للكتاب ، يفصلون لهم فيها مشاكل البيان العربي وبلاغته ، ويرسمون فيها المذاهب الادبية التي يجب على الكتاب احتذاؤها . وذلك كله ما نراه مبسوطا في « نقد النثر » مما يدل على أنه من مؤلفات جعفر في « صنعة الكتابة » .

رابعا : وظاهرة التشيع التي نراها في « نقد النثر » لا تتبع الا من قلب رجل لم يخلص للدولة اخلاص قدامة ، وعاش بعيدا عن مناصبها كما عاش جعفر .

وهذه الادلة التي ساقها الاستاذ خفاجي ، لاتثبت أمام النسخة الجديدة الكاملة من الكتاب . وقد أحسن الاستاذ حينما قرر بعد ذلك أن هذه الفكرة لا تجد الى الآن الدليل المادي الملموس الذي يدفعها بقوة ، انما هي استنتاج رآه [1] .

وذكر بعد ذلك خلاصة للمحاضرة التي نشرها الاستاذ حسن جاد المدرس بكلية اللغة العربية في جامعة الازهر ، وهي لاتخرج عما لخصناه سابقا . ثم قال بعد ذلك : « وبعد كتابة كل ما تقدم نشر الاستاذ الدكتور علي حسن عبدالقادر مقالة في الرسالة (العددان ٨ ، ١١ ، سنة **١٩٤٨**) ذكر فيها أن الكتاب ليس لقدامة »[2] .

* * *

وعالج الدكتور بدوي طبانه هذه المسألة في كتابه « قدامة بن جعفر

---

(١) ينظر كتاب الايضاح (طبعة خفاجى) ج ٦ ص ١٧٤ .
(٢) ينظر الايضاح ج ٦ ص ١٧٨ .

والنقد الادبي » ، وأثبت ما ذكره الدكتور عبدالقادر ، وردَ على ما كتبه الأستاذ العبادي ، وفنَّد ماذهب اليه من وجوه الشبه بين كتاب قدامة الثابت نسبته اليه ، وبين الـكتاب المزعوم نقد النثر[١] .

★ ★ ★

وتحدث الدكتور شوقي ضيف عن هذه المسألة في كتابه « النقد »[٢]، وكتابه « البلاغة تطور وتأريخ »[٣] ، وقرر أن الكتاب ليس لقدامة ، وانما هو لمعاصر له .

٢

قرأنا هذا قبل سنين ، وشُغِـلْنا بغيره حتى أتيح لنا الاتصال بمكتبة تشستربيتي في دبلن (ارلنده) في صيف عام ١٩٦١ . فأرسلت لنا النسخة الكاملة من الكتاب . وقد قمنا بتحقيقه مع الدكتورة خديجة الحـديثي ، ومقابلته بما طبع منه .

وكتاب « نقد النثر » الذي شك فيه الباحثون ، هو كتاب « البرهان في وجوه البيان » . وهو في ٣٤٦ صفحة ، مع ان المطبوع منه باسم « نقد النثر » في ١٦٤ صفحة ، أي : ان مانقدمه اليوم يزيد على المطبوع بـ ١٨٢ صفحـــة .

والنسخة جيدة الخط ، وتاريخ الانتهاء من كتابتها يوم الجمعة أول شهر ربيع الاول سنة ٦٧٧ هـ (٢٣ تموز ١٢٧٨ م) . وهي محفوظـة في

---

(١) ينظر كتاب قدامة بن جعفر والنقد الادبى ص ١١٠ ــ ١٢٤ . وفيه المقارنات والادلة والمناقشات .
(٢) ينظر كتاب النقد ص ٥٧ .
(٣) ينظر كتاب البلاغة تطور وتاريخ ص ٩٣ ــ ١٠٢ .

مكتبة تشستربيتي (Chester Beaty) برقم (٣٦٥٨)[1] .

وأهمية المخطوطة التي نخرجها محققة مضبوطة تتلخص في :

أولا : اظهار النسخة الكاملة من الكتاب .

ثانيا : معرفة مؤلفها ورد الاعتبار اليه بعد أن طمسته الايام .

ثالثا : تصحيح عنوان الكتاب .

ومع أن الناسخ كتب على الصفحة الاولى من المخطوطة اسم قدامة ابن جعفر ، نجد اسم المؤلف الحقيقي للكتاب في مطلع البيان الرابع الذي سقط من نسخة الاسكوريال . يقول : « قال أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب : قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا نعمة الله ـ عز وجل ـ على عباده فيما ألهمهم إياه من الكتابة ، ودللنا على حكمته سبحانه في ذلك ، وانه أراد اتمام منافعهم وايجاب الحجة عليهم . فانه لولا الكتاب الذي قيَّد علينا أخبار من مضى من الرسل ، ونقل الينا ما أتوا به من الكتب ، لما قامت لله ـ سبحانه ـ حجة علينا ، اذ كنا لم نشاهدهم ولم نسمع حججهم ، ولم نعاين آياتهم ، ولانقرضت العلوم والروايات بانقراض أهلها وموت من تحملها ، ولم يبق في أيدي الناس من ذلك ومن أخبار الماضين وآثار المتقدمين إلا اليسير مما تلقاه الخلف عن السلف .. » .

وهذه اشارة صريحة الى نسبة كتاب « البرهان في وجوه البيان » أو « نقد النثر » الى غير قدامة .

ونستطيع بعد هذا التصريح أن نقيم الادلة على ذلك ، بما يأتي :

أولا : ذكر المؤلف أربعة كتب له هي : « الحجة » و « الايضاح »

---

(١) ينظر :
The Chester Beaty Librtry, ahandlist of the Artbic Manuscripts, V 3. p. 64 (Dublin).

و « التعبد » و « أسرار القرآن » وأحال اليها كثيرا .

وهذه الكتب ليست لقدامة بن جعفر[1] ، وان كنا لم نعثر عليها في المصادر المختلفة التي رجعنا اليها .

ولا يمكن أن تصدر هذه الكتب الا من رجل له تضلع بالعلوم الاسلامية المختلفة ، ولم تكن لقدامة بن جعفر هذه الثقافة الاسلامية الواسعة . ومن هنا لا يمكن أن تنسب اليه وتلصق به ، ولا يمكن أن يكون « البرهان في وجوه البيان » له .

ثانيا : لم ينسب لقدامة كتاب بهذا الاسم ، وقد نسب اليه كتاب « الخراج وصنعة الكتابة »[2] . وهذا الكتاب ليس « البرهان » لاسباب كثيرة منها .

١ ـ ان كتاب « البرهان في وجوه البيان » أربعة وجوه ، أو أربعة أبواب هي : بيان الاشياء بذواتها وان لم تبن بلغاتها ، والبيان الذي يحصل في القلب عند اعمال الفكر واللب ، والبيان باللسان ، والبيان بالكتاب .

---

(١) تنظر كتب قدامة بن جعفر فى كتاب « قدامة بن جعفر والنقد الادبى » ص ٩٠ وما بعدها .

(٢) ويسمى « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » . وقد شك فيه الباحثون قديما وحديثا (ينظر الفهرست لابن النديم ص ١٩٤ ، والمنتظم لابن الجوزى ج٦ ص ٣٦٣ ، ومعجم الادباء ج ١٧ ص ١٢ وما بعدها ، وكتاب قدامة بن جعفر والنقد الادبى ص ٩٧ وما بعدها).

وقد بقي من الكتاب أربع منازل ، وهى مخطوطة فى مكتبة كوبرلى بالاستانة ومنها نسخة مصورة فى دار الكتب بالقاهرة مهداة من الامير عمر طوسون بتاريخ ٣ـ٧ـ١٩٣٠ ، وهى محفوظة برقم ١٩٧١ (فقه حنفى) وقد كتب على ظاهرها ما نصه : « كتاب صنعة الكتابة لابى الفرج قدامة بن جعفر البغدادى المتوفى سنة ٣٣٧ » . وهى فى ٥٠٦ صفحة . وقد استنسخ شارل شيفر المجلد الباقى من كتابة قدامة ، وهذه النسخة محفوظة الآن بدار الكتب الوطنية بباريس ، ومنها نسخة مصورة فى المكتبة المركزية لجامعة بغداد فى ٢٥٤ ورقة . وقد طبعت نبذ منه مع كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة فى بريل عام ١٨٨٩م وهو مايتعلق بديوان البريد والسكك والطرق الى نواحى المشرق والمغرب . وطبعت المنزلة السابعة منه فى لندن ١٩٦٥ مصورة عن نسخة كوبرلى مع مقدمة باللغة الانكليزية .

وما يزال الكتاب ينتظر من يخرجه الى النور .

وكتاب الخراج لقدامة تسع منازل . يقول يافوت الحموى ، وهو يتحدث عن قدامة : « قال محمد بن اسحاق : وله من الكتب ، كتاب الخراج تسع منازل ، وكانت ثمانية فأضاف اليه تاسعا » . ويقول : « وله كتاب في الخراج رتبه مراتب ، واتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب اليه . وهو من الكتب الحسان »[1].

وقال المطرزي عن قدامة : « وله تصانيف كثيرة ، منها كتاب الالفاظ ، وكتاب نقد الشعر ، وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء ، وقيل : هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوالّ منشودة ، وهو كتاب يشتمل على سبع منازل[2] وكل منزلة منها تحتوي على أبواب مختلفة ، ضمنها خصائص الكتّاب والبلغاء . فمن طالعه عرف غزارة فضله وتبحره في العلم »[3] .

واذا رجعنا الى كتاب الخراج لقدامة ، وجدنا ان كتاب « البرهان » غير هذا الكتاب ، لان مؤلفه رتبه على أربعة وجوه ، ورتب قدامة الخراج على عدة منازل . وفي المنزلة الثالثة تحدث عن وجوه البلاغة ، وقد أشار الى ذلك في مطلع المنزلة الخامسة : « قال أبو الفرج : قد ذكرنا في المنزلة الثالثة من أمر البلاغة ووجه تعلمها ، وتعريف الوجوه المحمودة فيها ، والوجوه المذمومة منها ما اذا أوعي كان الكاتب واقفا به على ما يحتاج اليه »[4] .

ويذكر بعد ذلك عند كلامه على مجلس الانشاء وجوها من المكاتبات في الامور الخراجية ينتفع بها ويكون فيها تبصير لمن يروم المكاتبة في معناها . ويعود مرة أخرى فيذكر وجوها منها تخص ديوان الرسائل ولا

---

(١) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٢–١٤ .

(٢) كذا فى الاصل .

(٣) الايضاح فى شرح مقامات الحريرى ص ٣٣ .

(٤) ينظر الخراج (النسخة المحفوظة فى المكتبة المركزية لجامعة بغداد) ص ١١ .

نجد هذا في كتاب « البرهان » ٠

ويقول قدامة بعد ذلك : « من كان حافظا لما قدمنا ذكره من ترتيب المنازل علم أنا وعدنا بأن نذكر من سائر الدواوين بعد كلامنا في أمر ديوان الخراج والضياع ..... وإنا اذ قد فرغنا من الكلام في أمر هذين الديوانين وجميع الأعمال فيهما .... وذلك كله بيِّن في الدواوين وسائر أعمالها ، إلا خواص تخص كل ديوان ، يحتاج الى علمها والوقوف عليها ، لئلا يكون الداخل غريبا بما يمر به من هذه الخواص ، وان كان تدرّبُهُ في أعمال الديوانين اللذين ذكرناهما ، قد يذلل له العمل في غيرهما »[1] .

ثم يمضي ذاكرا دواوين الدولة في المنزلة الخامسة ، وديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب في المنزلة السادسة ـ وهو ماطبع مع كتاب المسالك والممالك ـ ، ووجوه الأموال في المنزلة السابعة ، وشؤون المجتمع الانساني وأسباب قوته وعوامل انحطاطه وتدهوره ونظم الحكم في البلاد وما ينبغي للحكام وما يجب عليهم ، في المنزلة الثامنة ٠

وجاء في آخر هذه المنزلة : « قد تمَّ كتاب الخراج في غرة شهر ربيع الاول في دار العلية الاسلامبولية في يد أقل الخليقة ، بل لاشيء في الحقيقة ، عبدالله بن مرزا محمد الخولي ٠ حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير »[2] .

وهذا ما لانجده في كتاب « البرهان في وجوه البيان » يضاف الى ذلك أن صاحبه تحدث عن وجوه الاموال حديثا عابرا ليس فيه تفصيل وتبيان وجهات النظر المختلفة في الفيء والصدقة وغيرهما ٠ وتناول موضوعات لم يذكرها قدامة في كتابه « الخراج » مثل : كاتب الخط ،

---

(١) ينظر الخراج ص ١١ ٠

(٢) تنظر الصفحة الاخيرة من الخراج (نسخة المكتبة المركزية المصورةفي جامعة بغداد) ٠

وما يحتاج المحرر الى استعماله ، وكاتب اللفظ ، وكاتب العقد ، والتعمية، وغيرها من الموضوعات .

وقد نقل قدامة عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، ويحيى بن آدم ، وذكر آراء كثير من الفقهاء كأبي حنيفة ومالك بن أنس وأبي يوسف وزفر وسفيان وغيرهم . ولا نجد في كتاب « البرهان » الا اشارات عابرة الى آراء أهل الحجاز ، وأهل العراق ، والشيعة . أما أبو عبيد القاسم ابن سلام ، ويحيى بن آدم فلم يرد لهما ذكر في هذا الكتاب .

ولو مضينا نستقصي وجوه الاختلاف بين الكتابين في موضوع الخراج وحده ، لطال بنا الحديث ، وتشعبت المسائل ، وصار البحث فقهيا يعرض للاراء والمذاهب المختلفة فيه . وحسبنا هذه الاشارة العابرة ، ففيها دليل ناصع ، وبرهان ساطع على ماذهب اليه .

٢ ـ ان كتاب الخراج ألف بعد سنة **٣١٦ هـ** وقبل سنة **٣٢٠ هـ**، بدليل أن قدامة تحدث في أثناء كتابه عن مليح الارمني على أنه معاصر له . ويشير ـ أيضا ـ الى اغارة « أسفار الديلمي » على قزوين في سنة **٣١٦** هـ ، والى الشنائع التي جرت على يد « مرداويج » واتباعه في السنين التالية بما يدل على أنها حوادث قريبة الوقوع[(١)] .

ويقول أبو حيان التوحيدي : « وما رأيت أحدا تناهي في وصف النثر بجميع مافيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير : عرض عليّ قدامة كتابه سنة عشرين وثلثمائة ، واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المجتبى والمعيب المجتنب . ولقد شاركه فيه الخليل

(١) تنظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد ٢٤ ، الجزء الاول) ص ٧٧، وكتاب قدامة بن جعفر والنقد الادبي ص ١٠٩ .

ابن أحمد في وضع العروض . ولكنني وجدته هجين اللفظ ، ركيك البلاغة في وصف البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه ، وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه »[١] .

ولم يكن كتاب « البرهان » مؤلفا في هذا الوقت ، بدليل ورود أسماء رجال ماتوا بعد هذا التاريخ كعلي بن عيسى الوزير يقول عنه : « وقد رأيت شيخنا علي بن عيسى - رحمه الله - يكاتب أم المقتدر » ، وقد مات الوزير سنة ٣٣٥ هـ[٢].

وكابن طيّاب الذي يقول عنه : « ومنه ترجمة لآل مقلة . ولابي الحسن علي بن خلف بن طياب - رحمه الله » . وقد كان أبو الحسن هذا حيا في سنة ٣٣٠ هـ[٣] .

يضاف الى ذلك أن مؤلف الكتاب يشير الى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس ، يقول : « وكان نتيجة هذا الاهمال ، وثمرة هذه الافعال ، أن خرج السلطان في جيش على أحسن زينة لقتال غلام من غلمانه ، فقتل وحده من بين أهل عسكره ، وتفرق عنه الباقون ، ورجعوا موفورين» وقد حدث هذا سنة ٣٢٠ هـ[٤] .

وعلى هذا ، فان كتاب « البرهان » كتب - بلا ريب - بعد سنة ٣٣٥ هـ بينما تؤكد المصادر على أن كتاب « الخراج » لقدامة ألف قبل سنة ٣٢٠ هـ .

ثالثا : ويذكر مؤلف « البرهان » أسماء اساتذته ويشيد بهم ويعظمهم كأبي أيوب سليمان بن وهب ، وأبي علي الحسن بن وهب ،

---

(١) الامتاع والمؤانسة ج٢ ص ١٤٥-١٤٦ .
(٢) ينظر المنتظم لابن الجوزى ج ٦ ص٣١٥ ، ودول الاسلام للذهبى ج١ ص ١٦٤، والاعلام ج٥ ص ١٣٣ .
(٣) ينظر أخبار الراضى للصولى ص ٢٣٠-٢٣١ .
(٤) ينظر المنتظم ج٦ ص ٢٤٣ .

وأبي القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب . ولم تشـــر المصادر الى أن هؤلاء كانوا أســـاتذة لقدامة بن جعفر [1] . وأغلب الظن أن أبا أيوب سليمان بن وهب الكاتب ، جد المؤلف .

رابعا : عالج قدامة في كتاب « نقد الشعر » الشعر وفنونه بوجـــه خاص وعالج صاحب « البرهان » الموضوعات نفسها ، وموضوعات أخر . ولو كان الكتابان لمؤلف واحد لما كرر كلامه في كتابين ولاحال في أحدهما على الآخر .

يضاف الى ذلك أن الكلام على الموضوعات المتشابهة في الـــكتابين مختلف كل الاختلاف . وهذا يؤيد اختلاف المؤلفين ، ونسبـة الـكتاب الى غير قدامة .

خامسا : وثقافة قدامة ثقافة عقلية صبغت بصبغة الادب ، أما ثقافـة مؤلف « البرهان » فهي ثقافة أدبية علمية صبغت بصبغة الفلسفة . يضاف الى ذلك أنها ثقافة دينية واسعة بدليل تأليفه كتبا في أسرار القرآن والتعبد، وبدليل أنه بحث في مسائل فقهية ، وتعرض للخلاف بين الائمة والمذاهب في كثير من المسائل والقضايا .

سادساً : وأسلوب قدامة مرسل بعيد عن السجع والازدواج ، أمـا أسلوب مؤلف « البرهان » فأســـلوب أديب حريص كل الحرص على السجع ، فانْ لم يواته السجع واتاه الازدواج . ويمكن ملاحظة الفرق بين الاسلوبين فيما ننقله من كتابي « نقد الشعر » و « البرهـان » يقول قدامة في أول كتابه « العلم بالشعر ينقسم أقساما ، فقســم ينسب الى علم قوافيه ومقاطعه ، وقسم ينسب الى علم غريبه ولغته ، وقسم ينسب الى علم معانيه والمقصد به ، وقسم ينسب الى علم جيده ورديئه .

(١) تنظر ص ٧٦ وما بعدها من كتاب « قدامة بن جعفر والنقـد الادبى » لمعرفـــة اساتذة قدامة .

وقد عُني الناس بوضع الكتب في القسم الاول وما يليه الى الرابع عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن ، وأمر القوافي والمقاطع ، وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر ، وما الذي يريد بها الشاعر .

ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الاقسام المعدودة ، لان علم الغريب والنحو وأغراض المعاني محتاج اليه في أصل الكلام العام للشعر والنثر ، وليس هو بأحدهما أولى منه بالآخر . وعلما الوزن والقوافي ـ وان خصَّا الشعر وحده ـ فليست الضرورة داعية اليهما لسهولة وجودهما في طباع أكثر الناس من غير تعلم »[1].

ويقول صاحب « البرهان » في مطلع كتابه : « ان اولى ما افتتح به اللبيب كتابه ، وابتدأ به الاديب خطابه ، ما افتتح الله ـ عز وجل ـ به القرآن ، وجعله آخر دعوى أهل الايمان . والحمد لله شكرا واعترافا بمنته ، وصلى الله على محمد وعترته ، والاوصياء من ذريته » .

والفرق بين الاسلوبين واضح .

سابعا : والى جانب هذا كله ، فانّ مؤلف « البرهان » يميل كثيرا الى آل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ ويعظمهم وينقل عنهم ، كالامام علي ابن أبي طالب ، والامام الصادق . ولا نجد هذا في كتاب « نقد الشعر » لان صاحبه بعيد عنه كل البعد ، وان ما يقال من أن قدامة اتجه هذا الاتجاه بعد أن فتح معز الدولة أحمد بن بويه العراق سنة ٣٣٤ هـ ، أي : قبل وفاته بثلاث سنوات ، فليس عندنا ما يؤيده تأريخيا . وليس من اليسير أن ينقلب اتجاهه هذا الانقلاب السريع ، يضاف الى ذلك أن الباحثين لم يستطيعوا أن يعثروا على نصوص تأريخية تثبت كتابة قدامة

---

(١) نقد الشعر ص ١٣ـ١٤ .

لبني بويه ، مع أن أحد شراح المقامات الحريرية ذكر ذلك[1] .

هذا وغيره يؤيد أن كتاب « البرهان في وجوه البيان » ليس لقدامة ابن جعفر ، وانما هو لابي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، كما جاء في البيان الرابع من الكتاب .

أما ما ذكره الاستاذ عبدالحميد العبادي ، فلا يثبت بعد ما قدمنا من أدلة ناصعة . وان المقارنة التي عقدها بين كتابي « نقد الشعر » و « نقد النثر » لم تفده . وليس من العسير نقضها ، وقد فندها الدكتور بدوي طبانه ، وأثبت بالمقارنة انه ليس بين الكتابين تشابه في العرض والتطبيق والتحليل ، مع انهما يبحثان في موضوعات متقاربة[2] .

٣

وكتاب « البرهان في وجوه البيان » خطوة جديدة في دراسة الادب وألوانه دراسة علمية منظمة . وكان الجاحظ **(٢٥٥ هـ)** قد أثار حركة واسعة المدى ، وكان لما كتب في « البيان والتبيين » وغيره صدى عميق في الدراسات البيانية . يقول في البيان : « والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يُفْضي السامعُ الى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا ماكان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لان مدار الامر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع ، انّما هو الفهم والافهام . فبأي شيءٍ بلغْتَ الافهام ،

(١) ينظر كتاب قدامة بن جعفر والنقد الادبى ص ٧١ .
(٢) ينظر كتاب قدامة بن جعفر ص ١١٦ـ١٢١ .
ونرجو أن يلاحظ القارىء أننا استفدنا كثيرا من البحث الذى نشره الدكتور على حسن عبدالقادر فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٤٩ .

وأوْضَحتَ عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع »[1] .

ثم تحدث عن أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، وهي خمسة لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نُصْبة . ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السار والضار ، وعما يكون منها لغوا بهرجا ، وساقطا مُطَّرحاً .

ومضى الجاحظ يتحدث عن هـذه الدلالات فقال : « قد قلنـا في الدلالة باللفظ ، فأما الاشارة فباليد ، وبالرأس ، وبالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان ، وبالثوب وبالسيف . وقد يتهدد رافـع السيف والسوط فيكون زاجرا ، ومانعا رادعا ، ويكون وعيدا وتحذيرا .

والاشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعـم الترجمان هي عنه . وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تغني عن الخط[2] .

ثم يقول : « فأما الخط ، فمما ذكر الله ـ عز وجل ـ في كتابه من فضيلة الخط والانعام بمنافع الـكتاب ، قوله لنبيه ـ عليه السلام ـ : « اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . عَلّم الانسان ما لم يعلم » . وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل حيث قال : « ن . والقلم ومـا يسطرون » . ولذلك قالوا : « القلم أحـد اللسانين » كما قالوا : « قلة العيال أحد اليسارين » ، وقالوا « القلم أبقى أثرا ، واللسان أكثر هذرا»[3] ثم يقول : « وأما القول في العقد ، وهو الحسـاب دون اللفظ والخط ، فالدليل على فضيلته ، وعظم قدر الانتفاع به ، قول الله ـ عز وجل ـ :

(١) البيان والتبيين ج١ ص ٧٦ .
(٢) البيان والتبيين ج١ ص ٧٧ـ٧٨ .
(٣) البيان والتبيين ج١ ص ٧٩ .

« فالق الاصباح ، وجاعل الليل سكنا ، والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم » .. والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله ـ عز وجل ـ معنى الحساب في الآخرة . وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد ، فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ما جعله الله ـ عز وجل ـ لنا قواما ، ومصلحة ونظاما »[١] .

ثم يقول : « وأما النُصْبة ، فهي الحال الناطقة بغير اللفظ ، والمشيرة بغير اليد . وذلك ظاهر في خلق السماوات والارض ، وفي كل صامت وناطق ، وجامد ونام ، ومقيم وظاعن ، وزائد وناقص .

فالدلالة التي في الموات الجامد ، كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة ، والعجماء معربة من جهة البرهان ، ولذلك قال الاول : « سل الارض فقل : من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجني ثمارك ، فان لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا »[٢] .

وقد حرك هذا الاتجاه صاحب « البرهان » فبدأ يؤلف كتابه لينظم تلك الدراسات المتفرقة ، ويجمع شملها في كتاب يأتي به على أصولها ومعانيها وألفاظها . يقول في مقدمة كتابه : « أما بعد : فانك كنت ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ الذي سماه « كتاب البيان والتبيين » ، وانك وجدته انما ذكر فيه أخبارا منتخلة ، وخطبا منتخبة ، ولم يأت فيه بوظائف البيان ، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان ، فكان عندك ماوقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب اليه .

وسألتني أن أذكر لك جملا من أقسام البيان ، آتية على أكثر أصوله ، محيطة بجماهير فصوله ، يعرف بها المبتدىء معانيه ، ويستغني بها الناظر فيه . وأن اختصر ذلك لئلا يطول به الكتاب ، فقد قيل :

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص ٨٠ .

(٢) البيان والتبيين ج١ ص ٨١ .

« إنّ الاطالة أكثر أسباب الملالة » . فتثاقلت عن اجابتك الى ما سألت لما حذّرت منه الحكماء ، ونهت عنه العلماء من التعرض لوضع الكتب ، اذ كانت نتائج اللب ، وكان المتجاسر على تأليفها انما يبدى صفحة عقله ، ويبين عن مقدار علمه أو جهله .

ثم رأيت حق الصديق عند العلماء فوق حق الشقيق ، ووجدتهم يجعلون الاخوان من عدد الزمان . » ثم يقول : « فلما تذكرت ذلك وتدبرته ، تحملتُ لك تأليف ما أحببته ، ورسمته على علم مني بأن كتابي لا بدّ أن يقع في يد أحد رجلين ... » ثم يقول : « وقد ذكرت في كتابي هذا جملا من أقسام البيان ، وفقراً من آداب حكماء أهل هذا اللسان ، لم أسبق المتقدمين اليها ، ولكني شرحت في بعض قولي ما أجملوه ، واختصرت في بعض ذلك ما أطالوه ، وأوضحت في كثير منه ما أوعروه ، وجمعت في واضع منه ما فرقوه ، ليخف بالاختصار حفظه ، ويقرب بالجمع والايضاح فهمه » .

وهذه النغمة رددها من بعد أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، يقول « فلما رأيت تخليط هؤلاء الاعلام فيما راموه من اختيار الكلام ، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف والنبل ، ووجدت الحاجة اليه ماسة ، والكتب المصنفة فيه قليلة ، وكان أكبرها وأشهرها كتاب « البيان والتبيين » لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمري كثير الفوائد ، جمّ المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والاخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبّه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة ، وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة . إلاّ أنّ الابانة عن حدود البلاغة ، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ، ومنتشرة في أثنائه . فهي ضالة بين الامثلة ، لاتوجد الا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير . فرأيتُ أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يُحتاج اليه

في صنعة الكلام : نثره ونظمه ، ويستعمل في محلوله ومعقوده ، من غير تقصير وإخلال ، وإسهاب واهذار »[١] .

وبعد هذه الدعوى التي أطلقها صاحب « البرهان » يتحدث عن فضل الانسان على سائر الحيوان بالعقل والادراك . ثم يقسم العقل قسمين : موهوب ومكسوب مستشهدا على بعض كلامه بالقرآن وما أثر عن الائمة . ويقول إنّ الله امتدح في كتابه البيان ، ويعقد فصلا لوجوهه الاربعة وهي : بيان الاشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها ، والبيان الذي يحصل في القلب عند اعمال الفكر واللب ، والبيان باللسان ، والبيان بالكتاب .

ولو نظرنا الى هذه الأوجه الاربعة لوجدناها قريبة الصلة بما ذكره الجاحظ في الدلالات ، فان « النصبة » عند الجاحظ هي « بيان الاعتبار » ، ويمكن أن ندخل فيها « بيان الاعتقاد » ، لانه ثمرة بيان الاعتبار ونتيجته في القلب . ودلالة اللفظ عند الجاحظ هي البيان الثالث ، ودلالة الخط هي البيان الرابع[٢] .

ومن هنا نرى صاحب « البرهان » يحمل حملة عنيفة على الجاحظ ، ولكنه ينساق وراءه ، ويقسم وجوه البيان كما قسمها صاحب « البيان والتبيين » وينقل عنه كثيرا من العبارات والامثلة[٣] .

والبيان الاول : الاعتبار ، وبعضه ظاهر يدرك بالحس ولا يفتقر الى برهان واستدلال ، وبعضه باطن لايدرك الا بالعقل ، والعقل انما يدركه بالقياس أو بالخبر . ولذلك يعقد فصلا يتحدث فيه عن القياس ويحلله على طريقة أهل المنطق ، وكأنه بذلك يرى أن أهل الادب والبيان

(١) كتاب الصناعتين ص ٤ـ٥ .

(٢) ينظر تفصيل ذلك فى كتاب البيان العربى للدكتور بدوى طبانة ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) لقد أشرنا الى كثير منها فى أثناء التحقيق .

بحاجة الى دراسة المنطق وعلم الكلام وغيرهما من العلوم العقلية • وينتقل الى البحث في الخبر ، ويقسمه الى يقين وتصديق ، ويجعل اليقين ثلاثة أقسام : أولها : خبر التواتر المستفيض بين الناس ، وثانيها : خبر الرسل، وثالثها : ماتواترت به أخبار الخاصة • أما التصديق فهو الخبر الذي يأتي به الواحد أو الآحاد • وقد يستنبط علم باطن الاشياء بالظن الذي يُحتاط فيه حتى يقع موقع اليقين •

والبيان الثاني : الاعتقاد المبني على البيان الاول . وهو ثلاثة أضرب: فمنه حق لا شبهة فيه ، ومنه علم مشتبه يحتاج الى تقويته بالاحتجاج فيه ، ومنه باطل لا شك فيه •

والبيان الثالث : العبارة أو البيان بالقول • وقد تحدث فيه عن خواص العبارة ، وأطال الوقوف عند الخبر والطلب ، والنسخ، والمعارضة، وغيرها ، وهي من أقسام العبارة التي يتساوى أهل اللغات في العلم بها .

أما العرب فلهم استعمالات أخر من الاشتقاق ، والتشبيه ، واللحن، والرمز ، والوحي ، والاستعارة ، والامثال ، واللغز ، والحذف ، والصرف ، والمبالغة ، والقطع والعطف ، والتقديم والتأخير ، والاختراع • وتحدث عن هذه الفنون ، ثم انتقل الى باب تأليف العبارة ، فقسم الكلام الى منظوم ومنثور ، وقصّد الشعر الى قصيد ورجز ومسمط ومزدوج . وعرض لبعض الضرورات الشعرية ، وموقف الاسلام من الشعر ، ومكانته عند العرب ، ولفنونه الكثيرة التي تجمعها في الاصل أصناف أربعة وهي: المديح ، والهجاء ، والحكمة ، واللهو •

وانتقل بعد ذلك الى المنثور ، وقسمه الى خطابة ، وترسل ، واحتجاج ، وحديث . وذكر نعوت الخطابة وخصائص أساليبها ، متأثراً بما كتبه الجاحظ في « البيان والتبيين » • وانتقل الى الترسل ، وعقد فصلا في الجدل والمجادلة وأدب الجدل ، والحديث الذي يجري بين الناس في

مخاطباتهم ومجالسهم ومناقلاتهم . وله وجوه كثيرة : الجد والهزل ، والسخف والجزل ، والحسن والقبيح ، والملحون والفصيح ، والخطا والصواب ، والصدق والكذب ، والنافع والضار ، والحق والباطل ، والناقص والتام ، والمردود والمقبول ، والمهم والفضول ، والبليغ والعيي • ويمضي متحدثا عن هذه الفنون الى نهاية البيان الثالث . ولكن معظمها سقط من نسخة الكتاب المطبوعة باسم « نقد النثر » ، ولم يفطن الى ذلك المحققان وظنا أن المؤلف دمج البيان الرابع بالبيان الثالث ، مع أن الثالث لم يتم ، وبقي الخطأ والصواب ، والصدق والكذب ، والنافع والضار، والطلب، والشكر وحفظ السر ، والاستعتاب ، والتودد ، والمقبول والمردود ، والمهم والفضول ، والتام والناقص ، وأدب الحديث ، ناقصا في نسخة الاسكوريال التي تنتهي في ص ١٦٤ من مخطوطتنا الجديدة •

والبيان الرابع : الكتاب ، وقد سقط كله من مخطوطة الأسكوريال المطبوعة باسم « نقد النثر » • وفي هذا البيان نجد اسم المؤلف الحقيقي واضحا • يقول في مطلعه : « بسم الله الرحمن الرحيم • والحمد لله حق حمده • باب البيان الرابع ، وهو الكتاب • قال أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب : قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا •• » •

وقد تحدث في هذا البيان عن كاتب الخط ، وما يحتاج المحرر الى استعماله ، والخط وأنواعه ، وكاتب اللفظ ، وكاتب العقد ، وكاتب العامل ، وكاتب الجيش ، وكاتب الحكم ، ووجوه الاموال ، وحكم الارض فيما يجتبى منها ، وصاحب الشرطة ، وكاتب التدبير ، والصدقة ، وصاحب الخبر ، والحاجب ، والتعمية .

وهذه الموضوعات هي التي تتحدث عنها الكتب الخاصة بالاحكام السلطانية • ويلاحظ أن معظمها عولجت في « أدب الكتّاب » للصولي (٣٣٥ هـ أو سنة ٣٣٦ هـ) وكتاب « الاحكام السلطانية والولايات الدينية »

للماوردي (٤٥٠ هـ) . وتحدث عن بعضها أصحاب كتب الخراج كيحيى ابن آدم القرشي (٢٠٣ هـ) ، في كتاب الخراج ، وأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) في كتاب الاموال ، والقاضي أبي يوسف صاحب الامام أبي حنيفة في كتاب الخراج ، وقدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ) في كتاب « الخراج وصنعة الكتابة » وغيرهم من المؤلفين .

* * *

هذا منهج المؤلف في « البرهان » ، ويبدو واضحا أنه حاول أن يكون للادب وفنونه دراسة علمية ، تخضع للعقل والادلة والبراهين ، الى جانب استفادتها من النصوص الادبية وما فيها من قيمة بلاغية . وتستفيد مما ترجم عن اليونان وغيرهم .

ويتضح أثر منطق أرسطو وبلاغته ، ومنهج المتكلمين وحججهم ، وأسلوب الفقهاء وآراؤهم ، في هذا الكتاب . وبذلك يقف الى جانب كتاب « نقد الشعر » الذي كان محاولة لتطبيق المقاييس اليونانية على بلاغة العرب وفنون القول .

يقول الدكتور طه حسين عنه : « لاجرم انا هنا بازاء بيان جديد كل الجدة ، بيان لا يستمد غذاءه من الادب العربي البحت وخطابة ارسطو وشعره فحسب ، ولكنه يستفيد في تكوين بنيته من منطق أرسطو وبخاصة كتابيه « أنا لوطيقا » و « طوبيقا »[١] . هذا البيان الجديد يقصد في حقيقة الامر الى تكوين الخطيب والشاعر والكاتب . وذلك بأن يجعل لكل منهم أولا فكرا مستقيما ، ثم لسانا ناطقا يحسن به التعبير عما يجول بخاطره ، ثم هو يهديه بعد ذلك الى خير أساليب الاداء والالقاء .

ولسنا بحاجة الى أن نقول إنّ حظ هذا البيان ذي الصفة الفلسفية

---

(١) أى : كتابى : تحليل القياس ، والجدل .

المحضة لم يكن خيرا من حظ « نقد الشعر » لقدامة[1] .

ويقول عنه في كتاب « من حديث الشعر والنثر » : « وكتاب قدامة — وأنا متحفظ في نسبته الى قدامة — مؤلف بالضبط على طريقة ارسطاليس في كتابه الخطابة . فكما يبدأ ارسططاليس في نقد أصحاب البيان ويحاول أن يضع بيانا جديدا ملائما لحقيقة الادب وطبيعة الفن ، فكذلك قدامة يبدأ بنقد كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، ويرى أن هذا الكتاب لا يشفي غلة من يريدون أن يعرفوا نظريات البيان ، ويعد بوضع نظريات جديدة للبيان »[2] .

ويقول الدكتور شوقي ضيف : « وواضح أن المؤلف لم يكتف بالاخذ عن كتابي الخطابة والشعر لارسطو ، فقد توسع في الاخذ عن كتابيه المنطق والجدل ، ومزج ذلك مزجا واسعا بعقيدته الشيعية ، ومباحث المتكلمين ، ومسائل الفقهاء . وهو مزج بدا فيه الجفاف واضحا ، وبدا كأن البيان العربي عند أبن وهب يريد أن يستعجم .

ونفس الوجوه البلاغية التي عرض لها والتي اقتبسها من أرسطو ، لم يحسن تطبيقها على نحو ما رأينا عند قدامة . وقد اقترح بعض ألقاب جديدة ، ولكن لم يكتب لها الشيوع على ألسنة البلاغيين ، كما كتب لالقاب قدامة وابن المعتز . ويظهر أنّ البلاغيين ضاقوا به ضيقا شديدا ، وآية ذلك أننا لانجد له أي ذكر في كتاباتهم ، بينما نراهم يذكرون قدامة وكتابه « نقد الشعر » في مباحثهم . وليس من شك في أن ذلك يرجع الى أنّ ابن وهب أوغل في الاستعارة من التفكير اليوناني ، كما أوغل في ضغط الكلام بحيث سرى في الكتاب غير قليل من الغموض ، بل من الصعوبة والاستغلاق . ومن أجل ذلك انصرف البلاغيون عنه ، وأعرضوا اعراضا »[3] .

---

(١) تمهيد نقد النثر ص ٢٣ .
(٢) من حديث الشعر والنثر ص ٧٧-٧٨ .
(٣) البلاغة تطور وتاريخ ص ١٠١-١٠٢ . وينظر كتاب النقد للدكتور شوقي ضيف ص ٦٢-٦٣ .

ويقول الدكتور بدوي طبانة : « ويبدو لمن ينعم النظر في هـذا الكتاب ، عقلية صاحبه الفقهية . وأن الكتاب بني على أساس قرآني ، فان كثيرا من فنون القول عنده لاتجد فيها موضوعا للدراسة إلا آيات القرآن ، باعتباره صورة للبيان الرفيع . »[١]

ويقول : « ويطول بنا القول حين نريد الالمام بالجهود التي بذلها صاحب « البرهان » ، ولكن الذي نريد أن ننبه اليه أنه درس البيان كما درسه الجاحظ بمعناه الرحب الفسيح الذي يعالج الادب وفنونه ، وأقسامه ومعانيه ، وعناصر الجمال فيه ، كما يعالج الاديب وما ينبغي له ، ومـا تكتمل به أداته البيانية ويعينه على الاجادة »[٢] .

ومهما قيل في كتاب « البرهان » ، فلن يؤثر في قيمتـه وأثره في الدراسات البيانية . وسيكون الحديث عنه أوسع ، وتكون الدراسـات أطول ، بعد أن يكون النص الكامل بين أيدي الباحثين والدارسين .

ولـكن مَن مؤلف كتاب « البرهان في وجوه البيان » ؟

٤

ذكرنا أن مؤلفه : أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، كما جاء في مطلع البيان الرابع . وقـد بحثنا عن المؤلف طويلا فلم نجد له ذكرا في المصادر القديمة والحديثة . ولـكن وجـدنا عائلة آل وهب الشهيرة في التأريخ . فجده ـ كما يبدو ـ من اسمه « أبو أيوب سليمان بن وهب بن عمرو بن حصين بن قيس بن قبال » . وكان ينكر الانتساب الى الحارث بن كعب على أخيه الحسن ، وعلى ابنـه أبي

---

(١) البيان العربي ص ٨٥ .
(٢) البيان العربي ص ٨٦ـ٨٧ .

الفضل أحمد بن سليمان بن وهب، لشدة تعلقهم به . وكان «قبال» كاتبا ليزيد ابن أبي سفيان لما ولي الشام ، ثم لمعاوية من بعده . ووصله معاوية بولده يزيد ، وفي أيامه مات . واستكتب يزيد ابنه قيسا ، ثم كتب قيس لمروان ابن الحكم ، ثم لولده عبدالملك ، ثم لهشام بن عبدالملك ، وفي أيامه مات . واستكتب هشام ابنه الحصين ، ثم استكتبه مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية ، ثم صار الى يزيد بن عمر بن هبيرة . ولما خرج يزيد الى أبي جعفر المنصور أخذ للحصين أمانا ، فخدم المنصور ثم المهدي ، وتوفي في أيامه في طريق الري ، فاستكتب المهدي ابنه عمرا ، ثم كتب لخالد بن برمك ، ثم توفي وخلف سعيدا . فما زال في خدمة آل برمك ، وتحول ولده وهب الى جعفر بن يحيى ، ثم صار بعده في جملة ذي الرياستين الفضل بن سهل . وقال ذو الرياستين في حقه : « عجبب لمن معه وهب كيف تهمه نفسه » . ثم استكتبه أخوه الحسن بن سهل بعده ، وقلده كرمان وفارس ، فأصلح حالهما ، ثم وجه به الى المأمون برسالة من فم الصلح . وكتب سليمان للمأمون ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، ثم لايتاخ ، ثم لاشناس ، ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله ، ثم للمعتمد على الله . ونقم عليه الموفق بالله ، فحبسه فمات في حبسه سنة ٢٧٢ هـ يوم الاحد منتصف صفر ، وقيل : سنة ٢٧١ هـ . وقال الطبري : انه توفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر في حبس الموفق طلحة والد المعتضد[١] .

ولسليمان بن وهب ولد اسمه أحمد بن سليمان بن وهب أبوالفضل، وهو كاتب له شعر . وقد تقلد أعمالا ، منها النظر في جباية الاموال ، توفي سنة ٢٨٥ هـ[٢] .

وله ابن آخر هو عبيدالله بن سليمان وقد ذكره الصولي في « أدب

---

(١) ينظر فهرست ابن النديم ص ١٨٣ ، وتاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٤٩ ، والاغانى ج٢ ص ١٦٥ ، ووفيات الاعيان ج٢ ص ١٤٤ ، والنجوم الزاهرة ج٣ ص ٣٧ ، ٤٠ ، ونصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ص ٦٥ .

(٢) ينظر معجم الادباء ج٣ ص ٥٤ .

الكتاب » عدة مرات[١] ، وتوفي سنة **٢٨٨** هـ[٢] .

ولم نعثر على اسم ولده ابراهيم ، وحفيده أبي الحسين اسحاق مؤلف كتاب « البرهان » .

ولسليمان أخ اشتهر في الدولة العباسية ، هو الحسن بن وهب المتوفى سنة **٢٥٠** هـ[٣] .

وكانت لهذه العائلة منزلة كبيرة في العصر العباسي ، فترنم الشعراء بمدحهم ، وأشادوا بذكرهم ، وبكوهم بكاءاً مراً يوم ودعوا الحياة . وكان لابي تمام والبحتري علاقة وثيقة بهذه العائلة ، ولهما فيها مدائح ومراث[٤] .

وقد كان صاحب « البرهان في وجوه البيان » شديد التعظيم والتقدير لهذه الاسرة ، وكثيرا ما يكرر : « كان شيخنا أبو علي الحسن بن وهب رحمه الله .. » ، و « قال أبو أيوب ـ رضي الله عنه ـ » و « كان أبو أيوب ـ رحمه الله ـ رجلا مشهورا بالبلاغة .. ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة إلا بهذا القول من شيخنا ـ رحمه الله ـ لكفى وأجزى » ، و « فلما تقلد شيخنا أبو القاسم عبيدالله بن سليمان ـ رحمه الله ـ ... » وغير ذلك .

وينقل كثيرا عن شيخه الحسن بن وهب الذي كان ملما بالكتابة وأمورها ، مطلعاً عليها ، عارفا أسرارها[٥] .

---

(١) ينظر أدب الكتاب ص ٥٩ ، ٨٥ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ٢٣٤ .

(٢) نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ص ٨٨ .

(٣) ينظر فهرست ابن النديم ص ١٨٣ ، ووفيات الاعيان ج١ ص ٣٤٠ ، وفوات الوفيات ج١ ص ٢٦٩ .

(٤) ينظر ديوان أبى تمام ص ٢٩ ، وديوان البحترى ٦٩٤ ، وفوات الوفيات ج١ ص ٢٦٩ .

(٥) ينظر صبح الاعشى ج٢ ص ٤٣٠ ، وأول الجزء الثالث ، ونهاية الارب ج ٧ ص ٢٠ وما بعدها .

وتقف عند هذه المسألة ، ولعلنا نستطيع في المستقبل أن نخطو خطوات أخرى في توضيح هذه القضية التي ما تزال غامضة ، أو لعل غيرنا يقدر على أنْ يكمل هذه الحلقة المفقودة ، ويظهر كتاب « البرهان » وصاحبه بصورة أبهى ، وبرونق أسنى .

٥

ويمكن أن نلخص ما سبق بما يأتي :

أولا : ان الاسم الحقيقي الذي طمسته الايام هو « البرهان في وجوه البيان » وليس « نقد النثر » . وقد تأيد ذلك بما جاء في عنوان مخطوطتنا ، وهو : « البرهان في وجوه البيان » ، وبما قاله المؤلف في المقدمة من أنه يؤلف كتابا في البيان لا في نقد النثر ، وبما جاء في خاتمة الكتاب : « تم كتاب البرهان في وجوه البيان » .

ثانيا : ان الكتاب ليس لقدامة بن جعفر ، بل لمعاصر له هو « أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب » .

ثالثا : ان القسم المطبوع باسم « نقد النثر » أقل من النصف بكثير .

رابعا : ان الكتاب ليس كتاب « الخراج وصنعة الكتابة » لقدامة ابن جعفر ، لاختلافهما في المنهج والموضوعات .

خامسا : ان الكتاب ألف بعد عام ٣٣٥ هـ .

سادسا : ان ثقافة مؤلف « البرهان » تختلف اختلافا واضحا عن ثقافة قدامة بن جعفر ، فهي ثقافة اسلامية عربية يغلب عليها الطابع الفقهي والكلامي . ولم تكن لقدامة هذه الثقافة الاسلامية العميقة .

سابعا : ان أسلوب كتاب « البرهان » اسلوب جيد ليس فيه هلهلة ، وإن كان يميل أحيانا الى السجع والازدواج .

٦

أما عملنا في التحقيق ، فيتلخص في :

أولا : مطابقة مخطوطتنا النادرة المحفوظة في مكتبة تشستربيتي في دبلن عاصمة ارلندة ، بمخطوطة الاسكوريال[1] المطبوعة باسم « نقد النثر » بتحقيق الدكتور طه حسين وعبدالحميد العبادى • وقد رمزنا لمخطوطة دبلن بلفظة : « الاصل » ، ورمزنا لمخطوطة الاسكوريال بـ « س » •

ثانيا ـ مطابقة المخطوطة بالمصادر القديمة والحديثة .

ثالثا : تكملة الاشعار والجمل الناقصة •

رابعا : نسبة كثير من الشواهد الى أصحابها وقائليها •

خامسا : ترجمة الاعلام الواردة في الكتاب •

سادسا : شرح المصطلحات وتوضيح معاني الكلمات الغامضة ، أو مايحتاج الى تفسير •

هذا ما تيسر لنا في هذا المقام ، ولعلنا نقوم قريبا بدراسة مفصلة عن كتاب « البرهان » •

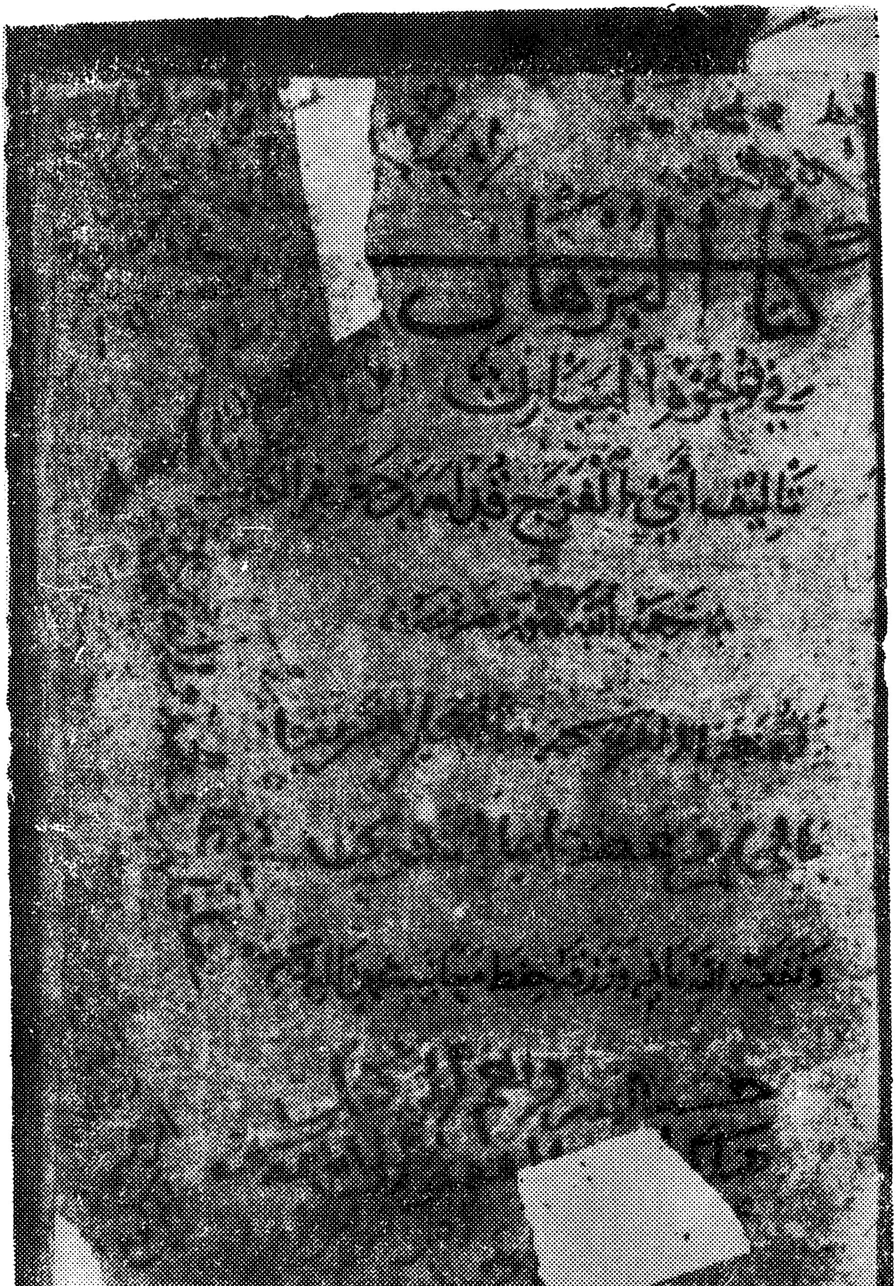
والله نسأل أن يوفقنا لما فيه خير أمتنا وتراثها الخالد .

الدكتور احمد مطلوب
استاذ مساعد فى كلية الآداب ـ جامعة بغداد
ورئيس قسم الصحافة فيها

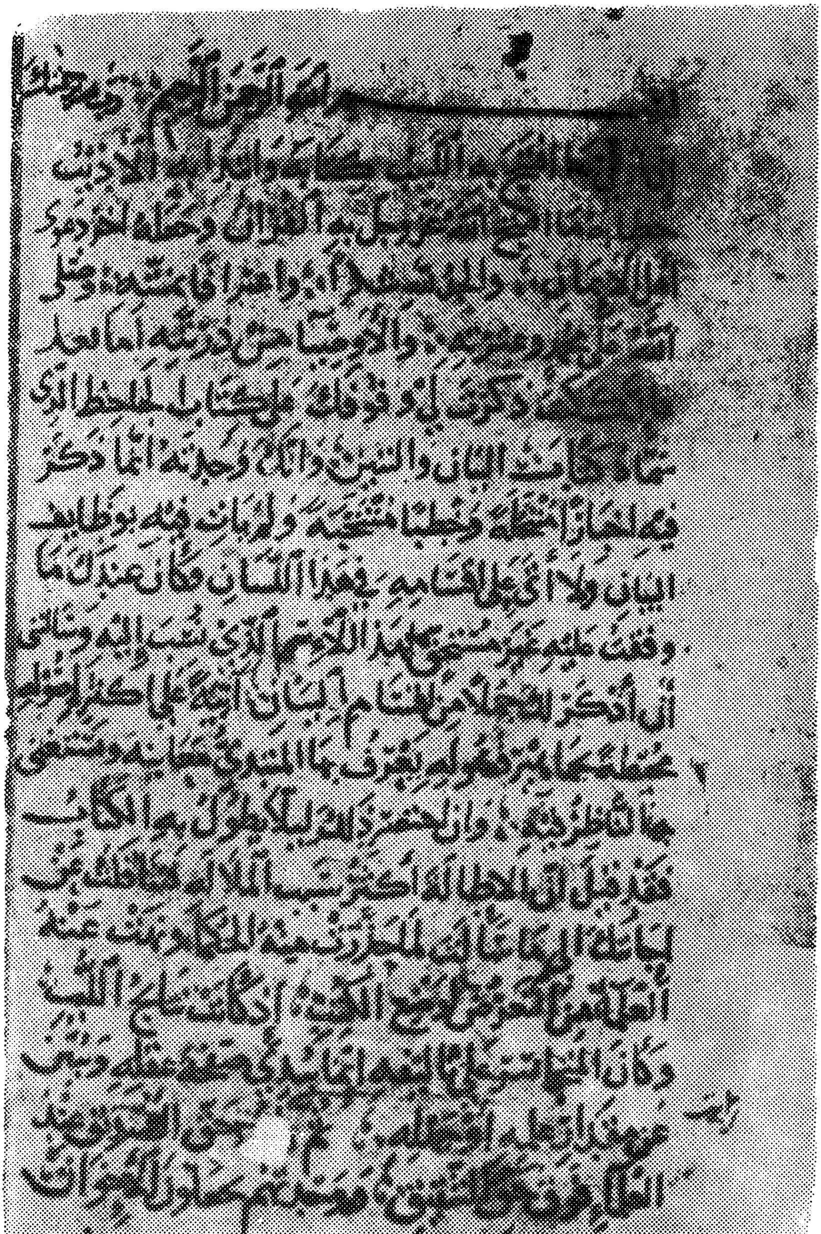
بغداد ـ الجمعة
٢٤ شوال ١٣٨٦
٢ شباط ١٩٦٧

---

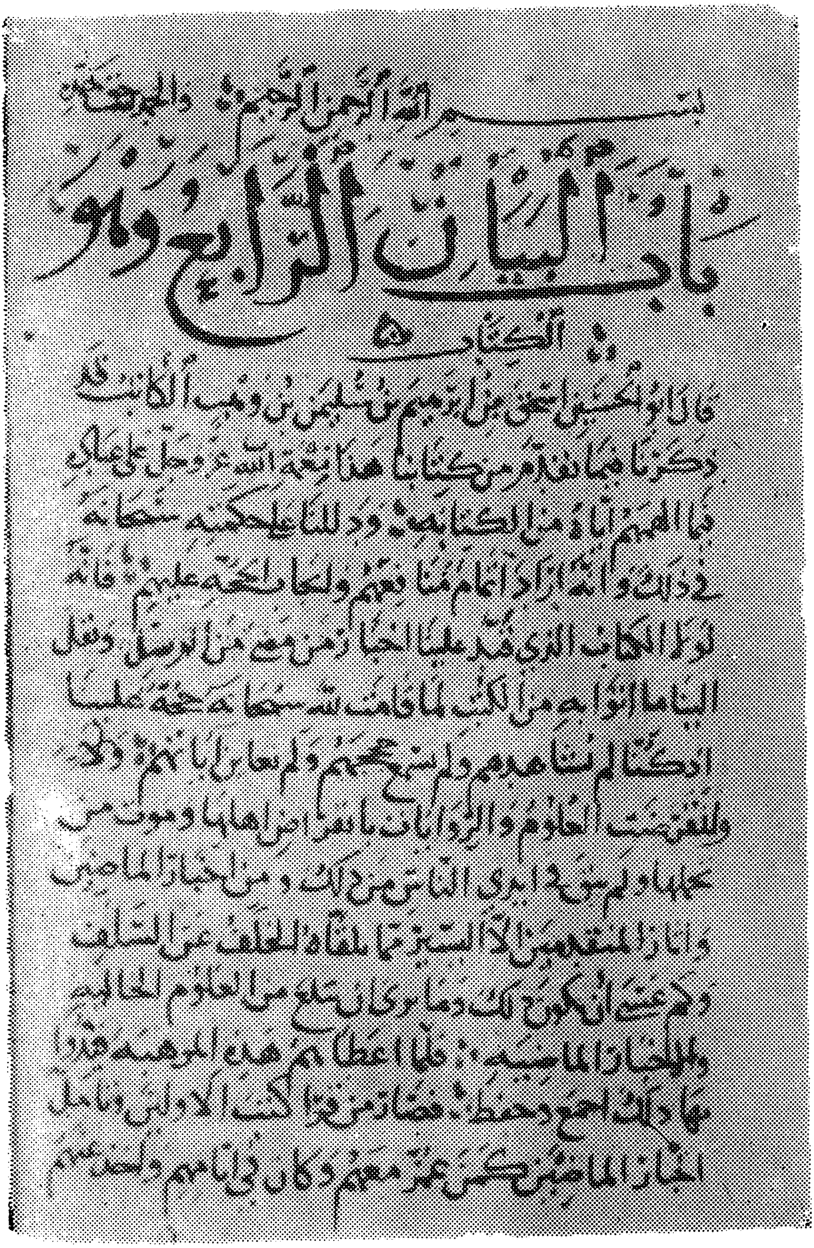
(١) قال الاستاذ العبادى فى وصفها : « هى النسخة المخطوطة المحفوظة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٢٤٣ من فهرس درنبورغ • وهى النسخة الخطية الوحيدة لهذا الكتاب فى العالم ـ فيما نعرف ـ وقد أحضرت صورتها الشمسية من أسبانيا فى خريف عام ١٩٢٩ عندما سافرت اليها لتمثيل مصر فى مؤتمر تاريخ أسبانيا الذى انعقد فى برشلونة • وهى مكتوبة بالخط المغربى ، وعدد أوراقها ٥٧ ورقة ، وليس بها تاريخ كتابتها للاسف ، غير انى أرجح انها كتبت فى القرن السابع الهجرى • وقد ذكر على الورقة الاولى منها انها صارت الى ملك أمير المؤمنين عبدالله الحسنى (تولى الحكم من عام ٩٦٥ الى عام ٩٨١ هـ) صاحب مراكش ، أى فى القرن العاشر الهجرى » • (ينظر نقد النثر ص ٤٩) •



عنوان الكتاب



الصفحة الاولى من الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

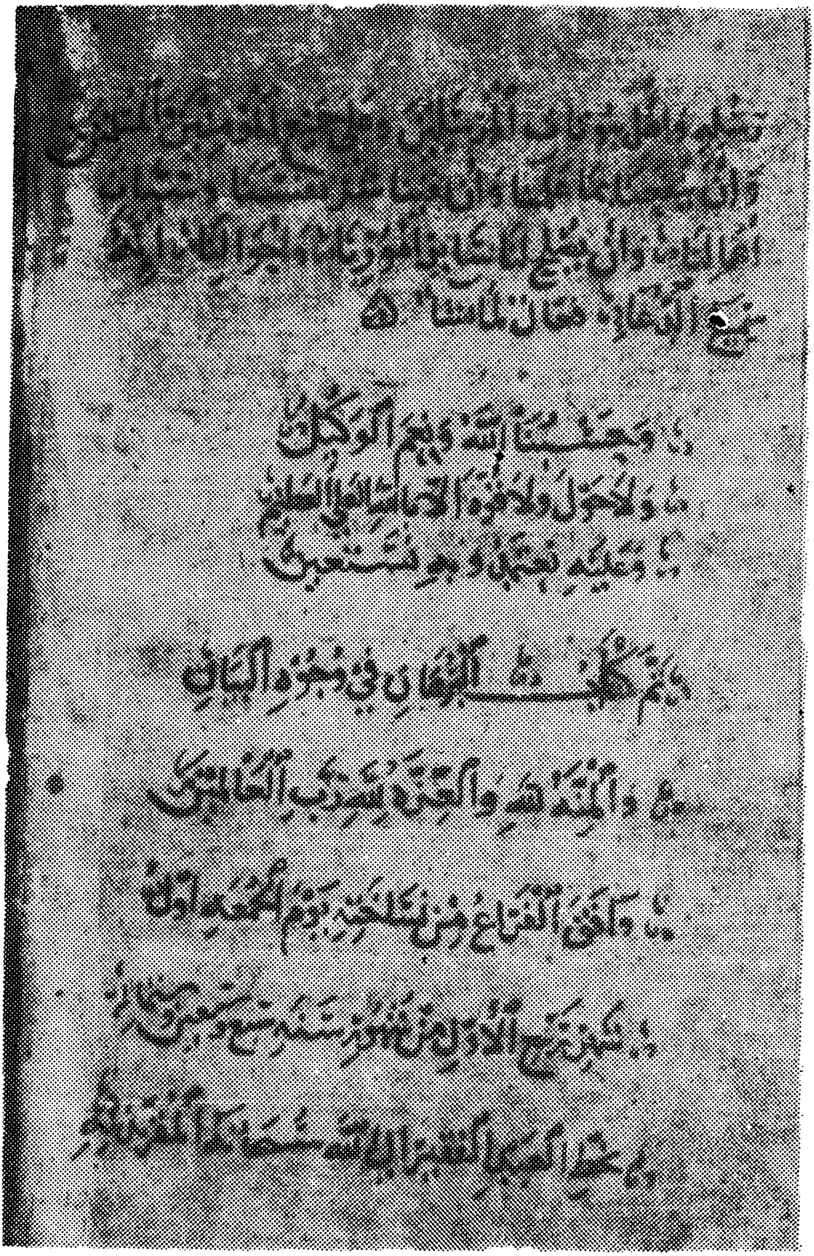
باب البيان الرابع وهو

الكتاب

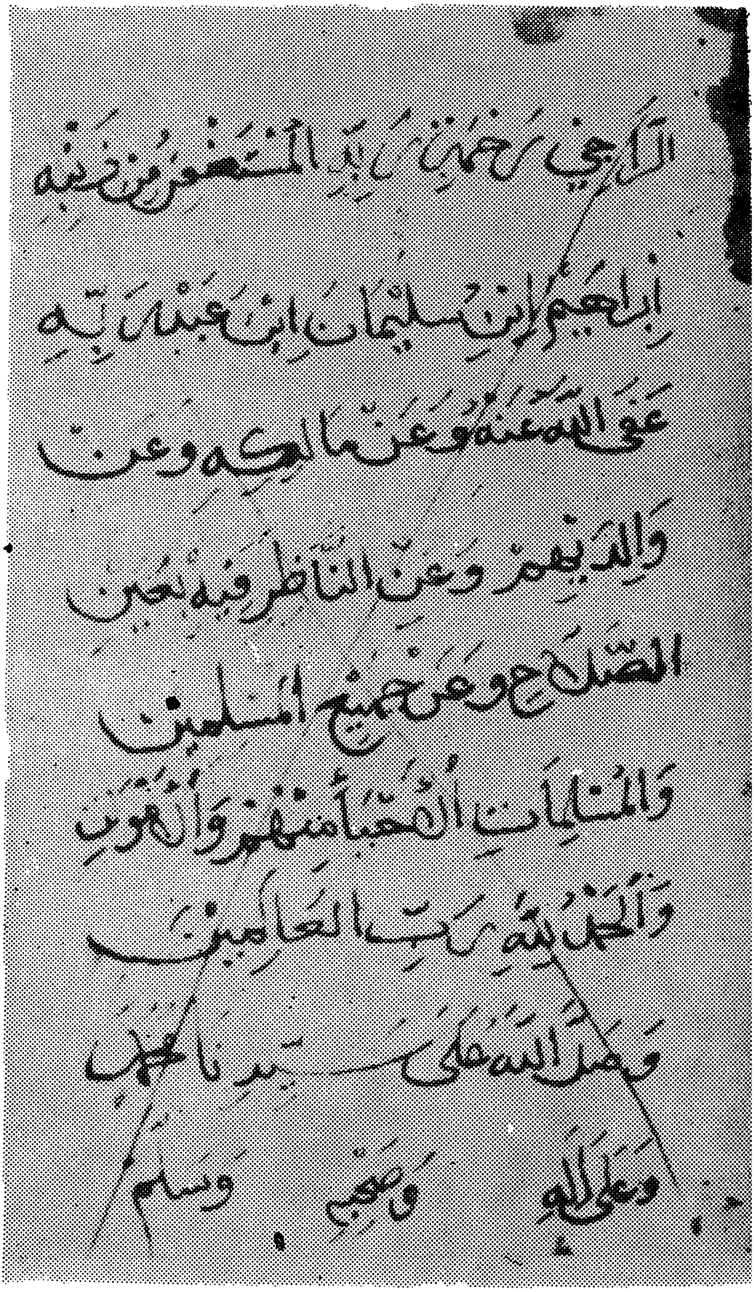
قال أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب
ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا بغية اشتد وحل على
فيما الينا من الكتابة وذللنا بحكمه سخا به
في ذلك وانه لولا اتمام ما نعم ولما لحجه علينا فانه
لولا الكتاب الذي قيد علينا اخبار من مضى من الرسل ونقل
الينا ما اتوا به من الكتب لما قامت الحجة علينا
اذ كنا لم نشاهدهم ولم نسمع منهم ولم نعاين اياتهم ولا
ولانقطعت العلوم والروايات بانقراض اهلها وموت من
يحملها ولم يبق في ايدي الناس من ذلك ومن اخبار الماضين
واثار المتقدمين الا اليسير مما يتلقاه الخلف عن السلف
ويعجز ان يكون لك وما يكاد يتبع من العلوم للغابرين
والاخبار الماضية فلما اعطاهم هذه الموهبة فيها
بها ذلك اجمع وحفظ فصار من قرا كتب الاولين فكانما
اخبار الماضين كمن عاصرهم وكان في ايامهم ولحقهم

الصفحة الاولى من البيـان الرابع

وفيهـا يبدو اسم المؤلف


وحسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وعليه نعتمد وبه نستعين

الصفحة ما قبل الاخيرة



الصفحة الأخيرة من الكتاب ويلاحظ أنها بخط آخر

البرهان في وجوه البيان

أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب
الدكتورة خديجة الحديثي

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر برحمتك[١]

انَّ أولى ما افتتح به اللبيب كتابه ، وابتـــدأ به الأديبُ خطابه ، ما افتتح الله ـ عز وجل ـ به القرآن ، وجعله آخر دعوى أهل الايمان • والحمد لله شكراً واعترافاً بمنتـــه ، وصلى الله على محمدٍ وعترته[٢] ، والأوصياء من ذريته[٣] •

أما بعد : فانك كنت ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ[٤] الذي سماه « كتاب البيان والتبيين » ، وانك وجدته انما ذكر فيه أخبارا منتخلة[٥]

---

(١) فى س : صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم •

(٢) عترة الرجل : نسله ورهطه وعشيرته الادنون •

(٣) فى س : « صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم • ان اولى ما افتتح به اللبيب كتابه ، وابتدأ به الاديب خطابه ، ما افتتح الله به القرآن ، وجعله آخر دعوى أهل الايمان• فالحمد لله شكرا لنعمته ، واعترافا بمنته ، وصلى الله على محمد وعترته والاخيار من ذريته » •

(٤) فى س : « كتاب عمرو بن بحر الجاحظ » • وهو الاديب البصـــرى الـكبير ، والمتكلم المعتزلى ، صاحب البيان والتبيين والبخلاء والحيوان وعشـــرات الرســـائل • توفى سنة ٢٥٥ هـ •

(٥) منتخلة : مختارة •

وخطبا منتخبة ، ولم يأتِ فيه بوظائف[1] البيان ، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان ، فكان عندك ما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب اليه[2] .

وسألتني أن أذكر لك جملا من أقسام البيان ، آتية على أكثر أصوله ، محيطة بجماهير فصوله ، يعرف بها المبتدىء معانيه ويستغني بها الناظر فيه ؟ وأن اختصر ذلك لئلا يطول به[3] الكتاب ، فقد قيل : « إنّ الاطالةَ أكثرُ أسبابِ الملالة » . فتثاقلتُ عن اجابتك الى ماسألت لما حذّرت[4] منه الحكماء ، ونهت عنه العلماء من التعرض لوضع الكتب ، اذ كانت نتائج اللب ، وكان المتجاسر على تأليفها انما يبدي صفحة عقله ويبين عن مقدار علمه أو جهله[5] . ثم رأيتُ حق الصديق عند العلماء فوق حق الشقيق ، ووجدتهم يجعلون الاخوان [1] من عُدَد الزمان ، فقال سيدنا[6] — عليه السلام — : « المرءُ كثيرٌ بأخيه »[7] . وسئل بعضهم فقيل له : « أيما أحبُ اليك أخوك أم صديقك ؟ »[8] . فقال : « انما أحبُ أخي اذا كان صديقا »[9] . وقال بعضهم[10] : « الاخاء الصادق أقرب من النسب الشابك »[11] . وقال بعض الفلاسفة : « الاصدقاء نَفْسٌ واحدة في أجساد متفرقة » ين وقال مولانا[12] — عليه السلام : « ثلاثة لا يُعرفون اِلاّ في ثلاثة مواطن : لايعرف الشجاع الاّ

---

(١) فى س : وصف .
(٢) لم يرم الجاحظ بكتاب البيان والتبيين ، وضع قواعد واصول للبيان ، بل ذهب فيه مذاهب أخر ، ومن هنا نرى صاحب البرهان يخطىء فى تقدير كتاب الجاحظ .
(٣) فى س : له .
(٤) فى س : قد حذرت .
(٥) كذا فى س ، أما فى الاصل عقله أو جهله .
(٦) فى س : علي — عليه السلام — .
(٧) فى س : باخوانه .
(٨) كذا فى س ، أما فى الاصل : أخوك أو صديقك .
(٩) فى س : صديقى .
(١٠) فى س : قائلهم .
(١١) الشابك : المتداخل ، يقال : بينهم شبكة — بالضم — أى نسب قرابة .
(١٢) فى س : وقال علي رضوان الله عليه .

عند الحرب ، ولا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا يعرف الصديق الا عند الحاجة اليه » .

فلما تذكرتُ ذلك وتدبرتهُ ، تحمّلتُ لك تأليفَ ما أحببْتَه ، ورسْمتُه على علم مني بأن كتابي لا بُدّ أن يقع في يد أحد رجلين : إما عاقل يعلم أن الصواب قصدي ، والحقَ ارادتي ، وأن نية الرجل أولى به من عمله فيتغمد سهواً إن وقع مني ، ويغتفر زللاً صَدَرَ عني ، ويعود بفضل حلمه على زللي ويُصلح بعلمه خطلي[1] ، فقد وجب ذلك عليه لي لاعترافي قبل اقترافي ، واقراري بالتقصير الذي رُكِّبَ في جِبِلَّةِ[2] مثلي • وإمّا جاهل أحَبُّ الاشياء اليه عيبُ ذَوي الادب ، والتسرع الى تهجينهم وذكر مساويهم ، وذلك لمنافرته اياهم ، وبُعْدِ شكله من أشكالهم • ومَن أراد عَيْباً وجده ، ومن فحص عن عثرةٍ لم يعدَمها ، وكان يُقال : « مَن حسد إنسانا [٢] اغتابه ، ومن قصَّرَ عن شيءٍ عابه » ولذلك قيل : « من جهل شيئا عاداه » .

وقال مولانا[3] — عليه السلام — : « عداوة الجاهل للعلم على قَدْرِ [قِلةِ] انتفاعه به » .

قال الشاعر[5] : [من الوافر]

وأسرعُ ما علمت بظهر غيبٍ الى ذكر العيوب ذوو العيوبِ[6]

(١) فى س : خطئى •
(٢) الجبلة : الطبيعة والخلقة •
(٣) فى س : علي رضوان الله عليه •
(٤) الزيادة من س •
والمشهور أيضا : « المرء عدو ماجهل » •
(٥) ذكره المبرد فى الكامل ج٣ ص ٩٨٠ ، والجاحظ فى البيان والتبيين ج١ ص ٥٨ ، وابن قتيبة فى عيون الاخبار ج٢ ص ١٤ ، ولم يذكروا قائله •
(٦) فى الاصل :
وأطمع ما علمت بظهر غيب الى ذكر العيوب ذوو العيوب
وفى س له روايتان ، الاولى ما أثبتناها ، والثانية :
وأسرع ما علمت بظهر غيب على عيب الرجال ذوو العيوب
وفى البيان والتبيين ج١ ص ٥٨ : وعيون الاخبار ج٢ ص ١٤ ، والكامل ج٣ ص ٩٨٠ :
وأجرأ من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال ذوو العيوب

فمن كانت هذه حاله ، كان اللبيبُ حقيقا بترك الحَفْلِ به ، وقلة الاكتراث له .

وقد ذكرتُ في كتابي هذا جُملاً من أقسام البيان ، وفِقَراً من آدابِ حكماء أهل هذا اللسان ، لم أُسْبَقْ[1] المتقدمين اليها ، ولكني شرحْتُ في بعض قولي ما أجملوه ، واختصرْتُ في بعض ذلك ماأطالوه، وأوضَحْتُ في كثير منه ما أوعَروه ، وجمعْتُ في مواضعَ منه مافرقوه، ليخفَّ بالاختصار حفظُه ، ويقربَ بالجمع والايضاح فهْمُه .

وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلتُ واليه أُنيب .

وأما بعد : فان الله ــ عز وجل ــ خلق [2] الانسان ، وفضَّله على سائر الحيوان ، ونطق[3] بذلك القرآن فقال ــ عَزّ مِنْ قائل[4] ــ: « ولَقَدْ كَرَّمنا بني آدَمَ ، وحَمَلناهم في البَرّ والبَحْر ، ورزقناهم من الطيّباتِ ، ، وفضَّلناهم على كثير ممنْ خَلَقْنا تفضيلا »[5] . وانما فضّله على سائر جِنْسه [6] بالعقل الذي به فَرَّق بين الخير والشر ، والنفْعِ والضر ، وأدرك به علم ماغاب عنه ، وبَعُدَ منه[7] .

والدليل على أنّ الله ــ عز وجل ــ [٣] انما فضل الانسان بالعقل دون غيره ، أنَّه لم يخاطب إلا مَنْ صَحّ عقلهُ ، واعتدل تمييزه . ولا جعل الثواب والعقاب إلاّ لهم ، ووضع التكليف عن غيرهم من الاطفال الذين لم يكمل تمييزهم ، والمجانين الفاقدين لعقولهم[8]. والعقلُ حجةُ

---

(١) في الاصل : نسبق ، والتصحيح من س .
(٢) في س : فان الله خلق .
(٣) في س : أنطق .
(٤) في س : عز وجل .
(٥) سورة الاسراء ، الآية ٧٠
(٦) في س : على سائر أهل جنسه .
(٧) في س : وأدرك به ماغاب عنه ، وبعد منه .
(٨) في س : الذين فقدوا عقولهم .

الله ـ سبحانه ـ على خَلْقه[1] ، والدليل لهم الى معرفته ، والسبيل الى نَيْل رحمته .

وقد أتت الرواية بأن الله ـ عز وجل ـ لمّا خلق العقل[2] استنطقه، ثم قال له : « أَقْبِل » ، فأقْبَلَ . ثم قال له : « أَدْبِر » فأدبَرَ . فقال : وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ اليّ منك ، ولا أكملتك الا فيمن أحب . أما اني اياك آمر ، واياك أنهى[3] ، واياك أعاقب وأثيب ، وبك آخذ ، وبك أعطي .

وروي عن أبي عبدالله[4] ـ عليه السلام ـ أنه قال لهشام[5] : ياهشام، انّ لله ـ سبحانه ـ حُجتين[6] : حجة ظاهرة ، وحجة باطنة . فأما الظاهرة فالرسل ، وأما الباطنة فالعقل » .

وعنه ـ عليه السلام ـ أنه قال : « حجة الله على العباد النبي ، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل » .

ولولا العقل الذي بان به ذوو التمييز من ذوي الجهل ، لما كان بين الانسان ، وبين سائر الحيوان ، فرق في تولدٍ ولا نمو ، ولا حركةٍ ولا هدو ، ولا أكْل ولا شرب ، لانّ سائرَ البهائم شركاؤه في ذلك . فبالعقل اذَنْ تنال الفضيلة ، وهو عند الله [٤] ـ عز وجل[7] ـ أقرب وسيلةً .

---

(١) فى س : فالعقل حجة الله على خلقه .

(٢) فى س : ان الله ـ عز وجل ـ لما خلق الخلق ثم العقل بعدهم .

(٣) فى س : أما انى اياك آمر وأنهى .

(٤) هو الامام جعفر الصادق أحد الائمة الاثنى عشر ، لقب بالصادق لصدقه فى مقالته . ولد سنة ٨٠ هـ ، وتوفى سنة ١٤٨ هـ بالمدينة ودفن بالبقيع . (ينظر وفيات الاعيان ج١ ص ٢٩١ ، وينظر ماجاء عنه فى كتاب فرق الشيعة للنوبختى) .

(٥) هو هشام بن سالم ، كان من وجوه أصحاب الامام جعفر الصادق . (ينظر ماجاء عنه فى فرق الشيعة ص ٦٦) .

(٦) فى س : ان لله حجتين .

(٧) فى س : وهو عند الله أقرب وسيلة .

قسمة العقل[١]

[والعقل][٢] ينقسم قسمين : موهوب ومكسوب • فالموهوب ما جعله الله في جِبِلَّةِ خلقه ، وهو الذي ذكره في كتابه حيث يقول : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجَعَلَ لكم السَّمْعَ والأبصارَ والافئدةَ لعلكم تَشْكُرون »[٣] • وقد فَضَّل الله ـ عز وجل ـ[٤] في هذه الموهبة بعض خَلْقه على بعض على مقدار علمه فيهم ، كما فَضَّل بعضَهم على[٥] بعض في سائر أخلاقهم وأفعالهم ، وقال « نحن قَسَمْنا بَيْنَهم مَعيشتَهم في الحياة الدنيا ، ورَفَعْنا بَعضهم فوقَ بَعْضٍ درجاتٍ ، ليتخذَ بَعْضُهم بَعْضاً سُخريّا ، ورحمةُ ربك خَيرٌ مما يَجْمَعون »[٦] • وإنما فعل الله ذلك للمصلحة لهم ، ونحن نبيّن وجه الصلاح في ذلك [ووصفه][٧] فيما نستأنف من كتابنا هذا إذا صِرْنا اليه •

والمكسوبُ ما أفاده الانسان بالتجربة والعبر والأدب[٨] والنظر ، وهو الذي ندب الله ـ عز وجل ـ اليه فقال : « أفَلَمْ يسيروا في الارضِ فتكونَ لهم قُلوبٌ يَعْقِلونَ بها ، أو آذانٌ يَسْمَعونَ بها ، فانها لا تعمى الابصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصُّدور »[٩] •

---

(١) لم يرد فى الاصل ، وفى س : باب قسمة العقل •
(٢) الزيادة من س •
(٣) سورة النحل ، الآية ٧٨ •
(٤) فى س : فضل الله فى هذه الموهبة ••
(٥) فى الاصل : عن ، والتصحيح من س •
(٦) سورة الزخرف ، الآية ٣٢ •
(٧) الزيادة من س •
(٨) فى س : وبالادب •
(٩) سورة الحج ، الآية ٤٦ •

وجعل مَنْ أعطاه العقل الغريزي فأهمله[1] ، وترك شحذه بالادب والتَّفكُّر والتميز والتدبر كالانعام ، وعرَّفَنا أنّ مصيرهم الى النار فقال – عَز من قائل –[2] : « ولقد ذَرَأنا لجهَنَّمَ [٥] كثيرا من الجنِّ والانسِ لهم قلوبٌ لا يَفقهونَ بها ، ولهم أعْيُنٌ لا يُبْصِرون بها ، ولهم آذانٌ لا يَسْمَعونَ بها ، اولئكَ كالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أولئك هُم الغافلون »[3] . اِلاّ أنَّ العقل الموهوب أصل ، والمكسوبَ فرع ، والأشياء باصولها ، فاذا صح الاصلُ صَحّ الفرع ، واذا فسدَ ، فسد . وقد شبه بعض القدماء العقل الغريزي بالبدن ، وشبَّه المكتَسَبَ بالغذاء ، فكما أَنَّ الغذاء لا يستحيل الا بالأبدان المُحيلة له ، ولا ينفع الاّ بحصوله فيها ، فكذلك العقل المستفاد بالأدب لا يتمّ الا بالعقل الغريزي . فكما أنَّ البدن اِذا عدم الغذاء لم يكن له بقاء ، فكذلك العقل الغريزي اِذا عَدِمَ الادب . فاذا صَحَّ العقل الموهوب كان بمنزلة البدن الصحيح[4] الذي يستمريء الغذاء وينتفع به ، واذا فسد كان بمنزلة البدن المريض الذي لا يشتهي الغذاء . واِنْ حمل عليه منه[5] ما لا يدعوه طبعه[6] اليه كان زائداً في مرضه واستحال الى الداء الذي هو غالب[7] عليه ، ولذلك قيل : « اِنَّ الأدب يُذْهِبُ عن العاقل[8] السُّكْرَ ، ويَزيدُ الأحمق سكرا » . وقال الله – عز وجل – : « قُلْ هو للذين آمنوا هُدى وشفاءٌ ، والذين لا يُؤمنونَ في آذانِهم وَقْرٌ ، وهو عليهم عَمىً ، اولئك

(١) فى س : ثم أهمله .
(٢) فى س : فقال .
(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٧٩ .
(٤) فى س : بمنزلة الصحيح .
(٥) فى س : حمل منه عليه .
(٦) فى س : تدعوه طبيعته .
(٧) فى س : الغالب .
(٨) فى الاصل : العقل ، والتصحيح من س .

يُنادَوْنَ [٦] من مكانٍ بعيدٍ »[١] . فأحمَدُ الناس عند الله – عز وجل – وعند الحكماء[٢] ، أصحهم عقلاً وأكثرهم علماً وأدبا . وقد قال الله – عز وجل – : « إنّ شَرَّ الدوابّ عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لايَعقلون »[٣] . وقال : « قُلْ هَلْ يَسْتَوي الذين يعلمونَ والذين لايعلمون »[٤] . وقال : « يَرْفَعِ اللهُ الذين آمنوا منكم ، والذين أُوتوا العلمَ درجاتٍ »[٥] .

وأخبر بعاقبة مَنْ أهمل نفسه وضَيّعَ عقله ، فقال[٦] : « وقالوا لو كنّا نسمَعُ أو نعقِلُ ما كنا في أصحاب السَعير . فاعترفوا بذنبهم ، فَسُحْقاً لاصحاب السعير »[٧] . فمن لم يتفكر بقلبه ، وينظر بعقله لم ينتفع بهذا الجوهر الشريف الذي وهبه الله – عز وجل – له . والى التفكر ندب[٨] الله عبادَه ، وبالاعتبار أمرهم ، فقال : « أَوَلَمْ يتفكروا في أنفسهم ما خلق اللهُ السماواتِ والارْضَ ... الآية »[٩] . وقال : « أَوَلَمْ يتفكَّروا ما بصاحبهم من جِنَّةٍ »[١٠] . وقال : « فاعتبروا يا أُولي الأبصار »[١١] . وقال : « أفلا يتدبَّرون القرآن ، أمْ على قلوبٍ أقفالُها »[١٢] . وروي [في الخبر][١٣] : « فكرة ساعة خيرٌ من عبادة سنة » . وروي عن الصادق – عليه السلام – في كلام له : « ولكلِ شيءٍ دليلٌ ، ودليلُ العقل الفكر ، ودليلُ الفكر الصمت » .

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٤٤ .
(٢) فى س : وأحمد الناس عند الحكماء .
(٣) سورة الانفال ، الآية ٢٢ .
(٤) سورة الزمر ، الآية ٩ .
(٥) سورة المجادلة ، الآية ١١ .
(٦) فى س : فقال عز وجل .
(٧) سورة الملك ، الآيتان ١٠ ، ١١ .
(٨) ندب الى الامر : دعا وحث .
(٩) سورة الروم ، الآية ٨ .
(١٠) سورة الاعراف ، الآية ١٨٤ .
(١١) سورة الحشر ، الآية ٢ .
(١٢) سورة محمد ، الآية ٢٤ .
(١٣) الزيادة من س .

[فبالفكر][١] والاعتبار يُتَّقى الزلل والعثار ، وبالتجارب تعرف العواقب ، وتدفع النوائب . فاذا تفكر الانسان وتدبر ، ونظر واعتبر ، وقاس مايدله عليه فكره بما جرَّبه هو ومن قبله ، تبيَّن له مايريد أنْ يتبيَّنه ، وظهر له معناه وحقيقته . وقد ذكر [٧] الله — عز وجل — البيان فمدحه وامتدح بأنه علَّمه عباده فقال [٢] : « الرحمنُ . عَلَّمَ القرآنَ . خلق الانسان . عَلَّمَهُ البيان »[٣] . وجعل كتابه[٤] تبيانا لكل شيء [وجعله قرآناً][٥] ، وجعل رسله مبينين لخلقه ، فقال[٦] : « وما أرْسَلنا من رسولٍ إلاّ بلسانِ قومهِ ليُبيِّنَ لهم »[٧] . وقال : « الر . تلك آياتُ الكتابِ المبين » [٨] . وقال : « أنَّى لهم الذِكْرى وقد جاءَهُم رسولٌ مُبين » [٩] .

(١) الزيادة من س .
(٢) فى س : فقال عز وجل .
(٣) سورة الرحمن ، الآيات ١ — ٤ .
(٤) فى س : وجعله (أعنى كتابه) .
(٥) الزيادة من س .
(٦) فى س : فقال عز وجل .
(٧) سورة ابراهيم ، الآية ٤ .
(٨) سورة يوسف ، الآية ١ .
(٩) سورة الدخان ، الآية ١٣ .

ذكر وجوه البيـــان

البيـــان على أربعة أوجه : فمنه بيان الاشياء بذواتها وإنْ لم تبن بلغاتها ، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفـكر[1] واللب ، ومنه البيان باللســـان[2] ، [ومنه البيان بالكتاب][3] ، وهو الذي يبلغ من بَعُدَ وغاب[4] .

والاشياء تبين للناظر المتوسم ، والعاقل المتبين بذواتها وبعجيب تركيب الله فيها ، وآثار صنعته في ظاهرها كما قال تعالى[5] : « إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين »[6] . وقال : « ولقد تَركْنا منها آيةً بيّنةً لقومٍ يعقـلون»[7] ولذلك قال بعضُهم : « قل للارض : مَنْ شَـــقّ أنهارَك ، وغَرسَ أشجارَك ، وجنى ثمارَك ؟ فانْ أجابتــك حواراً[8] ، وإلاّ أجابتـــك اعتبارا »[9] . فهي وان كانت صامتة في أنفسها ، فهي ناطقة بظاهر أحوالها ، وعلى هذا النحو استنطقت العربُ الربْعَ ، وخاطبت الطلل ، ونطقت عنه بالجواب على سبيل الاستعارة في الخطاب .

---

(١) في س : الفكرة .

(٢) في س : ومنه البيان الذى هو نطق باللسان .

(٣) الزيادة من س ، وهو ساقط فى الاصل .

(٤) فى س : ومنه البيان بالكتاب الذى يبلغ من بعد أو غاب .

(٥) فى س : كما قال عز وجل .

(٦) سورة الحجر ، الآية ٧٥ .

(٧) سورة العنكبوت ، الآية ٣٥ .

(٨) الحوار : المحاورة والمراد : فان لم تجبك بلسان المقال ، أجابتك بلسان الحال . (هامش ص ١٠ من نقد النثر) .

(٩) كذا فى الاصل و (س) ، أما فى البيان والتبيين ج١ ص ٨١ : « سل الارض فقل : من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؟ فان لم تجبك حوارا ، اجابتك اعتبارا » . ويروى ان القول للفضل بن عيسى بن أبان (ينظر الحيوان ج ١ ص ٣٥ ، وهامش البيان والتبيين ، وعيون الاخبار ج ٢ ص ١٨٢) .

و [قد][1] قال الله - عز وجل - [٨] في هذا المعنى : « أَوَ لَمْ يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قَبْلِهم »[2].

وقال الشاعر [3] : [من الكامل]

يا رَبْعَ بِشْرةَ بالجِناب تكلمِ
وأبِنْ لنا خَبَراً ولا تَسْتَعْجِم[4]
مالي رأيتُك بعد أهلك موحشاً
خَلِقاً كحوض الباقر المتهدم[5]

فاستنطق ما لا ينطِقُ بلسانه ؛ [لان أحواله مظهرة لبيانه][6] .

وقال آخر فأجاب عن صامت غير مجيب ، لما ظهر من حاله للقلوب [من الطويل] :

فأَجهشْتُ للتَّوْباذ حين رأيتُه
وكبَّر للرحمنِ حين رآني
فقلت له : أين الذين عَهِدْتهم
حواليك في عَيْشٍ وخير زمانِ
فقال : مَضَوا واستودعوني ديارَهم
ومن ذا الذي يَبْقى على الحَدثان[7]

وانما تعبر هذه الاشياء لمن اعتبر بها ، وتبين لمن طلب البيان منها ،

---

(١) الزيادة من س .

(٢) سورة الروم ، الآية ٩ .

(٣) لم نعثر على قائله .

(٤) بشرة : اسم امرأة . الجناب : بالفتح والكسر اسم لمواضع متفرقة فى بلاد العرب (ينظر معجم البلدان) . استعجم : سكت ، أمسك عن الجواب .

(٥) الباقر : جماعة البقر مع رعاتها .

(٦) الزيادة من س .

(٧) كذا فى الاصل و (س) ، اما فى ديوان مجنون ليلى ص ٢٧٥ :

واجهشت للتوباذ حين رأيته — وهلل للرحمن حين رآنى
فقلت له : اين الذين عهدتهم — حواليك فى خصب وطيب زمان
فقال:مضوا واستودعونى بلادهم — ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

التوباذ : جبل بنجد . (ينظر معجم البلدان ، وتنظر الابيات فيه لملاحظة الاختلافات) .

ولذلك جعل الله ـ عز وجل الآية [1] فيها لمن توسم وتفكر ، وعقل وتذكّر ، فقال : « انّ في ذلك لآيات للمتوسمين»[2] ، و « انّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون » [3] ، و « إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون »[4] ، و « إنّ في ذلك لآية لقوم يذّكّرون » [5] .

فهذا وجه بيان الاشياء بذواتها لمن اعتبر بها وطلب البيان منها . فاذا حصل هذا البيان للمتفكر صار عالما[6] بمعاني الاشياء ، وكان ما يعتقد من ذلك بيانا ثانيا غير ذلك البيان ، وخص باسم الاعتقاد .

ولما كان ما يعتقده الانسان من هذا البيان ، ويحصل منه غير متعد[7] له الى غيره ، وكان الله ـ عز وجل ـ قد أراد أن يتم منّة[8] فضيلة الانسان ، خلق [٩] له اللسان وأنطقه بالبيان ، فخبر به عما في نفسه من الحكمة التي أفادها ، والمعرفة التي اكتسبها ، فصار ذلك بيانا ثالثا أوضح مما تقدمه ، وأعمّ نفعا ، لانّ الانسان يشترك فيه مع غيره ، والذي قبله إنّما ينفرد به وحده ، الا أن البيانين الاولين بالطبع ، فهما لا[9] يتغيران . وهذا البيان ، والبيان الآتي[10] بعده بالوضع فهما يتغيران بتغير اللغات ، ويتباينان بتباين الاصطلاحات . ألا ترى أن الشمس واحدة في ذاتها ، وكذلك هي في اعتقاد العربي والعجمي[11] ، فاذا صرت الى اسمها وجدته في كل لسان من الالسن بخلاف ما هو في غيره . وكذلك الكتاب فانّ الصّورَ والحروف تتغير فيه بتغير لغات أصحابه ، وان كانت الاشياء غير

---

(١) في س : جعل الله الآية .
(٢) سورة الحجر ، الآية ٧٥ .
(٣) سورة الرعد ، الآية ٣ .
(٤) سورة الرعد ، الآية ٤ .
(٥) سورة النحل ، الآية ١٣ .
(٦) في الاصل : علما ، والتصحيح من س .
(٧) في س : في نفسه غير متعد .
(٨) في س : وكان الله ـ عز وجل ـ قد أراد ان يتم فضيلة الانسان .
(٩) في س : فلا .
(١٠) في س : وهذا البيان والآتي .
(١١) في س : العربي ثم العجمي .

متغيرة بتغير الالسن المترجمة عنها .

ولشرف البيان ، وفضيلةِ اللسان ، قال أميرُ المؤمنين ـ عليه السلام ـ « المرء مخبوء تحت لسانه ، [فاذا تكلم ظهر][1] » .

وهذا من أشرف الكلام وأحسنه وأكثره[2] معنى وأخصره ، لانك لا تعرِفُ الرجل حق معرفته إلا إذا خاطبته وسمعت منطقه ، ولذلك قال بعضُهم وقد سُئِل : « في كم تعرف الرجل ؟ » قال : « انْ سكَتَ ففي يومٍ ، وإنْ نطق ففي ساعةٍ » . وقال بعض الحكماء : « إنّ الله ـ سبحانه ـ[3] [١٠] أعلى درجةَ اللسانِ على سائر الجوارح فأنطقه[4] بتوحيده » .

وقال الشاعر : [من المتقارب]

وهذا اللسانُ بريدُ الفؤادِ ، يَدُلُّ الرجالَ على عَقْلِهِ[5]

وقال آخر[6] : [من الطويل] :

وكائِنْ ترى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ
زيادتُهُ أو نَقْصُهُ في التكلمِ[7]

فاللسان ترجمان[8] اللب ، وبريدُ القلب ، والمبينُ عن الاعتقاد بالصحة والفساد ، كما قال الشاعر : [من الكامل] :

---

(١) الزيادة من س .
(٢) فى الاصل : وأكبره ، والتصحيح من س .
(٣) فى س : عز وجل .
(٤) فى س : وانطقه .
(٥) وقبله :
تعاهد لسانك ان اللسان سريع الى المرء فى قتله
(ينظر الموشى ص ١٥) ، ولم يذكر قائلهما .
(٦) هو زهير بن ابى سلمى ، والبيت من معلقته .
(٧) كذا فى الاصل وشرح المعلقات السبع ص ١١٢ ، أما فى س : « من معجب لك صامت » . ونسبه الوشاء فى الموشى ص ١٦ الى الاعور الشنى .
(٨) فى س : واللسان هو ترجمان .

إنّ الـكلام لفي الفؤادِ وإنّما ... جُعِلَ اللسانُ على الفؤاددليلا(١)

وفيه الجمال [كما قال الله ـ عز وجل ـ : « ولَتَعْرِفَنَّهم في لَحنِ القَوْلِ »(٢)](٣) . وكما قال النبيِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد سأله العباس فقال : « فيم الجمالُ يا رسولَ الله ؟ » فقال : « في اللسان » . إلاّ انه لما كان النقصُ للناس شاملاً ، والجهلُ في أكثرهم فاشيا ، وكان كثير منهم يُسْرِعُ الى القول في غير موضعه ، ويعجب بما ليس بمعجب من منطقه ، احتاطت العلماء على الدهماء(٤) بأن أمروهم بالصمت ومدحوه عندهم ، وأعْلموهم أنّ الخطأ في السكوت أيسرُ من الخطأ في القول ، وقالوا (٥) : « عَثرةُ اللسان لاتُستقال » .

وقال الشاعر : [من المتقارب] .

وجُرْحُ اللسانِ كجُرْحِ اليدِ (٦)

وقال آخر : [١١] [من الطويل] :

يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموتُ المرء من عثرة الرجل(٧)

---

(١) لم يرد فى س ، وفى البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٨ .

ان الكلام من الفؤاد وانما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

لا يعجبنك من خطيب قوله ... حتى يكون مع البيان أصيلا

وقد نسبهما الوشاء فى الموشى ص١٦ وابن هشام فى شذور الذهب ص ٢٨ الى الاخطل .

(٢) سورة محمد ، الآية ٣٠ .

(٣) الزيادة من س .

(٤) الدهماء : العامة

(٥) فى س : وقالوا كلهم .

(٦) البيت لامرىء القيس وصدره : ولو عن نثا غيره جاءنى ، وهو من قصيدة مطلعها :

تطاول ليلك بالاثمد ... ونام الخلى ولم ترقد

النثا : يكون فى الخير والشر من الاخبار . يقول : الانسان يبلغ بلسانه وقوله من هجاء وذم وغير ذلك مايبلغ السيف اذا ضرب به من شدة ذلك على المقول فيه . (ينظر ديوان امرىء القيس ص ١٨٥ ، والبيان والتبيين ج١ ص ١٥٦) .

(٧) فى هامش أصل (س) ، وتمامه :

فعثرته من فيه ترمى برأسه ... وعثرته بالرجل تبرا على مهل

ذكرهما الوشاء فى الموشى ص ١٤ ، ولم يذكر قائلهما .

وعَرَّفوهم أن الفائدة في الصمت لصاحبه ، والفائدة في النطق لغيره. وقال بعضهم ، وقد سُئل عن لزومه للصمت[1] فقال : « أسكتُ لاسلمَ ، وأُنصِتُ لأعلمَ » . وقيل : « الصَّمْتُ حكمةٌ ،[2] وقليلٌ فاعله » . وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « مَنْ كَثُرَ كلامُه ، كَثُرَ سَقطهُ » . وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وهل يكبُّ الناسَ على مناخِرِهم في نارِ جهنَّمَ إلاّ حصائدُ ألسنتهم »[3] . وقال بعض الفلاسفة لرجل سمعه يكثر الكلام : « يا هذا انصف أذنيك من لسانك، فانما جُعل لك أُذنان ولسانٌ واحد لتسمع أكثر مما تتكلم[4] ».

وقال الشاعر : [من الطويل] .

وفي الصمت سِتْرٌ للعيي وإنّما فضيحة لب المرء أنْ يتكلما[5]

وكل هذا انما أرادوا به حَجْر الناس[6] عن الكلام فيما لايعلمون. والتسرع الى اطلاق ما لايحصلون . وكما انّ الصمت في أوقاته وعند الاستغناء عنه حسن ، فان الكلام في أوقاته وعند الحاجة اليه أحسن . وقد روي عن مولانا علي بن الحسين ـ عليه السلام[7] ـ قولٌ انتظم معنى ما أرادَتْه العلماء في النطق بأخصر قول وأشبهه بكلام أمثاله ـ عليه السلام ـ[8] ، فقال : « السكوت عَمَّا لا يَعْنيك ، أمثلُ من الكلام فيه . والكلام فيما يعنيك ، خير من السكوت عنه » .[١٢] وحسب الاديب أن

---

(١) فى س : لزومه الصمت .

(٢) فى س : حكم .

(٣) كذا فى الاصل ، أما فى رياض الصالحين ص ٣٧٢ : « ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم » .

(٤) فى س : تقول .

(٥) البيت للخطفى بن بدر (ينظر الموشى ص ١٧) .

(٦) فى الاصل : حجز اللسان ، والتصحيح من س . والحجر : المنع .

(٧) فى س : على بن الحسين ـ رضى الله عنه .
وهو أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعروف بزين العابدين ولد سنة ٣٨ هـ ، وتوفى سنة ٩٤ هـ بالمدينة . (ينظر وفيات الاعيان ج٢ ص ٤٢٩) .

(٨) فى س : بكلام أمثاله ، فقال ...

يَسْتَشْعِر هذا القول ، فانه يهجمُ به على محاسن الامرين انْ شاء الله .

وقد يصمت الانسان ، ويستعمل الكتمان لمخافة أو رِقبة ، أو إسرار عداوة أو بغضة ، فيظهر في لحظاته وحركاته [1] ما يبين عن ضميره ، ويبدي مكنونه ، مثل مايظهر من الدمع عند فَقْدِ الاَحبَّةِ ، ومن تغير النظر عند معاينة أهل العداوة ، ولذلك قال الشاعر : [من البسيط] :

إذا لقيناهُمُ نَمَّتْ عيونهمُ
والعينُ تُظْهِرُ ما في القلب أو تصف[2]

وقال آخر : [من الطويل]

إذا ما حَضَرْنا والرقيبُ بمجلس تراانا سكوتا ، والهوى يتكلم[3]

وهذا من بيان الاشياء بذواتها ، وهو من الباب الاول .

ثم ان الله — عز وجل — لما علم أنَ بيان الاشياء مقصور[4] على الشاهد دون الغائب ، وعلى الحاضر دون الغابر [5] ، وأراد — تعالى — أن يعم بالنفع في البيان جميع أصناف العباد وسائر آفاق البلاد ، وأنْ يساوي فيه بين الماضين من خَلْقه والآتين ، والاولين والآخرين ، ألهم عبادَه تصويرَ كلامهم بحروف اصطلحوا عليها ، فخلدوا بذلك علومَهم لمن بعدهم ، وعبَّروا به عن ألفاظهم ، ونالوا به ما بَعُدَ عنهم ، وكملتْ بذلك نعمة الله عليهم ، وبلغوا [به][6] الغاية التي قصدها — عز وجل —

---

(١) فى س : فى حركاته ولحظاته .
(٢) كذا فى الاصل وس ، أما فى عيون الاخبار ج٢ ص ١٨١ :
ان كاتمونا القلى نمت عيونهم والعين تظهر مافى القلب أو تصف
وقد نسبه الى أعرابى .
(٣) لم يرد هذا البيت فى س .
(٤) فى س : ان بيان اللسان مقصور .
(٥) فى الاصل : الغائب ، والتصحيح من س .
(٦) الزيادة من س .

في [١٣] إفهامهم وايجاب الحجة عليهم ، ولولا الكتاب الذي قيّد على الناس أخبار الماضين لم تجب حجة الانبياء على من أتى بعدهم ، ولا كان النقل يصح عنهم ، ولذلك صارت الامم التي ليس لها كتاب قليلة العلوم والآداب ، وقد امتدح الله – عز وجل – تعليم الكتاب في كتابه ، وبيّن احتجاجه على الناس به[١] ، فقال : « اقرأ وربك الأكرم • الذي علّم بالقلم . علّم الانسان ما لم يعلم[٢] » . وقال [عز وجل][٣] : « أو لم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى »[٤] • وقال : « ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين »[٥] •

وكل هذه الاقسام التي ذكرناها من البيان لا تخلو من أن تكون ظاهرة جليّة أو باطنة خفية ، وذلك لما دبّره الله – عز وجل – في هذا من الحكمة والدلالة [عليه][٦] ؛ لانه جعل بعض خلائقه محتاجاً الى البعض ، فالظاهر محتاج الى الباطن ؛ لانه معنى له ، والباطن محتاج الى الظاهر ؛ لانه دليل عليه ، وكذلك سائر مصنوعات الله – عز وجل – محتاج بعضها الى بعض ليعلم الانسان أنّه ليس يستغني شيء بنفسه ، ويقوم بذاته غير الله – عز وجل[٧] – ، وكل ما سواه فانما هو بغيره ، ولو جعل الله – تبارك وتعالى – الاشياء كلها ظاهرة لتساوى الناس في العلم ولم يتفاضلوا فيه • وفي تساوي الناس [١٤] حتى لايكون فيهم رؤساء متّبعون ، وأتباع مطيعون ، بوارهم • وقد قيل : « لايزال الناس بخير ما تباينوا ، فان[٨] تساووا هلكوا » . وعلى ما قلناه دبّرهم – سبحانه –[٩] فقال في كتابه :

(١) فى س : على الناس فقال •
(٢) سورة العلق ، الآيات ٣ ، ٤ ، ٥ •
(٣) الزيادة من س •
(٤) سورة طه ، الآية ١٣٣ •
(٥) سورة الاحقاف ، الآية ٤ •
(٦) الزيادة من س •
(٧) فى س : غير الله تعالى •
(٨) فى س : فاذا •
(٩) فى س : دبرهم وقال ••

« وعَلمَّ آدمَ الاسماء كُلَّها ، ثم عرَضَهُمْ على الملائكةِ »[١] الى آخر الآيات . فجعل علم آدم بما أظهره له وأخْفاه عن ملائكته دليلا على فضله ورياسته وانه المستحق من بينهم ما أفضى به اليه من خلافته ، لانّ من حُكْمِه أنْ لا يُسَوّي بين العالم وغيره ، ولو سَوّى بين الملائكة وبينه في علم ما علَّمه اِياه لم يكن هناك تفاضل يوجب له المنزلة التي جعلها له ، ولو جعل ـ تقدست أسماؤه ـ الاسماء[٢] كلَّها خفيةً لم يكن الى علمشيء سبيلٌ ، ولتساوَى الناسُ فيالجهل ، لكنَّه بحكمته ومتقنِ صنعته جعل بعضَها ظاهرا مُستَغنيا بظهورِه عن طلبه ، وبعضَها باطنا يحتاج الى اِظهاره والفحص عنه ، وجعل الظاهر دليلا على الباطن وسُلَّماً اليه ، ولم يقنع من عباده بعلم الظاهر من الاشياء حتى يعرِفوا معانيه وباطن تأويله ، وذم من اقتصر على علم ظواهر[٣] الامور دون بواطنها ، ونفى العلم عنهم فقال : « ولكنّ أكْثَرَ الناسِ لايَعْلَمون . يعلمون ظاهراً من الحياةِ الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون »[٤] . وشبَّه من حمل التوراة حمل حفظ لظاهرها من غير تدبُّر لمعانيها بالحمار فقال : [١٥] « مَثَلُ الذين حُمِّلوا التوراة ، ثم لم يحملوها كَمَثَلِ الحمارِ يَحْمِلُ أسفاراً »[٥] وقال في ذم قوم : « بل كذَّبوا بما لم يُحيطوا بعلمه ولمَّا يأتِهم تأويلُه »[٦] . وقال : « وكذلك يَجْتَبيك ربُك ويُعَلِّمك من تأويل الاحاديث »[٧] . وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « نيّة المؤمن خير من عمله » . والنيَّةُ باطنة ، والعملُ ظاهر ، ولذلك لم يقنع بعلم

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣١ . وبعدها : « فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك ، لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال : ألم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والارض ، وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون . »

(٢) فى س : الاشياء .

(٣) فى الاصل : ظاهر ، والتصحيح من س ، لينسجم مع « بواطنها » .

(٤) سورة الروم ، الآيتان ٦ ، ٧ .

(٥) سورة الجمعة ، الآية ٥ .

(٦) سورة يونس ، الآية ٣٩ .

(٧) سورة يوسف ، الآية ٦ .

الباطن والعمل به دون الظاهر فقال [عز وجل][1] : « قُل إنّما حَرَّم ربي الفواحشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ »[2] • وأعْلَمَنا أنّ بالظاهر تقومُ[3] الحجة فقال : « قُلْ سَمّوهم أم تُنبِّئونَه بما لا يَعْلَمُ في الارضِ أمْ بظاهرٍ منَ القول »[4] . وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الايمانُ عَقْدٌ بالقَلْبِ ، وقَوْلٌ باللسانِ ، وعَمَلٌ بالأرْكان »[5] وقال : « ليس الدينُ بالتحلي ولا بالتمني ، ولكنه ما وَقَر في النفوسِ ، وصَدَّقَتْه الاعمال »[6] • وذلك لانّ النية مُغيَّبة عنا ، وليس يعلمها إلاّ الله ـ عز وجل ـ وصاحبُها ، وانما يُستدل عليها بالقول والعمل • ألا ترى أنّ الانسان انما يعرف حكمته الباطنة بما يظهر له من صحة قوله واتقان عمله وبَيّنٌ في العقل أنّه لمّا كان الظاهرُ سبباً الى الباطن وعلةً لنيله والوصول اليه ، وَجَبَ[7] أن يكونَ مُعلقاً به وغيرَ منفصل منه ، وأنْ يكونَ ما يدرك من فضيلة العلم منسوبا اليهما لاشتراكهما في ايضاحه ، فان العلة بالمعلول تُدرك ، والمعلولَ بالعلة يُوجد ، وأنْ لا [١٦] يكون الأمر كما ظن قوم أرذلوا علم الظاهر ، وتركوا العمل به ، وهم مع ذلك مُقرون بأنهم لايَصلون الى علم الباطن والايضاح عن حقيقته إلاّ به ، فجعلوا ما لا تُدرك الحاجة إلاّ به غير محتاج اليه ، وهذا هو المحال البيّن • ولو كان الامر كما ظنوا لبطلتْ حقوقُ الناس ، وتعطلت تجاراتُهم ففسدت معاملاتُهم ، وسقطت أخبارُهم ، لانّهم إنما يعملون في جميع ذلك على الظاهر دون الباطن . ووضوح هذا يغني عن الاطالة فيه .

---

(١) الزيادة من س •

(٢) سورة الاعراف ، الآية ٣٣ •

(٣) فى س : تقام •

(٤) سورة الرعد ، الآية ٣٣ •

(٥) كذا فى الاصل و (س) ، أما فى سنن ابن ماجة ج١ ص ٢٦ : « الايمان معرفة بالقلب • وقول باللسان ، وعمل بالاركان » •

(٦) لم يرد هذا الحديث فى س ، بل جاء فيها كأنه جزء من كلام المؤلف •

(٧) سقطت فى (س) ، وقد انتبه المحققان الى ذلك فوضعاها بين قوسين [٠٠٠٠] ، وقالا : « زيادة يقتضيها السياق » •

البيان الأول

الاعتبار

باب

البيان الاول وهو الاعتبار

قد قلنا إنّ الاشياء تبين بذواتها لمن تَبيَّنَ ، وتعبر معانيها لمن اعتبر ، وان بعض بيانها ظاهر ، وبعضَه باطن ، ونحن نذكر ذلك ونشرحه فنقول :

انّ الظاهر من ذلك ما أدرك بالحس كَتبيُّنِنا حرارةَ النار وبرودة الثلج على الملاقاة لهما ، أو ما أدرك بنظرة[1] العقَل التي تتساوى العقول فيها ، مثل تَبَيُّننا أنّ الزوج خلاف الفرد ، وأن الكل أكثر من الجزء ، والباطن ما غاب من الحس واختلفت العقول في اثباته . فالظاهر مستغنٍ بظهوره عن الاستدلال عليه والاحتجاج له[2] ، لانّه لاخلاف فيه[3] ، والباطن هو المحتاج الى أنْ يُستدل عليه بضروب الاستدلال ، ويعتبر بوجوه المقاييس والاشكال . [١٧]

والطريق الى علم باطن الاشياء في ذواتها[4] والوقوف على أحكامها ومعانيها من جهتين[5] وهما : القياس والخبر .

---

(١) فى س : بفطرة .
(٢) فى الاصل : عليه ، والتصحيح من س .
(٣) فى الاصل : له ، والتصحيح من س .
(٤) فى س : ذاتها .
(٥) فى س : جنسين .

وحجتنا في القياس ان الله ــ عز وجل ــ قــال : « فاعتبروا يا أُولي الابصار »[١]. وكذلك الامثال التي جاءت في كتابه كـ « مثل كذا وكذا » في مواضع كثيرة ، وذلك كله تشبيه وقياس . وأيضا فقد[٢] قاس في كتابه فقــال لمن حرم وحلل ، وهو جاحد للرســل الذين يأتون بالتحليل والتحريم[٣] : « أمْ كنتمْ شُهداءَ اذْ وصّاكم اللهُ بهذا »[٤] . وقال : « قل آللهُ أذِنَ لـكم ، أمْ على اللهِ تفترون »[٥] . فلما لم يمكنهم أن يدّعوا أنّ الله ــ سبحانه ــ[٦] شافههم بذلك ، وكان من قولهم واعتقادهم ابطال الرسل الذين يؤدون عن الله ــ عز وجل ــ أمره ، تبين لهــم أن الذي شرعوه لانفسهم ضلال وبهتان من غير حجة ولا سلطان ، فقال لهــم بعد أن تبين ذلك منهم[٧] : « فَمَنْ أظْلمُ ممن افترى على الله كَذِباً ليُضِلَّ الناسَ بغير علمٍ ، انّ الله لايَهْدي القومَ الظالمين »[٨] .

ومن الحديث ما حَدّث به [زبيد][٩] الايامي يرفعه[١٠] ، قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله[١١] وسلم ــ : « كل قومٍ على زينةٍ من أمرهم ، ومَفْلَحَة عند أنفسهم يردون على مَنْ سـواهم »[١٢] . والحق في ذلك يعرف بالمقايسة عند ذوي الالباب .

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٢
(٢) سقط فى س من قوله « عز وجل ... » الى « فقد » .
(٣) فى س : بالتحريم والتحليل .
(٤) سورة الانعام ، الآية ١٤٤ .
(٥) سورة يونس ، الآية ٥٩ .
(٦) فى س : عز وجل .
(٧) فى الاصل : لهم ، والتصحيح من س .
(٨) سورة الانعام ، الآية ١٤٤ .
(٩) فى الاصل : ماحدثه الايامى ، والتصحيح والزيادة من س . والايامى محــدث توفى سنة ١٢٦ هـ ، وهو منسوب الى « ايام » بطن من قبيلة همدان .
(١٠) لم ترد فى س .
(١١) لم ترد فى س .
(١٢) فى النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ج٣ ص ٤٦٩ : ومنه الحديث: « كل قوم على مفلحة من أنفسهم » . قال الخطابى : معناه انهم راضون بعلمهم مغتبطون به عند أنفسهم ، وهى (مفعلة) من الفلاح ، وهو مثل قوله تعــالى : « كل حزب بمــا لديهم فرحون » .

وأما الخبر فحجتنا فيه من الكتاب قول الله ـ عز وجل ـ[١٨] : « فاسألوا أهلَ الذكر إن كنتم لاتعلمون »(١) . « فاسأل الذين يقرأون الكتابَ من قَبلِكَ »(٢) . ولم يكن ليأمر بمسألتهم إذا لم نعلم، إلا وأخبارهم (٣) تفيدنا علما ، وتزيل عنا شكا . ومن الأثر قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « نَضَّرَ اللهُ امرءا سَمِعَ مقالتي فوعاها وأدّاها »(٤) . وقوله : « ليبلغ الشاهدُ منكم الغائبَ »(٥) . ولم يأمر بذلك إلا وابلاغ الشاهد الغائب يوجب الحجة ، واستماع الغائب من الشاهد يكسب علماً وفائدة .

(١) سورة الانبياء ، الآية ٧ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٩٤ .

(٣) فى الاصل : يعلم أخبارها .

(٤) كذا فى الاصل و س ، أما فى سنن ابن ماجة ج١ ص ٨٤ ، ٨٥ ، ج٢ ص ١٠١٥ : « نضر الله امرءا سمع مقالتى فبلغها » . وفى ج١ ص ٨٦ : « نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها ثم بلغها عنى » .

(٥) كذا فى الاصل ، أما فى س : « ليبلغ الشاهد الغائب منكم » . وفى جمهرة خطب العرب ج١ ص ٥٩ : « فليبلغ الشاهد الغائب » .

ذكر القياس

والقياس في اللغة : التمثيل والتشبيه ، وهما يقعان بين الاشـــياء في بعض معانيها لا في سائرها ، لانه ليس يجوز أنْ يُشبِهَ شيءٌ شيئاً في جميع صفاته فيكون غيره[1] .

والتشبيه في الاشياء[2] لايخلو من أنْ يكون تشبيهاً في حَدٍ ، أوْ وصف ، أو اسم .

فالشبه في الحد هو الذي يحكم لشبهه بمثل حكمه ، اذا وجد فيه[3] فيكون ذلك قياسا صادقا [وبرهانا واضحا . والشبه في الوصف هو الذي يحكم][4] لشبهه [به][5] في بعض الاشياء فيكون صادقا ، وفي بعضها [فيكون][6] كاذبا .

والشبه في الاسم غير محكوم فيه بشيء اِلاّ أنْ يكونَ الاسمُ مشتقاً من وصف ، ونحن نمثل ذلك فنقول : اِنَّ حلول الحركة في المتحرك لما كانت حدا له [١٩] وجب أنْ يكون كُلُّ ما حلت فيه لحركة متحركاً ، وهذا حق لا مطعن فيه . فأما السواد الذي هو من أوصاف الحبشي فليس

(١) قال قدامة بن جعفر فى نقد الشعر ص ٥٥ : « أنه من الامور المعلومة أن الشىء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات ، اذ كان الشيئان اذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا فصار الاثنان واحدا ، فبقى أن يكون التشبيه انما يقع بين شيئين بينهما اشتراك فى معان تعمهما ويوصفان بها ، وافتراق فى أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها » .

(٢) لم تذكر فى س .

(٣) لم تذكر فى س .

(٤) الزيادة من س .

(٥) الزيادة من س .

(٦) الزيادة من س .

حيثُ وجدناه حكمنا لحامله بأنَّه حبشي ، ومتى قلنا ذلك كنا مبطلين . ولكنّا إذا قلنا إنَّ بعض من يوصف بالسواد حبشي ، صدقنا . وأما « زيد » الذي هو من الاسماء ، فليس بموجب أنْ يكون بينه وبين غيره ممن اتفق هذا الاسم له[1] مماثلةٌ ولا مشابهةٌ ، الاّ أنْ يكونَ الاسمُ مشتقا من وصف فيلحق الوصف ما شاركه من ذلك[2] الاشتقاق مايلحقه ، مثل الابيض الذي يسمى به كل ماكان البياض[3] فيه ، لانَّه مشتق منه . والاشتباه في الاسماء لايوافق بين معانيها إذا اختلفت ذواتها ، فانّ الهوى الواقعَ على هوى النفس مخالفٌ للهواء الذي بين السماء والارض ، وإنْ اتفقا في الاسم ، وكذلك اختلافُ الاسماء إذا اتفقت المعاني ، لا يوجب اختلافا في المعاني[4] كالنأي والبعد ، وكلاهما واقع على معنى واحد . فمن أراد أنْ يحكم الامر في القياس فليصحح الكلام ويتفقد أمر الحد والوصف ، ويتأمل ذلك تأملاً شافياً حتى لا يجعل الوصفَ الذي يوجب الحكم الجزئي في [5] موضع الحد الذي يوجب الحكم الكلي ، وأنْ يتثبَّتَ في القضاء ، ولا يعجل في الحكم ، فان العجل موكّل به الزلل . وقد قالت القدماء [6] : « انّ أحد أسباب الخطأ [٢٠] في القضية قِصَر مدة الروية »[7] . وأكثر من غلط في القياس ، انما غلط من سوء التمثيل ، ومسامحة النفس في ترك التحصيل والمبادرة الى الحكم بغير روية ولا فكر [8] .

وليس يجب القياس اِلاّ عن قول يتقدم فيكون القياس نتيجة

---

(١) فى س : ممن اتفق له هذا الاسم .
(٢) فى س : فيلحق ما شاركه فى ذلك .
(٣) فى س : كل من غلب البياض عليه .
(٤) فى س : المعنى .
(٥) كذا فى س ، أما فى الاصل : مع .
(٦) فى س : الحكماء .
(٧) يقول القطامى (ديوانه ص ٢٥) :
قد يدرك المتأنى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل
(٨) فى س : فكرة .

[ذلك][1] كقولنا : إذا كان الحي حَسَّاساً متحركاً ، فالانسان حي • وربما كان ذلك في اللسان العربي مقـــدمة أو مقـــدمتين أو أكثر على [قدر][2] ما يتجه من أفهام المخاطب • فأما أصـــحاب المنطق فيقولون [إنَّه][3] لايجب قياس إلاّ عن مقدمتين لاحـــداهما بالاخرى تعلق ، والقول على الحقيقة كما قالوا ، وانما يكتفى في لسان العرب بمقدمة واحدة على التوسع وعلم المخاطب •

والنتائج ثلاث[4] : إحداها : ما صدر عن قولٍ مُسَلَّمٍ في العقـل لا خلاف فيه فتكون النتيجة عنه برهانا ، كقولنا : اذا كان الزوج ما ركب من عددين متساويين ، فالاربعة زوج . والاخرى : ماصدر عن قول مشهور إلاّ أنَّه مختلف فيه فتكون النتيجة عنه اقناعا ، كقولنـــا : إذا كان حق الباري ــ عز وجل ــ واجباً علينا ، لانه علة لوجودنا ، فقـــد وجب حق الوالد أيضا [علينا][5] • وصحة هذه النتيجة انما تقع بالاحتجاج لمقدمتها حتى يعترف بها من لايعترف ثم تصح . والثالثة : ماصدر عن قولٍ كاذب وُضع للمغالطة كقولنا : إنّ اللصوص يخرجون بالليل [للسرقة][6] ، ففلان سارق ، لانه خرج بالليل ، وهذا باطل [٢١] ، لانّ السارق ليس هو سارقٌ من أجل خروجه بالليل[7] ، ولا كل من خرج بالليل فهـــو ســـارق •

* * *

والحد مأخوذ من أصل الشيء الذي منه كونه ، وفصله الذي بـــه ينفصل من غيره • فانّ حد الحي : هو الجسم الحساس المتحرك ، فالجسم

---

(١) الزيادة من س •
(٢) الزيادة من س •
(٣) الزيادة من س •
(٤) لم ترد (ثلاث) فى س •
(٥) الزيادة من س •
(٦) الزيادة من س •
(٧) لم ترد « بالليل » فى س •

أصله ، والحساس والمتحرك فصلاه اللذان ينفصـــل بهما من غيره من الاجسام التي لا تتحرك ولا تحس . وكذلك حد « الدار »[1] فانه مأخوذ من المدينة والمحلة اللتين [2] هي منهما ، ومن الجهات التي تنفصل بهـــا من غيرها .

وليس يتجه الحكم في سائر المـذاهب على شيء غير محـــدود ولا منفصل[3] ، ألا تَرى أنه متى شهد شاهدان على رجل بحق عند قاضٍ احتيج الى أن يشهد الشهود بنسبه الذي هو أصله ، وبعينه واسمه اللذين هما فصلاه اللذان ينفصل بهما من غيره . فانْ عرفوا ذلك وشهدوا به ، والاّ لم يُمْضِ القاضي حُكْماً عليه ، وكذلك الحق في نفسه فانه يحتاج الى أن يُذْكَرَ أصله من الورق أو الذهب ، وفصله من النقد والوزن[4] فيقال : ورقاً وزن سبعة ، أو عيناً مثاقيل . فاذا فعل ذلك كان الحكم ماضيا بيقين من القاضي أنه [قد][5] أصاب الحكم فيما أمر به[6] .

* * *

وأما الوصف فهو ذكر بعض الاشياء التي تخص الشيء ، وليست ثابتة على حَدّ كما يقال في الدار : انّها الواسعة ، أو الضيقة ، أو المبنية بالجص أو الآجر . كما [٢٢] يقال في الرجل : الطويل ، الاســـمر ، الاقنى[7] . وكل هذه أوصاف لا تأتي على الحد بل يشرك الموصوف بها غيره فيها . ومثل ذلك التحلية التي يستعملها الـكتاب والحكام فيمن لـم يعرفوه باسمه وعينه ونسبه ، فيكون وصفُهم الرجلَ بحليته مقنعاً فيمـا

---

(١) فى الاصل : الديار ، والتصحيح من س .
(٢) فى س : التى .
(٣) فى الاصل : مفصل ، وفى أصل س : محصل .
(٤) فى س : من الوزن والنقد .
(٥) الزيادة من س .
(٦) على حاشية الاصل : « يعبرون بقولهم : (وزن سبعة) . ان الدرهم سبعـــة أعشار المثقال » .
(٧) الاقنى من الانوف : الذى ارتفع أعلاه واحدودب وسطه وضاق منخراه .

يمكن من الاحتياط إذا لم يجدوا سبيلاً الى غير ذلك •

* * *

وأما الاسم فليس يقع به حكم البتّة إلاّ أنْ يكونَ مشتقاً من وصف كالابيض ، فانما يسمى بهذا الاسم كل من غلب البياضُ على لونه • والاشتقاق والوصف يُعمل فيهما على الاغلب والاكثر ، ألا ترى أنّ الزنجي حاملٌ البياضَ في ثغره وفي بياض عينيه ، وأنّ الروميّ حاملٌ السوادَ في حدقتيه وشعره ، فلا يسمى الزنجيّ أبيضَ بما فيه من البياض ، ولا الروميّ أسْوَدَ بما فيه من السواد ، لكن يسميان بالأغلب على ألوانهما • وإنْ دعت ضرورةٌ الى ذكر ما في الاسود من البياض أو في الأبيض من السواد لم يُطلق ذلك لهما حتى ينسب الى العضو الحامل له فيقال : الابيضُ الثغر ، والاسودُ الشعر •

واعلمْ أنّ القول المنفي ليس بموجب حُكْماً غيرَ حكم النفي ، وليس يحصل منه تشبيه ولا تمثيل يقع بهما قياس ، وذلك كقولنا : « زيد غيرُ قائمٍ » و « عمرو غير قائمٍ » فقد نفينا عنهما جميعا القيام ولم نثبت لهما [جميعا][1] اجتماعاً في معنى أخر ، لانّه قد يجوز أنْ يكون أحدهما قاعداً والآخر مضطجعاً [٢٣] وكلاهما غير القيام . وكذلك إذا نفينا عن جسمين البياض لم نثبت لهما اجتماعا في لونٍ آخر من الحُمْرة أو الصُفْرة أو السواد • ولو شهد شاهدان عند حاكم بانّ فلاناً لم يبع ضيعته من فلان لم يكن ذلك بموجب أنْ لايكونَ فلان مَلكها عليه ، لان للملك وجوهاً أخر[2] غير المبيع[3] • ولذلك قالت القدماء : « إنّ صفات الباري ـ عز وجل ـ انما ينبغي أنْ تكون بالسلب » • يعنون النفي، لانه لايحصل في النفي[4] مايقع به تشبيه •

---

(١) الزيادة من س •
(٢) فى س : وجوها كثيرة •
(٣) فى س : البيع •
(٤) فى س : النفس •

واعلم أنّ كلّ مطلوب ، فأما أنْ يكونَ موجودا أوْ غير موجود ، وإنّ الموجود إما أنْ يكون موجــــوداً بالحس [كالمشمومات] [١] ، والمبصرات ، والمذوقات ، والاجسام ، والاشكال ، وما أشبه ذلك ، وامـا أنْ يكون موجودا بالعقل كوجودنا ماغاب عنا ، وكوجودنا الجوهر والباري — عز وجل — . وانما وجودنا [٢] بالعقل من الاشياء الغائبة التي لا تحس في ذواتها ، فانما تتلقط مبادىء المعرفة بها من الحس فيعرف الجوهر من الاعراض[٣] المحمولة فيه ، كما يعرف ذو اللون باللون ، وذو العــــدد بالعدد ، وكما يعرف الباري — عز وجل — بمصنوعاته وآثار فعله . وان ما يظهر من ذلك عند التأمل له دليل على أنّ الاشياء لم تكن بالاتفاق ، وأنَّها من قصد حكيم دَبَّرها ، وأحكم [ما][٤] صنعه منها .

ودلالة الشيء على غيره[٥] تكون [٢٤] بأحد أربعة أشياء[٦] : إمّا بالمشاكلة [وقد ذكرنا جملاً منها][٧] . وإما بالمضادة[٨] ، فان الضــد يكسب معرفة الضد ، فانّا إذا عرفنا الحياة وعلمنا أنَّها بالحس والحركة [عرفنا ضدها الذي هو الموت ، وانه بعدم الحس والحركة] [٩] ، واذا انتفى الحكم في أحد الضدين ، وجب في الآخر ضرورة[١٠] اذا كان الضدان لا واسطة لهما كالموت والحياة ، والحركة والسكون ، والضياء والظلام ، فاما إذا كانت بينهما واسطة فليس الامر كذلك ، وذلك كالسواد والبياض اللذين بينهما الحُمْرة والصُّفْرة والخُضْرة ، وكالقيام[١١]

---

(١) الزيادة من س .
(٢) فى س : وان ماوجد بالعدل والعقل .
(٣) كذا فى الاصل ، أما فى س : بالاعراض .
(٤) الزيادة من س .
(٥) فى س : ودلالة الشيء تكون ...
(٦) فى س : أوجه .
(٧) الزيادة من س . ويشير الى كلامه على التشبيه فى الحد والوصف والاسم .
(٨) فى الاصل : المضاد ، والتصحيح من س .
(٩) الزيادة من س .
(١٠) فى س : واذا انتفى أحد الضدين وجب الآخر ضرورة .
(١١) فى الاصل : القيام ، والتصحيح من س .

والقعود اللذين بينهما الاضطجاع والركوع والسجود . فنحن نعرف بالسواد ضده الذي هو البياض ، وبالقيام ضده الذي هو القعود ، وإنْ نفينا السواد عن شيء لم يجب له البياض ضرورةً كما انا[1] اذا نفينا عن الشيء الحياة وجب له الموت ضرورةً ؛ لانَّ الحياة والموت لاواسطة بينهما [2] ، وهذه أضداد لها واسطة[3] .

وإمّا بالعَرَض كما يُعْرف الجسم بالطول والعَرْض والسمك[4] . وإمّا بالفعل كما يدل الولد على الوالد ، وكما يدل الباب على النجار[5] .

والمعقول من الموجودات التي لاتحس لا يُحَدّ ؛ لانّ الحدّ مأخوذ من الاصل والفصل – كما قلنا – . والاشياء المعقولة التي لاتقع تحت الحس ليست لها [6] مادةٌ تكون أصلاً لها ، ولا تنفصل أيضا من غيرها من المعقولات انفصالا طبيعيا فيستعمل ذلك في حدها ، فانما تعرف بأسمائها وتوصف بأوصاف غير محيطة [٢٥] بحدودها فيقال [في][7] الجوهر : إنَّه الذي يحمل المتضادات في أنواعه من غير تبدل يلحقه في ذاته . ويقال في الباري – عز وجل –[8] : إنَّه القديم الذي هو علة لمصنوعاته ، وأشباه هذا . ألا ترى أنّ موسى – عليه السلام لما سأله فرعون : « وما ربُّ العالمين ؟ » ، قال : « رب السماوات والأرْض وما بينهما إنْ كنتم مُوقنين »[9] . ولما قال : « فمن ربكما ياموسى ؟ » قال : « ربُّنا الذي أعطى كُلَّ شيءٍ خَلْقه ثم هَدى »[10] . فوصفه بأفعاله

---

(١) فى الاصل : كنا ، والتصحيح من س .
(٢) فى س : لهما .
(٣) فى س : وسائط .
(٤) فى س : كما يعرف الجسم بالطول والعرض .
(٥) فى س : كما يدل الولد على الوالد ، والباب على النجار .
(٦) فى س : التى لاتحت الحس تحق وليست ...
(٧) الزيادة من س .
(٨) فى س : ويقال فى البارى : انه ...
(٩) سورة الشعراء ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
(١٠) سورة طه ، الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

ولم يحدّه لامتناع الحد في ذاته •

والأشياء التي يقع الوصف بها تسعة أشياء ، وهي أعراض كلها •

فمنها : الحال ، كقولنا[1] : « زيد ظريف » •

ومنها : العدد ، كقولنا : « المال درهمان » •

ومنها : المكان ، كقولنا : « زيدٌ خَلْفَكَ » •

ومنها : الزمان ، كقولنا[2] : « جاءني زيدٌ أمسِ » .

ومنها : الاضافة ، كقولنا : « هذا ابن زيد » •

ومنها : القنية[3] ، كقولنا : « هذا مالك وغلامك » •

ومنها : النُّصْبة[4] كقولنا : « زيدٌ مضطجع وقاعد » .

ومنها : الفاعل ، كقولنا : « يضرب زيد »[5]•

ومنها : المنفعل ، كقولنا : « زيد مضروب » •

ولا يكونُ وصف بغير هذه الوجوه التسعة[6]•

والحال قد تكون لازمة فتسمى هيئةً كبياض القطن وسواد الفحم ، وتكون غير لازمة فتخص باسم العرض كصُفْرة الوجل وحُمْرة الخجل •

والعدد منه منفصل ، ومنه متصل ، [٢٦] فالمتصل ما كان له واسطة تجمع بين طرفيه وكان متصلا بالمادة كالدرهم والدرهمين ، وكالاشكال والاماكن • والمنفصل ما انفصل من المادة ولم تكن له واسطة تجمع طرفيه

---

(١) فى الاصل : كقولك ، والتصحيح من س •
(٢) فى الاصل : كقولك ، والتصحيح من س •
(٣) القنية : ما اكتسب ، ج : قنى ، أو : الملك كما سيأتى •
(٤) قال الجاحظ فى البيان والتبيين ج١ ص ٧٦ : « النصبة : هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات » • وسيفسرها المؤلف بعد قليل •
(٥) فى الاصل : زيد يضرب ، والتصحيح من س •
(٦) فى س : هذه التسعة فالحال ••

كالواحد والاثنين ، وكالزمان الذي هو حركة[1] الفلك المنفردة •

والاضافة نسبة شيء الى شيء يدور كل واحـــد منهما على[2] صاحبه ، فان الصديق صديق صديقه ، والجار جار جاره •

والقُنية وهي [المِلْك][3] تشبه المضاف من جهة الاضافة ، الا أنهّا تخالفه بأنها لاتدور على الشيء . فانّا اِن[4] قلنـا في المال انه مال زيد ، فليس يجوز أنْ نقول في زيد : أنّه زيد المـال ، كما قلنـــا في المضاف ، وضد القُنية العدم • وليس يستحق المعدم اسم العدم الاّ بعـد استحقاقه اسم القُنية ؛ لأنّا لانسمي الطفـــل فقيرا ، ولا جرو الـكلب أعمى ، لان الطفل لم يستحق بعد[5] أن يملك شيئا فيعدمه ، وكـذلك جرو الـكلب لم يستحق أنْ يكون بصيرا فيعمى •

والنُصبة تشارك الحال ، وهي انتصاب الجسم وما يشاهد عليه من قيام أوْ قعود أو انحراف الى بعض الجهـــات المحيطة به ، وهي ست جهـــات ، وهي[6] : فوق ، وتحت ، وأمـام ، وخلف ، ويمـــين ، وشمال [7] •

والفاعل هو الموقع فِعْلَه بعده ، وفعلُه ربما كان باقي الأثر كأثر النجار في السرير ، أو غير باقي الاثر ك « ضرب زيدٌ عَمْراً » .

والمنفعل هو القابل لوقوع فعل الفاعل [به][8] وتأثيره [٢٧] فيه • وقد يُفْعَلُ الشيء بطبعه ، ويفعل باختياره • فالفاعل بالطبع لا يمتنع

---

(١) في س : حركات •
(٢) في الاصل : الى ، والتصحيح من س •
(٣) الزيادة من س •
(٤) في س : لانا ان قلنا في المال •••
(٥) لم ترد في س •
(٦) لم ترد في س •
(٧) في س : وهي ست جهات : فوق ، وتحت، وخلف ، ويمين ، وشمال ، وامام •
(٨) الزيادة من س •

من الفعل في كل أوقاته ، وعلى كل أحـــواله كالنار التي تحرق كُل ما لاقاها[١] في سائر الاوقات وعلى كل الاحوال .

والفاعل بالاختيار هو الذي يفعل الشيء[٢] إذا أراد فعله ، ويمتنـع منه اذا أراد الامتناع منه[٣] ، كالكاتب الذي متى شاء كتب ، ومتى شـــاء أمسك عن الـكتابة . ويقال في المختار اذا أمسك عن الفعل وهو قادر عليه ، متى هَـم به ، فاعل بالاستطاعة وبالقوة ، كالكاتب الذي يسمى بهذا الاسم وانْ كان ممسكا عن الـكتابة ؛ لانه مستطيع لها متى هَـمَّ بها ، فاذا فعـل الـكتابة كان كاتباً بالفعل .

* * *

وأنواع البحث والسؤال تسعة أنواع :

فأولها : البحث عن الوجود بـ « هَـلْ » ، تقول : « هل كان كـذا وكذا ؟ » فيقال : « نعم » أو « لا » .

والثـــاني : البحث عن أنواع الموجـــودات بـ « مـا » ، تقول : « ماالانسان ؟ » ، فيقال : « الحي النـــاطق » . و « ما رأيك في كـــذا [وكذا][٤] ؟ » فيقال : « رأيي الفلاني »[٥] .

والثـالث : البحث عن الفصل بين الموجودات بـ « أيّ » ، تقول : « أيّ الاشكال المربع ؟ » ، فيقال : « [هو][٦] الذي تحيط به أربعـــة خطوط » .

والرابع : البحث عن أحوال الموجودات بـ « كيف » ، تقول : «كيف الانسان ؟ » ، فيقال : « منتصب القامة » .

(١) في الاصل : كل شيء مالاقاها ، والتصحيح من س .
(٢) لم ترد في س .
(٣) في س : ويمتنع منه حتى آثر الامتناع منه .
(٤) الزيادة من س .
(٥) في الاصل : رأى الفلانية ، والتصحيح من س .
(٦) الزيادة من س .

والخامس : البحث عن عدد الموجودات [٢٨] بـ « كَمْ » ، تقول : « كم مالُك ؟ » ، فيقال : « عشرون درهما » .

والسادس : البحث عن زمن الموجودات بـ « متى » ، تقول « متى كان هذا ؟ »[١] ، فيقال : « في زمن الرشيد » .

والسابع : البحث عن مكان الموجودات بـ « أين » ، تقول : « أين زيدٌ ؟ » ، فيقال : « في الدار » .

والثامن : البحث عن أشخاص الموجودات بـ « مَنْ » ، تقول[٢] : « مَنْ خرج ؟ » فيقال : « زيد » .

و « مَنْ » لاتستعمل اِلاّ في المسألة عمن يميز ويعقل[٣] .

والتاسع : البحث عن علل الموجودات بـ « لِمَ »[٤] .

وليس يقع الجدال والحجة اِلا في العلة[٥] ، ولا يجب الحق والباطل اِلاّ فيها . ونحن نذكر اعتبار العلل والواجب منها والفاسد اذا صرنا الى ذكر الجدل في كتابنا هذا[٦] ، اِنْ شاء الله .

* * *

فهذه جمل في وجوه الاستدلال والقياس تدل ذا اللب على ما يحتاج اليه . ومن أراد استيعاب ذلك نظر في الكتب الموضوعة في المنطق فانها[٧] جعلت [عماداً و][٨] عيارا على العقل ، ومقومة لما يُخشَى زللُه ، كما

---

(١) فى الاصل : كذا ، والتصحيح من س .
(٢) فى الاصل : يقال ، والتصحيح من س .
(٣) ينظر استعمالها فى مغنى اللبيب ج١ ص ٣٢٧ .
(٤) لم يمثل للسؤال ب « لم » احالة منه على باب الجدل من هذا الكتاب . ينظر مغنى اللبيب ج١ ص ٢٩٨ لمعرفة استعمالها وامثلتها .
(٥) فى س : وليس يقع الجدال وفى الحجة الا العلة .
(٦) فى س : فى كتابنا ان شاء الله .
(٧) فى س : فانما .
(٨) الزيادة من س .

جعل البركار[١] لتقويم الدائرة ، والمسطرة لتقويم الخط ، وجعل الميزان مثلا للقياس والموازنة بين المتشابهين لئلا تقع المحارفة [٢] والبخس[٣] في الحقوق ، وليكون الانسان على يقين من الاصابة في ذلك . وقد أتى المتقدمون في جميع هذه الاحوال بما فيه كفاية ـ انْ شاء الله ـ[٤] .

---

(١) فى الاصل : الفركار ، والتصحيح من س . والبركار : آلة هندسية لها شعبتان متحركتان ترسم بها الدوائر ، أو يقاس بها محيط الدائرة فى الانابيب ونحوها . وفى شفاء الغليل ص ٦٩ : « بركار آلة معروفة لم يسمع فى شعر قديم ، والذى قاله الدينورى أنه فرجار ـ بالفاء ـ معرب بركار . » .

(٢) المحارفة : التشديد فى المعاملة ، والتضييق فى المعاش .

(٣) البخس : النقص .

(٤) فى س : بما فيه كفاية لمن فهم .

الخبر

وأما الخبر فمنه يقين ، ومنه تصديق .

فاليقين ينقسم ثلاثة أقسام :

أحدها : [٢٩] خبر الاستفاضة والتواتر الذي يأتي على ألسن الجماعة المتباينة هممهم وارادتهم وبلدانهم ، ولا يجوز أن يتلاقوا فيه ويتواطأوا عليه ، فذلك يقين يلزم العقل الاقرار بصحته . وبهذا النوع من الاخبار ألزمنا الله - عز وجل -(١) حجج الانبياء - عليهم السلام -(٢)، ونحن لم نشاهدهم [ولم نر آياتهم](٣) ولم نسمع احتجاجهم على قولهم(٤) ، وذلك من تسخير الله - عز وجل -(٥) الناس حتى نقوم الحجة ، والا فكل أحد(٦) من الناس يجوز عليه [الصدق](٧) والكذب . فاذا تواترت أخبارهم كان ذلك حقا (٨) لما قدمنا ، وليس التواتر فعلهم فيجوز أن يفعلوا ضده ، وانما هو شاهد لصدقهم ، ودليل عليه . والدليل غير المدلول عليه ، فقولهم محتمل للصدق والكذب ، لانه فعلهم وهم ممكنون مختارون . والتواتر والاستفاضة معنى آخر ليس من

---

(١) لم ترد فى س .
(٢) لم ترد فى س .
(٣) الزيادة من س .
(٤) فى س : على قومهم .
(٥) لم ترد فى س .
(٦) فى س : واحد .
(٧) الزيادة من س .
(٨) فى س : زائدا حقا .

فعلهم ولا اختيارهم ، وهو دليل الصدق إنْ[١] وجد . وليس هـــذا في أخبار العدول[٢] دون الفساق[٣] ، ولا المؤمنين دون الكفار ، لكنه في أخبار الجماعة كلها ، ولو كان لا يقبل من التواتر إلاّ ما أتى به أهـــل الايمان لم يكن لاحد من المخالفين علومٌ ينقلونها ، ولا أخبارٌ يرثونها . وقد تكلمنا في هذا الباب في كتابي « الحجة » و « الايضاح »[٤] بما أغنى عن اعادته ، وليس يخالفنا فيه أحدٌ من أهل ملتنا ، وأكثر المخالفـــين لنا[٥] ، فنحتاج الى زيادة في الشرح له والاحتجاج [٣٠] فيه .

والثاني : خبر الرسل ـ عليهم السلام ـ ومن جرى مجراهم من الائمة الذين قد قامت[٦] البراهين والحجج من العقل عنـد ذوي العقول على صدقهم وعصْمتهم وظهور المعجزات التي لايجوز أنْ تكون بنوع من الحيل . وليس في طبع البشر الاتيان بمثلها على أيديهم ، فـدلت من ليس علم المعقولات والتمييز بين المتشابهات من شأنه . على أنّ هـــذه الاشياء انما أجريت على أيديهم ليعلم أنّهم عن الله ـ عز وجل ـ نطقوا ، وعليه في أخبارهم عنه قد صدقوا[٧] ، فتعم الحجةُ الغافلَ[٨] والجـاهلَ والمميزَ والعاقلَ ، فلا[٩] تكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ولو لم تكن أخبارهم حجة توجب في عقل من شاهد الانبياء والائمة ونقلت اليـــه أخبارهم نقلا يوجب الحجة تصديقها لما قال ـ عز وجل ـ[١٠] : « لئـلا يكونَ للناسِ على الله حُجَّةٌ بعد الرُّسُـــلِ »[١١] ، ولمـــا أمرهم الله

---

(١) فى س : اذا .
(٢) العدول : المزكون المقبولو الشهادة .
(٣) الفساق : الذين لا تقبل شهادتهم لعصيانهم وخروجهم عن طريق الحق .
(٤) لم يرد الكتابان فى قائمة كتب قدامة بن جعفر ، وهذا يرجح أن البرهـــان لمؤلف آخر .
(٥) لم ترد فى س .
(٦) فى س : ومن جهر من الائمة الذين قامت .
(٧) فى س : صـدقوا .
(٨) فى س : الحجة بهم الغافل .
(٩) فى س : ولا .
(١٠) لم ترد فى س .
(١١) سورة النساء ، الآية ١٦٥ .

ـ عز وجل ـ(١) بطاعتهم ، فقال : « يا أَيُّها الذين آمنوا ، أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسولَ وأولي الامرِ منكم »(٢) ، لانّ اللهَ ـ عز وجل ـ لا يأمر بطاعة من يعلم أنَّه يعصيه أو يكذب عليه • وقد ذكرنا هذا الباب في كتاب « الايضاح » بما أغنى عن اعادته والاطالة فيه •

والثالث : ماتواترت أخبار الخاصة به مما لم تشهده العامة ، فانّ تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة • وقد بيَّن الله ـ تعالى ـ(٣) لزوم ذلك ووجوب التصديق به فقال : [٣١] « أوَ لم يكن لهم آيةً أنْ يعلمَه عُلَماءُ بني اسرائيل »(٤) • فجعل علم العلماء(٥) ، وهم الخاصة ، به حجةً على العامة •

وأما خبر التصديق فهو الذي(٦) يأتي به الرجل والرجلان [والاكثر](٧) فيما لا يوصل الى معرفته من القياس والتواتر ، ولا أخبار المعصومين ، ولا يعلم اِلا من جهة الآحاد ، وذلك مثل الفُتْيا في حوادث الدين التي ابتُلي بها قوم دون آخرين ، فسألوا عنها فخبِّروا بالواجب فيها ، فنقلوا ذلك ولم يعرفه غيرهم • وليس يقع ذلك في أصول الدين التي يتساوى الناس [فيها و](٨) في فرضها ، والناس محتاجون الى الاخذ بهذه الاخبار في معاملاتهم ومتاجراتهم ومكاتباتهم ، فانّ ذلك أجمع مما لا يقوم البرهان على صدق المخبر به من عقل ولا تواتر ولا خبر معصوم ، وانما يعمل في جميعه على خبر من حسن الظن به ، ولم يُعْرف بفُسْق ، ولم يظهر منه كذب • وقد أبى قبول خبر الواحد قوم من أهل الملة مع اقرارهم

---

(١) فى س : ولما أمر الله بطاعتهم •
(٢) سورة النساء ، الآية ٥٩ •
(٣) فى س : عز وجل •
(٤) سورة الشعراء ، الآية ١٩٧ •
(٥) فى س : فجعل علماءهم مع علمهم •
(٦) فى س : فهو الخبر الذى •
(٧) الزيادة من س •
(٨) الزيادة من س •

بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم وآله ـ[١] قد بَلَّغَ من[٢] نأى عنه بالواحد من أصحابه والاثنين ، وبلغ النساء المخدرات [٣] اللواتي ليس من شأنهن البروز بما ألزمهنَّ إيّاه من قبول أخبار أزواجهن وآبائهن وأبنائهن ، وكل هؤلاء آحاد . وقد استقصينا الكلام في هذا في كتاب « الحجة » .

وقد يستنبط علم باطن الاشياء بوجه ثالث [٣٢] ، وهو الظن والتخمين ، وذلك فيما لا يوصل اليه بقياس ولا يأتي فيه خبر . وفي الظن حق وباطل ، ولذلك قال الله ـ عز وجل ـ : « إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ » [٤] . وقال في موضع آخر فأخرجه مخرج اليقين : « وظنوا أنْ لا ملجأَ من الله إلاّ اليه » [٥] . وقال [٦] ـ عز وجل ـ في سورة الكهف: « فظنوا أنهم مُواقِعوها » [٧] ، وذلك يقين منهم [٨] . وظن كل امرئٍ على مقدار علمه وعقله [٩] ، فانّ من كان عقلُه صحيحا ، وكان تمييزه [١٠] معتدلا ، وعلمه ثاقبا ، وسلم من متابعة الهوى فيما يواقع [١١] الظن فيه [فقد] [١٢] صدق ظنه . وقد قيل : « ظن الرجل قطعة من عقله » ، وقيل: « إذا ازدحمت الظنون على سِرٍّ أظهرته » [١٣] . وقال اردشير [١٤] :

---

(١) فى س : صلى الله عليه وسلم .
(٢) فى أصل (س) : ما ، وقد صححها المحققان .
(٣) المخدرات : النساء الملازمات لخدورهن ، أى : بيوتهن .
(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٢ .
(٥) سورة التوبة ، الآية ١١٨ .
(٦) فى الاصل : وقوله ، وقد صححناها ليكون عطفها على الجمل السابقة صحيحا .
(٧) سورة الكهف ، الآية ٥٣ .
(٨) لم ترد الآية فى س .
(٩) فى س : على مقدار عقله .
(١٠) فى س : فان كان عقله صحيحا وتمييزه ....
(١١) فى س : يوقع .
(١٢) الزيادة من س .
(١٣) فى س : ما ازدحمت الظنون على سر الا أظهرته .
(١٤) اسم عدة ملوك من ملوك الدولة الساسانية الفارسية ، وأشهرهم أردشير بن بابك الذى حكم من سنة ٢٢٦ م الى سنة ٢٤١ م . وقد اختار ابن قتيبة طائفة من أقواله فى عيون الاخبار .

« الظنون مفاتيح اليقين » .

وقال الشاعر : [من المنسرح] :

الالمعيّ الذي يظن لك الظـ ـنّ كأنْ قد رأى ، وقد سَمِعا[١]

وقال آخر : [من الوافر] :

تناصرت الظنونُ عليك عندي وبعضُ الظن كالعلم اليقينِ

وقد حكم عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ[٢] في القوم الذين قاسمهم أموالهم بهذا النحو ، فانّه قاسمهم على الظن فيهم ، ولو قد[٣] تبيَّن خيانتهم أموال المسلمين لما وسعه أنْ يأخذ بعض ذلك ، ويدع عليهم بعضه ، لـكنه لما ظهر له منهم ما يوجب التُهمة ، ولم يَقْوَ في نفسه قوة اليقين قاسمهم .

ومن الظن [٣٣] العيافة[٤] ، والقيافة[٥] ، والزَّجْر[٦] ، والكهانة[٧] ، واستخراج المعمى[٨] ، والمترجَم من الكتب[٩] ، فكل

---

(١) البيت لاوس بن حجر ، وهو من قصيدة مطلعها :

أيتها النفس أجملي جزعا ان الذى تحذرين قد وقعا

ينظر ديوان أوس بن حجر ص ٥٣ ، والبيان والتبيين ج٤ ص ٦٨ ، والحيوان ج٣ ص ٥٩ ، واللسان (لمع) . وفى الامتاع والمؤانسة ج١ ص ٥٩ : يظن بك الظن .

(٢) لم ترد فى س .

(٣) فى س : ولو تبين .

(٤) العائف : المتكهن ، والعيافة : زجر الطير ، وهو أن يرى طائرا أو غرابا فيتطير وان لم ير شيئا . والعيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها ، وهو من عادة العرب كثيرا ، وهو كثير فى أشعارهم (اللسان ـ عيف) .

(٥) القائف : الذى يتتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ، والقيافة المصدر . (اللسان ـ قوف) .

(٦) الزجر : العيافة ، وهو ضرب من التكهن ، والزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها والتفؤل بطيرانها كالسانح والبارح ، وهو نوع من الكهانة والعيافة . (اللسان ـ زجر) .

(٧) الكهانة : ادعاء العلم بمغيبات الامور والاخبار بها .

(٨) هو الخفى من معانى الكلام .

(٩) المترجم : المحتاج الى تفسير .

ذلك إنما ابتداؤه الظن . والتطير[1] ، فمرة يجعلون الغراب دليلاً على الغربة[2] ، والبان على البين[3] ، والقَضْب على قضب النوى[4] ، فيزجرون على الاسماء واشتقاقها دون المعاني كما قال الشاعر : [من الطويل]

رأيتُ غراباً ساقطاً فوق قَضْبة
من القَضْبِ لم ينبت لها وَرَقٌ خُضْرُ
فقلت : غرابٌ لاغترابٍ ، وقضبةٌ
لقَضْبِ النوى ، هذي العيافةُ والزَّجْرُ[5]

ومرة يزجرون على الاحوال فيكرهون الاعضب[6] ، والاعور ، والناقص الخَلْق ، لما فيهم من التقصير عن التمام . ويكرهون الشيخ

---

(١) التطير : التشاؤم ، والطيرة : مضادة للفأل (اللسان ـ طير) .

(٢) الغربة والغرب : النوى والبعد . قال الجاحظ فى الحيوان ج٢ ص ٣١٦ : « ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب » .

(٣) البان : شجر يسمو ويطول فى استواء .. ولاستواء نباتها ونبات أفنانها وطولها ونعمتها شبه الشعراء الجارية الناعمة بها فقيل : كانها بانة ، وكانها غصن بان . (اللسان ـ بين) .

قال جحدر العكلي .

وقدما هاجنى فازددت شوقا بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلحن أعجمى على عودين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمى وفى الغرب اغتراب غير دان

(ينظر الكامل للمبرد ج١ ص ١٢٦ ، ورغبة الآمل فى شرح الكامل للمرصفى ، وحاشية محمد الامير على مغنى اللبيب ج١ ص ١٢١ ، ودروس فى البلاغة وتطورها ص ٢٠٣) .

(٤) القضب : القطع ، والقضب : اسم يقع على ما قضبت من أغصان لتتخذ منها سهاما أوقسيا . (اللسان ـ قضب) .

(٥) كذا فى الاصل وس والشعر المنسوب الى ذى الرمة (ديوانه ص ٦٦٧) ، أما فى الكامل ج١ ص ١٢٦ .

قال أبو العباس : أنشدنى رجل من أصحابنا من بنى سعد ، قال : أنشدنى أعرابى فى قصيدة ذى الرمة :

ألا يا أسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

بيتين لم تأت بهما الرواة وهما :

فقلت : غراب لاغتراب وقضبة لقضب النوى هذى العيافة والزجر
رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة من القضب لم ينبت لها ورق نضر

(٦) الاعضب : القصير اليد ، المكسور القرن من الغنم أو نحوها .

لادبار عمره ، و الاحدب لظهور عاهته كما قال الشاعر : [من الطويل]

ولم أَغْدُ في أمرٍ أُؤمل نُجْحَـــهُ
فقــــابلني اِلاّ غـــرابٌ وأرنَبُ —
وانْ كان من اِنْس فلا شك كافرٌ
واِلاّ فشيخٌ أعورُ العين أحْدَبُ[1]

وانما يتشاءمون بالارنب لقصـــر يديه[2] ، فكأنه اذا مَدَّ يده الى شيء يريد نيله فقابله أرنب وهو قصير اليد فقد بَيَّن له[3] أنّ يده تقصر عن نيل ما أراده ومَدّ اليه يده .

وقد رُوي أنّ رسول الله — صلى الله عليـــه وسلم — سمع بعض القافة [٣٤] وقد رأى رِجْلَ أسامة بن زيد[4] ورِجْلَ أبيـه يقول : « هذه أقدامٌ بعضها من بعض » فَسُرّ بذلك . وحكَم أهل الحجاز بقول القافة في الولد من الأَمَةِ اذا جحده أبوه أو شَكّ فيه .

فاذا أردت أن يصدق ظنك فيما تطلبه بالظن مما لا تصل الى معرفته بقياس ولا خبر ، فاقسم الشيء الذي يقع فيه ظنك الى سـائر أقسامه في العقل ، وأعطِ كُلّ قسم[5] حقّه من التأمل . فاذا اتجه لك أنّ الحق في بعض تلك الاقسام على أكثر[6] الظن وأغلب الرأي ، جزمت عليـــه وأوقعت الوهم على صحته . وذلك مثل أنْ[7] تظن بانسـان عداوة لك ولا يتبين ذلك في تغير وجهه لك[8] ، ولا نُبُوّ طرفه[9] عنك ، ولا في

(١) لم نعثر على قائلهما .

(٢) فى س : يديها . وفى اللسان (رنب) : « الارنب يكون للذكر والانثى ، وقيل: الارنب : الانثى ، والخزز : الذكر » .

(٣) فى س : فقابلته أرنب فقد بينت له وهى قصيرة اليد .

(٤) هو مولى النبى (ص) وابن مولاه .

(٥) فى الاصل : كل ذى قسم ، والتصحيح من س .

(٦) فى س : فى بعض ذلك على أكبر .

(٧) فى س : وذلك ان .

(٨) فى س : فى تغير وجهه ولا نبو .

(٩) نبا البصر عن الشىء : تجافى عنه .

شيء مما يظهر من فعله بك فتحضر الاشياء التي توقع العداوة بين المتعاديين [ببالك][1] وهي : الشركة ، والمناسبة ، والمنازعة ، والميراث ، والجوار والصناعة[2] ، والمنزلة المتنازعة ، والخلاف في الديانة ، والحقد ، والترة[3] ، والاساءة المتقدمة ، وما أشبه ذلك من الوجوه الموجبة للعداوة . ثم تنظر فان اجتمعت بينكما تلك الاحوال أو أكثرها ، أوقعتَ وهمك على أنَّه لك عدوٌّ ، وكان قوة التوهم منك في ذلك على حسب كثرة مايجتمع بينكما من الاحوال الموجبة للعداوة ، فتَجَنَّبْتَه وعاملْتَه معاملة [٣٥] العدو الذي قد بان أمره . وإنْ وجدْتَه ينفرد ببعضها استبريت[4] صحة الظن بأن تنظر ، هل جمعكما بعضُ ما يوجب اللطف والمودة ، ويزيل بلية تلك الخلة من موافقة في مذهب ، أو احسان متقدم ، أو غير ذلك ، ثم وازنت بين الخلال الموجبة للعداوة ، والخلال الموجبة للصداقة ، وكنت في حيِّز الاقوى من الصنفين ، وانْ لم تجد بينكما ما يُوجب العداوةَ أزَلْتَ عن قلبك باب الظنة ، وكنت على ما لم تزل عليه لصاحبك من الثقة .

وقد استخرج أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أشياء منّ الاحكام لما عدم البينات فيها ، وتجاحد[5] أهل الدعوى ، ولزموا الانكار بهذا النوع من الاستخراج . فمن ذلك أنَّه لما أُتي بامرأتين وصبي وادَّعتْ كل واحدة منهما أنّ الصبيّ ابنُها ، أعمل فكره وظنه ، فعلم أنَّ من شأن الوالدة الرقةَ على الولد ، والمحبةَ لدفع الآفة عنه ، فقال لقنبر[6] : « خذ السيف واقطع الولد نصفين ، وادفع الى كل واحدة منهما نصفه ».

---

(١) الزيادة من س .
(٢) لم ترد فى س .
(٣) وتر ـ يتر وترا وترة ، فلانا : أفزعه ، اصابه بظلم أو مكروه . الوتر : الانتقام ، أو الظلم .
(٤) استبرأ الشيء : اذا بلغ غايته لتقطع الشبهة ، وقد خففت همزته .
(٥) كذا فى س ، أما فى الاصل : وتجاهل .
(٦) اسم مولى الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

فلما سمعت الوالدة بذلك أدركها الاشفاق ، فقالت : « أنا أسمح بحصتي لصاحبتي » • فعلم أنَّه ابنها فسلَّمه اليها • وكذلك فعل بالرجلين اللذين ادعى كل واحد منهما أنّ الآخر عبدُه ، فانه علم ما يتداخل النفس من الجزع عند [٣٦] معاينة الموت ، وانّ تلك الحال تذهل عن لزوم الدعوى، وتشغل عن طلب الحجة ، فقدمهما ومَدَّ أغناقهما ، وقال لبعض أصحابه : « اضرب عنق العبد » فثنى العبد عنقه حذراً من السيف ، فظهر[١] بذلك أنه العبد دون الآخر ، فسلمه الى صاحبه •

وكل[٢] هذه الأحوال التي عددناها انما تقع أوائلها بالظن ، فانْ شهد لها ما يخرجها الى اليقين صارت يقينا ، والاّ كانت تهمة وظنة واثما • ألا ترى أنك تظن بالترجمة أنها حروف[٣] ، فاذا أدرتها في سائر المواضع التي تثبت صورها فيه ، وامتحنْتَها فوجدتها مصدقةً لظنك ، حكمت بصحتها ، واذا خالفَتْ علمتَ أنّ ظنك لم يقع موقعه فأوقعته على غير تلك الحروف الى أنْ يصح •

ويشهد لما قلناه من أنّ الظن اذا لم يشهد له ما يقويه ويحققه فليس ينبغي أن نلتفت اليه ، قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ثلاثة لايسلم منهن أحد : الطِّيَرَةُ ، والظن ، والحسد » • قيل : « فما المخرج منهن يارسولَ الله ؟ » ، قال : « اذا تطيرْتَ فلا ترجع ، واذا ظنَنْتَ فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تَبْغِ »[٤] .

وقد حصل الآن لنا[٥] من علوم ما تبين عنه الاشياء بذواتها

---

(١) فى س : وظهر •

(٢) فى س : فكل •

(٣) فى س : حروف ما •

(٤) فى النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ١٥٢ : « ومنه الحديث : « ثلاث لا يسلم أحد منهن : الطيرة والحسد والظن » • قيل : فما نصنع ؟ قال : اذا تطيرت فامض ، واذا حسدت فلا تبغ ، واذا ظننت فلا تحقق » • وللرسول (ص) أحاديث كثيرة فى الطيرة (ينظر سنن ابن ماجة ج٢ ص ١١٧٠ ـ ١١٧١ ، والنهاية ج ٣ ص ١٥٢) •

(٥) فى س : لنا الآن •

« يقين » ، وهو ما تعترف العقول بصحته ويلزمها الاقرار به . و « تصديق »[1] ، وهو ما تقتنع النفوس به ، وان كان في الممكن أن[٣٧] يقع غيره أوكد من موقعه . و « ظن » قد احتيط فيه حتى وقع موقع اليقين عند مستعمله .

وقد شبهت القدماء « اليقين » من هذه العلوم بحكم القاضي ، و « التصديق » بحكم صاحب المظالم ، و « الظن » بحكم صاحب الشرطة . وطلبوا في الاشياء اليقين ، فاذا وجدوه تركوا غيره ، فاذا عدموه طلبوا الاقناع الذي يقع به التصديق ، فان وجدوه أخذوا به ، وإن لم يجدوه أعملوا الظن حتى يستخرجوا به علم ما يحتاجون اليه[2] . وكذلك الحقوق انما تطلب من الحكام بالبينات العادلة والشهادات القاطعة[3] فيما يحضره العدول ، فان كان الحق مما لم يشهده العدول [طلبوا الاقناع و][4] طُلب من أصحاب المظالم بالكشف ومسألة أهل الخيرة من المشهورين[5] والمجاورين[6] . فان كان مما لم يشهده أحد ، وأخذ سراً ، طلب من صاحب الشرطة فيوقع الظن على أهل التهمة ، ومن قد جرت[7] عادته بالريبة فيبسط عليهم ويحتال في تقريرهم الى أنْ يظهر ماعندهم . وقد يجوز أنْ يكون ممن توقع التهمة عليه من هو بريء إلاّ أنّه لا يتوصل[8] الى استخراج الحقوق من اللصوص واشباههم إلاّ بمثل هذه الحال ، ولو طلب في ذلك البيّنة من العدول المرضيين وأخيار المستورين من المجاورين ما تهيأ استخراج سرقة أبدا . فليس في هذه الاحكام[٣٨] الثلاثة إذا خرج كل

---

(١) فى الاصل : والتصديق ، والتصحيح من س .
(٢) فى س : به ما يحتاجون اليه .
(٣) فى س : بالبينة العادلة ، والشهادة القاطعة .
(٤) الزيادة من س .
(٥) فى س : المستورين ، وهم المعروفون بالعفة .
(٦) المجاورون : العاكفون فى المساجد .
(٧) فى س : وقد جرت .
(٨) فى س : يوصل .

واحد منها من معدنه وجرى على ترتيب ما وضع له ، ماينسب الى ظلم ولا جور[١] ، ولكن ان اختلفت مواقعها ومخارجها فقضى القاضي بالكشف والمسألة ، وقضى صاحب المظالم بالظن والتهمة ، وقضى صاحب الشرطة بالعدول والبيّنة ، نسب كل واحد منهم الى الجور ، لعدوله عما توجبه رتبته ، وخروجه عن الرسم الذي رسم له • وكما لا يستغني بواحد من هؤلاء الحكام الثلاثة عن باقيهم ، فكذلك لايستغنى في استخراج بواطن العلوم بواحد من هذه الوجوه التي ذكرناها عن سائرها •

وهذا فيما أوردنا[٢] ذكره من الاعتبار مقنع ، اِنْ شاء الله •

(١) فى س : الى جور ولا ظلم •
(٢) فى س : أردنا •

البيان الثاني

الاعتقاد

باب

البيان الثاني وهو الاعتقاد

قد قلنا إنّ الاشياءَ إذا بُيِّنت بذواتها للعقول ، وترجمت عن معانيها [وبواطنها][1] للقلوب ، صار ماينكشف للمتبين من حقيقتها معرفةً وعلماً مركوزين في نفسه • وهذا البيان على ثلاثة أضرب : فمنه حق لاشبهة فيه ، ومنه علم مشتبه يحتاج الى تقويته بالاحتجاج [فيه][2] ، ومنه باطل لا شك فيه •

فأما الحق الذي لاشبهة فيه فهو علم اليقين ، واليقين ماظهر من[3] مقدمات قطعية[4] كظهور الحرارة للمتطبب عند توقد اللون ، وسرعة النبض واحمرار البول[5] • أو عن [٣٩] مقدمات ظاهرة في العقل كظهور تساوي الاشياء اذا كانت مساوية لشيء واحد ، وكظهور زيادة الكل على الجزء • أو عن مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس كظهور قبح الظلم ، وكل خبر أتى على التواتر من العامة ، أو التواتر من الخاصة ، أو سمع من الانبياء والائمة • وكل هذا يوجب العلم ، ومَنْ شَكّ في شيء منه كان

---

(١) الزيادة من س •
(٢) الزيادة من س •
(٣) فى س : عن •
(٤) فى س : طبيعية •
(٥) فى الاصل : اللون ، والتصحيح من س •

آثما ، ولذلك صار من شك في الباري – عز وجل –[1] كافرا ، لأن نتيجة المعرفة به عن مقدمات ظاهرة للعقل ، وكذلك من شك فيما تواترت به الرواية ، أو تضمنه الكتاب الذي نقله مَنْ تَجبُ بنقله الحجة[2] .

فأما[3] المشتبه الذي يحتاج الى التَثَبُّت فيه ، واقامة الحجة على صحته ، فكل نتيجة ظهرت عن مقدمات غير قطعية[4] ولا ظاهرة للعقل بأنفسها ولا مسلمة عند جميع الناس ، بل تكون مسلمةً عند أكثرهم ، أو يظهر للعقل تغيرها وتغير الفحص عنها والاستدلال عليها . وذلك كرأي كل قوم في مذاهبهم ، وما يحتجون به لتصحيح اعتقاداتهم ونحلهم[5] ، وكل خبر أتى به الآحاد والجماعات التي لايبلغ خبرهم أنْ يكون متواتراً[6] ، بل يجوز على مثلهم في العادة الاجتماع على الكذب والاتفاق عليه إذا كانوا عدولاً ولم يخالف قولهم [٤٠] ما جرى به العرف والعادة ، وذلك مثل روايات كل قوم فيما اعتقدوه وأخبارهم عن أهل العدالة عندهم فيما اجتلبوه[7] ، وكل ظن قويت شواهده ، وكان الاحتياط في الرأي والدين تغليبه . وكل هذه الامور التي عددناها فانما يأتي العلم بها على طريق التصديق لا على اليقين ، والحجة على معنى الاقناع لا البرهان ، وهي توجب العمل ولا توجب العلم . وليس على مَنْ شَكّ فيها إثم ولا لوم ، وذلك كالحكم بالشاهدين وتصديقهما في الحقوق ، وإنْ كنّا لانعلم حقيقة قولهما، ولا نشهد بصحة غيبهما ، لانهما قد يجوز أنْ يكونا كاذبين ، إلاّ أنَّ علينا العمل بما شهدا به إذا كانا عدلين مَرْضيين ، وكذلك ما أتانا من الاخبار في الاحداث التي تنقض الوضوء من الدم السائل ، والقهقهة في قول العراقيين ،

---

(١) فى س : تعالى .

(٢) ينظر بحث مدارك اليقين والاعتقاد فى كتاب « محك النظر فى المنطق » للامام الغزالى ص ٥٧ وما بعدها .

(٣) فى س : واما .

(٤) فى س : طبيعية .

(٥) لم ترد فى س .

(٦) فى س : التى لا تبلغ ان تكون تواترا .

(٧) فى الاصل : اجتنبوه ، والتصحيح من س .

والملامسة ومس الذكر في قول أهل الحجاز ، فان ذلك كله يوجب العمل على من صحت عنده عدالة المخبر له ، وليس يوجب العلم ، ولا يكون مَنْ شَكّ في ذلك أو جحده آثماً .

وأما الظن فانه إذا قويت شواهده ، وعَضَدَه من الرأي ما يوجبه ، فانما يجب العمل عليه ، ولا يجب العلم بحقيقته . والفرق بينه وبين ما نحن فيه يأتي من الاخبار عن الآحاد[1] ، ومن القياس المقنع ان ذلك مقبول على ظاهره ؛ فانا نقبل [٤١] كل آتٍ به ولا نتهمه بكذب[2] . وكل نتيجة ظهرت عن مقدمة يجوز[3] استعمالها عند أهل النظر ، وانْ لم نشهد بصحة ذلك . ولسنا نقبل الظن على ظاهره ، ولا نعمل عليه إلاّ إذا شهد له غيره ، فهو كخبر الفاسق أو الكافر اللذين لايكذبان ولا يصدقان فيه إلاّ أنْ يظهر لسامعهما مايوجب التصديق أو التكذيب فيعمل عليه .

وأما الباطل الذي لا شبهة[4] فيه ، فما ظهر من[5] مقدمات كاذبة مخالفة للطبيعة ، مضادة للعقل ، أو جاء في أخبار الكاذبين الذين يخبرون بالمحال وما يخالف العرف والعادة ، وذلك مثل اعتقاد السوفسطائية[6] انه لا حقيقة لشيء من الاشياء ، وأنّ الامور كلها بالظن والحسبان ، واعتقادهم حقيقة ما يقولونه دليل على أنّ الاشياء [لها][7] حقائق في أنفسها ، فانهم مبطلون في دعواهم . وكأخبار النصارى عن المسيح ـ عليه السلام[8] ـ بأنه كان بشراً فصار إلهاً ، وكان مُحْدَثا فصار قديما ، وانّ الواحد الذي هو

---

(١) فى س : والفرق بينه وبين ما يأتى من الاخبار عن الآحاد .
(٢) فى س : فانا نقبل كل خبر جاءنا به من لا نتهمه بكذب .
(٣) سقطت فى أصل س ، وقد وضع المحققان كلمة [صح] ليصح السياق .
(٤) فى س : لا شك .
(٥) فى س : عن .
(٦) السوفسطائيون : جماعة من الفلاسفة قبل سقراط ، كانوا يعلمون البلاغة والخطابة . انكروا امكان الوصول الى حقائق موضوعية ثابتة ، اذ الحقيقة عندهم ذاتية نسبية تختلف باختلاف الافراد . (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٣٤) .
(٧) الزيادة من س .
(٨) لم ترد فى س .

جزء للثلاثة ، ثلاثة من غير تفريق ، وانّ الثلاثة التي هي كل للواحد ، واحد من غير جمع [وتركيب][1] • واتيانهم في ذلك بالمحال الذي لايعقل •

ولمّا أنْ كان الله ــ عز وجل ــ قد أمرنا أنْ نعتقد الحق ونقول به ، وأنْ لا نعتقد [٤٢] الباطل ولا ندين به ، فقال الله ــ عز وجل ــ : « وقُلِ الحقُّ من ربّكم »[2] • وقال : « ألَمْ يُؤْخَذْ عليهم ميثاقُ الكتابِ أن لايقولوا على اللهِ إلاّ الحقَ ، ودَرَسُوا ما فيه »[3] وعرفنا زهوق الباطل وخسران أهله فقال ــ عز وجل ــ[4] : « وقُلْ جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ ، انّ الباطلَ كان زهوقاً »[5] • وقال : « وخَسِرَ هنالك المُبْطِلونَ »[6] ، وجب أنْ يحتاط العاقل لنفسه ودينه فلا يعتقد إلاّ حقاً، ولا يكذب إلاّ بباطل ، ولا يقف إلاّ عند شبهة حتى لايكون ممن شهد بما لم يعلم ، أو كذب بما لم يُحِطْ بعلمه •

وإذا نظرنا في الثلاثة الأضرب التي قدمنا ذكرها ، وجدنا من الواجب أنْ نعتقد صحة جميع ماذكرنا أنّه يقين وحق لاشبهة فيه ، ونشهد بصحة ذلك فلا تتخالجنا الشكوك فيه ، فانا متى شككنا في شيء منه أخطأنا وأثمنا ــ كما قلنا قبل هذا الموضع ــ وأنْ ننظر فيما أتى من الصنف الثاني الذي قد وقع الاشتباه فيه ، وادعى كل قوم اصابة الحق فيه • فانْ كان مما أتى من جهة [الآحاد][7] والقياس ، احتطنا فيه بتصحيح المقدمات التي انتجته[8] ، وحراستها من المغالطة التي قدمنا ذكرها • فاذا صحت مَيَّزْناها على كم وجه تُقال[9] إنْ كانت مما يقع لفظه على معانٍ كثيرة ، وننظر

---

(١) الزيادة من س •
(٢) سورة الكهف ، الآية ٢٩ •
(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٦٩ •
(٤) سقطت فى س •
(٥) سورة الاسراء ، الآية ٨١ •
(٦) سورة غافر ، الآية ٧٨ •
(٧) الزيادة من س •
(٨) فى س : التى هى نتيجة •
(٩) فى الاصل : على كلم المقال ، والتصحيح من س •

أي وجه منها هو مراد المتكلم في قوله • فاذا ميزنا ذلك استخرجنا فصولها التي تنفصل بها من غيرها [٤٣] حتى يظهر الحد الذي يفرق بينها وبين ما يباينها • فاذا فعلنا ذلك صَحَّحْنا التشبيه وألحقنا كل شيء بما يشبهه • فاذا أتينا بذلك على هذا الترتيب والتحصيل صح لنا ما نريد تصحيحه بالقياس، انْ شاء الله • وإنْ كان مما أتى من جهة الخبر عن الآحاد والجماعات[١] القليلة العدد، احتيط في ذلك أولاً بعرضه على العقول، فانْ باينَها وضادَّها فهو باطل، وإنْ لم يُباينها[٢] وكان مما يجوز في العقل وقوع مثله يتثبت في أمر نقلها[٣] حتى لاتؤخذ إلا ممن ظهرت عدالته، ولم يتهم بكذب، ولا وهم في خبره، ولم يكن فيما أخبر به[٤] جارا الى نفسه ولا دافعاً عنها، ولم يعارضه خبر مثل خبره يبطل ما أخبر به[٥] •

وبجميع ماذكرناه[٦] قد جاء القرآن وجرت الاحكام، فقال الله ـ عز وجل ـ « وأشهدوا ذَوَيْ عَدْلٍ منكم »[٧]، وقال: « إنْ جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا »[٨] • واجمعت الأمة على أنْ لا تقبل دعوى أحد لنفسه ولا شهادته فيما جرَّ اليها أو دفع عنها، وعلى أنّ الاخبار إذا تكافأت بطلت • ثم انْ كان الخبر في[٩] أمر الدين، عُرِضَ على كتاب الله ـ عز وجل ـ الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[١٠]، فان وجد مخالفا خلافَ مضادةٍ علم أنّه ليس من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛

---

(١) فى س : من جهة الآحاد من الخبر والجماعات •
(٢) فى س : ينافها •
(٣) فى س : نقلتها •
(٤) فى س : خبر به •
(٥) فى س : خبر به •
(٦) فى س : ما ذكرنا •
(٧) سورة الطلاق، الآية ٢ •
(٨) سورة الحجرات، الآية ٦ •
(٩) فى س : من •
(١٠) قال تعالى فى سورة فصلت الآيتان ٤١، ٤٢ : « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز • لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • تنزيل من حكيم حميد ».

لان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[1] [٤٤] لايضادّ كتاب الله ـ عز وجل ـ[2] . وإنْ كان الخلاف من جهة خصوص وعموم[3] ، وناسخ ومنسوخ[4] ، ومحكم ومتشابه[5] ، ومجمل ومفسر[6] ، كان ذلك معمولا عليه ، مأخوذا به على الشرائط التي ذكرناها في كتاب « التعبد »[7] .

وإنْ لم يوجد لذلك أصل في كتاب الله ـ عز وجل ـ[8] وكان مما يجوز التعبد به ، فليس ينبغي أنْ يدفع ؛ لانّ الله ـ عز وجل ـ قد شرع على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شرائع لم يثبتها في كتابه ، منها[9] : رجم الزاني المحصن[10] ، واليمين مع الشاهد[11] ، وتحريم كل ذي ناب ومخلب ، وأشباه لذلك .

ولذلك قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أُوتيت الكتَاب ومثله معه » ، أي : من السنن التي شرعها الله ـ عز وجل ـ على يده[12] . وقد روي[13]

(١) لم ترد فى س .

(٢) لم ترد فى س .

(٣) العام : لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر ، وهو ثلاثة أنواع : الباقى على عمومه ، والعام المراد به الخصوص ، والعام المخصوص . والخاص : عمومى يراد به الخصوص . (ينظر الاتقان ج ٢ ص ١٦ ومناهل العرفان ج ١ ص ١١٦) .

(٤) النسخ فى الحكم تبديله برفعه ووضع غيره مكانه . قال الائمة : لا يجوز لاحد ان يفسر كتاب الله الا بعد ان يعرف منه الناسخ والمنسوخ (ينظر البرهان للزركشى ج ٢ ص ٢٨ ، والاتقان ج ٢ ص ٢٠) .

(٥) اختلف فى تعيين المحكم والمتشابه فقيل : المحكم : ما عرف المراد منه أما بالظهور واما بالتأويل ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة . وقيل : المحكم ما وضح معناه ، والمتشابه : نقيضه . وقيل : المحكم : ما لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا ، والمتشابه : ما احتمل أوجها . (ينظر الاتقان ج ١ ص ٢ ، والبرهان للزركشى ج ٢ ص ٦٨) .

(٦) المجمل : ما لم تتضح دلالته وهو واقع فى القرآن خلافا لداود الظاهرى (الاتقان ج ٢ ص ١٨) .

(٧) هذا الكتاب لم نعثر عليه فى مؤلفات قدامة بن جعفر ، ويبدو انه لصاحب هذا الكتاب ، وهو مما يؤكد أن كتاب البرهان ليس لقدامة .

(٨) لم ترد فى س .

(٩) فى س : فمنها .

(١٠) المحصن : المتزوج .

(١١) أى : احلاف المدعى اليمين مع وجود الشاهد .

(١٢) فى س : شرعها الله على يديه .

(١٣) فى س : وروى عنه .

عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « لا ألفيَنَّ أحدكم مُتكِئاً على أريكته ، يأتيه الامر من أمري فيقول : لا أدري . ماوجدت في كتاب الله ـ عز وجل ـ عملت به »[١] . بل يؤخذ بذلك إذا أتى عن الثقات ، وكان مما يجوز أن يتعبد الله ـ عز وجل ـ[٢] به عباده ، ولم يضاد العقل والكتاب. فاذا[٣] أتت أخبار الثقات بالشيء وضده ، ولم يكن في نقلة الخبرين من يتهم بقلة ضبط ، ولا وهم ، ولم يكن الخلاف في ذلك من جنس ما قدمنا إلا أنَّه من رواية الشيعة عن الائمة ـ عليهم السلام ـ فقد علم أنَّهم ـ صلوات الله عليهم ـ[٤] لا [٤٥] يأمرون بالشيء وضده ، لانهم حكماء ، والمناقضة عن الحكماء منفية [فقد][٥] أحاط العلم أن سبب الخلاف في ذلك انما هو خروج الجواب في أحد الحالين على سبيل التقية . والتقية انما هي فيما خالف فُتْيا العامة ، فلذلك أوصوا ـ عليهم السلام ـ فيما يؤثر عنهم ، ولا يختلف فيه علماؤهم ، بأن نعمل[٦] فيما تضادت به الرواية عنهم بما يخالف فتيا العامة وعملها ، وان نقل الينا أصحابهم عنهم [٧] ـ عليهم السلام ـ ما لا يُعلم[٨] مخرجه ، [وقفنا فيه و][٩] وكلناه الى عالمه ولم نعتقد في شيء منه تصديقاً ولا تكذيبا ، الى أنْ يتبين لنا مايوجب أحدهما فنعتقده إذا كان اعتقاد الباطل عندنا كدفع الحق ، وبذلك أمرونا فقالوا : « الامور ثلاثة :

---

(١) كذا في الاصل ، اما في س : « .... ما وجدت في كتاب الله عملت به » . وفي النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٢٦٢ : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته » . أي : لا أجد والقى . يقال ألفيت الشيء ألفيه الفاءا ، اذا وجدته وصادفته ولقيته .

(٢) لم ترد في س .

(٣) في س : واذا .

(٤) في س : عليهم السلام .

(٥) الزيادة من س ، وهي جواب للشرط الذى صدرت به الجملة وهو قوله : « فاذا اتت ...... » .

(٦) في س : يعمل .

(٧) لم ترد في س .

(٨) في س : نعلم .

(٩) الزيادة من س .

فأمر تبيَّن (١) لك رشده فاتبعه ، وأمر تبيَّن (٢) لك غيُّــه فاجتنبه ، وأمر اشتبه عليك فكِلْه الى عالمه » •

وهذا ما في الاعتقاد [وبالله التوفيق والسداد](٣) •

---

(١) فى س : يتبين •
(٢) فى س : يتبين •
(٣) الزيادة من س •

البيان الثالث

العِبارة

باب
البيان الثالث وهو العبارة [1]

فأما[2] البيان بالقول ، فهو العبارة . وقد قلنا : إنّه يختلف باختلاف اللغات ، وإنْ كانت الاشياء المبين عنها غير مختلفة في ذواتها ، وانّ منه ظاهراً ، وانّ منه [3] باطنا . وان الظاهر منه غير محتاج الى تفسير ، وانّ الباطن هو المحتاج الى التفسير ، وهو الذي يتوصل اليه بالقياس والنظر[٤٦] والاستدلال والخبر . ونحن نذكر الآن ذلك بشرحه ـ إنْ شاء الله ـ فنقول :

إنّ الذي يوصل الى معرفته من باطن القول بالتمييز والقياس مثل قول الله ـ عز وجل ـ : « اعملوا ما شئتُم، إنّه بما تعملون بصير »[4]. وهو لم يفوض اليهم أنْ يعملوا بما أحبوا ، ولم يخلهم من الامر والنهي . ومثله قول الله ـ عز وجل ـ[5] : « فمنْ شاءَ فليؤمنْ ، ومَنْ شاء فليكفُرْ »[6] . فلم يطلق لهم الكفر ، ولم يبحهم إياه . فهذا وإنْ كان

(١) جاء فى النسخة المطبوعة (ص ٤٣ هامش ١) : « وقد ضمن المؤلف هذا الباب كلامه على الوجه الرابع من أوجه البيان عنده ، وهو البيان بالكتاب » . وهذا غير صحيح – كما سنرى – لان نسخة الاسكوريال التى اعتمد عليها المحققان الفاضلان ناقصة .

(٢) فى س : واما .

(٣) فى س : ومنه .

(٤) سورة فصلت ، الآية ٤٠ .

(٥) فى س : ومثله قوله : ......

(٦) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

ظاهره التفويض اليهم فان باطنه التهدد والوعيد لهم[1] . ويدل على ذلك قوله[2] بعقب هذا :

« إنّا اعتدْنا للظالمينَ ناراً أحاط بهم سُرادِقُها ، وانْ يَستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْلِ يَشوي الوُجوهَ ، بئسَ الشرابُ ، وساءَتْ مُرْتَفَقاً »[3] .

وأمّا مايوصل اليه بالخبر فمثل الصلاة التي هي في اللغة الدعاء ، والصيام الذي هو الإمساك ، والكفر الذي هو ستر الشيء ، فلولا ماأتانا من الخبر في شرح مراد الله ـ عز وجل ـ[4] في الصلاة والصيام ومعنى الكفر ، لما عرفنا باطن ذلك ، ولا مرادَ الله ـ عز وجل ـ في الصلاة والصيام[5] ، ولا كان ظاهر اللغة يدل عليه ، بل كنا نسمي كُلَّ مَنْ دعا مصليا ، وكلَّ مَنْ أمسَك عن شيء صائما ، وكُلّ مَنْ ستر شيئاً كافراً . فلما أتانا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحدود الصلاة من التكبير والركوع والسجود والتشهد ، وبحدود الصيام من ترك الاكل والشرب [٤٧] والنكاح نهاراً ، وان الكافر الذي يجحد الله ـ عز وجل ـ[6] ورسله ، وَصَلْنا الى علم جميع ذلك بالخبر ، ولولاه ما عرفناه .

وللغة العربية التي نَزَلَ بها القرآنُ ، وجاء بها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ البيان ، وجوهٌ وأقسام ومعانٍ وأحكام[7] ، متى لم يقف عليها مَنْ يريد تفهم معانيها ، واستنباط ما يدل عليه لفظها ، لم يبلغ مراده ، ولم يصل الى بغيته . ومنها ما هو عام للسان العرب وغيرهم ، ومنها ما هو خاص له دون غيره ، ويجمع ذلك في الأصل : الخبر والطلب .

★ ★

---

(١) فى س : التهدد لهم والوعيد .
(٢) لم ترد فى س .
(٣) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .
(٤) لم ترد فى س .
(٥) فى س : ولا مراد الله فيه .
(٦) لم ترد فى س .
(٧) فى س : وجوه وأحكام ومعان وأقسام .

والخبر : كل قول أَفَدْتَ به مستمعه ما لم يكن عنده كقولك : « قام زيد » ، فقد أَفَدْتَه العلم بقيامه . ومن الخبر ما يبتدىء المخبر به فيخص باسم الخبر ، ومنه ما يأتي [به][1] بعد سؤال فيسمى جوابا ، كقولك في جواب من سألك : « ما رَأْيُك في كذا ؟ » فتقول : « رأيي كذا » . وهذا يجوز أنْ يكون [ابتداء منك فيكون][2] خبراً ، فاذا أتى بعد سؤال كان جوابا ـ كما قلنا .

★ ★

والطلب : كُلُّ ما طلبته من غيرك . ومنه الاستفهام ، والنداء ، والدعاء ، والتمني[3]، لانّ ذلك كله طلب ، فانك انما تطلب من الله ـ عز وجل ـ[4] بدعائك ومسألتك ، وتطلب من المنادى الاقبال اليك أوعليك[5]، وتطلب من المسْتَفْهَمِ [منه][6] بذل الفائدة لك .

ومن الاستفهام [٤٨] مايكون سؤالاً عما لاتعلمه لتعلمه فَيُخَصُّ باسم الاستفهام ومنه مايكون سؤالاً عما تعلمه ليقر لك به ، فيسمى تقريرا . ومنه ما يكون ظاهره الاستفهام ومعناه التوبيخ كقوله ـ تعالى ـ : « أَلَمْ يأْتِكمْ رُسُلٌ منكم يقُصُّون عليكم آياتي ، ويُنْذِرونكم لِقاء يومكم هذا »[7]. ومن السؤال ماهو محظور[8] ، ومنه ما هو مفوض . فالمحظور ماحظرت[9] فيه على المجيب أنْ يجيب اِلاّ بعض السؤال ، كقولك : « ألحماً أكلت أم خبزاً ؟ » . فقد حظرت[10]

(١) الزيادة من س .
(٢) الزيادة من س .
(٣) فى س : الاستفهام والدعاء والنداء والتمنى .
(٤) لم يرد فى س .
(٥) فى س : عليك أو اليك .
(٦) الزيادة من س .
(٧) سورة الانعام ، الآية ١٣٠ .
وهذه الانواع هى التى تدخل فى خروج الاستفهام عن معناه الحقيقى .
(٨) فى الاصل : محصور ، والتصحيح من س .
(٩) فى الاصل : فالمحصور ما حصرت .
(١٠) فى س : حصرت .

عليه أن يجيبك إلاّ بأحدهما . والمفوض كقولك : « ما أكلْتَ ؟ » فله أنْ يقول ماشاء من المأكولات ، لانك قد فوضت[1] الجواب اليه .

وليس في فنون القول ما يقع به[2] الصدق والكذب غير الخبر والجواب ، إلاّ أنّ الصدق والكذب يستعملان في الخبر ، ويستعمل مكانهما في الجواب الخطأ والصواب ، والمعنى واحد ، وان فرق في اللفظ بينهما[3] . وكذلك يستعمل في الاعتقاد في موضع الصدق والكذب الحق والباطل ، والمعنى قريب من قريب .

★ ★

والخبر منه جزم ، ومنه مستثنى ، ومنه ذو شرط .

فالجزم : مثل : « زيد قائم » ، فقد جزمت في خبرك على قيامه .

والمستثنى : « قام القومُ إلاّ زيداً » ، فقد استثنيت زيدا ممن قام .

وذو الشرط : « إذا قام زيدٌ صِرْتُ اليك » ، فانما يجب مصيره اليه اذا قام زيد ،[٤٩] فهو متعلق[4] بشرط .

وكل واحد من هذه المعاني إمّا أنْ يكون مثبتاً أو منفيا[5] . فالمثبت كقولك : « قام زيد » ، والمنفي : « ماقام زيد » . والمستثنى من المثبت منفي ، ومن المنفي مثبت[6] . وليس يخلو الخبر المثبت أو المنفي من أنْ يكون واجباً ، أو ممتنعا ، أو ممكنا . فالواجب مثل : « حرارة النار » ، لانها واجبة[7] في طبعها . والممتنع مثل : « حرارة الثلج » ؛ لان ذلك ممتنع في طبعه . والممكن مثل : « قام زيدٌ » ؛ لانه قادر عليه ، جائز أنْ يقع

(١) فى س : لانك فوضت .
(٢) فى س : صنوف القول وفنونه ما يقع فيه .
(٣) فى س : فرق اللفظ بينهما .
(٤) فى س : معلق .
(٥) فى س : واما ان يكون منفيا .
(٦) فى س : والمنفى اذا استثنى منه مثبت .
(٧) فى س : حر النار وثرها ، لانه واجب .

منه ، وأنْ لا يقـع[1] .

ثم لا يخلو الخبر بعد هذا كله من أنْ يكون عما مضى مثل : « قام زيد » . أو عمّا يستقبل مثل : « يقوم زيدٌ » . أو عَـمّا أنت فيه ، مثـل قولك : « قائم زيدٌ » . ولا يخلو مع ذلك من أنْ يكون عاماً كلياً ، أو خاصا جزئيا ، أو مهملا . فكُـلُّ ما ظهر فيه حرف العموم فهو عام كقولك « كُـلّ القوم جاءنا » و« جميع المال أنْـفقت » . ومنه قوله[2] ـ عز وجل ـ: « كُـلُّ شيءٍ هالِـكٌ اِلاّ وَجْهَـــه »[3] ، فهذا لايجـوز أنْ يـُراد به الخصوص لظهور حرف العموم فيه ، وكُـلُّ ماظهر فيه حرف الخصوص فهو خاص كقولك : « بعض المال قبضْـتُ » و « من القوم مَـنْ جاءنا ». ومثله قول الله ـ عز وجل ـ : « ومِـنَ الاعرابِ مَـنْ يتَّـخِـذُ ما يـُنْـفِـقُ مَـغْـرماً »[4] فهـذا لايجوز أنْ يراد به العموم لظهور حرف الخصوص فيه ، ومالم يظهر فيه حرف العموم ولا حرف الخصوص فهو مهمـل . وقد يكون عاما [وقد][5] يكون [٥٠] خاصا ، واعتباره أنْ تنظر ، فانْ كان في الاشياء الواجبة أو الممتنعة فهو عام ، وإنْ كان لفظه واحداً كقول الله ـ عز وجل ـ : « بل الانسانُ على نَـفْـسِـه بَـصيرةٌ »[6] ، لانه من الواجب أنْ يكون كُـلّ أحد على نفسه بصيرةً . وإنْ كان في الممكن فهو خاص كقول الله ـ عز وجل ـ : « الذين قال لهم الناسُ اِنَّ الناسَ قَـدْ جَـمعوا لـكم فاْخشَـوْهُـم ، فزادَهم إيماناً »[7] . فهذا خاص وإن كان لفظه على الجماعة[8] ، لانّ القول ممن قال ، والجمع ممن جمع من الاشياء الممكنة ، وجائز أنْ يقع منهم وأنْ لا يقع ، فهذا أصلٌ يُعمـل

(١) فى س : وجائز ان يقع وان لا يقع .
(٢) فى س : قول الله .
(٣) سورة القصص ، الآية ٨٨ .
(٤) سورة التوبة ، الآية ٩٨ .
(٥) الزيادة من س .
(٦) سورة القيامة ، الآية ١٤ .
(٧) سورة آل عمران ، الآية ١٧٣ .
(٨) فى س : وهذا لفظه على الجماعة .

عليه[١] في الخاص والعام والمهمل • ومن البيّن للعقل أنّ الاخبارَ المثبتة الجازمة في الامر الواجب ماضيها ومستقبلها وما أنت فيه منها ، وعامها ، وخاصها ، ومهملها ، صدق أجمع ، وانّ منفيات ذلك كله كذب ، وانّ مثبتات هذه الاخبار في الاحوال التي قدمنا ذكرها اذا كانت في الممتنع فهي كذب ، ومنفياتها صدق ، وانّ جميع هذه الاخبار في هذه الاحوال اذا جاءت في الامر الممكن فقد يكون صدقا ، وقد يكون كذبا •

وقد دللنا[٢] على جمل ما يعرف به الصدق في ذلك من الكذب ، ولم نَستَقْصِها لئلا يطول الكتاب بها ، وهي في كتب المنطقيين مشروحة ، فمن أراد علمها فليطلبها هنالك ان شاء الله • [٥١]

واعلم أنّ من الاخبار ، أخباراً تقع بها الفائدة ولا يحصل منها قياس يوجب حكماً • فمن ذلك الخبر المنفي ، فانّه يفيدنا انتفاء الشيء الذي ينفيه ولا يحصل في نفوسنا منه حكم ، ذلك قولنا : « زيد غير قائم » فلم يحصل [لنا من][٣] هذا القول غير العلم بانتفاء القيام عنه • ثم لسنا ندري على أي حال هو من قعود أو اضطجاع أو سجود • والخبر الذي بشرط لايحصل في النفس منه حكم ، لانا اذا قلنا : « اذا قام زيد صِرْتُ اليك» فليس يحصل في نفس المخاطب علم بمصير المخاطب اليه ؛ لانّه متعلق بقيام « زيد » الذي يجوز أنْ يقع وأنْ لا يقع •

والكذب اِثبات شيء لشيءٍ لا يستحقه [أو نفي شيء عن شيءٍ يستحقه • والصدق ضد ذلك ، وهو اثبات شيءٍ لشيءٍ يستحقه ، أو نفي شيءٍ عن شيءٍ لايستحقه][٤] • والخلف في القول اِذا كان وعداً دون غيره ، وهو أنْ يعمل خلاف ما وعد ، فيقال : « أَخْلَفَ فلانٌ وَعْدَه »،

---

(١) فى س : به •
(٢) فى الاصل : دلك ، والتصحيح من س •
(٣) الزيادة من س •
(٤) الزيادة من س •

ولا يقال : « كذب » . وقد يخلف الرجل الوعد بفعل ماهو أشرف منه ، فلا يقال : « أخلف وعده » وذلك كرجل وعد رجلاً بثوب فأعطاه ألف دينار فقد تفضل عليه ، وانْ كان قد عمل به خلاف ماوعده . ولا[1] يسمى ذلك مخلفاً لوعده ، وبهذا تعلق من أبطل الوعيد ، فزعموا أنّ انجاز الوعد كرم ، وأنّ إخلاف الوعيد عفو وتفضل ، وأنشدوا : [من الطويل]

وإني اذا أوْعَدْتُه أوْ وَعَدْتُه
لاخلفُ إيعادى[2] ، وأنجزُ موعدي

[٥٢] وعليهم في ذلك كلام لاهل الحق ، ليس هذا موضعه .

★ ★

والنسخ في الحكم تبديله برفعه ووضْع غيره مكانه . وأصله في اللغة وضع الشيء مكان غيره إذا كان يقوم مقامه[3]، ومنه قوله ـ عزوجل ـ : « ما نَنْسَخْ من آيةٍ أو نُنسِها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلِها »[4] .

والنسخ لايكون في الخبر ، لان الخبر إذا تبدل عن حاله بَطُلَ ، وفي بطلان قول الصادق [وجوب الكذب لامحالة ، وليس يجوز للصادق][5] أنْ يخبر بخبر فيكون ضده ونقيضه صدقا الا أنْ يكون خبره الأول معلقاً بشرط أو استثناء ، كما وعد الله ـ سبحانه ـ قوم موسى ـ عليه السلام ـ دخول الارض المقدسة إنْ أطاعوه في دخولها ، فلما

---

(١) فى س : فلا .

(٢) كذا فى س ، أما فى الاصل : ميعادى . وفى محاضرات الادباء ج٢ ص ٥٦٢ :
وانى وان أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

(٣) فى أدب الكتاب للصولى ص ١٢٢ : « والنسخ على معنيين : أحدهما أن تنسخ الشىء لما تقدمه فتذهب به فيحل مكانه ، ومنه قول الله ـ عز وجل ـ : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ، أو مثلها » ... والمعنى الآخر : أن ينسخ الشىء الشىء فيجىء بمثله غير مخالف له ، يقول : « نسخت الكتاب » لم اغادر حرفا منه . وفى القرآن : « انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٠٦ .

(٥) الزيادة من س .

عَصَوه حَرَّمها عليهم فلم يدخلها منهم أحد[1] . وكما أوعد[2] قومَ يونس ــ عليه السلام ــ[3] العذاب إنْ لم يتوبوا ، فلما تابوا كشف عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا . والى هذا المعنى تذهب الشيعة في البداء[4] على قبح هذه اللفظة وبشاعة موقعها في الاسماع .

فأما الخبر اذا لم يكن معلقا [بشرط ولا][5] بشيءٍ مما ذكرنا ، فليس يجوز أن يقع غيره [موقعه][6] فيكون صدقاً ، ولذلك قال الله ــ عز وجل ــ : « ما يُبَدَّلُ القولُ لديَّ وما أنا بظلّامٍ للعبيد »[7] .

★ ★

والمعارضة في الكلام المقابلة بين الكلامين المتساويين[8] في اللفظ . وأصله من معارضة[9] السلعة بالسلعة في القيمة والمبايعة . وانما [٥٣] تستعمل المعارضة في التقية وفي مخاطبة من خيف شره فيُرضى[10] بظاهر

---

(١) فى س : أحد منهم .

(٢) فى س : وعد .

(٣) لم ترد فى س .

(٤) فى الملل والنحل للشهرستانى ج١ ص ١٤٨ : « مذهب المختار انه يجوز البداء على الله تعالى . والبداء له معان : البداء فى العلم ، وهو أنه يظهر له خلاف ما علم ، ولا أظن عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد . والبداء فى الارادة ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم . والبداء فى الامر ، وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك . ومن لم يجوز النسخ ظن أن الاوامر المختلفة فى الاوقات المختلفة متناسخة .

وانما صار المختار الى اختيار القول بالبداء ، لانه كان يدعى علم مايحدث من الاحوال : اما بوحى يوحى اليه ، واما برسالة من قبل الامام . فكان اذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة ، فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه ، وان لم يوافق قال : « قد بدا لربكم » .

وكان لا يفرق بين النسخ والبداء قال : « اذا جاز النسخ فى الاحكام ، جاز البداء فى الاخبار » .

(٥) الزيادة من س .

(٦) الزيادة من س .

(٧) سورة ق ، الآية ٢٩ .

(٨) فى الاصل : المتفاوتين ، والتصحيح من س .

فى أدب الكتاب ص ١٢٠ : « عارضت الكتاب بالكتاب انما هو عرضت ذا على ذا ، وذا على هذا حتى استويا . وعارضت دارى ببستانه : سويت بينهما فى القيمة وأخذت هذا بهذا . وعارضته فى قوله : أتيت بمثل ماقال » .

(٩) فى س : عارضت .

(١٠) فى الاصل : فيرى ، والتصحيح من س .

القول ، ويتخلص في معناه من الكذب الصراح . وذلك مثل قول بعضهم وقد سأله بعض أهل الدولة العباسية عن قوله في لبس السواد ، فقال : « وهل النور الاّ في السواد » وأراد نور العين في سوادها ، فأرضى السائل ولم يكذب . وكقول شريح[1] وقد خرج من عند عبدالملك[2] في الساعة التي مات فيها وسُئل[3] عن حاله ، فقال : « تركته يأمر وينهي » فلما فُحص عن ذلك ، قال : « تركته يأمر بالوصية ، وينهى عن النوح » . وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « رأس العقل بعد الايمان بالله ـ عز وجل ـ مداراة الناس » .

ومن المعارضة قول مؤذن يوسف ـ عليه السلام[4] ـ : « أيَّتُها العِير إنكم لسارقون »[5] ، وهم لم يسرقوا الصُّوَاع[6] ، وانما عنى سرقتهم إيّاه من أبيه .

وإذا [كان][7] الكذب انما استقبح في العقل ، وخرج عن شريعة العدل من أجل أنَّه مخالف لحقيقة الاشياء في أنفسها من غير نفع يقصد به حتى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الكذب مجانب الايمان » . وقال الله ـ عز وجل ـ : « ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذِبون »[8] . وسمّى الكاذبين ظَلَمةً ، ولعنهم ، فقال : « ويقول الاشهادُ هؤلاء الذين كَذَبوا [٥٤] على رَبِّهم ، ألا لعنةُ الله على

---

(١) هو شريح بن الحارث الكندى ، ولاه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قضاء الكوفة ، فأقام قاضيا خمسة وسبعين عاما . توفى سنة ٨٧ هـ وقد جاوز المائة سنة .

(٢) توفى عبدالملك بن مروان سنة ٨٦ هـ .

(٣) فى س : وقد سئل .

(٤) لم ترد فى س .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٧٠

(٦) فى الاصل : الصاع ، والتصحيح من القرآن الكريم (سورة يوسف ، الآية ٧٢). والصاع : مكيال لاهل المدينة يأخذ أربعة أمداد ، يذكر ويؤنث ، أما الصواع فهو أناء يشرب فيه ـ مذكر ـ . وقيل : هو الاناء الذى كان الملك يشرب منه .

(٧) الزيادة من س .

(٨) سورة البقرة ، الآية ١٠ .

الظالمين»[1] ، كان الكذب إذا اريد به الصلاح العام ، والمنفعة الحقيقية مطلقاً[2] • وقد روي : « لا كذب إلاّ في ثلاثة مواطن : كذب في حرب ، وكذب في اصلاح بين الناس ، وكذب الرجل لامرأته ليرضيها به » • وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ[3] : « الكذب كله إثم إلاّ ما نفعْت به مسلما ، أوْ دفعْتَ به عن دين » •

وليس يدخل كذب الانسان لنفع نفسه وضر غيره في هذا المعنى ، لان النفع الحقيقي هو الذي لايقع به ضرر على وجه • وقد استعمل الناس أشياء ظاهرها كذب ولهم فيها معان تخرجها عنه كتكنيتهم الصبي بأبي فلان ، وهو لم يستحق أنْ يكون أباً ، وربما توفي قبل أنْ يولد له ، وربما ولد له ولد فيسمى ولده [4] بغير ما كني به • فهذا على ظاهره كذب ، ولذلك أبَتّه رهبان النصارى وجماعة من أهل الاديان •

والذي تقصده العرب بذلك[5] في الصغير التفاؤل [له][6] بالحياة ، وطول العمر والولد • وتقصد به في الكبير وذي[7] الشرف ، التعظيم له عن التسمية باسمه ، ولذلك ترى السلطان إذا شَرَّفَ وزيراً من وزرائه ، أو ولياً من أوليائه كنّاه • وقد تجعل العرب للرجل الكنية والكنيتين والثلاث على مقدار جلالته في النفوس •

وممن كان له كنى أمير المؤمنين[8]ـ عليه السلام[9] ـ وحمزة[10]

---

(١) سورة هود ، الآية ١٨ •
(٢) أى : جائزا ومباحا •
(٣) فى س : رضى الله عنه •
(٤) فى س : وربما ولد له فسمى ولده •
(٥) فى س : تقصد به •
(٦) الزيادة من س •
(٧) فى س : وذوى •
(٨) هو الامام على ـ رضى الله عنه ـ ويكنى بأبى حسن وأبى تراب •
(٩) لم ترد فى س •
(١٠) هو عم النبى (ص) وكان يكنى بأبى يعلى وأبى عمارة •

ـ رضوان الله عليه ـ [1] [٥٥] • ومن العرب : عامر بن الطفيـــل[2] ، وعمرو بن معدي كرب[3] وغيرهما ، وذلك معروف في أخبارهم •

ومما استعملت فيه العرب أيضا[4] التفاؤل تسميتهم أبناءهم أسداً ، تفاؤلاً بالشجاعة والنجدة والبسالة ، وكلباً تفاؤلاً بالحراسة والمحافظة ، وأشباه ذلك مما سموا به •

ومما قلبوه عن معناه وسموه بغير ما يستحقه على سبيل التفـاؤل : « المفازة » ، وانما هي مهلكـــة • و « السليم » للملسوع ، وانمـــا هو التـالف •

ومما أرادوا به التعظيم لرؤسائهم أيضا « اللقب » كتلقيبهـــم بذي يزن[5] ، ومُكَلِّم الذئب[6] ، والباقر[7] ، والصادق[8] ، والرضا[9] ، وأشباه ذلك •

واللقب يجري على وجهين :

أحدهما : بالاشتقاق والتمثيل ، كتلقيبهـم الغريض بالغريض[10] لتشبيههم إياه في بياضه بالاغريض وهو الطلع[11] •

---

(١) فى س : أمير المؤمنين وحمزة ـ رضوان الله عليهما ـ •

(٢) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العـــامرى ، كان فارس قيس ، وكان أعور عقيما لا يولد له • كان يكنى فى الحرب بأبى عقيل ، وفى الاســـلام بأبى على • (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص ٢٥١) •

(٣) هو عمرو بن معدى كرب الزبيدى من مذحج ، ويكنى آبا ثور • كان من فرسان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية وأدرك الاسلام وشهد القادسية (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص ٢٨٩) •

(٤) لم ترد فى س •

(٥) لقب ملك من ملوك حمير •

(٦) لقب جد قوم من خزاعة •

(٧) لقب محمد بن على بن الحسين ـ رضى الله عنه ـ •

(٨) لقب جعفر بن محمد الباقر ـ رضى الله عنه ـ •

(٩) لقب على بن موسى الـكاظم ـ رضى الله عنه ـ •

(١٠) الغريض الاول الشخص ، والثانى اللقب •

(١١) فى اللسان (غرض) : « الغريض الطلع ، والاغريض : الطلع والبرد ، ويقال كل أبيض طرى • وقال ثعلب : الاغريض : مافى جوف الطلعة ثم شـــبه به البرد ، لا أن الاغريض أصل فى البرد • ابن الاعرابى : الاغريض الطلع حين ينشق عنـــه كافوره • قال الكسائى : الاغريض كل أبيض مثل اللبن وما ينشق عنه الطلع • قال ابن برى : والغريض أيضا كل غناء محدث طرى ، ومنه سمى المغنى الغريض ، لانه أتى بغناء محدث » •

والآخر : بالاتفاق كتلقيبهم بالقُلَيْزَر والدَّمْحاك[١] • وربما لقبوا الانسان بغير لسان العرب كتلقيبهم بالأخشيد[٢] وبرجيس[٣] •

ومما جرى من الالقاب على جهة التعظيم تلقيب الخلفاء أنفسهم ، ومن رفعوا منزلته من أوليائهم ، وذلك مشهور يغني عن تمثيله .

ومن رفعوا منزلته من أوليائهم ، وذلك مشهور يغني عن تمثيله •
ورأس الكلب[٦] ، وأنف الناقة قبل أن يُمدح بنوه بذلك[٧] .

فهذه أقسام العبارة التي يتساوى أهل اللغات في العلم بها ، فأما العرب فلهم استعمالات أُخَر من الاشتقاق ، والتشبيه ، واللحن ، [٥٦] والرمز ، والوحي ، والاستعارة ، والامثال ، واللغز ، والحذف ، والصرف ، والمبالغة ، والقطع ، [والعطف][٨] ، والتقديم والتأخير ، والاختراع . ونحن نذكرها بوجيز من القول ، ليعرفها الناظر في هذا الكتاب ، ويحيط بأقسام معاني كلٍ منها ــ ان شاء الله ــ •

فمن ذلك :

---

(١) لم نعثر على معناهما •

(٢) لقب ملك فرغانة قديما •

(٣) البرجس والبرجيس : نجم ، قيل : هو المشترى ، وقيل : المريخ • وفى الحديث ان النبى (ص) سئل عن الكواكب الخنس ، فقال : هى البرجيس وزحل وبهرام وعطارد والزهرة • (ينظر النهاية ج١ ص ١١٣ واللسان (برجس) •

(٤) الزيادة من س •

(٥) فى س : ذنب العبد •

(٦) رأس الكلب : شاعر عاش فى زمن المأمون •

(٧) أنف الناقة لقب رجل من تميم ، وكان بنوه يغضبون من هذا اللقب حتى مدحهم الحطيئة بقوله :

سيرى أمام فان الاكثرين حصا والاكرمين اذا ما ينسبون أبا
قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوى بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم جهارة • (ينظر الاغانى ط دار الكتب ج٢ ص ١٨١) وفيه أن جعفرا سمى انف الناقة لان أباه قريعا نحر ناقة فقسمها بين نسائه فبعثت جعفرا هذا أمه فأتى أباه ولم يبق من الناقة الا رأسها وعنقها ، فقال : شأنك بهذا • فأدخل يده فى انفها وجر ما أعطاه ، فسمى أنف الناقة • (وينظر محاضرات الادباء ج١ ص ٨٨) •

(٨) الزيادة من س •

الاشتقاق

وهو ما اشتق لبعض الافعال من بعض ، كما يشتق من الزيادة اسم « زيد » و« زياد » و« مزيد » و« يزيد » . وهو مأخوذ من شقـّكَ الثوبَ أو الخشبة ، فيكون كل جزء منهما مناسبا لصاحبه في المادة والصورة[1] .

وللاسماء[2] والافعال في العربية أبنية يحتاج الى معرفتها في الاشتقاق والتصريف . فمن ذلك الاسماء ، وأقل ماجاء منها على حرفين مثـــل : « مَنْ » و « ما » ، وأشباه ذلك[3] . وليس يجوز أن يكون اسم على أقل[4] من حرفين ، لانّ المتكلم لايجوز له أنْ يبتدىء نطقه إلا بمتحرك ، ولا أن يقف إلاّ على ساكن ، وصار[5] أقل الاسماء على حرفين لذلك . ولما أُشبه ماكان على هذا المثال حروف المعاني مُنِع من التصرف ، وجعل مَبْنيا . وأصل البناء على السكون[6] إلاّ ماكان قبل آخره ساكن فيُحرك لالتقاء الساكنين . فأما ما بُني[7] على الفتح فلخفة الفتحة نحو « كيفَ » .

---

(1) أدخل السكاكي الاشتقاق في التجنيس ، وعقد له بعضهم - كالوطواط - فصلا مستقلا . وعرف قدامة بن جعفر المجانس بقوله : « وأما المجانس فان تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق » (نقد الشعر ص ٩٣) .

(٢) في س : قال : وللاسماء ...

(٣) في س : وما أشبه .

(٤) في س : أقل من حرفين .

(٥) في س : فصار .

(٦) قال ابن مالك في الالفية : « والاصل في المبني أن يسكنا » ولكن المرحـــوم ابراهيم مصطفى نقض ذلك في كتابه « احياء النحو » .

(٧) في س : يبنى .

و « أينَ » و [أمامَ][١] . وأمَّا ما بُني على الكسر [فلأنّ الساكن إذا حُرِّك حرك الى الكسر][٢] مثل : « أمس » و « حذامِ » . وأما ما بني[٣] على الضم فما أُعرِبَ في بعض الاماكن مثل « قبلُ » و « بعدُ » ، فانك اذا أضفتهما [٥٧] أعربتهما ، وإذا أفردتهما بنيتهما على الضم فرقاً بينهما وبين ما لا يعرب على حال . وشرح هذا في كتب اللغة ، وهو يغنينا عن الاطالة فيه .

ثم يلي ذلك الثلاثي ، وهو ما بني على ثلاثة أحرف ، وله عشرة أمثلة : « فَعُل » مثل : رَجُل ، و « فَعَل » مثل : جَمَل ، و « فَعِل » مثل : كَتِف ، و « فُعْل » مثل : بُرْد ، و « فَعْل » مثل : كَبْش ، و « فِعْل » مثل : عِطْر ، و « فُعُل » مثل : عُنُق ، و « فِعَل » مثل : عِنَب[٤] ، و « فُعَل » مثل : صُرَد ، و « فِعِل » مثل : إبِل .

ثم يلي ذلك الرباعي[٥] ، وهو على خمسة أبنية : « فُعْلُل » مثل : جُلْجُل[٦] ، و « فَعْلَل » مثل : جَعْفَر ، و « فِعْلِل » مثل : سِمْسِم ، و « فِعْلَل » مثل : دِرْهَم ، و « فِعَلّ » مثل : قِمَطْر[٧] .

ثم يلي ذلك الخماسي[٨] ، وله أربعة أمثلة : « فَعَلَّل » مثل : سَفَرْجَل ، و « فَعْلَلّ » مثل : جِرْدَحْل[٩] ، و « فَعْلَلِل » مثل : جَحْمَرِش[١٠] ، و « فُعَلِّل » مثل : خُزَعْبِل[١١] .

---

(١) الزيادة من س .
(٢) الزيادة من س .
(٣) فى س : يبنى .
(٤) فى س : وفعل ـ مثل عضد . وقد تقدم هذا البناء فى (رجل) .
(٥) فى س : ثم تلى ذلك بالرباعى .
(٦) الجلجل : الجرس الصغير ، ج : الجلاجل .
(٧) القمطر : ماتحفظ فيه الكتب ، ج : قماطر .
(٨) فى س : ثم تلى ذلك بالخماسى .
(٩) الجردحل : الوادى ، والضخم من الابل .
(١٠) الجحمرش : العجوز الكبيرة .
(١١) الخزعبل : الباطل من الكلام .

وسائر الاسماء التي تجاوز خمسة أحرف فانها تلحقها زيادات ليست من بناء الاسم ، مثل « عنكبوت » ، وأشباهه ٠

والحروف التي تسمى حروف الزوائد عشرة وهي : الهمزة ، واللام ، والياء ، والواو ، والميم ، والتاء ، والنون ، والسين ، والالف ، والهاء [1] ٠

وليس يأتي في الافعال السالمة شيء على أقل من ثلاثة أحرف ولا أكثر من أربعة أحرف إلاّ مالحقته الزيادة ٠

والثلاثي[2] ثلاثة أبنية [٥٨] ، وهي : « فَعَلَ » مثل : ضَرَبَ ، و « فَعُلَ » مثل كَرُمَ ، و « فَعِلَ » مثل : عَلِم ٠ فأما « فُعِلَ » لما لم يُسَمَّ فاعله ك « ضُرِبَ » فليس بأصل ، ولكنه يدخل على[3] كل بناء ٠

والرباعي السالم له بناء واحد ، وهو « فَعْلَلَ » مثل : دَحْرَجَ ، وإذا لحقته الزوائد صارت خمسة عشر بناءاً ، وصار جميعها مع مالا زيادة فيه من الثلاثي والرباعي تسعة عشر بناء[4] ٠

فمن الأبنية التي تلحقها الزوائد تسعة أبنية في أولها الهمزة ، وهي ألف الوصل ، وهي « اْفتَعَلَ » نحو : افتقد[5] ، و « اسْتَفْعَلَ » نحو استخرج ، و « اْنفَعَلَ » نحو : انطلق ، و « اْفعَنْلَلَ » نحو اْحرَنجم[6] ، و « افْعَلّ » نحو : اْحمَرّ ، و « افعالّ » نحو :

---

(١) وقد جمعت فى قولهم : « سالتمونيها » ٠ وجمعها بعضهم فى « أمان وتسهيل » وجمعها بعضهم فى « هويت السمان » ٠ (ينظر المنصف لابن جنى ج١ ص ٩٨ ، وأبنية الصرف فى كتاب سيبويه ص ٩٥-٩٦) ٠

(٢) فى س : وللثلاثى ٠

(٣) فى س : فى ٠

(٤) لم ترد عبارة : « وصار جميعها ٠٠٠ تسعة عشر بناء » فى س ٠

(٥) فى س : افتقر ٠

(٦) احرنجم : أراد الامر ثم رجع عنه ٠

احمارّ ، و « افعوّل » نحو : اخروّط[١] ، و « افْعَوْعَل » نحو : اغْدَوْدَن[٢] ، و « افْعَللّ » نحو : اقشعَرّ .

وبناء واحد في أوله الف القطع ، نحو : أخْرَج .

وخمسة لا ألف في أوائلها وهي : « فاعَل » مثل : قاتَل ، و « تَفاعَل » مثل : تغافَل ، و « فَعَّل » مثل : كَسَّر ، و « تَفَعَّل » مثل : تكَسر ، و « تَفَعْلَلَ » مثل : تدحرَج .

ولكل زيادة من هذه الزيادات معنى تحدثه في الفعل إذا دَخَلَتْه ، وذلك مثل قولنا : « خرج زيدٌ » فهذا بلا زيادة . ويدلنا على خروج زيد بارادته ، فاذا قلنا : « أخْرج زيدٌ عمراً » فزدنا ألف القطع كان المخرِجُ له[٣] غيرَه ، وكقولنا : « قال زيدٌ خيراً » . فاذا بنَيْنا من ذلك « فاعَل »[٥٩] قلنا : « قاول زيدٌ عمراً » فصار الفعل من اثنين ، فَعل كل واحد منهما بصاحبه كفعل صاحبه به . وكقولنا : « كسر زيدٌ القَدَحَ » ، فيدل على وقوع الكسر به ، فاذا قلت : « كَسَّرَ زيدٌ القَدَح » دللت على ترداده الفعل وتكراره . وتقول : « اعتَلّ زيدٌ » فيدل على علته ، فاذا قلت : « تعالّ زيدٌ[٤] » دللت على أنه أظهر علته وليس بعليل . فكذلك كل مثال من هذه الامثلة يفيد معنى ليس في الآخر . فاذا أردت أنْ تشتق من « الانطلاق » اسماً للفاعل قلت : « مُنْطَلِق » ، فاذا[٥] أردت أن تشتق منه اسماً للمفعول بـه قلت : « مُنْطَلَق به » ، وإنْ أرَدْت أن تشتق منه فعلا ماضياً قلت : « انْطَلَقَ » ، وإنْ أردت أن تشتق منه فعلاً مستقبلا قلت : « يَنْطَلِق » ، فاذا[٦] أردت أن تأمر منه قلت : « انْطلِقْ » ، فاذا نهيت عنه قلت : « لا تَنْطَلِقْ » .

---

(١) اخروط : أسرع فى السير .

(٢) اغدودن : طال ونما ، والمغدودن من الشجر : الناعم المتثنى ، ومن النـــاس : الشاب الناعم .

(٣) فى س : لعمرو غيره .

(٤) فى الاصل وأصل س : تعالل ، بفك الادغام .

(٥) فى س : فان .

(٦) فى س : فان .

فهذه أوجه الاشتقاق في الاسماء والافعال •

فأما الامر : فكل فعل كان ثاني[1] مستقبله متحركا ، فانك تسقط علامة الاستقبال منه وتقر الباقي على بنائه فيكون أمراً ، مثل : « دَحْرَجَ - يُدَحْرِجُ » الامر فيه : « دَحْرِجْ » • وما كان ثاني مستقبله ساكنا فلست تصل الى النطق به مبتدئاً فلا بُدَّ من أنْ[2] تدخل الهمزة للتوصل بها الى النطق • وتسمى ألفاً على المجاز لا على الحقيقة ؛ لان الالف [٦٠] لا تكون إلاّ ساكنة • فما كان من الرباعي فهي ألف قطع مثل : « أخْرَجَ - يُخْرِجُ » فيكون الامر[3] : « أخْرِجْ » ، وهذه ألف مفتوحة على كل حال • وما كان من ذلك في الثلاثي فهي ألف وَصْل ، وحركتها فيما كان ثالثه مضموماً في المستقبل بالضم نحو قولك في « يَخْرُجُ » : أُخْرُجْ • وفيما كان [ثالث][4] مستقبله مفتوحاً أو مكسوراً بالكسر نحو قولك في « ضَرَبَ - يَضْرِبُ » : اِضْرِبْ ، وفي « نَفَعَ - يَنْفَعُ »: اِنْفَعْ • وليس يجيء « فَعَلَ - يَفْعَلُ » إلاّ فيما كان موضع عين الفعل فيه أوْ لامها أحد حروف الحلق ، فأمّا ماليس فيه حرف من حروف الحلق فانما يجيء على « يَفْعِلُ » بالكسر ، أو « يَفْعُلُ » بالضم إلاّ أحرفاً جئن نوادر ، منها : « أَبى - يأبى » و « رَكَنَ - يَرْكَنُ » و« قَلَى - يَقلَى » ، و « غَشَى الليلُ - يَغْشَى » إذا أظلم[5] •

والمعتل من الافعال ما كان في موضع الفاء منه أو العين[6] أو اللام حرف من حروف المد واللين ، وهي : الواو ، والالف ، والياء[7] • ولها أحكام في التصريف إنْ أردنا أنْ نستوعبها طال بها الكتاب ، لكنا نذكر جملا من ذلك تَدِلّ ذا القريحة على باقيها •

---

(١) في س : يأتي •
(٢) في الاصل : فلا بد أن ، والزيادة من س •
(٣) في س : فتكون في الامر •
(٤) الزيادة من س •
(٥) قال تعالى في سورة الليل ، الآية ١ : « والليل اذا يغشى » •
(٦) في س : موضع العين أو الفاء •
(٧) في س : الالف والياء والواو •

بناء ما اعتلت فاؤه

كل واو كانت فاءَ الفعل ، وكان الماضي منه على « فَعَلَ » والمستقبل على « يَفْعِل » ، فانها تسقط في المستقبل مثل : « وَعَدَ - يَعِدُ » ، و « وَزَنَ - يَزِنُ » . وإن[1] [٦١] كان مستقبله على « يَفْعُل » وماضيه على « فَعُل » صَحَّت ، نحو : « وَضُؤَ - يوْضُؤ » ، وان[2] كان ماضيه على « فَعِلَ » ومستقبله على « يَفْعَل » صَحَّت ، نحو : « وَلِعَ - يَوْلَع » و « وَجِلَ - يَوْجَلُ » .

بناء ما اعتلت عينه

كل واو تكون عيناً للفعل الذي على « فَعَل » فانها تجعل في الماضي ألفاً لفتحةِ ما قبلها ، وتسكن في المستقبل وتصح ، نحو : « قال - يقول » و« عال - يعول » . وكذلك الياء إذا وقعت هذا الموقع نحو : « باع - يبيع» و « كال - يكيل » . وتسقط الواو في المفعول منه نحو : « مقول » و « مكيل » ، والاصل : « مكيول » ، و « مقوول[3] » . وكل واو وياء تحركتا بأي حركة كانت ، وقبلهما فتحة فانهما تُقلبان ألفاً نحو : « طال » و « نام » . واذا اجتمعت الواو والياء وسبُقت الاولى منهما بالسكون قَلبت الواو ياء وادغمت في الاولى فمما سبقت الياءُ الواوَ فيه ، قولهم : « سَيِّد»، وأصله : « سَيْوِد » .

ومما سبقت فيه الواوُ الياءَ قولهم : « لويته ليّاً » ، وأصله : « لَوْياً » . وكل واو أو ياء وقعتا بعد ألف زائدة جاز أنْ تبدل همزة نحو : « قائم » و « هائم » ، وكل واو انضمت وهي أول الفعل فهمزتها جائزة نحو « أُقِّتَتْ » و « وُقِّتَتْ » ، و « أُجِّلَت » و « وُجِّلَت » ، وكل

---

(١) فى س : فان .

(٢) فى س : فان .

(٣) فى الاصل : مبيوع ، والتصحيح من س .

واو انكسرت في أول الحرف فهمزتها جائزة[١] ، نحو : « وِشاح » و « إِشاح »[٢] و « وكاف » و « إِكاف »[٣] .

بناء ما اعتلت لامه

كل واو وياء في آخر الفعل سُكّنتا وانضم ما قبل الواو وانكسر ماقبل الياء صحتا ، نحو [٦٢] . « يَغْزو » و « يحمي »[٤] . فان كانت في الاسماء وانكسر ما قبلها اسكنت في الخفض والرفع[٥] ، وفتحت في النصب نحو : « قاضٍ » و « رأيتُ قاضياً » . فاذا اضيف ذلك أوْ دخلته الالف واللام صحتا ، وكل واو في آخر الفعل قبلها ضمة ، أو ياء قبلها كسرة فانهما تسكنان في الرفع وتفتحان في النصب ، وتحذفان في الجزم نحو « زيد يغزو » و « لن يغزوَ » و « لم يَغْزُ » . وانْ كانت في آخره ألف ساكنة أقرت على سكونها في الرفع والنصب ، وحذفت في الجزم ، نحو : « زيدٌ يَسْعَى ، ويخشَى » و « لن يَسْعَى ، ولم يَسْعَ » .

---

(١) فى س : فهمزها جائز .

(٢) الوشاح : شبه قلادة من نسيج أو جلد عريض يرصع بالجوهر ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .

(٣) الوكاف : برذعة الحمار .

(٤) فى س : نعدو ونمضى .

(٥) فى س : الرفع والخفض .

التشبيه

وأما التشبيه فمن أشْرف كلام العرب[1] . وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وكلما كان المشبِّه منهم في تشبيهه ألطف ، كان بالشعر أعرف ، وكلما كان الى المعنى أسبق ، كان بالحذق أليق .

والتشبيه ينقسم قسمين[2] : فتشبيه الاشياء في ظواهرها وألوانهـا ومقدارها[3] ، كما شبهوا اللون بالخمر ، والقدّ بالغصن . وكما شبه الله ــ عز وجل ــ[4] النساء في رقة ألوانهن بالياقوت[5] ، وفي نقـاء أبشارهن بالبَـيْض . قال تعالى : « كأنهنَّ بَـيْضٌ مكنونٌ »[6] . وكما قال الشاعر: [من البسيط]

كأنّ بَـيْضَ نعام في ملاحفها ... اِذا اجتلاهن قيظ ليله وَمِـدُ[7]

وقال آخر : [من الطويل]

---

(١) كان التشبيه من أوائل الموضوعات التى بحثت فى البلاغة ، لانه أكثر الفنون فى الـكلام ، يقول المبرد فى الـكامل ج ٣ ص ٨١٨ : « والتشبيه جار كثير فى الكلام ــ أعنى كلام العرب ــ حتى لو قال قائل : « انه أكثر كلامهم » لم يبعد » .

(٢) لم يقسم قدامة التشبيه هذا التقسيم (ينظر نقد الشعر ص ١٢٢) .

(٣) فى س : وأقدارها .

(٤) لم ترد فى س .

(٥) قال تعالى فى سورة الرحمن ، الآية ٥٨ : « كأنهن الياقوت والمرجان » .

(٦) سورة الصافات ، الآية ٤٩ .

(٧) كذا فى الاصل و س ، أما فى اللسان (ومد) : اذا اجتلاهن قيظا ليله ومد . والبيت للراعى يصف امرأة .
الومد والومدة ــ بالتحريك ــ : شدة حر الليل .

أيا شِبْـــهَ ليـلى لا تُراعي فانني
لك اليومَ من بين الوحوش صديقْ
فعينـاكِ عيناهـا ، وجيـدُكَ جيدُهـا
ولـكنَّ عَـظْمَ الساق منكِ دقيق[١]

[٦٣]

وقال آخر : [من الطويل]

وَرَدْتُ اعتسـافاً والثريا كأنَّهـــا
على قِـمَّـةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ مُـحَلِّـقُ[٢]

ومنه تشبيه في المعاني كتشبيههم الشجاع بالاسد ، والجواد بالبحر ، والحسن الوجه بالبدر • وكما شبه الله ـ عز وجل[٣] ـ أعمال الـكافرين في تلاشيها مع ظنّهم أنّها حاصلة لهم ، بالسراب الذي إذا دخله الظمآن الذي قد وعد نفسه به لم يجده شيئاً[٤] وكما شبه من لاينتفع بالموعظـــة بالاصم الذي لا يسمع ما يخاطب به[٥] • وشـبه من ضَــــلّ عن طريق الهدى بالاعمى الذي لايُبصر ما بين يديه[٦] • وفي هذا النوع من التشبيه قال الشاعر[٧] [من الطويل] :

---

(١) كذا فى الاصل ، أما فى س : خلا أن عظم •••
وفى ديوان مجنون ليلى ص ٢٠٧ : سوى أن عظم •

(٢) كذا فى الاصل وس وديوان ذى الرمة ص ٤٠١ وكتاب التشبيهات ص ٥ ، أما فى اللسان (عسف) : على هامة ••
اعتسافا : على غير اهتدائه • ابن ماء : طير من الطيور • محلق : عال ، مرتفع •

(٣) لم يرد فى س •

(٤) قال تعالى فى سورة النور ، الآية ٣٩ : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا . ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب » •

(٥) قال تعالى فى سورة يونس ، الآية ٤٢ : « أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون » ومثلها كثير •

(٦) قال تعالى فى سورة فصلت ، الآية ١٧ : « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » • ومثلها كثير •

(٧) فى س : ومن هذا النوع من التشبيه قول الشاعر •

فانَّك كالليــلِ الذي هو مُدْركي
وإنْ خلْت أنّ المنتأى عَنْكَ واسع[1]

وقال آخر غيره : [من الطويل]

هو البحرُ من أي النواحي أتَيْتَه
فلُجَّتُه المعروف ، والجودُ ساحِلُه
فلو لم يكن في كَفِّه غيرُ نفســه
لجـاد بهـا ، فليتقِ اللهَ سائِلُه[2]

وهذا كثير في القرآن والشعر ، وما ذكرنا منه دليل على ما تركنــا ـ انْ شاء الله ـ .

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى (ينظر ديوانه ص ١١٤) .
(٢) لم يرد البيت الثانى فى س . وهما لزهير بن أبى سلمى (ينظر هامش ص ١٤٢ من شرح ديوان زهير بن أبى سلمى) .

اللحن

وأما اللحن فهو التعريض بالشيء من غير تصريح ، أو الكناية عنه بغيره[1]. وكما قال الله ـ عز وجل ـ : « ولو نشاءُ لأريناكَهُمْ فلعرفْتَهم بسيماهم ، ولتعرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ القَوْلِ »[2] .

والعرب تفعل ذلك لوجوه ، تستعمله في أوقات ومواطن ، فمن ذلك ما استعملوه للتعظيم ، أو للتخفيف ، أو للاستحياء ، أو للبُقيا ، أو للانصاف ، أو للاحتراس . [٦٤]

فأما مايستعمل من التعريض للاعظام فهو أن يريدَ مريدٌ تعريف ما[3] فوقه قبيحاً إنْ فعله فيعرّض له بذلك[4] من فعل غيره ، ويقبّح له ما ظهر منه فيكون قد قَبَّح له ما أتاه من غير أنْ يواجهه به . وفي ذلك يقول الشاعر : [من الطويل]

---

(١) لم يذكره قدامة فى نقد الشعر ، وذكر الارداف (ص ١٧٨) ، وهو قريب من الكناية . وتحدث ابن الاثير فى المثل السائر ج ٢ ص ١٩١ عن الكناية والتعريض وفصل بينهما . وفى أدب الكتاب للصولى ص ١٣٠ : « يقال : لحن يلحن لحنا ، فهو لاحن : اذا أمال الصواب عن جهة الى جهة أخرى . وأما قوله ـ عز وجل ـ : « ولتعرفنهم فى لحن القول » فان الكلبى يقول : فى لحنه : فى مداره . قال : وحقيقته فى اللغة : امالة الشىء عن جهته ، اما لخطأ أو عمد » .

(٢) سورة محمد ، الآية ٣٠ .

(٣) فى س : من .

(٤) فى س : بذكر ذلك .

ألا رُبَّ من أطنبتُ في ذمِ غيره
لديه على فِعلٍ أتاه على عَمْدِ
ليعلمَ عند الفكرِ في ذاك انما
نصيحته فيما خطبتُ به قصْدي(١)

وأما التعريض للتخفيف : فهو أنْ يكون لك الى رجل حاجة فتجيئه مُسَلِّما ولا تذكر حاجتك ، فيكون ذلك اقتضاءاً له وتعريضاً بمرادك منه • وفي ذلك يقول الشاعر : [من الطويل]

أروح بتسليمٍ عليك وأغتدي وحَسْبُك بالتسليم مني تقاضيا(٢)

وأما التعريض للاستحياء ، فالكناية عن الحاجة بالنجو والعذرة • والنجو : المكان المرتفع ، والعذرات : الافنية • وبالغائط ، وهو الموضع الواسع ، فكنى عن الحاجة بالمواضع التي تقصد لوضعها فيها • وكما كنَّى عن الجماع بالسر ، وعن الذكر بالفَرْج ، وانما الفرج ما بين الرجلين • وكما تقول لمن كذب : « ليس هذا كما يقال »(٣) •

فأما (٤) التعريض للبُقيا ، فمثل تعريض الله ـ عز وجل ـ بأوصاف المنافقين ، وامساكه عن تسميتهم ابقاءاً عليهم وتألفاً لهم • ومثل تعريض الشعراء بالديار ، والمياه ، والجبال ، والاشجار ، بُقْيا على ألافهم ، وصيانة لاسرارهم ، وكتمانا [٦٥] لذكرهم • ومنه قول الشاعر :[من الطويل]

(١) لم نعثر على قائلهما •
(٢) كذا فى الاصل ، أما فى س والكامل ج ١ ص ١٤٨ : أروح لتسليم • وبعده :
كفى بطلاب المرء ما لا يناله عناء وباليأس المصرح ناهيا
وقد ذكرهما المبرد فى الكامل (ج ١ ص ١٤٨) ولم يذكر قائلهما • وفى الكشاف للزمخشرى ج ١ ص ٢١٥ : « فان قلت : أى فرق بين الكناية والتعريض ؟ قلت : الكناية أن تذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له كقولك : طويل النجاد والحمائل لطويل القامة ، وكثير الرماد للمضياف • والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شىء لم تذكره ، كما يقول المحتاج للمحتاج اليه : جئت لاسلم عليك ، ولانظر الى وجهك الكريم ، ولذلك قالوا :
وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
(وينظر ديوان المعانى ج١ ص١٦٨) •
(٣) فى س : تقول •
(٤) فى س : واما •

أيا أثلاث القاعِ من بطنِ تُوضح حنيني الى أفيائِكُنَّ طويل[1]

ومنه قول الآخر : [من الطويل]

ألا يا سيالات الرحائل باللوى عليكن من بين السيال سلام[2]

وهذا باب تكثر فيه الشواهد من الشعر وغيره . وقد صَرَّح بعض الشعراء عن المراد منه فقال : [من الطويل]

أدُورُ ولولا أنْ أرى أُمَّ جَعْفَرٍ
بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ[3]

وأما التعريض للانصاف فكقول الله ـ عز وجل ـ : « وإنّا أوْ إياكم لعلى هُدى ، أوْ في ضلالٍ مُبين »[4] . ومنه قول حسان بن ثابت في مناظرته[5] بعض من هجا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[6] [من الوافر]

أتَهْجوه ولَسْتَ له بكُفْءٍ فَشَرُّكما لخيركما الفداءُ[7]

---

(١) البيت ليحيى بن طالب الحنفى . توضح : كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة ، وقيل هى من قرى قرقرى باليمامة . والبيت من أبيات قالها الشاعر حينما وصل الى خراسان . جاء فى معجم البلدان (قرقرى) : « كان يحيى بن طالب الحنفى مولى لقريش باليمامة ، وكان شيخا فصيحا دينا يقرىء الناس ، وكان عظيم التجارة ، فخرج الى خراسان هاربا من الدين فلما وصل الى قومس قال :

أقول لاصحابى ونحن بقومس ونحن على أثباج ساهمة جرد
بعدنا وبيت الله عن أرض قرقرى وعن قاع موحوش ، وزدنا على البعد

فلما وصل الى خراسان قال : أيا أثلاث القاع ... الابيات . (وينظر معجم البلدان توضح) .

(٢) سيالات : واحدتها سيالة ، ما طال من السمر ، والسمر شجر صغار الورق (اللسان) .

(٣) البيت للاحوص . (ينظر الكامل ج٢ ص٥٠٢) .

(٤) سورة سبأ ، الآية ٢٤ .

(٥) فى س : مناضلته .

(٦) فى س : عليه السلام .

(٧) ينظر ديوان حسان بن ثابت ص ٩ وأدب الكتاب ص ١٥٤ ، وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٢٤ ، وفيها : « وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الانصارى :

عفت ذات الاصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء

وأما التعريض للاحتراس ، فهو ترك مواجهة السفهاء والانذال بما يكرهون ، وانْ كانوا لذلك مستحقين ، خوفاً من بوادرهم وتسرعهم ، وإدخال ذلك عليهم بالتعريض والكلام اللين . وفي ذلك يقول الله - عز وجل - : « ولا تَسُبُّوا الذين يَدْعونَ من دُون الله ، فيسبّوا الله عَدْواً بغيرِ علمٍ »[1] . وقال لموسى وهارون في فرعون : « فقولا له قَوْلاً ليّناً ، لعله يَتَذكَّرُ أو يَخْشَى »[2] .

---

(١) سورة الانعام ، الآية ١٠٨ .
(٢) سورة طه ، الآية ٤٤ .

الرمـز

وأما الرمز فهو ما أُخفي من الـكلام • وأصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم(١) ، وهو الذي عناه الله ـ عز وجل ـ بقوله : [٦٦] « قال : ربِّ اجْعَلْ لي آيةً ، قال : آيتك ألاّ تـكلمَ الناسَ ثلاثةَ أيام اِلاّ رَمْزاً »(٢) •

وانما يستعمل المتكلمُ الرمزَ [في كلامه](٣) فيما يريد طيه عن كافة الناس والافضاء به الى بعضهم فيجعل للكلمة أو للحرف اسـماً من أسماء الطيور والوحش ، أوْ سائر الاجناس ، أو حرفـاً من حروف المعجم ، ويطلع على ذلك الموضع من يريد افهامه رمزه(٤) ، فيكون ذلك قولاً مفهوماً بينهما ، مرموزا عن غيرهما . وقد أتى في كتب المتقـدمين والحكماء والمتفلسفين من الرموز شيء [كثير](٥) وكان أشدهم استعمالا للرمز افلاطون •

وفي القرآن من الرموز أشياء عظيمة القدر ، جليلة الخطر ، قـد تضمنت علم ما يكون في هذا الدين من الملوك والممالك والفتن والجماعات،

---

(١) لم يبحثه قدامة في نقد الشعر •
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٤١ •
(٣) الزيادة من س •
(٤) لم ترد في س •
(٥) الزيادة من س •

ومُدَد كل صنف من ذلك وانقضائه ، ورمزت بحروف المعجـــم[1] ، وغيرها من الاقسام ، كالتين والزيتون[2] ، والفجر[3] ، والعاديات[4] ، والعصر[5] ، والشمس[6] . واطلع على علمها الائمــة المُسْتَـوْدَعون علم القرآن . ولذلك قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ[7] : « ما مِنْ مائة تخرج الى يوم القيامة ، إلاّ وأنا أعلم قائدها ، وباعثها[8] ، وأين مستقرها من جنة أو نار » .

وروي عن ابن عباس [رضي الله عنه][9] أنه سُئل عن : ألم ، وحم ، وطسم[10] ، وغير ذلك مما في القرآن من هذه الحروف فقال : « ما أنزل الله كتابا إلاّ وفيه سر ، وهذه أسرار القرآن » . وهي حروف الجُمَّل ، [ومنها كان عليّ يعلم حساب الفتن .

فهذه الرموز هي أسرار آل محمد ، ومن استنبطها من ذوي الامر وقف عليها ، فعلمَ جليلَ ما أودعهم الله إياه من الحكمة . وقـد ذكرنا مما تأدى الينا من تفسير ذلك في كتابنا الذي لقبناه ب « أسرار القرآن»[11] ما أغنى عن أعادته هاهنا . فان رغبْتَ في النظر فيه فاطلبه تقف عليـــه ـ ان شاء الله ـ][12] .

---

(١) كقوله تعالى : الم . حم . طسم .....

(٢) الآية الاولى من سورة التين وهى : « والتين والزيتون » .

(٣) الآية الاولى من سورة الفجر .

(٤) الآية الاولى من سورة العاديات وهى : « والعاديات ضبحا » .

(٥) الآية الاولى من سورة العصر .

(٦) الآية الاولى من سورة الشمس وهى : « والشمس وضحاها » .

(٧) فى س : رضى الله عنه .

(٨) فى س : وناعقها .

(٩) الزيادة من س .

(١٠) ينظر الكشاف للزمخشرى ج١ ص١٦ وما بعدها ، والبرهان للزركشى ج١ ص١٦٤ . ان الاعتقاد بازلية هذه الاحرف قد أحاطها بجو من التورع عن تفسيرها والتخوف من ابداء رأى صريح فيها ، فهى من المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله ، وهى ـ كمـــا قال الشعبى : « سر هذا القرآن » . وفى هذا المعنى قول على بن أبى طالب (رضى) : « ان لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى » . وقول أبى بكر الصديق (رضى) : « فى كل كتاب سر ، وسره فى القرآن اوائل السور » ينظر الاتقان ج٢ ص٨ ، وتفسير المنار ج٨ ص ٣٠٢ ، ومباحث فى علوم القرآن (الطبعة الرابعة) ، ص ٢٣٤ وما بعدها ، فصـــل « لمحة خاطفة عن فواتح السور » .

(١١) لم يذكر هذا الكتاب فى قائمة مؤلفات قدامة بن جعفر .

(١٢) الزيادة من س .

الوحي

وأما الوحي فانّه الابانة عما في النفس بغير المشافهة [٦٧] على أي معنى وقعت[١] : من ايماء ، واشارة ، ورسالة ، وكتابة[٢] ، ولذلك قال الله ـ عز وجل ـ : « وما كان لبشر أنْ يكلمَه اللهُ إلاّ وَحْيا »[٣] .

وهو على وجوه كثيرة : فمنه الاشارة[٤] كما قال الله ـ عز وجل ـ: « فخرج على قومه من المحرابِ ، فأوحى اليهم أنْ سبّحوا بُكْرَةً وعَشيّا »[٥] .

ومنه الوحي المسموع من المَلَك كقول الله ـ عز وجل ـ : « إنْ هو إلاّ وَحْيٌ يُوحى . عَلّمه شديدُ القُوى »[٦] .

ومنه الوحي في المنام ، وهو الرؤيا الصحيحة كما قال الله ـ سبحانه ـ[٧] : « وأوْحينا الى أمّ موسى أنْ أرْضِعيه »[٨] ، ولذلك

---

(١) لم يذكره قدامة فى نقد الشعر .

(٢) فى س : من ايماء ورسالة واشارة ومكاتبة .

(٣) سورة الشورى ، الآية ٥١ .

(٤) ذكرها قدامة فى نقد الشعر ص١٧٤ وقال : « ومن انواع ائتلاف اللفظ والمعنى الاشارة ، وهو ان يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بايماء اليها أو لمحة تدل عليها ، كما قال بعضهم ، وقد وصف البلاغة فقال : هى لمحة دالة » .

(٥) سورة مريم ، الآية ١١ .

(٦) سورة النجم ، الآيتان ٤ ، ٥ .

(٧) فى س : تعالى .

(٨) سورة القصص ، الآية ٧ .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الرؤيا الصالحة جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة »[١] .

ومنه الالهام كما قال الله ـ عز وجل ـ[٢] : « وأوحَى ربُكَ الى النَحْلِ أن اتخِذي من الجبال بُيُوتاً ، ومن الشجرِ »[٣] أي : ألهمها .

ومنه الكتاب ، ويقال[٤] منه : « وحيت الكتاب » إذا كتبته[٥] .

قال الشاعر : [من البسيط]

ما هيَّجَ الشوق من أطلال دارسة
أضحت قفاراً كوحي خَطَّه الوحي[٦]

ويقال منه : وحيت أحي ، كما يقال : وفيت أفي .

ومن الوحي الاشارة باليد ، والغمز بالحاجب ، والايماض بالعين[٧] كما قال الشاعر : [من الطويل]

وتُوحي اليه باللحاظ سلامَها مخافةَ واشٍ حاضرٍ ورقيب

---

(١) كذا فى الاصل وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٨٣ ، اما فى س : من ستة واربعين . وجاء فى سنن ابن ماجة ج٢ ص ١٢٨٢ : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة » و « رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة » و « رؤيا الرجل المسلم الصالح جزء من سبعين جزءا من النبوة » .

(٢) فى س : عز وجهه .

(٣) سورة النحل : الآية ٦٨ .

(٤) فى س : يقال منه .

(٥) قال الصولى فى أدب الكتاب ص١١٥ : « ووحيت الكتاب ـ أحيه ـ وحيا : كتبته . وكتاب موحى ومكتوب بمعنى . فوحيت : كتبت ، وأوحيت : أعلمت وأشرت . وقد قيل فى هذا : وحيت وأوحيت ، فاما فى الكتاب فوحيت ، قال الشاعر :

ما هيج الشوق من الاطلال أضحت قفارا لوحى الواحى

واذا اردت أن تكتب من هذا قلت : يا واحى حه . أثبت الهاء ، اذ كانت العرب لا تتكلم بحرف واحد ، ويا واحيان حيا ، ويا واحون حوا . واذا أمرت من أوحيت قلت : يا موحى اوح ، ويا موحيان أوحيا ، ويا موحون اوحوا » .

(٦) فى الاصل ، وفى أدب الكتاب للصولى ص ١١٥ ، قال الشاعر :

ما هيج الشوق من الاطلال أضحت قفارا لوحى الواحى

(٧) قال الجاحظ فى البيان والتبيين ج١ ص ٧٧ : « فأما الاشارة فباليد ، وبالراس ، وبالعين ، والحاجب ، والمنكب ، اذا تباعد الشخصان ، وبالثوب وبالسيف » .

وقال آخر : [٦٨] [من الطويل] :

أشــارت بطرف العين خِيفةَ أهلهـا
إشـــارةَ محزونٍ ولم تتــكلم

وأيقـنتُ أنّ الطـرْفَ قد قال : مَرْحَباً
وأهْـلاً ، وسهلاً بالحبيبِ المسلمِ[١]

وقال آخر : [من الطويل]

أشـــارت بأطرافٍ كأنّ بنانَهـــا
أنابيبُ دُرّ قُمعَتْ بعقيـــق

وقالت : كلاك الله في كــل مشهــدٍ
مكانُك في قلبـــي مــكانُ شقيقِ

فهذا ما في الوحي والاشارة[٢] .

---

(١) كذا فى الاصل و س ، اما فى البيان والتبيين ج١ ص ٧٨ وشرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ص١٩٦ : المتيم . والبيتان من قصيدة لعمر بن أبى ربيعة مطلعها :
ألا قل لهند : احرجى وتأثمى ولا تقتلينى ، لا يحل لكم دمى
(٢) لم ترد فى س .

الاستعارة

وأما الاستعارة فانما احتيج اليها في كلام العرب ؛ لانّ الفاظهم أكثر من معانيهم[1] • وليس هذا في لسانٍ غير لسانهم ، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ربما كانت مفردة له ، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره ، وربما استعملوا[2] بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز ، فيقولون[3] اِذا سأل الرجلُ الرجلَ شيئاً فبخل به عليه : « لقد بخّله فلان » ، وهو لم يسأله ليبخل ، وانما سأله ليعطيه ، لكن البخل لما ظهر منه عند مسأَلَته اِياه جاز في توسعهم ومجاز قولهم أنْ ينسب ذلك اليه • ومنه قول الشاعر : [من المتقارب]

فللموت ما تَلِدُ الوالدة

والوالدة انما تطلب الولد ليعيش ، لاليموت ، لكن لما كان مصيره الى الموت جاز أنْ يقال : للموت ولدته • ومثله في القرآن : « واِذا قَرَأْتَ القرآن جَعَلْنا بَيْنَكَ وبينَ الذين لا يؤمنون بالآخرة حِجاباً مستورا • وجَعَلْنا على قلوبِهم أكِنَّة [٦٩] أنْ يفقهوه ، وفي آذانِهم

---

(١) الاستعارة من فنون البلاغة التى ظهرت مبكرة ، قال الجاحظ فيها : « الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه » • (ينظر البيان والتبيين ج١ ص١٥٣) •

(٢) فى س : استعاروا •

(٣) فى الاصل : فنقول ، والتصحيح من س •

وَقْرا »[١] ، وذلك لانَّهم كانوا عند تلاوة القرآن قد حجبوا قلوبهم عن فهمه[٢] ، وصدفوا بأسماعهم عن تدبره ، فجاز أنْ يقال على المجاز والاستعارة : إنّ الذي تلا ذلك عليهم جعلهم كذلك . والدليلَ على ماقلناه، وانَّ حقيقة الامر أنَّهم هم الفاعلون [لذلك][٣] دون غيرهم قول الله ـ عز وجل ـ في موضع آخر : « واني كلما دَعَوْتُهم لتغفرَ لهم ، جعَلوا أصابعَهم في آذانهم واستَغْشَوا ثيابَهم ، وأصَرّوا ، واستكبروا استكْبارا »[٤] .

ومثل الاول قوله : « ولا تُطِعْ مَنْ أغفَلنا قلبَه عن ذكرنا »[٥] ؛ لانه[٦] لما غفل عند الذكر كان بمنزلة من بخل عند المسألة[٧] ، فجاز أنْ يقال للذي أذكره : أنَّه أغفل قلبه ، كما جاز أن يقال للذي يسأل ذلك فيبخل عليه : قد بَخّله .

ومن الاستعارة ما قدمناه من انطاق الربع وكل ما لاينطق إذا ظهر من حاله ما شاكل[٨] النطق . ومما جاء من هذا النوع في القرآن قوله ـ عز وجل ـ[٩] : « ويومَ نقولُ لجهنمَ : هل امتلأت ؟ وتقول هَلْ مِنْ مَزيد ؟ »[١٠] لما جاز أن تحتمل مزيدا من الكافرين حَسُنَ أنْ يقال : « تقول هل من مزيد ؟ »[١١] وكذلك قوله ـ عزوجل ـ[١٢] : « ثم استَوى الى السماء وهي دُخانٌ ، فقال لها وللارضِ : ائتِيا طَوْعاً أو كَرْهاً ،

---

(١) سورة الاسراء ، الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) فى س : تفهمه .
(٣) الزيادة من س .
(٤) سورة نوح ، الآية ٧ .
(٥) سورة الكهف ، الآية ٢٨ .
(٦) فى س : الآية .
(٧) فى الاصل : غفل عند الكلام ، والتصحيح من س .
(٨) فى س : يشاكل .
(٩) لم ترد فى س .
(١٠) سورة ق ، الآية ٣٠ .
(١١) فى س : قالت : وهل من مزيد ؟
(١٢) لم ترد فى س .

قالتا : أتَيْنا طائعين »[١] • وذلك لما كانتا عن ارادته من غير عصيان له ولا استصعاب[٢] عليه ، جاز أنْ يقال انهما قالتـا : « أتينا طائعـين » [٧٠] • وكذلك قوله ـ عز وجل [٣] : « فوجـدَا فيها جداراً يُريد أنْ ينقَضَّ فأقامَه »[٤] • لما كانت الارادة من أسباب الفعل ، وكان وقوع الفعل يتلوها، جاز لما قد كاد يقع [٥] وقرب وقوعه أنْ يقال : أراد أنْ يقع •

ومثل ذلك قول الشاعر : [من الرجز]

امْتَـلأَ الحوضُ وقال : قَطْني[٦]

أي : لما لم يكن فيه سعة لغير ماقد وقع فيه من الماء جاز على الاستعارة أن يقال : قد قال حسبي • وهذا شائع في اللغة كثير[٧] •

---

(١) سورة فصلت ، الآية ١١ •

(٢) فى س : من غير استصعاب عليه ، ولا عصيان له •

(٣) لم ترد فى س •

(٤) سورة الكهف ، الآية ٧٧ •

(٥) فى س : قد كاد أن يقع •

(٦) البيت :

امتـلا* الحوض وقال قطنى ... سـلا رويدا قد ملأت بطنى

ذكره ابن منظور فى (قطن) ولم يذكر قائله •

القطن : فى معنى : حسب •

(٧) يلاحظ أن المؤلف لم يفرق بين المجاز والاستعارة ولم يقسمها كما قسمها غيره من معاصريه أو الذين جاءوا من بعده •

الأمثـــال

وأمّا الامثال[1] ، فان الحكماء والعلماء والادباء لم يزالوا[2] يضربون الامثال ، ويبينون للناس تصرف الاحوال بالنظائر [والاشباه][3] والاشكال. ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلباً ، وأقربَ مذهباً ، ولذلك قال الله ـ عز وجل ـ : « ولقد صَرَّفْنا للناس في هذا القرآنِ من كل مَثَل »[4]. وقال : « وسكَنْتُمْ في مساكِنِ الذين ظلموا أنفسَهم ، وتبَيَّن لكم

---

(١) جاء فى مقدمة مجمع الامثال للميدانى ج١ ص ٥ : » قال المبرد : المثل مأخوذ من المثال • وهو : قول سائد يشبه به حال الثانى بالاول • والاصل فيه التشبيه ، فقولهم : « مثل بين يديه » اذا انتصب ، معناه أشبه الصورة المنتصبة • « وفلان أمثل من فلان » أى : أشبه بما له من الفضل • والمثال : القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الاول • فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الاول ، كقول كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لهـا مثـلا   وما مواعيـــدها الا الاباطيل

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لايصح من المواعيد •

قال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضـــروب له • ويوافق معنـاه معنى ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثال الذى يعمل عليه غيره •

وقال غيرهما : سميت الحكم القائم صدقها فى العقول امثالا ، لانتصاب صورها فـى العقول ، مشتقة من المثول الذى هو الانتصاب • وقال ابراهيم النظام : يجتمع فى المثل أربعة لا تجتمع فى غيره من الكلام : ايجاز اللفظ ، واصـــابة المعنى ، وحسن التشبيـــه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة •

وقال ابن المقفع . اذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق ، وآنق للسمع ، وأوسـع لشعوب الحديث » •

ولم يذكر قدامة الامثال فى نقد الشعر •

(٢) فى س . فأما الحكماء والادباء والعلماء فلا يزالون •

(٣) الزيادة من س •

(٤) سورة الاسراء ، الآية ٨٩ •

كيف فَعَلْنا بهم ، وضَرَبْنا لكم الأمثال »[1] وانّما فعلت العلماءُ ذلك ؛ لانّ الخبر في نفسه إذا كان ممكناً فهو محتاج[2] الى ما يدل على صحته • والمَثَلُ مقرون بالحجة ، ألا ترى أنّ الله ـ عز وجل ـ لوقال لعباده : « إني لا أشْرِكُ أحَداً من خلائقي في مُلْكي » ، لكان ذلك قولا محتاجاً الى أنْ يدل على العلة فيه ، ووجه الحكمة فياستعماله • فلما قال : « ضَرَبَ لكم مثلاً من أنْفسِكم ، هل لكم مما ملكتْ أيمانكم من شركاءَ فيما رَزَقْناكم ، فأنتم فيه سواءٌ ، تخافونهم [٧١] كخيفتِكم أنْفُسَكُم »[3] ، كانت الحجة من تعارفهم مقرونة بما أراد أنْ يخبرهم به من أنّه لا شريكَ له في ملكه من خَلْقه ، لانّهم عالمون بأنهم[4] لايقرون أحداً من عبيدهم على أنْ يكون فيما ملكوه مثلهم ، بل يأنفون من ذلك ويدفعونه ، فالله[5] ـ عز وجل ـ أولى بأنْ يتعالى عن ذلك ، ولذلك[6] جعلت القدماء أكثر آدابها وما دوّنته من علومها بالامثال والقصص عن الامم ، ونطقت ببعضه على ألسُن الطير والوحش[7] • وإنّما أرادوا بذلك أنْ يجعلوا الاخبار مقرونة بذكر عواقبها ، والمقدمات مضمونة [الى][8] نتائجها ، وتصريف القول في ذلك[9] حتى يتبين لسامعه ما آلت اليه أحوال أهلها عند لزومهم الآداب أو تضييعهم إيّاها • ولهذا بعينه قَصَّ الله علينا أقاصيص من تَقَدَّمَنا ممن عصاه ، وآثر هواه ، فخسر دينه ودنياه ، ومن اتبع رضاه فجعل الخير والحسنى عقباه ، وصيَّر الجنةَ مثواه ومأواه وقال في [مثل][10] ذلك : « ولقد وَصَّلْنا لهم القولَ لعلهم يَتَذَكَّرون »[11] •

---

(١) سورة ابراهيم ، الآية ٤٥ •
(٢) فى س : يحتاج •
(٣) سورة الروم ، الآية ٢٨ •
(٤) لم ترد فى س ، وقد أضاف المحققان [أنهم] •
(٥) فى س : فان الله •
(٦) فى س : فلذلك •
(٧) فى س : الوحش والطير •
(٨) الزيادة من س •
(٩) فى س : فيها •
(١٠) الزيادة من س •
(١١) سورة القصص ، الآية ٥١ •

اللغــز

وأما اللغز[1] فانه من ألْـغز[2] اليربوع [ولَغَّـز][3] اذا حفر لنفسه مستقيما ، ثم أخذ يمنةً ويسرةً ليُخبّي[4] بذلك على طالبه . وهو قول استعمل فيه اللفظ المتشابه طلباً للمعاياة والمحاجة . والفـائدة في ذلك في العلوم الدنيوية رياضة الفكر في [٧٢] تصحيح المعاني واخراجهـا من[5] المناقضة والفساد الى معنى الصواب والحق ، وقـــدح الفطنة في ذلك ، واستنجاد الرأي في استخراجها[6] . وذلك مثل قول الشاعر :[من الخفيف]

رُبَّ ثورٍ رأيتُ في جُحْرِ نَمْلٍ ونهـارٍ في ليلةٍ ظلماءِ[7]

فالثور[8] هاهنا : القطعة من الاقط[9] ، والنهار : فرخ الحبـارى .

---

(١) لم يذكر قدامة اللغز فى نقد الشعر . يقول ابن أبى الاصبع المصرى فى تحرير التحبير ص ٥٧٩ : « باب الالغاز والتعمية ، ويسمى المحاجاة ، والتعمية أعم اسمائه ، وهو أن يريد المتكلم شيئا فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره ، وباطنها عليه » .

(٢)ألغز الـكلام وألغز فيه : عمى مراده ، وأضمره على خـلاف ما أظهره . واللغز ـ بالضم والفتح ـ ما ألغز من كلام فشبه معناه ، واللغز : الـكلام الملبس . (اللسان لغز) .

(٣) الزيادة من س ، ولم نرها فى المعاجم كالقاموس ولسان العرب .

(٤) فى س : ليعمي .

(٥) فى س : على .

(٦) فى الاصل : باستخراجه ، وفى س : فى استخراجه .

(٧) سيفسره المؤلف .

(٨) فى الاصل : والثور .

(٩) الاقط : شيء مثل الجبن يتخذ من اللبن .

فاذا استخرج هذا صح المعنى ، وإذا حمل على ظاهر لفظه[١] كان محالا •

وكذلك قول الآخر[٢] [من المتقارب]

فاصبَحْتُ والليل مُغْتَلِس
وأصبَحْتُ والأرضُ بَحْرٌ طمى[٣]

ف « أصْبَحْتُ » : أشعلت المصباح ، ولو حمل على الصبح لتنافى[٤] القول وفسد •

والفائدة في استعمال ذلك في الدين المعارضة التي ذكرناها ، وقلنا : إنّ للانسان استعمالها عند التقية حتى يخرج بهذا[٥] الكلام عن الكذب باشتراك الاسم •

ومن هذه الاسماء المشتركة ، المجنون : الذي به الخَبَل ، والمجنون: الذي قد جَنَّه الليل • والنبيذ : الذي يشرب ، والنبيذ : الصبي المنبوذ • والعلي : المرتفع ، والعلي : الفرس الشديد • والجرح : المصدر من الجراح ، والجرح : الكسب . والطعن : بالرمح ، والطعن : في العرض. والبطن : ضد الظهر ، والبطن : من العرب • والفخذ : العضو ، والفخذ : من القبيلة • والبعل : الزوج ، والبعل : [٧٣] النخل الذي يشرب ماء السماء • [واليد : الجارحة] [٦] واليد : النعمة ، واليد : القدرة • وأشباه هذا كثير ، وقد جمعه أهل اللغة • وممن جوّزه[٧] ، وجمع أكثره

---

(١) في س : على ظاهره •
(٢) في س : قال الشاعر :
(٣) كذا في الاصل ، أما في س :
فأصبحت والليل لي ملبس وأصبحت الارض بحرا طمى
(٤) في س : تنابى •
(٥) في س : بها •
(٦) الزيادة من س •
(٧) في س : جوده •

ابن دريد[1] في كتاب « الملاحن[2] » . فان أردته فاطلبه منه [3] ـ إن شاء الله ـ .

---

(١) هو محمد بن الحسن بن دريد من علماء اللغة والادب . ولد فى البصرة سنة ٢٢٣ هـ وقرأ على علمائها ثم صار الى عمان فأقام بها الى آن مات سنة ٣٢١ هـ . له من التصانيف : الجمهرة فى اللغة ، والامالى ، والملاحن ، والمقصور والممدود وغيرها . (ينظر بغية الوعاة ج١ ص ٧٦ وما بعدها) .

(٢) ينظر بغية الوعاة ج١ ص ٧٨ .

(٣) فى س : فيه .

الحـــذف

وأما الحذف[1] ، فانّ العرب تستعمله للايجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول اذا كان المخاطب عالماً بمرادها فيه • وذلك كقوله ـ عزوجل ـ « واذا قيل لهم : اتقوا ما بين أيديكم وما خَلْفكم لعلكم تُرحَمون»[2] ، وسكت عن تمام الكلام لعلم المخاطب به • فكأنّ تقدير ذلك : « واذا قيل لهم : اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم ، استكبروا ، وعتوا ، وتمادوا »[3] • وكذلك قوله : « ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورَحْمَتُهُ ، وانَّ اللهَ توّابٌ حكيمٌ »[4] ، حذف ما بعده لعلم المخاطب به ، وإنْ كان تقديره : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، لعذبكم بما فعلتم » •

ومن ذلك قول الشاعر : [من الطويل]

أجِـــدَّكَ لو شيءٌ أتانا رسـوله
سواكَ ، ولكن لم نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا[5]

---

(١) لم يذكر قدامة فى نقد الشعر هذا الموضوع ، وهو من المباحث التى تتردد فى الكتب الاولى كمعانى القرآن للفراء ومجاز القرآن لابى عبيدة • وقد أدخله علماء البلاغة المتأخرون فى علم المعانى •

(٢) سورة يس ، الآية ٤٥ •

(٣) فى س : وتمادوا وعتوا •

(٤) سورة النور ، الآية ١٠ •

(٥) البيت لامرىء القيس ، وهو من قصيدة مطلعها :

جزعت ولم أجزع من البين مجزعا   وعزيت قلبا بالكواعب مولعا

قوله : « لو شيء » : يريد لو أحد • وليس ل « لو » هنا جواب • (ديوان امرىء القيس ص ٢٤٢) •

أراد : « لدفعناك [1] ، ولكن لم نجد لك مدفعا » ، فحذف اكتفاء بعلم المخاطب بما أراده .

ومثله قوله : [من الطويل]

فلما أَجَزْنا ساحةَ الحي وانتحى
بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي قِفافٍ عَقَنْقَلِ [2]

[وهذا كثير في كلام العرب ، وإذا مَرَّ بك عرفته ـ إنْ شاء الله ـ] [3]

---

(1) فى س : لدفعناه

(2) البيت لامرىء القيس ، وهو من معلقته . (ينظر ديوانه ص ١٥) وفيه : بنا بطن حقف ذى ركام عقنقل . الحقف من الرمل : المعوج . والقفاف : ماارتفع من الارض وغلظ . العقنقل : الرمل المنعقد المتداخل .

(3) الزيادة من س .

الصَّـــرف

وأما الصَّرْف[1] ، فانه يصرفون القول من المخاطب الى الغـائب ، ومن الواحد الى الجماعة كقوله [عز وجل][2] : « حتى اذا كُنتم [٧٤] في الفُلْك وجرَيْنَ بهم بريحٍ طيبةٍ »[3] .

وكقول الشاعر : [من الطويل]

وتلك التي لا وَصْلَ اِلاّ وصالهـــا
ولا صَرْمَ اِلاّ ما صرمت يضـير

وقال آخر : [من الـكامل]

يا لَهْفَ نفسي كان جـــدة خاله
وبياض وجهك للترابِ الأعْفرِ

---

(١) وهو الالتفات عند علماء البلاغة ، وقد سماه كذلك قدامة فى نقد الشعر ص ١٦٧، يقول : « ومن نعوت المعانى الالتفات ، وهو أن يكون الشاعر آخذا فى معنى فكأنه يعترضه اما شك فيه أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله ، أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا على ما قدمه ، فأما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه » . وينظر الـكشاف ج ١ ص ١١ـ١٢ ، وتحرير التحبير ص ١٢٣ ، وبديع القرآن ص ٤٢ ، والبلاغة عند السكاكى ص ٢٣٥ .

(٢) الزيادة من س .

(٣) سورة يونس ، الآية ٢٢ .

المبالغة

وأما المبالغة[١] فان من شأن[٢] العرب أنْ تبالغ في الوصف والذم ، كما من شأنها أن تختصر وتوجز ، وذلك لتوسعها في الكلام ، واقتدارها عليه . ولكل من ذلك موضع يستعمل فيه[٣] ، وسيمر بك في مواضعه إذا صرنا الى ذكره ـ إنْ شاء الله ـ .

والمبالغة تنقسم قسمين[٤] :

أحدهما : في اللفظ .

والآخر : في المعنى .

فأما المبالغة في اللفظ فتجري مجرى التأكيد كقولنا : « رأيتُ زيداً نَفْسَه » ، و « هذا هو الحقُّ بعينه » . فتؤكد « زيداً » بـ « النفس » و « الحق » بـ « العين »[٥] . وإن كان قولك « هذا زيد » ، و « هذا هو الحق » قد أغناك[٦] عن ذكر « النفس » و « العين » ، ولكن ذلك

---

(١) ذكرها قدامة فى نقد الشعر ص ١٦٠ وقال عنها : « ومن أنواع نعوت المعانى المبالغة ، وهى أن يذكر الشاعر حالا من الاحوال فى شعر لو وقف عليها لاجزأه ذلك فى الغرض الذى قصده ، فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له » .

(٢) فى س : فمن شأن .

(٣) لم ترد فى س ، وقد أضافها المحققان .

(٤) لم يقسمها قدامة هذا التقسيم ، وهو تقسيم نحوى . وقد حصر الخطيب القزوينى المبالغة فى التبليغ والاغراق والغلو (ينظر الايضاح ص ٣٦٥) .

(٥) فى الاصل : زيدا بالحق والنفس والعين ، والتصحيح من س .

(٦) فى س : أغنياك .

مبالغة في البيـــــان .

ومنه قول الشاعر : [من الطويل]

أَلا حبَّـذا هِنْدٌ وأرضٌ بها هِنْدُ
وهِنْدٌ أتى من دونها النَّأْيُ والبُعْدُ[١]

فذكر البُعد بعد النأي ، وهما شيء واحد تأكيداً ومبالغة[٢] .

وأما المبالغة في المعنى فاخراج الشيء[٣] على أبلغ غايات معانيه كقوله ـ عز وجل ـ : « وقالت اليهودُ : يدُ اللهِ مغلولةٌ »[٤] ، ولربمـــا[٥] قالوا : بأنه قد أقتر فقتَّر علينا[٦] ، فبالغ اللهُ ـ عز وجل ـ في تقبيح قولهم واخراجه [٧٥] على غاية الذم[٧] .

ومن المبالغة في المعنى قول الشاعر : [من الطويل]

وفيهنَّ ملهى للطيفِ ومنظـرٌ أنيقٌ لعينِ الناظر المتوسـمِ[٨]

فلم يَرْضَ أنْ يكون فيهن ملهى ، وانْ كان ذلك مدحاً لهن حتى قال : « للطيف » ، لانّ « اللطيف » لا يلهو اِلا بفائق . وقال « ومنظر أنيق » ، وهذا في الوصف مجزىء[٩] ، فلم يكتف به حتى قال : « لعين الناظر المتوسم » ، لانّ الناظر اِذا كرر نظره وتوسم ، تبيّنتْ له العيوب

---

(١) البيت للحطيئة ، من داليته التى يمدح بها بغيض بن عامر ومطلعها :
ألا طرقتنا ـ بعد ما هجعوا ـ هند وقد سرن خمسا واتلأب بنا نجد
(ينظر ديوان الحطيئة ص ٢٩ ، والموشح للمرزبانى ص ١٤١ ، وكتاب الصناعتين ص ١٠٨ ، وتلخيص الخطابة لابن رشد هامش ص ٢٦٣) .
(٢) سقطت هذه العبارة فى س .
(٣) فى س : القول .
(٤) سورة المائدة ، الآية ٦٤ .
(٥) فى س : وانما قالوا .
(٦) فى س : وانما قالوا انه قد قتر علينا .
(٧) فى س : فى تقبيح قولهم فاخرجهم على غايات الذم لهم .
(٨) البيت لزهير بن أبى سلمى وهو من معلقته (ديوانه ص ١٠ ، وشرح المعلقات السبع ص ٩٥) . ويروى : وفيهن ملهى للصديق . المتوسم : الناظر الذى يتفرس فـى نظره كأنه يطلب شيئا من سمته يعرفها به .
(٩) فى الاصل : مخبر ، والتصحيح من س .

عند توسمه وتكراره نظره ، ولذلك قال الشاعر : [من مجزوء الوافر]

يَزيدُكَ وجهُــه حسناً إذا ما زِدْتَــهُ نَظَرا[1]

ومن هذا [المعنى] قول الشاعر أيضاً : [من الهزج]

فلمَّـــا صَرَّح الشَرُّ فأمْسَى وهو عُرْيانُ
مَشَيْنا مِشيةَ الليثِ غـدا ، والليثُ غضبانُ[2]

فلم يَرْضَ بتصريح الشر حتى عَرّاه من سائر[3] ما يستره ، ولم يَرْضَ بمشية الليث حتى جعله غضبان . وأشباه هذا كثير في القرآن والشـــعر .

(١) البيت لابى نواس . (ينظر ديوان المعانى ج١ ص ٢٣١ ، والايضاح ص ٣٠) .
(٢) البيتان لشهل بن شيبان الزمانى . (ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ج١ ص ٣٤-٣٥) .
(٣) فى س : كل .

القطع والعطف والتقديم والتأخير[1]

وأما القطع والعطف[2] ، والتقديم والتأخير[3] ، فهو واضح لمن أراد أن يعرفه ، وهو في القرآن كثير .

فمما قطع الكلام فيه ، وأخذ في فن آخر من القول ثم عطف بتمام القول الاول عليه[4] ، قوله ـ عز وجل ـ [« حُرِّمَتْ عليكم أمهاتُكم ، وبناتُكم ، وأخواتُكم ، وعماتُكم[5] » الى آخر الآية[6] . ومثله][7] : « حُرّمت عليكم الميْتَةُ ، والدمُ ، ولحمُ الخنزيرِ ، وما أُهِلَّ لغير الله به ، والمُنخنقةُ والموقوذَةُ ، والمتَرَدّيَةُ ، والنطيحَةُ ، وما أكَلَ السَّبُعُ [٧٦] إلاّ ما ذكَّيْتم ، وما ذُبِحَ على النُّصُبِ ، وأنْ تَستَقسِموا بالأزلامِ ، ذلكم فسْقٌ ، اليومَ يَئِسَ الذينَ كفروا من دينكم ، فلا تَخْشَوْهُم واخْشَوْنِ » . ثم قطع وأخَذَ في كلام آخر فقال : « اليومَ أكملْتُ لكم دينَكم ، وأتممْتُ عليكم نعمتي ، ورَضِيتُ لكم الاسلامَ دينا » . ثم رجع الى الكلام الاول فقال : « فمن

---

(١) كذا فى الاصل ، أما فى س فقد جعلهما موضوعين هما : القطع والعطف ، والتقديم والتأخير . ولم يبحثها قدامة فى نقد الشعر .

(٢) هو الفصل والوصل ، وقد تحدث عنه عبدالقاهر فى دلائل الاعجاز بالتفصيل .

(٣) تحدث عنه عبدالقاهر بالتفصيل فى دلائل الاعجاز .

(٤) فى س : ثم عطف عليه بتمام القول الاول .

(٥) سورة النساء ، الآية ٢٣ .

(٦) تكملتها : « وخالاتكم ، وبنات الاخ ، وبنات الاخت ، وامهاتكم اللاتى ارضعنكم ، واخواتكم من الرضاعة ، وامهات نسائكم ، وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ، ان الله كان غفورا رحيما » .

(٧) الزيادة من س .

اضْطُرَّ في مَخْمَصَةٍ غيرَ مُتجانِفٍ لاِثْمٍ ، فاِنَّ اللّهَ غفورٌ رحيم »[1] .

ومثل ذلك ماحكاه عن لقمان في وصيته لابنه اذ قال له : « يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللّهِ اِنّ الشِركَ لظُلْمٌ عظيم »[2] ، ثم قطع وأخذ في [فنٍ][3] آخر ، فقال : « ووَصَّيْنا الانسانَ بوالديه ، حَمَلَته أُمُّه وَهْناً على وَهْنٍ » الى قوله : « فأُنبِّئكم بما كنتم تعملون »[4] ثم رجع الى تمام القول [الاول][5] في وصية لقمان فقال : « يابنيّ اِنّها اِنْ تَكُ مِثقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ فتكُن في صَخرةٍ أو في السماوات ، أو في الارض ، يأتِ بها اللّهُ ، اِنَّ اللّهَ لطيفٌ خبير »[6] ، الى آخر الآيات .

★ ★

وأما التقديم والتأخير فكقوله ـ عز وجل ـ : « ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ من رَبِّكَ لكان لِزاماً ، وأجلٌ مُسَمّى »[7] . [أراد : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما][8] . وكقوله : « ويعبُدون من دُونِ اللّه ما لايَمْلِكُ لهم رِزقاً من السماوات والأرضِ شيئاً ، ولا يستطيعون »[9] أراد ما لايملك لهم رزقا من السماوات والارض ، ولا يستطيعون شيئا .

وفيما ذكرنا دليل على ما لم نذكره ـ إن شاء الله ـ .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٣ .
الموقوذة : المضروبة . المتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فماتت . الا ماذكيتم : الا ماأدركتم . النصب : واحد الانصاب وهى الاصنام ، أو حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ، ويعدون ذلك قربة . أن تستقسموا بالازلام : أى حرم عليكم الاستقسام بالاقداح . مخمصة : مجاعة . غير متجانف لاثم : غير منحرف اليه . (ينظر تفسيرها فى الكشاف ج١ ص ٤٦٨ وما بعدها) .

(٢) سورة لقمان ، الآية ١٣ .

(٣) الزيادة من س .

(٤) سورة لقمان ، الآيتان ١٤ ، ١٥ .

(٥) الزيادة من س .

(٦) سورة لقمان ، الآية ١٦ .

(٧) سورة طه ، الآية ١٢٩ .

(٨) الزيادة من س .

(٩) سورة النحل ، الآية ٧٣ .

الاختراع

وأما الاختراع[1] ، فهو ما اخترعت له العرب اسماً[2] مما لم تكن تعرفه . فمنه ما سموه[3] باسم من عندهم كتسميتهم الباب في المساحة باباً[4] ، والجريب جريباً[5][77] ، والعشير عشيراً[6] .

ومنه ما عرّبته[7] ، وكان أصل اسمه أعجميا كالقِسطاس[8] المأخوذ من لسان الروم ، والشَّطْرَنْج[9] المأخوذ[10] من لسان الفرس ، والسجيل[11] - أيضا - المأخوذ من كلام الفرس[12] .

---

(١) لم يذكره قدامة فى نقد الشعر . والاختراع عند البلاغيين والنقاد آن يخترع الاول معنى لم يسبق اليه ولم يتبع فيه . (ينظر تحرير التحبير ص ٤٧١) .

(٢) فى س : أسماء .

(٣) فى س : فمما سموه .

(٤) الباب فى الحدود والحساب ونحوه : الغاية .

(٥) الجريب : مقياس ، ومكيال قدر أربعة أقفزة ج : أجربة وجربان . والقفيز مكيال، ومن الارض قدر مائة واربعين ذراعا . (القاموس) .

(٦) العشير : جزء من عشرة كالمعشار والعشر . ج : عشور واعشار ، وفى حساب الارض عشر القفيز (القاموس) .

(٧) فى س : أعربته .

(٨) فى شفاء الغليل ص ٢٠٨ : « قسطاس : بالضم ويكسر ، ويقال : قسطان : رومى معرب » . وفى تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٤ : « القسطاس : الميزان ، يقال : هو بلغة الروم » وفيه لغة أخرى : (قسطاس) بضم القاف . وقد قرىء باللغتين جميعا .

(٩) فى المعرب ص ٢٠٩ : « الشطرنج : فارسى معرب ، وبعضهم يكسر شينه ، ليكون على مثال من أمثلة العرب ك (جردحل) لانه ليس فى الكلام أصل (فعلل) بفتح الفاء .

(١٠) فى س : المأخوذة .

(١١) فى المعرب ص ١٨١ : « قال ابن قتيبة : السجيل بالفارسية : (سنك) و (كل) أى : حجارة وطين » .

(١٢) فى س : والسجل المأخوذ من لسان الفرس أيضا .

وليس هذا بصحيح لان (سجل) - كما يقول الخفاجى فى شفاء الغليل ص ١٤٥ - ليس فارسيا بل حبشى ، أو عربى أصيل .

وكل من استخرج علماً واستنبط[1] شيئاً ، وأراد أنْ يضع له اسما من عنده ، ويواطيء من يخرجه اليه عليه[2] ، فله أنْ يفعل ذلك . ومن هذا الجنس اخترع النحويون اسم الحال ، والزمان ، والمصدر ، والتمييز ، والتبرية . وأخرج الخليل[3] لغات العروض[4] ، فسمى بعض ذلك الطويل ، وبعضه المديد ، وبعضه الهزج ، وبعضه الرجز .

وقد ذكر ارسطاليس ذلك وقال[5] : إِنَّه مطلق لكل أحد يحتاج الى تسمية شيء ليعرفه به أنْ يسميه بما شاء من الاسماء[6] .

وهذا الباب مما يشترك العرب وغيرهم فيه ، وليس مما ينفردون به .

---

(١) فى س : وكل ما استخرج علما أو استنبط .
(٢) فى س : ويواطىء عليه من يخرجه اليه .
(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى .
(٤) فى س : واخترع الخليل العروض .
(٥) فى س : وذكر .
(٦) ينظر القول فى الالفاظ المفردة فى كتاب تلخيص الخطابة لابن رشد ص ٢٥٢ وما بعدها ، ففيه حديث عن هذا المعنى ، وعن الالفاظ المخترعة أو الموضوعة .

باب

تأليف العبارة

اعلم أنَّ سائر العبارة في لسان العرب، إمّا أن يكون منظوما، أوْ منثورا[1] • والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام •

فالشعر ينقسم أقساما منها :

القصيد[2] : وهو أحسنها وأشبهها بمذاهب الشعر[3] •

ومنها : الرجز[4]، وهو أخفها • والراجز : الساقي الذي يسقي الماء • وكان الاصل في الاراجيز [٧٨] أنْ يرتجز بها الساقي على دلوه اذا مَدَّها، ثم أخذت الشعراء فيه فلحق بالقصيد •

---

(١) فى س : واعلم ان سائر العبارة فى كلام العرب ، أما أن يكون منظوما ، واما أن يكون منثورا •

(٢) القصيد من الشعر : ما تم شطر أبياته ، وفى التهذيب : شطرا بنيته • سمى بذلك لكماله وصحة وزنه • وقال ابن جنى : سمى قصيدا لانه قصد واعتمد ••• الجوهرى : القصيد : جمع القصيدة ، قال ابن جنى : فاذا رأيت القصيدة الواحدة قد وقع عليها القصيد بلا هاء فانما ذلك لانه وضع على الواحد اسم جنس اتساعا • وقيل : سمى قصيدا ، لان قائله احتفل له فنقحه باللفظ الجيد والمعنى المختار (اللسان ـ قصد) •

(٣) فى س : الشعراء •

(٤) الرجز : شعر ابتداء أجزائه سببان ثم وتد ، وهو وزن يسهل على السمع ويقع فى النفس •• وقد اختلف فيه فزعم قوم انه ليس بشعر وان مجازه مجاز السجع • وهو عند الخليل شعر صحيح • وفى التهذيب • وزعم الخليل أن الرجز ليس بشعر وانما هو انصاف أبيات وأثلاث •••• وقال الاخفش : الرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء ، وهو الذى يترنمون به فى عملهم وسوقهم ، ويحدون به ، (اللسان ـ رجز) •

ومنها : المسمَّط[1] ، وهو أنْ يأتي الشاعر بخمسة أبيات على قافية ، ثم يأتي ببيت على خلاف[2] تلك القافية ، ثم يأتي بخمسة أبيات على قافية أخرى ، ثم يعود فيأتي ببيت على قافيـة البيت [الاول][3] وكذلك الى اخر الشعر .

ومنهـا[4] المزدوج[5] ، وهو ما أتى على قافيتين قافيتـين الى آخر القصيدة[6] . وأكثر ما يأتي وزنه على وزن الرجز .

وفي الشـعر والنثر جميعاً تقـع البـلاغة والعي ، والايجـاز والاسهاب ، اِلاّ أنّ البلاغةَ والايجاز اذا وقعا في الشعر والقول قضي للشاعر بالفَلَج[7] ، والعي والاسـهاب اِذا وقعا في الشـعر والقول كان الشاعر أعذر ، وكان العذر عن المتكلم أضيق . وذلك أنّ الشعر محصورٌ بالوزن ، محصورٌ بالقافية ، فالـكلام يضيق على صاحبه ، والنثر مطلق غير محصور ، فهو يتسع لقائله .

فمما تساوى القول والشعر فيه من هذا الفن ، فحكم للشاعر فيـه بالفضل[8] ، قول بعضهم في بعض كتب الفتوح : « فـكانت معاقله تعقله ، وما يُحرزُهُ يبرزه » .

وقال الشاعر : [من الطويل]

---

(١) المسمط من الشعر : أبيات مشطورة يجمعها قافية واحدة . وقيل المسمط منالشعر ما قفى أرباع بيوته وسمط فى قافية مخالفة . وقال الليث : الشعر المسمط الذى يكون فى صدر البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ويجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيـــدة حتى تنقضى . (اللسان ـ سمط) .

(٢) فى س : غير .

(٣) الزيادة من س .

(٤) فى س : ومنه .

(٥) وفيه يعتمد الشاعر على تصريع أبيات القصيدة جميعا ، وأميز مايكون ذلك فـى الاراجيز . (ينظر فن التقطيع الشعرى والقافية ج٢ ص ٦٩) .

(٦) فى س : وهو ما أتى على قافيتين الى آخر القصيدة .

(٧) الفلج : الظفر والفوز (اللسان ـ فلج) .

(٨) فى الاصل : بالفضل فمنه .

وإنْ يَبْنِ حيطاناً عليـه فانما أولئك عُقـالاته لا معاقِلُه[1]
[٧٩]

وقيل لبعضهم وقد أطال الوقوف في الشمس على باب بعض الولاة : « لقد أطَلْتَ الوقوف في الشمس » فقال : « الظـل أريد »[2] • وقال الشاعر [من الطويل] :

تقول سُليمى لو أقَمْتَ سَرَرْتَنا
ولم تَدْرِ أني للمقامِ أطَوِّفُ[3]

وأشباه هذا كثير •

فأما عذرهم للشاعر في التقصير ، واغتفارهم [له][4] العيوب ، فقد جوّزوا له من قصر الممدود ، وحذف الحركة ، وتخفيف الهمزة ، وصرف ما لاينصرف ، ما لم يجيزوه للمتكلم • وأجازوا له في الوزن استعمال الزحاف[5]، والخَرْم[6]، وفي القافية الاِكفاء[7]، والاقواء[8]، والسِناد[9]،

---

(١) البيت لابى تمام (ينظر ديوانه ص ٢٣١ ، وكتاب الصناعتين ص ٢٠٤) • يقول أبو هلال : « وقد زاد ـ أبو تمام ـ أيضا فى قوله :

وان يبن حيطانا عليه فانما اولئك عقالاته لا عقائله

على زهير فى قوله :

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فأفضي والسيوف معاقله

لما جاء به من التجنيس فى قوله : « عقالاته ومعاقله » • على أن قول زهير فى معناه لا يلحقه لاحق ، وانما زاد عليه أبو تمام فى اللفظ » •

(٣) فى س : « وقيل لبعضهم وقد أطال الوقوف فى الشمس ، فقال : الظل أريد » •

(٣) كذا فى الاصل وس ، أما فى ديوان عروة بن الورد ص ١٠٧ : لو أقمت لسرنا • وفى الكامل ج ١ ص ١٧٣ : لو أقمت بأرضنا •

(٤) الزيادة من س •

(٥) الزحاف : تغيير يلحق بثوانى أسماء الاجزاء للبيت •

(٦) الخرم : حذف أول الوتد المجموع من أول البيت •

(٧) هو أن يؤتى فى البيتين من القصيدة بروى متجانس فى المخرج لا فى اللفظ مثل : (شارح) و (شارخ) أو (فارس) و (قارص) •

(٨) هو تحريك المجرى بحركتين مختلفتين غير متباعدتين مثل الكسرة والضمة •

(٩) هو عيب يلحق القافية لكن قبل رويها مثل : يتجمل ويتحامل ، ولا توصه ولا تعصه • ومجاهد وتباعد •

والايطاء[1] ، والتضمين[2]. وكل ذلك عيوب ، وهي على[3] من استعمل البديهة وقال الشعر على الهاجس[4] والسجية ، أقل عيبا منهـــا على من استعمل الروية والتفكير ، وكرر النظر والتدبير .

وقد ذكر الخليل وغيره في أوزان الشعر وقوافيه ما يغني من نظر فيه، ويُغنينا عن تكلف شرح ذلك إذْ كنا نرى أنّ تكلف ما قد فُرغ منه عناء لا فائدة فيه ، إلاّ أنا نذكر جملة من ذلك في باب استخراج المعمَّى تدعو الضرورات الى ذكر مافيه ـ انْ شاء الله ـ .

★ ★

وقد ذكر الناسُ البلاغةَ ووصفوها [٨٠] بأوصاف لم تشتمل على حدها . وذكر الجاحظ كثيرا مما وصفت به[5] ، وكل وصف منها يقصر عن الاحاطة بحدها .

وَحَدُّها عندنا : « القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام، وحسن النظام ، وفصاحة اللسان » .

وإنّما أضيف الى الاحاطة بالمعنى « اختيار الـكلام » ؛ لانّ العامي قد يحيط قوله بمعناه الذي يريد ، إلاّ أنّه بكلام مرذول من كلام أمثاله فلا يكون موصوفا بالبلاغة . وزدنا « فصاحة اللسان » ، لانّ الاعجمـي واللّحان قد يبلغان مرادهما بقولهمـا فلا يكونان موصوفين بالبـــلاغة . وزِدْنا « حسن النظام » ؛ لانّه قد يتكلم الفصيح بالـكلام الحسن الآتي على المعنى ولا يحسن ترتيب ألفاظه ، وتصيير كل واحدة مع ما يشاكلهـا فلا يقع ذلك موقعه .

---

(١) الايطاء : هو اعادة اللفظة ذاتها بلفظها ومعناها .

(٢) هو تعلق ما فيه قافية بأخرى .

(٣) في س : وعلى .

(٤) الهاجس : الخاطر .

(٥) ينظر البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ ، ٨٨ وما بعدها .

فمما أتى في نهاية النظر قول أمير المؤمنين ـ عليه السلام [1] ـ في بعض خطبه : « أين من سعى واجتهد ، وجمع وعدّد ، وزخرف ونجّد ، وبنى وشيّد ؟ » . فاتبع كل حرف بما هو من جنسه ، وما يحسن معه نظمه . ولم يقل : « أين من سعى ونجّد ، وزخرف وشيد ، وبنى وعدد » . ولو قال ذلك لكان كلاماً مفهوما [ومن قائله][2] مستقيما ، وكان مع ذلك [٨١] فاسد النظم ، قبيح التأليف .

★ ★

والشاعر من « شَعَرَ ـ يَشْعُرُ [شعراً][3] فهو شاعر » ، [والشعر][4] المصدر . [ونظيره الكافل ، يقال : « كفل ـ يكفل ـ كفلاً ، فهو كافل » ومنه سمي ذو الكفل : ذا الكفل][5] .

ولا يستحق الشاعر هذا الاسم حتى يأتي بما لايشعر به غيره [6] ، وإذا كان إنما استحق[7] اسم الشاعر لما ذكرنا[8] ، فكل من كان خارجاً عن هذا الوصف فليس بشاعر وانْ أتى بكلام موزون مقفى[9] .

وقد كره قوم قول الشعر واستماعه ، وانما الشعر كلام موزون ،

---

(١) فى س : رضى الله عنه .
(٢) الزيادة من س .
(٣) الزيادة من س .
(٤) الزيادة من س .
(٥) الزيادة من س . ونرى أنها حشرت فى النص حشرا .
(٦) فى س : وانما سمى شاعرا ، لانه يشعر من معانى القول واصابة الوصف بما لا يشعر به غيره .
وفى العمدة ج ١ ص ١١٦ : « وانما سمى الشاعر شاعرا لانه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، أو استظراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعانى أو نقص مما أطال سواه من الالفاظ ، أو صرف معنى الى وجه عن وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ولم يكن له الا فضل الوزن » .
(٧) فى س : يستحق .
(٨) فى س : بما ذكرنا .
(٩) عرف قدامة الشعر فى نقد الشعر ص ١٥ بقوله : « وليس يوجد فى العبارة عن دلك أبلغ ولا أوجز ـ مع تمام الدلالة ـ من أن يقال فيه : انه قول موزون مقفى ، يدل على معنى »

فما جاز في الكلام جاز فيه ، وما لم يَجُزْ في ذلك لم يَجُزْ فيه .
وقد سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشعر ، واستنشده ، وأثاب عليه ، وأنشد في مسجده على منبره ، وقال لحسان : « اهْجُ قُريشاً ومعك روح القدس » . وقال : « إنَّ من الشِّعْرِ لحُكْماً »[1] . ومما احتج به من كرهه ما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قوله : « لَأَنْ يمتلِيءَ جوفُ أحدِكم قَيْحاً حتى يَرِيَه ، خيرٌ له من أنْ يمتلِيءَ شعراً »[2] . وما روي عنه في شأن امريء القيس وقوله : « ذلك رجل مذكور في الدنيا ، مَنْسيّ في الآخرة ، يأتي يوم القيامة ومعه لواء الشعراء حتى يقودَهم[3] النار »[4] .

وهذا القول منه ـ عليه السلام ـ خاصّ في كفّار الشعراء ، والدليل على ذلك اجماع الامة على أنّ حسّان بن ثابت [٨٢] وكعب بن زهير[5] وغيرهما من شعراء المؤمنين الذين كانوا يناضلون عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأشعارهم ، ويجاهدون معه بألسنتهم وأيديهم خارجون عن جملة من يرد النار مع امرىء القيس .

وقد وصف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسان بن ثابت بذلك فقال : « جاهد معي بيده ولسانه »[6] .

وأقعَدَ كعب بن زهير على منبره فأنشَدَ : [من البسيط]

بانت سعاد فقلبي اليوم مَتْبُولُ [7]

---

(١) فى النهاية ج ١ ص ٤١٩ : « ان من الشعر لحكما » أى : ان من الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه ... والحكم : العلم والفقه والقضاء بالعدل .. ويروى : « ان من الشعر لحكمة » وهى بمعنى الحكم » .

(٢) ينظر العمدة ج ١ ص ٣١ ، ودلائل الاعجاز ص ١٣ ، واحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٢٣ ، والنهاية ج ٥ ص ١٧٨ ، وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٢٣٦ .
وري يرى : اذا أصاب جوفه الداء .

(٣) فى س : يوردهم .

(٤) ينظر تهذيب ابن عساكر ج٣ ص ١٠٥ .

(٥) صاحب البردة ، وهو ابن زهير بن أبى سلمى الشاعر المعروف . وله ديوان شعر مطبوع .

(٦) فى س : لانه جاهد معه بيده ولسانه .

(٧) البيت :
بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم أثرها لم يجز مكبول
(ينظر ديوان كعب بن زهير ص ٦) .

حتى اذا بلغ الى قوله :

إنّ الرسولَ لنورٌ نَسْتَضِيءُ به
وصارِمٌ من سيوفِ الله مَسْلُول[1]

أومأ الى الناس باستماع قوله ٠

وقد قلنا إنّ كل مُهْمَل من الاخبار اذا كان في الأمر الممكن فهو خاص ، وهذا في الممكن فهو خاص ٠

ويزيد ما قلناه وضوحا قول الله ـ عز وجل ـ : « والشُعراءُ يَتَّبِعُهم الغَاوون ٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّهم في كل وادٍ يَهيمون ٠ وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون »[2] ٠ ثم بَيَّنَ مراده وانه خاص في الكفار منهم ، ومن تعدّى الحق وفسق ، فقال : « إلاّ الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً ، وانْتَصروا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِموا ، وسيَعلَمُ الذين ظَلموا أيَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون »[3] [٨٣] ٠

وأما قوله : « لأَنْ يمتليءَ جوفُ أحدكم قيحاً حتى يَريَه ، خيرٌ له من أنْ يمتليء شعراً » ، فان المعقول من معنى [الامتلاء][4] أن يشغل المالئ للشيء جميع أجزائه حتى لايكون فيها فضل لغيره ٠ واذا كان هذا هكذا ، فانما أراد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا القول مَنْ امتلأَ جوفُه من الشعر حتى لا يكونَ فيه موضع للذكر ، ولا لحفظ القرآن ، ولا لعلم الشرائع والاحكام والسُّنة في الحلال والحرام ، وهذا ظاهر لمن تدبره . ويزيده وضوحا ما روي عنه ـ عليه السلام ـ من أنَّه سمع قوما يقولون : « فلان علاّمة » فقال : « وما هو علاّمة ؟ » ٠ فقيل : « يعلم أيام العرب وأشعارَها وأنْسابها ووقائعها » ٠ فقال : « ذلك علم لاينفع مَنْ

(١) كذا فى الاصل ، أما فى الديوان ص ٢٣ :
ان الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول
(٢) سورة الشعراء ، الآيات ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ٠
(٤) سورة الشعراء ، الآية ٢٢٧ ٠
(٤) الزيادة من س ٠

علمه ، ولا يضر مَنْ جهله ، إنّما العلم آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سُنّة قائمة [وما خلاهنّ فهو فضل][1] .

ولم يزل الشعرُ ديوانَ العرب في الجاهلية ، لانّهم كانوا أميين [ولم تكن الكتابة فيهم][2] إلاّ لاهل الحيرة ومن تعلم منهم . فانما حُفظت مآثرها وأخبار آبائها[3] ، وما مضى من أيامها ووقائعها[4] ، ومستحسن أفعالها ومكارمها بالشعر [الذي قيل فيها ، ونقلته الرواة عن شعرائها][5] ولولا الشعر ما عرف جُود حاتم طي[6] ، وكعب بن مامة[7] ، وهرم بن سنان[8] ، وأولاد جفنة[9] . لكن الذي قيل فيهم من الشعر أشاد بذكرهم ، وبيّن عن فخرهم ، فقال[٨٤] الفرزدق في حاتم [طيء][10]
[من الطويل]

على ساعةٍ لو أنّ في القوم حاتماً
على جوده ضَنّتْ بها نَفْسُ حاتم[11]

وقال زهير في هرم : [من البسيط]

مَنْ يَلْقَ يوماً على علاّته هَرِماً
يَلْقَ السماحةَ منه والنّدى خُلُقا

---

(١) الزيادة من س . وفى النهاية ج ٣ ص ١٩١ : « العلم ثلاثة : منها فريضة عادلة » . أراد العدل فى القسمة ، أى معدلة على السهام المذكورة فى الكتاب والسنة من غير جور . ويحتمل أن يريد انها مستنبطة من الكتاب والسنة فتكون هذه الفريضة تعدل بما أخذ عنهما .

(٢) الزيادة من س .

(٣) فى س : أوائلها .

(٤) فى س : ومذكور أحسابها ووقائعها .

(٥) الزيادة من س .

(٦) من أجواد العرب ، كان فارسا شاعرا ، وبه يضرب المثل فى الكرم .

(٧) وهو من أجواد العرب . قال أبو عبيدة : « أجواد العرب ثلاثة : كعب بن مامة ، وحاتم طيء ، وهرم بن سنان صاحب زهير » (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص ١٦٤) .

(٨) وهو صاحب زهير بن أبى سلمى ، وقد كان كريما جوادا .

(٩) هم ملوك العرب من الغساسنة .

(١٠) الزيادة من س .

(١١) كذا فى الاصل و س ، أما فى ديوان الفرزدق ج٢ ص ٢٩٧ : به نفس حاتم .

لو نال حيٌّ من الدنيـــا بمكرمــةٍ
أُفقَ السمــاءِ لنالت كفُّه الأُفقا[1]

وقال آخر : [من الوافر]

فما كعبُ بن مامة وابن سُعْدى بأجودَ منك ياعمرُ الجوادا[2]

الى غير ذلك[3] مما قَيَّدَ على الابطالِ ذكر شجاعتهم ، وشهر في الناس ذكرهم ، وعرفنا به عناءهم في مواقعهم ، وآثارهم في وقائعهم ، فقال عنترة : [من الكامل] :

ولقــد شَفَى نفســي وَأَبْرأَ سُقْمَهَا
قولُ الفوارسِ : وَيْكَ عَنْتر أقدِمِ[4]

وقال آخر : [من الخفيف]

وفككْنا غلَّ امرىء القيس عنه بعد ما طال حَبْسُه والعناء[5]

وقال آخر : [من الوافر]

---

(١) وروى الاصمعي : ان تلق يوما ... يقول : ان تلقه على قلة مال أو عدم تلقـه كذا . والبيتان من قصيدة فى مدح هرم بن سنان ، مطلعها :

ان الخليط أجـد البين فانفرقـا وعلق القلب من أسماء ما علقا

(٢) البيت من قصيدة لجرير يمدح بها الخليفة عمر بن عبدالعزيز مطلعها :

أبت عينــاك بالحسن الرقادا وأنكرت الاصـــادق والبلادا

والبيت من شواهد النحو .

ابن سعدى : اوس بن حارثة بن لأم الطائى .

وكان من جود كعب أنه خرج فى رفقة فيها الاخلاط من العرب فنفـــد ماؤها فجعلوا يشربون بالحصا فلما نزلوا اقتسموا ماءهم فنظر الى كعب بن مامة رجل من النمر بن قاسط فلما رآه ينظر اليه آثره بمائه وقال : اعط أخاك النمرى يصطبح ، فلما نزلوا المنزل الاخير اقتسموا ما بقى معهم من الماء فنظر اليه النمرى أيضا ، فقال : اعط أخاك النمرى يصطبـح فآثره بمائه فرحل القوم ولا قوة بكعب على الرحيل ، فقيل له : ياكعب هذا الماء أمامك ترد عن قليل ، فلم يقدر على النهوض ، فارتحل القوم وخيل عليه خيال يمنعه من السباع فمات عطشا . (ينظر ديوان جرير ص ١٣٥ ، والشعر والشعراء ج١ ص ١٦١) .

(٣) فى س : هذا

(٤) البيت من معلقته . (ينظر ديوانه ص ١٢٨ ، وشرح المعلقات السبع ص ١٩٥).

(٥) البيت من معلقة الحارث بن حلزة اليشكرى (ينظر شرح المعلقات ص ٢١٠) .

أليسوا بالأُلى قسطوا قديماً
على النعمان وابتدروا السطاعا
وهم وردوا الكُلابَ على تميم
بجيشٍ يبلع الناس ابتلاعا(1)

وقد ذكر ارسطاطاليس الشعر في « كتاب الجدل » ، فجعله حجة مقنعة إذا كان قديما ، واحتج في كثير من [٨٥] كتب السياسة بقول « أُميروس » (2) شاعر اليونانيين •

وقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحَقُّ بالتقدمة ، وأوْلى بالاتباع ، وقد قال : « إن من الشعر لحكما »(3) وروي عن بعض السلف: « اعربوا القرآن والتمسوا عربيَّته (4) في الشعر » • وقيل : « حسبك من الأدب أن تروي الشاهد والمثل » . وقال معاوية لابنه : « يا بني ارْوِ الشعر ، وتخلّق به ، فلقد هممت يوم صفين بالفرار مراتٍ فما ردني عن ذلك إلاّ قول ابن الاطنابة (5) : [من الوافر]

---

(١) البيتان للقطامى (ينظر ديوانه ص ٣٦) • السطاع : عمود البيت •

(٢) هو هوميروس أعظم شعراء اليونان ، نظم الالياذة والاوديسا باللهجة الايونية التى امتزجت بكثير من الالفاظ الايولية • وكانت المشكلة الهوميرية اخطر موضوع فى الدراسات اليونانية حتى أواخر القرن التاسع عشر ومجملها أن هوميروس لم يوجد ، ولكن بعد دراسات تأكد أنه وجد بالفعل ، وانه ناظم الملحمتين (ينظر الموسوعة العربية ص١٩٢١) •
ولكن محققى نقد النثر يذكران بأن المنظومتين من نظم عدة شعراء تعاقبوا على نظمهما فى زمن غير قصير •

(٣) كذا فى الاصل وس والنهاية ج ١ ص ٤١٩ ، أما فى سنن ابن ماجة ج٢ ص ١٢٣٥ : « ان من الشعر لحكمة » وفى ص ١٢٣٦ : « ان من الشعر حكما » •

(٤) فى س : غريبه •

(٥) فى الكامل للمبرد ج ٣ ص ١٢٣٢ : « ويروى عن معاوية انه قال : اجعلوا الشعر أكثر همكم ، وأكثر آدابكم ، فان فيه مآثر اسلافكم ، ومواضع ارشادكم ، فلقد رأيتنى يوم الهرير ، وقد عزمت على الفرار ، فما يردنى الا قول ابن الاطنابة الانصارى : أبت لى عفتى ••• » • وابن الاطنابة هو عمرو الخزرجى شاعر وفارس جاهلى •
وفى شذور الذهب لابن هشام ص ٣٤٥ : « وغلط أبو عبيدة فنسبه الى قطرى بن الفجاءة » وذكر الابيات • والبيت الاول من شواهد النحو (ينظر مغنى اللبيب ج١ ص ٢٠٣، وقطر الندى ص ٢٥٩ ، وأوضح المسالك ج٣ ص ١٨٠) •

أَبَتْ لي همتي وأبى عَلائي
وكسبي الحمدَ بالثمن الربيح [1]
واجشامي على المكروه نفسي
وضربي هامةَ البطل المشيحِ [2]
وقَولي كلما جَشأتْ وجاشَت
مكانَكَ تُحْمَدي أوْ تَستريحي [3]
لادْفَعَ عن مكارِمَ صالحاتٍ
وأحمي بَعْدُ عن عِرْضٍ صحيحِ [4]

وقال عبدالملك بن مروان لمؤدب ولده في وصيته إياه : « وعلمهم الشعر يحمدوا به » [5].

* *

وللشعراء فنون من الشعر كثيرة تجمعها في الاصل أصناف أربعة وهي : المديح ، والهجاء ، والحكمة ، واللهو .

ثم تتفرع عن كل صنف من ذلك فنون ، فيكون من المديح : المراثي ، والافتخار ، والشكر ، واللطف في المسألة ، وغير ذلك مما أشبهه ، وقارب معناه معناه [6] [٨٦] ويكون من الهجاء : الذم ، والعتب ، والاستبطاء ، والتأنيب ، وما أشْبَه ذلك وجانَسه . ويكون من الحكمة : الامثال ،

---

(١) كذا في الاصل ، أما في الكامل ج٣ ص ١٢٣٢ ، و س وشذور الذهب والمغنى وقطر الندى وأوضح المسالك :
أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
(٢) كذا في الاصل والكامل ج ١ ص ٨١ و ج٣ ص ١٢٣٢ ، أما في س : وامساكي . والاجشام : مصدر أجشمه الامر : كلفه اياه .
وتنظر الابيات في ديوان المعاني ج١ ص ١١٤ .
(٣) لم يرد هذا البيت في س .
(٤) كذا في الاصل و س . أما في شذور الذهب : لادفع عن مآثر .
(٥) في س : يمجدوا وينجدوا .
وللتفصيل في موقف الاسلام من الشعر ينظر العمدة ، ومقدمة دلائل الاعجاز ، والاسلام والشعر للدكتور يحيى الجبوري .
(٦) في س : وقارب معناه .

والتزهيد ، والمواعظ ، وما شاكل ذلك ، وكان من نوعه . ويكون من اللهو : الغزل ، والطرد ، وصفة الخمر ، والمجون ، وما أشبه ذلك [وقاربه][1] .

فمما أجمعوا على استحسانه من المديح قولُه : [من الطويل]

على مُكثريهم حَقٌ من يعتريهم

وعند المقلينَ السماحةُ والبَذْلُ[2]

وقوله : [من البسيط]

يجودُ بالنفسِ إنْ ضنَّ الجوادُ بها

والجودُ بالنَّفْسِ أقْصى غايةِ الجودِ[3]

ومن المراثي قول الخنساء[4] : [من الوافر]

ولولا كثرة الباكين حولي | على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن | أعزي النفس عنه بالتأسي[5]

وفي الشكر قوله : [من البسيط]

لأشكرنَّك مَعروفاً هَمَمْتَ به

إنَّ اهتمامك بالمعروف معروفُ[6]

وبعده :

---

(١) الزيادة من س .
(٢) البيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى فى مدح هرم بن سنان ومطلعها :
صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو | وأقفر من سلمى التعانيق والثقل
(ينظر ديوان زهير ص ٩٦) .
(٣) كذا فى الاصل وس ، أما فى ديوان مسلم بن الوليد ص ١٦٤ :
تجود بالنفس اذ أنت الضنين بها .
(٤) هى تماضر بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المخضرمة (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص ٢٦٠) .
(٥) ينظر ديوان الخنساء ص ١١٩ .
(٦) ذكرهما ابن قتيبة فى عيون الاخبار ج٣ ص ١٦٥ ، ولم يذكر قائلهما .

فلا ألومك إنْ لم يَمْضِه قدرٌ
فالشيءُ بالقَدَرِ المحتوم مصروفُ(١)

وفي الافتخار قوله : [من الطويل]

أَخَذْنا بآفاقِ السماء عليكم لنا قمراها والنجومُ الطوالعُ(٢)

وفي الهجاء قوله : [من الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك من نُمَيرٍ
فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا(٣)

وفي الاستبطاء قوله [٨٧] [من الطويل]

كِلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ونحن إذا مُتْنا أشدُّ تغانيا(٤)

وفي الحكمة قوله : [من الطويل]

سَتُبْدي لك الأيامُ ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ(٥)

وفي الزهد : [من الطويل]

إذا امْتَحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ
له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ(٦)

---

(١) لم يرد فى س .
(٢) البيت للفرزدق ، وهو من قصيدة مطلعها :
ومنا الذى اختير الرجال سماحة وخيرا اذا هب الرياح الزعازع
(ينظر ديوان الفرزدق ج١ ص ٤١٨ ، ٤١٩) .
(٣) البيت لجرير ، وهو من قصيدة فى هجاء الراعى النميرى مطلعها :
أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولى ان أصبت لقد أصابا
(ينظر ديوان جرير ص ٦٤ ، ٧٥)
(٤) البيت لعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ، وهو من أبيات مشهورة ذكرها ابن قتيبة فى عيون الاخبار ج٣ ص ٧٥ .
(٥) البيت من معلقة طرفة بن العبد (ينظر ديوانه ص ٦٦ ، وشرح المعلقات ص٩٠) .
(٦) البيت لابى نواس . وفى عيون الاخبار ج٢ ص ٣٣٢ : اذا اختبر .
يقول أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى ج٢ ص ١٨١ : « وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :
دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق

وفي الوعظ قوله : [من الطويل]

وما النـاسُ إلاّ هالكٌ وابنُ هالكٍ
وذو نَسَبٍ في الهالكين عريق(١)

وفي اللهو والمبادرة به قوله : [من الكامل]

كم من مُؤخرٍ لذةٍ قد أمكنتْ
لغدٍ ، وليس له غدٌ بمؤاتٍ(٢)

وفي الغزل قوله : [من الطويل]

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلاّ لتضربي
بسهمَيكِ في أعشارِ قلبٍ مُقتَّلِ(٣)

وفي الطرد قوله : [من الطويل]

فعادَى عِداءً بين ثَوْرٍ ونعجة
دِراكاً ، ولم يُنْضَحْ بماءٍ فَيَغْسَلِ(٤)

وفي الخمر قوله [٨٨] [من مُخلّع البسيط]

لا يسكن الليل حيث حَلَّت فدهرُ شرّابها نهارُ(٥)

★ ★

ويحتاج الشاعر الى تعلم العروض ، ليكون معيارا له على قوله ، وميزانا على ظنه . والنحو ليُصلح به من لسانه ، ويقيم به إعرابه . والنسب وأيام العرب والناس ، ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب

---

(١) كذا فى الاصل و س وكتاب الصناعتين ص ٢٢٠ ، وفى ديوان آبى نواس :
أرى كل حى هالكا وابن هالك وذا نسب فى العالمين عريق

(٢) لم نعثر على قائله .

(٣) البيت من معلقة امرىء القيس (ينظر ديوانه ص ١٣) وفيه : الا لتقدحى . الاعشار : القطع والكسور .

(٤) البيت من معلقة امرىء القيس (ينظر ديوانه ص ٢٢ ، وشرح المعلقات السبع ص ٤٣) . العداء : الموالاة . لم ينضح بماء : لم يعرق ، وأراد بالماء هنا العرق . وقوله : دراكا : أى مداركة .

(٥) كذا فى الاصل و س ، أما فى ديوان أبى نواس ص ٧٤ : لاينزل .

فيذكرهما[١] فيمن قصده بمدح أو ذم . وأن يروي الشعر ، ليعرف مسالك الشعراء ومذاهبهم وتصرفهم ، فيحتذي منهاجهم ، ويسلك سبيلهم . فاذا لم يجتمع له هذا فليس ينبغي أن يتعرض لقول الشعر ، فانه ما أقام على الامساك معذور ، فمتى تعرض لما يظهر فيه عيبُه وخطؤُه كان مذموماً . وقد قال الشاعر : [من الرجز]

الشعر صعبٌ وطويل سُلَّمُه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زَلَّت به الى الحضيض قدمُه
يريد أن يُعْرِبَهُ فيُعجمُه[٢]

[فاذا كملت هذه الادوات ، ورأى من طبعه][٣] انقيادا لقول الشعر ، وسماحة به ، قاله وتكلفه ، وإلاّ لم يكره عليه نفسه . فالقليل مما تسمح به النفس ويأتي به الطبع خير من الكثير [الذي][٤] يحمل فيه عليها . وإن أُعينَ مع هذا بأن يكون في شرف من قومه ومحل من أهل دهره ، كان قليلُ ما يأتي به من الصواب كثيراً ، وكثيرُه جليلا [٨٩] خطيرا ، ولذلك قال الشاعر : [من الوافر]

وخيرُ الشعر أكرمُه رجالاً وشَرُّ الشعرِ ماقال العبيدُ[٥]

---

(١) علق المحققان بقولهما : « وظاهر ان فى تثنية الضمير توسعا ».

(٢) البيتان للحطيئة (ينظر ديوان الحطيئة ص ١٨٤) ، وهما فى العمدة ج ١ ص ١١٦ .

الشعر صعب وطويل سلمه والشعر لا يسطيعه من يظلمه
اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه زلت به الى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

(٣) الزيادة من س .

(٤) الزيادة من س .

(٥) فى الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٢٣ : « ودخل الفرزدق على سليمان بن عبدالملك، وسليمان ولى عهد ، ونصيب عنده ، فقال سليمان : أنشدنا يا أبا فراس ، وأراد أن ينشده بعض ما امتدحه به فأنشده : وركب كأن الريح ... فغضب سليمان ، فأقبل على نصيب ، فقال : انشد مولاك يا نصيب ، فأنشده : أقول لركب ... فقال له سليمان : أحسنت . وأمر له بصلة ولم يصل الفرزدق ، فخرج الفرزدق وهو يقول :

وخير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

وقال علي بن الجهم[1] في قريب من هذا المعنى : [من الطويل]

وما أنا ممن سار بالشعر ذكرُه
ولكنّ أشعاري يسير بها ذكري
ولا كل من قادَ الجياد يَسوسُها
ولا كل من أجرى يقال له مُجْري[2]

والذي يسمى به الشعر فائقاً ، ويكون إذا اجتمع فيه مستحسنا رائقاً : صحة المقابلة ، وحسن النظم ، وجزالة اللفظ ، واعتدال الوزن ، واصابة التشبيه ، وجودة التفصيل ، وقلة التكلف ، والمشاكلة في المطابقة . وأضداد هذه كلها [3] معيبة تمجّها الآذان ، وتخرج عن وصف البيان .

★ ★

فأما صحة المقابلة[4] ، فمثل قول الشاعر : [من الوافر]

أميل مع الذّمام على ابن أُمي
وأحمِلُ للصديقِ على الشقيق
أُفرّقُ بين معروفي ومَنّي
وأجمع بين مالي والحقوق[5]

---

(١) من شعراء الدولة العباسية المشهورين ، توفى سنة ٢٤٩ هـ (ينظر طبقات ابن المعتز ص ٣١٩) .

(٢) كذا فى الاصل و س ، أما فى ديوان علي بن الجهم ص ١٤٦ :
فما كل من قاد الجياد يسوسها ... ولا كل من أجرى يقال له : مجرى
وما أنا ممن سار بالشعر ذكره ... ولكن أشعارى يسيرها ذكرى
والبيتان من قصيدة يمدح بها المتوكل مطلعها :
عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

(٣) في س : هذا كله .

(٤) قال قدامة فى نقد الشعر ص ١٥٢ : « ومن أنواع المعانى وأجناسها صحة المقابلات . وهى أن يصنع الشاعر معانى يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو المخالفة فيأتى فى الموافق بما يوافق ، وفى المخالف بما يخالف على الصحة ، أو يشرط شروطا ، ويعدد أحوالا فى أحد المعنيين ، فيجب أن يأتى فيما يوافقه بمثل الذى شرطه وعدده ، وفيما يخالف بأضداد ذلك » .

(٥) البيتان لعبدالله بن طاهر (عيون الاخبار ج ١ ص ٢٦٦) .

فأحسن القسمة في المقابلة ومال مع ما ينبغي أنْ يُمال معه ، وحمل على ما يحسن الحمل عليه ، وفرّق بين ما ينبغي أنْ يفرقه ، وجمع بين ما ينبغي أنْ يجمعه • وأساء [٩٠] الآخر المقابلةَ حيث يقول : [من الطويل]

أموتُ اذا ما صَدَّ عني بوجهِه
ويفرح قلبي حين يرجع للوصلِ

فجعل ضد الموت فرح القلب ، وضد الصد بوجهه الوصل • وهذه مقابلة قبيحة ، ولو قال :

أموتُ اذا ما صَدَّ عني بوجهه
وأحيا اذا مَلَّ الصدودَ وأقْبَلا

فجعل ضد الموت الحياة ، وضد الصد بالوجه الاقبال ، لكان مصيبا •

* * *

وأما حسن النظام فكقوله : [من الوافر]

متاركةُ اللئيمِ بلا جوابٍ أشَدُّ على اللئيمِ من الجواب

وكقوله : [من البسيط]

يا أيُّها المتحلي غَيْرَ شيمته
إنَّ التَّخلُّقَ يأتي دونه الخُلُقُ

فهذا نظم حسن جميل له رونق غير محيل[١] . فأمَّا [قول الشاعر][٢] [من الرمل]

---

(١) فى س : مخيل ، أى : صادق لا لبس فيه ولا اشكال •
(٢) الزيادة من س •

أُمَّ سَلامَ أثيبي عاشقاً يعلم اللهُ تقياً ربه [1]
انكم في عينه من عَيْشِه فاعلميه يا سُليمى حسبه

فقبيح النظم ، بادي العوار ، ظاهر الاضطراب ، مختلف غير مؤتلف .

★ ★

وأما جزالة اللفظ فكقوله : [من الكامل]

وعلى عدوّك يا ابنَ عمِّ محمد
رَصَدانِ : ضوءُ الشمس والاظلام [2]
فاذا تنبَّه رُعتَه ، واذا غفا
سَلَّتْ عليه سيوفَك الاحلام [3]

★ ★

وأما سخافةُ اللفظ وركاكتُه ، فمثل قول الآخر [4] : [91] [من الكامل]

يا عُتب سيدتي أمالَك دينُ
حتى متى قلبي لديك رَهين [5]
فأنا الصبورُ لكل ما حَملتني
وأنا الشقيُّ البائسُ المسكينُ [6]

★ ★

(1) فى س : يقينا .
(2) كذا فى الاصل ، أما فى س والايضاح ص ٤٠٩ : ضوء الصبح .
(3) كذا فى الاصل و س ، أما فى الايضاح وخاص الخاص للثعالبى ص ١١٢ : واذا هدا .
والبيتان لاشجع السلمى فى مدح هارون الرشيد ، من قصيدة مطلعها :
قصر عليه تحية وسلام نشرت عليه جمالها الايام
(ينظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥٢ ، وخاص الخاص للثعالبى ص ١١٢ وديوان المعانى ج١ ص ١٤٥)
(4) فى س : الشاعر .
(5) البيتان لابى العتاهية (ينظر أبو العتاهية ـ أشعاره وأخباره بتحقيق الدكتور شكرى فيصل ص ٦٤٦ ، والاغانى ـ طبعة دار الكتب ـ ج٤ ص ٦٥) .
(6) كذا فى الاصل و س ، أما فى الديوان والاغانى : وأنا الذلول ...

وأما اعتدال الوزن فكقوله : [من مجزوء الرمل]

إنما الذلفاء همي فليدَعْني من يلومُ
أحسنُ الناس جميعا حين تمشي أو تقومُ
أصلُ الحبلَ لترضَى وهي للحبلِ صرومُ[1]

فهذا الشعر ليس فيه معنى فائق ، ولا مثل سابق ، ولا تشبيه مستحسن ، ولا غزل مستطرف ، إلاّ أنّ الاعتدال قد كساه جمالا ، وصَيَّر له في القلوب جلالا[2] . فاذا جئتَ الى قول امرىء القيس : [من الطويل]

وتعرِفُ فيه من أبيه شمائلاً
ومن خاله ، ومن يزيدَ ، ومن حُجُرْ
سماحةَ ذا ، وبرَّذا ، ووفاءَ ذا
ونائِلَ ذا ، إذا صحا واذا سكِر[3]

وجدته قد أتي من الوصف ما لم يأت به أحد ، ومدح أربعة في بيت ، وجمع لواحد فضائل الاربعة في بيت آخر ، وجعل ما مدحه به سجية له في صحوه وفي سكره ، ففاق في هذه الاحوال كل شاعر ، إلاّ أنّ اضطراب وزنه ، وكثرةَ الزحاف فيه ، قد بَهْرَجَاه[4] ، وعن حد القبول قد أَخْرجاه .

★ ★

وأما الاصابة [٩٢] في التشبيه فكقول الشاعر : [من الطويل]

---

(١) الذلفاء : التى صغر انفها واستوت أرنبته .
(٢) فى س : حالا .
(٣) البيتان من قصيدة يمدح بها سعد بن الضباب الايادى ، ويهجو هانىء ابن مسعود . (ينظر ديوان امرىء القيس ص ١١٣) .
وفى شرح الديوان : « وهو أجمع بيت من هذا المعنى مع شدة اختصاره » .
(٤) فى س : هجناه . وبهرج بهم الدليل : عدل بهم عن الجادة وغيرها ، والبهرج : الردىء الباطل .

فانك كالليـــل الذي هو مُدْركي
وإنْ خلْتَ أنَّ المنتأى عنك واسع[1]

وكقول الآخر : [من الطويل]

كأنَّ مثارَ النقعِ فوق رؤوسهـــم
وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكِبُه[2]

ومما سلك شاعره فيه سبيل التشبيه فأسـاء ، ولم يحسن ، قوله : [من الطويل]

خطاطيفُ حجْنٌ في حِبالٍ متينةٍ
تمدُّ بهـــا أيدٍ اليك نوازِعُ[3]

وقول الآخر : [من الطويل]

ألا اِنما ليلى عصـــا خَيـْزُرانةٌ
اذا َلمسوهـــا بالأكفِّ تلـينُ[4]

★ ★

وأما سهولة القول ، وقلة التكلف ، فكقول الشاعر[5] : [من البسيط]

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى (ينظر ديوانه ص ١١٤) ٠
(٢) البيت لبشار بن برد ٠ (ينظر ديوانه ج١ ص ٣١٨) ٠
(٣) البيت للنابغة الذبيانى ٠ (ينظر ديوانه ص ١١٤) ٠
خطاطيف : الواحد خطاف ، وهى حديدة حجناء فى جانبى البكرة فيها المحور ٠
حجن : معوجة ٠ نوازع : جواذب ٠
(٤) البيت لمجنون ليلى ٠ (ينظر ديوانه طبعة جلال الدين الحلبى ص ٦٦) ٠ وفـى الكامل ج٣ ص ٨٣٨ : « وأنشد بشار بن برد الاعمى قول كثير :

ألا انما ليـلى عصـا خيزرانة اذا غمزوها بالاكف تلـين

قال : فقال : لله أبو صخر ، جعلها عصا ، ثم يعتذر لها ٠ والله لو جعلها عصا من مخ أو زبد لـكان قد هجنها بالعصا ٠ ألا قال كما قلت :

وبيضاء المحاجر من معـد كأن حديثهـا قطـع الجنـان
اذا قامت لسبحتهـا تثنت كأن عظـامهـا من خيزران

وفى التشبيهات ص ٣٩٢ : « وقال بشـار : أخطأ المجنون فى قوله : ٠٠٠ » الى آخر الرواية ٠
(٥) فى س : الآخر ٠

خيرُ المذاهب في الحاجات أَنْجَحُهـا
وأَضْيَقُ الامر أدناه من الفرجِ (١)

فهذا لفظ سهل قريب قد جرى صاحبه فيه على سجيتـه وعادته ،

فاذا جئتَ الى قول الآخر : [من الطويل]

وما مِثْلُه في النـاس اِلاّ مُمَلَّكاً
أبو أُمِّه حـيٌّ أبوه يقـارِبُه(٢)

وجدته قد تكلف تكلفاً غير خفي على سامعه ، فالقلوب له آبية ، والآذان عنه نابية ٠

★ ★

وأما جودة التفصيل فكقوله : [٩٣] [من البسيط]

بيضٌ مفارِقُنا ، تغلي مراجِلنا نأسو بأموالنـا آثارَ أيدينا

وكقول الآخر : [من الطويل]

بيضاءُ في دَعَجٍ ، صفراءُ في نَعَجٍ
كأنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ(٣)

★ ★

---

(١) كذا فى الاصل و س ٠ أما فى عيون الاخبار ج٢ ص ٢٨٧ ٠
اذا تضـايق أمر فانتظر فرجا فأضيـق الامر أدناه من الفرج

(٢) البيت للفرزدق ٠ وفى الكامل للمبرد ج١ ص ٢٨ : « ومن أقبح الضـرورة ، وأهجن الالفاظ وأبعد المعانى قوله : وما مثله ٠٠٠ مدح بهذا الشعر ابراهيم بن هشـام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبدالملك فقال : وما مثله فى الناس الا مملكا ، يعنى بالمملك هشاما ، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ٠ ولو كان هذا الكلام على وجهه لـكان قبيحا ، وكان يقول اذا وضـع الـكلام فى موضعه أن يقول : وما مثله فى الناس حيٌّ يقاربه الا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ٠ فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتـأخير » ٠ (وينظر الايضاح للقزوينى ص ٥) ٠

(٣) كذا فى الاصل وس ، أما فى ديوان ذى الرمة ص ٥ : كحلاء فى برج ٠ البرج : سعة فى بياض العين ٠ النعج : البياض الخالص ٠

وأما المطابقة والمشاكلة[1] فكقول الشاعر : [من الوافر]

نُعَرِّض للطعانِ اذا التقينا وجوهاً لا تُعَرَّض للسباب[2]

وقول الآخر في أحمد بن الخصيب[3] : [من البسيط]

سَمَّوه أحمدَ ، فالاسلامُ يَحْمَدُه
والدَّهْرُ كاسْمِ أبيهِ ممرعٌ خَصِبُ

* *

ومما يَنْبَغي للشاعر أنْ يلزمه فيما يقوله من الشعر أنْ لايخرج في وصف أحد ممن يرغب اليه ، أو يرهب منه ، أو يهجوه ، أو يمدحه، أو يغازله ، عن المعنى الذى يليق به ويشاكله . فلا يمدح الكاتب بالشجاعة ، ولا الفقيه بالكتابة ، ولا الامير بغير حسن السياسة . ولا يخاطب النساء بغير مخاطبتهن ، ولكن يمدح كل أحد بصناعته ، وبما فيه من فضيلته ، ويهجوه برذيلته ومذموم خليقته . ويغازل النساء بما يحسن من وصفهن ومداعبتهن ، والشكوى اليهن ، فان في مفارقته هذه السبيل التي نهجناها ، وسلوكه غير هذه الطريق وضعا للاشياء في غير مواضعها . [واذا وضعت الاشياء في غير مواضعها][4] قصَّرت عن بلوغ أقصى مواقعها ، ولذلك قال الامين لأبي نواس : إِذا قلت في الخصيب[5] [٩٤]

(١) عرف قدامة المطابق بقوله : « فأما المطابق فهو ما يشترك فى لفظة واحدة بعينها » (نقد الشعر ص ١٨٥) .

وقال القزوينى عن المطابقة : « المطابقة وتسمى الطباق والتضاد أيضا : وهى الجمع بين المتضادين ، أى معنيين متقابلين فى الجملة » .

وقال ابن أبى الاصبع المصرى عن المشاكلة : « وهى أن يأتى المتكلم فى كلامه ، أو الشاعر فى شعره باسم من الاسماء المشتركة فى موضعين فصاعدا من البيت الواحد ، وكذلك الاسم فى كل موضع من الموضعين مسمى غير الاول ، تدل صيغته عليه بتشاكل احدى اللفظتين الاخرى فى الخط واللفظ ، ومفهومهما مختلف » . (تحرير التحبير ص ٣٩٣) .

(٢) لم نعثر على قائله .

(٣) لم يرد فى س .

(٤) الزيادة من س .

(٥) هو الخصيب بن عبدالحميد ، أمره الرشيد على مصر ، وقد قصده أبو نواس ومدحه .

[من الطويل]

اذا لم تَزُرْ أرضَ الخصيبِ ركابُنا
فأيَّ فتى بعد الخصيب تَزورُ(١)

فماذا أبْقَيْتَ لي ؟ قال : قولي يا أمير المؤمنين : [من الطويل]

اذا نحن أثنينا عليك بصالح
فأنت كما نثني ، وفوق الذي نثني

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة
لغيرك انسانا فأنت الذي نعني(٢)

ولقد ، لعمري ، أحسن الامين السؤالَ ، ووضعه في موضعه(٣) ، وأحسن أبو نواس الاعتذار ، وتلافى ما فرط منه .

ومما وضع في غير موضعه فعيب ، وانْ كان في معناه جيداً قوله : [من الطويل]

فقلت لها : يا عَز كُلُّ مصيبة
إذا وُطِّنَت يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ(٤)

فقالوا : لو كان هذا في الزهد كان من أشعر القول .

وكذلك قول الآخر : [من البسيط]

يمشينَ رَهْواً فلا الاعجازُ خاذلة
ولا الصدور على الأَعْجازِ تتكِلُ(٥)

---

(١) البيت من قصيدته التى مطلعها :
أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير
(ينظر ديوان أبى نواس ص ٤٨٠ ، ٤٨١) .

(٢) البيتان من قصيدة فى مدح الامين ، مطلعها :
ملكت على طير السعادة واليمن ... وحزت اليك الملك مقتبل السن
(ينظر ديوان أبى نواس ص ٤١٥) .

(٣) فى س : وقد ، لعمرى ، أحسن الامين التبكيت لابى نواس ، ووضعه موضعه .

(٤) البيت لكثير عزة ، وهو من قصيدته التى أولها :
خليلى هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
(ينظر الامالى للقالى ج٢ ص ١٠٥ وديوان كثير ج١ ص ٤١) .

(٥) البيت للقطامى (ينظر ديوانه ص ٢٦) .

فقالوا : لو وصف بهـــذا النســاء لـكان من أحسن[1] الوصف ، وأغزل الشعر .

ومما ينبغي له - أيضاً - أنْ يجتهد فيه : أنْ يكون معنى كل بيت ولفظه متساويين حتى يتم المعنى بتمسام اللفظ[2] ، كمـا قال الشـــاعر : [من البسيط]

ولا يواتيـك فيما ناب من خُلُقٍ
إلا أخو ثقـــة ، فانظر بمن تثـــق[3]

فهذا بيت قد تَمَّ معناه بتمام لفظه من غير حشو ولا [٩٥] تضمين . وكذلك قوله : [من الـكامل]

وَقَفَ الهوى بي حيث أنْتِ فليس لي
مُتَأَخَّرٌ عنـــه ولا مُتَقَـــدَّمُ

أجِـدُ المـلامةَ في هواكِ لذيذةً
كَلَفَاً بذكرك فَلْيلُمْني اللُّوَّمُ[4]

فأما اذا تَمَّ المعنى قبل تمام البيت ، فالشاعر حينئذ محتاج الى حشو البيت بمـــا لا فائدة فيـه من اللفظ ، وذلك مثـل قول[5] الشـــاعر : [من البسيط]

---

(١) فى س : أشعر .
(٢) وهو المساواة عند علماء البلاغة .
(٣) فى الاصل : يأت ، والتصحيح من س .
(٤) كذا فى الاصل ، أما فى س والاغانى (ط الحياة ببيروت) ج ١٥ ص ٢٥٢ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ج ٣ ص ١٣٧٣ ومحاضرات الادباء ج ٣ ص ٤٧ : حبـــا لذكرك .
والبيتان فى الحماسة والاغانى ، وهما لمحمد بن عبدالله بن رزين ابى الشيص المتوفـى سنة ١٩٦ هـ . وبعدهما :

أشبهت أعدائى فصرت أحبهـــم ... اذ صار حظى منك حظى منهـــم
واهنتنى فأهنت نفسى صـــاغرا ... ما من يهون عليـــك ممن أكرم

(٥) فى س : وذلك قول .

وقــد أروحُ الى الحانوت يَتْبَعُني
شاوٍ مُشِلٌ شَلولٌ شَلْشَلٌ شولُ(١)

وان تم لفظ البيت قبل أن يتم معناه الى أن يضمن البيت الثاني تمام المعنى كما قال الشاعر : [من الكامل]

وجناح مقصوص(٢) تَحيَّفَ ريشَهُ
ريبُ الزمانِ تَحيُّفَ المقراضِ(٣)

فهذا لا يقوم بنفسه ، ولا يبين عن معنى ما أريد به حتى يأتي معناه في البيت الثاني وهو :

فنعشتَه ووصلتَ ريشَ جناحه وجبرته يا جابرَ المُنهاضِ(٤)

وجميعا معيبان ، فينبغي أن تتجنبهما ما وجدتَ السبيلَ الى ذلك . واعلم أنّ الشاعرَ اذا أتى بالمعنى الذي يريده أو المعنيين في بيت واحد ، كان في ذلك أشعر منه اذا أتى بذلك في بيتين . وكذلك اذا أتى شاعران بذلك فالذي [٩٦] يجمع المعنيين في بيت أشعر من الذي يجمعهما في بيتين ، ولذلك فضل قول امرىء القيس : [من الطويل]

كأنّ قلوبَ الطير رطبــاً ويابساً
لدى وكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي(٥)

---

(١) كذا في الاصل وس ، أما في ديوان الاعشى الكبير ص ٥٩ : وقـــد غدوت . الحانوت الخمارة . مشل : سواق من شل ، أي : طرد وساق . وكذلك شلول . شلشل : خفيف في العمل ، سريع . شول : يحمل الشيء .

(٢) في س : مخصوص . وهي من اضافات المحققين ، يقولان : « محصوص : متساقط الشعر . ومكان هذه الكلمة في الاصل بياض ، غير ان بالهامش تكميلا لهذا النقص لا يظهر منه الا (حوص) . والبق كلمة تناسب المقام وتنتهي بهذين الحرفين هي محصوص » .
ورواية البيت في سر الفصاحة ص ٨٣ تتفق مع رواية مخطوطتنا .

(٣) البيت والذي بعده لابي الشيص ، يقول ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة ص ٨٣ : « كما أنكروا على أبي الشيص قوله :

وجنــاح مقصوص تحيف ريشــه ريب الزمــان تحيف المقراض

وقالوا : ليس المقراض من كلام العرب . »

(٤) نعشه الله نعشا : رفعه وأقامه ، تداركه من هلكة ، جبره بعد فقر .

(٥) ينظر ديوان امرىء القيس ص ٣٨ .

على قوله : [من الطويل]

كأنَّ عيونَ الوحشِ حَولَ خبائنا
وأرحُلِنا الجزعُ الذي لم يُثَقَّبِ[1]

لانه جمع في البيت الاول وصف شيئين ، وانما وصف في هذا شيئاً بشيء .

وللشاعر أن يقتصد في الوصف أو التشبيه أوالمدح أو الذم ، وله أن يبالغ ، وله أن يسرف حتى يناسب قوله المحال ويضاهيه . وليس المستحسن السرف والكذب ، والاحالة في شيء من فنون القول إلا في الشعر . وقد ذكر ارسطاطاليس الشعر فوصفه بأنَّه الكذب فيه أكثر من الصدق ، وذكر أنَّ ذلك جائز في الصياغة الشعرية .

فمما اقتصد الشاعر فيه قوله : [من الكامل]

يُخبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوقيعةَ أنني
أغشَى الوَغَى ، وأعِفُّ عندَ المغنم[2]

ومما بالغ فيه قوله [٩٧] : [من البسيط]

يَطعنُهُمْ ما ارْتَموا حتى اذا اطَّعَنُوا
ضارَبَ ، حتى اذا ما ضارَبوا اعتَنَقا[3]

فجعل له غايتهم في كل حال من الاحوال[4] : البسالة والشجاعة ، فضلا ومبالغة .

ومما أسرف فيه الشاعر حتى أخرجه الى الكذب والمحال ، وهو

---

(١) شبه عيون الوحش لما فيهن من السواد والبياض بالخرز ، وجعله غير مثقب لان ذلك أصفى له وأتم لحسنه . (ينظر ديوان امرىء القيس ص ٥٣) .

(٢) البيت من معلقة عنترة (ينظر ديوانه ص ١٢٦) .

(٣) البيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى يمدح بها هرم بن سنان ، ومطلعها :
ان الخليط أجد البين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا
يقول : اذا مارموا من مدى بعيد غشيهم بالرمح ، فاذا اطعنوا دخل تحت الرماح بالسيف فضارب ، فاذا ضاربوا دخل تحت السيف فاعتنق أى : قر والتزمه . ويريد أن يخبر أنه أقربهم الى القتال . (ينظر شرح ديوان زهير ص ٥٤) .

(٤) فى س : عليهم .... من أحوال .

مع ذلك مستحسن [قوله][1] : [من الطويل]

فلو تسألُ الايامَ ما اسمي مادَرَتْ
وأينَ مكاني ما عَرَفْنَ مكاني[2]
تَغَطَّيْتُ من دهري بظلِّ جناحه
فعيني ترى دهري ، وليس يراني

وقبله :

وثقْتُ بحبلٍ من حبال محمدٍ
أَمِنْتُ به من طارقِ الحَدَثانِ[3]

* *

ومما يزيد في حسن الشعر ، ويمكن له حلاوة في الصدر : حسن الانشاد ، وحلاوة النغمة . وأنْ يكون الشاعر[4] قد عمد الى معاني شعره فجعلها فيما يشاكلها من اللفظ ، فلا يكسو المعاني الجدية ألفاظاً هزْلية فيسخفها ، ولا يكسو المعاني الهَزْلية ألفاظاً جدية فيستوخمها سامعها ، ولكن يعطي كل شيء من ذلك حقه ، ويضعه موضعه .

ويتمثل في ذلك ما وصف به الشاعر بعض الحذاق بترتيب الكلام ، فقال [من الطويل]

أخو الجد إنْ جادَدْتَ أرضاك جِدُّه
وذو باطلٍ ، انْ شئْتَ أرضاك باطلُه[5]

---

(١) الزيادة من س .
(٢) كذا في الاصل وس ، أما في ديوان أبي نواس ص ٤٦٩ : لما درت .
(٣) لم يرد هذا البيت في س ، والابيات الثلاثة من قصيدة لابي نواس مطلعها :
لمن طلل لم أشجه فشجاني وهاج الهوى أو هاجه لاواني
(٤) لم ترد في س .
(٥) كذا في الاصل و س ، أما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٢ ص ٩٢١ .
اذا جد عند الجد ارضاك جده وذو باطل ان شئت الهاك باطله
والبيت للعجير السلولي ، وبعده :
يسرك مظلوما ويرضيك ظالما وكل الذي حملته فهو حامله
(ينظر شرح ديوان الحماسة ج٢ ص ٩١٨-٩٢١ . والاغاني - طبعة دار الكتب ج ١٣ ص ٥٨-٧٧) .

[٩٨] وأنْ لايجعل شعره كله جداً فيُستثقَل ، اذ كانت النفوس ربما ملت الحق فاستثقلته واحتاجت الى أن تمتري[١] نشاطهـا ، وتُبقي جِمامها[٢] بشيء من الهَزْل •

وأنْ لايجعل شعره كله هَزْلاً فيكسد عند ذوي العقول ، ولكن يخلط جداً بهزل ، ويستعمل كلاً في موضعه وعند أهله ، ومن ينفق عليه • وممن عرف هذا المعنى في الشعر ، فأخذ فيه وأبرَّ[٣] فيما أتى منه على من تقدمه ، أبو نواس ، فانه يقول[٤] [من الكامل]

أنتَ امـرؤ أوليتنـي نعـماً
أوْهَت قوى شـكري فقد ضعُفا
لا تُحْـدِثَنَّ اليَّ عارفـةً
حتى أقومَ بشكرِ ما سَـلَفا[٥]

ويقول[٦] : [من البسيط]

تنازع الأَحْمـدانِ الشبْهَ فاشتبها
خَلْقاً وخُلْقاً كما قُدَّ الشراكانِ[٧]
شِبْهانِ لا فَرْقَ في المعقولِ بينهما
معناهما واحدٌ ، والعَـددُ اثنـانِ

حتى يقول : [من مجزوء الرمل]

---

(١) تمترى : تستخرج •
(٢) الجمام : الراحة •
(٣) كذا فى الاصل وأصل (س) ، ولكن المحققين جعلاها : (أربى) •
ومعنى : أبر عليه • غلبه وفاقه •
(٤) فى الاصل : فانه بين أن يقول • والتصحيح من س •
(٥) كذا فى الاصل و س ، أما فى ديوان أبى نواس ص ٤٣٣ :
أنت امـرؤ جللتنى نعمـا أوهت قوى شـكرى فقد ضعفا
لا تسـدين الى عارفـة حتى أقوم بشـكر ما سلفا
(٦) فى س : ويقول أيضا •
(٧) الشراك : سير النعل •

عُتِّقَتْ في الـدَّنِّ حتى هي في رِقَّـةِ ديني[1]

ويقول : [من مجزوء الخفيف]

اطلبي لي مواجـراً واذهبـي أنت قَحَّـبي

[٩٩]

لست ما عِشْتُ مُدْخِلاً اصبعي جحْر عقربِ[2]

فاجتباه العلماء لما جَدَّ فيه . وقال أبو عبيدة[3] أو غيره : « لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الارفاث لاحتججنا بشعره » . واجتباه الخلفاء ، وأهل المجانة لما هزل فيه[4] .

فأما وضع المعـاني مواضعها التي تليق بها فـكقول امرىء القيس في عنفوان أمره ، وجدّة ملـكه : [من الطويل]

فلو أنَّ ما أسـعى لأدنى معيشـةٍ
كفاني ـ ولم أطلُبْ ـ قليلٌ من المال

ولـكنما أسْـعَى لمجـدٍ مؤثَّلٍ
وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثلَ أمثالي[5]

فوضع طلب الرفعة وسمو المنزلة موضعه[6] إذ كان ملكاً ، لان ذلك يليق بالملوك . ثم وضع القناعة في موضعها لما زال عنه ملـكه فصار كواحد

---

(١) ينظر ديوان أبى نواس ص ٧٠ .

(٢) حذف المحققان هذين البيتين ووضعا قول أبى نواس :

فيا من صيـغ من حسن وطيب وجل عن المشـاكل والضـريب
أصبنـى منـك يا أملى بذنب تتيـه على الذنوب بـه ذنوبى

يقولان : « استبدلنا هذين البيتين من شعر أبى نواس ببيتيه الواردين فى الاصل ، لانه أفحش فيهما » .

(٣) فى س : أبو عمرو . وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى التيمى المتوفى سنة ٢١٠ هـ وأما أبو عمرو فهو اسحاق بن مرار الشيبانى من أئمة اللغة والرواية ، توفى سنة ٢٠٦ هـ .

(٤) فى س : وأهل الهزل لمجونه ، ولما هزل فيه .

(٥) ينظر ديوان امرىء القيس ص ٣٩ .

(٦) فى س : موضعها .

من رعيته ، لانّ ذلك أولى بمن هذه منزلته فقال : [من الوافر]

ألا إلاّ تَكُنْ ابلٌ فمِعْزَى
كأنّ قُرون جِلّتها العِصي[1]
إذا ما قام حَالبُها أرنَّتْ
كأنّ الحيَّ بينهُم نَعِي[2]
فيملأُ بيتنا أقِطاً وسَمْناً
وحَسْبُك من غَنى شَبعٌ ورِي[3]

وينبغي لمن كان قوله للشعر تكسباً لا تأدباً أنْ يحمل الى كل سوق ما ينفق فيها ، ويخاطب كل مقصود بالشعر على مقدار فهمه • فانه ربما قيل الشعر [١٠٠] [الجيد فيمن لا يفهمه فلا يحسن موقعه منه ، وربما قيل الشعر][4] الداعر[5] لهذه الطبقة ، فكثرت فائدة قائله لفهمهم إياه •

ولهذا المعنى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديث ترويه عنه الشيعة : « إنّا أُمرنا ـ معشَرَ الانبياء ـ أن نكلم الناسَ على مقادير عقولهم » •

وقال الشاعر : [من الطويل]

---

(١) يقول : الا يكن غنى وكثرة مال فبلغة من العيش تغنى عن ذلك ، وذكر الابل لانها أفضل أموالهم وأنفسها ، والمعزى أدناها وأقلها •
الجلة : جمع جليل ، وهو المسن من الغنم وغيرها •

(٢) كذا فى الاصل ، أما فى س وديوان امرىء القيس ص ١٣٦ :
اذا مشت حوالبها أرنت   كأن الحى صبحهم نعى

(٣) كذا فى الاصل ، أما فى س والديوان ص ١٣٧ : فتوسع أهلها ••••
الاقط : شىء يصنع من اللبن المخيض على هيئة الجبن •
وفى ديوان امرىء القيس ص ١٣٧ : « وكان الاصمعى يقول : امرؤ القيس ملك ، ولا أراه يقول هذا • فكأن الاصمعى أنكرها • ويقوى ذلك قول امرىء القيس :
فلو أن ما أسعى لادنى معيشة   كفانى ولم أطلب قليل من المال
فنفى عن نفسه طلب القليل والرضا به ، وزعم ان الذى يرضيه ويكفيه الملك والمجد المؤثل ، فكيف يقول : فتوسع أهلها اقطا وسمنا •••• »

(٤) الزيادة من س •

(٥) كذا فى س ، فى الاصل : الرائع •

وأنزلني طول النوى دارَ غربةٍ
إذا شئتُ لاقيتُ الذي لا أشاكله

فجاهلتُه حتى يقال سجيةٌ
ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلُه[1]

فهذا ما حضرنا في أقسام الشعر المنظوم ، وهو مقنع - انْ شاء الله - .

(١) كذا فى الاصل و س ، أما فى عيون الاخبار ج٣ ص ٢٤ ، ومحاضرات الادباء ج١ ص ٥ . فحامقته حتى يقال سجية ...
ولم يذكر قائلهما .

المنثور

وأما المنثور فليس يخلو من أنْ يكون[1] خطابةً ، أو ترسلاً ، أو احتجاجا ، أو حديثا • ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه •

فالخطب تستعمل في اصلاح ذات البَيْن ، واطفاء نار الحرب[2] ، وحمالة الدماء[3] ، والتسديد للملك ، والتأكيد للعهد • وفي عقد الأملاك وفي الدعاء الى الله ـ عز وجل ـ ، وفي الاشادة بالمناقب[4] ، ولكل ماأريد ذكره ونشره وشهرته في الناس •

والترسل في نوع[5] من هذا ، وفي الاحتجاج على من زاغ من أهل الاطراف ، وذكر الفتوح ، وفي الاعتذارات والمعاتبات وغير ذلك مما يجري في [١٠١] الرسائل والمكاتبات •

والبلاغة في الجميع واحدة ، والعي فيه قريب[6] من قريب ، اِلاّ أنّ الخطابة لما كانت مسموعة من قائلها ومأخوذة من لفظ مؤلفها ، وكان الناس جميعا يرمقونه ويتصفحون وجهه ، كان الخطأ فيها غير مأمون ، والحَصَرُ عند القيام بها مخوفاً محذورا •

---

(١) فى س : وليس يخلو المنثور من أن يكون •
(٢) فى س : نائرة الحرب • أى : شرها وهيجها •
(٣) حمالة الدماء : دياتها •
(٤) المناقب : المفاخر •
(٥) فى س : أنواع •
(٦) فى س : والعى قريب •

فأما الرسائل ، فالانسان في فسحة من تحكيكها وتكرر[1] النظر فيها، واصلاح خلل إنْ وقع في شيء منها • ثم هي نافذة على يد الرسول أو في طي[2] الكتاب ، فقد كُفي صاحبها المقام الذي ذكرناه والحصر الذي وصفناه • فلهذا صار الخطيب إذا ساوى المترسل في البلاغة كان له الفضل عليه كما كان الفضل للشاعر اذا ساوى المتكلم في تجويد المعاني وبلاغة اللسان • وقد قال عبدالله بن الأهتم[3] : « اني لست أعجب من رجل تكلم بين قوم فأخطأ في كلامه أو قصر عن حجته ، لانّ ذا الحجا قد تناله الخجلة ويدركه الحصر ، ويعزب عنه القول • ولكن العجب ممن أخذ دواةً وقرطاساً ، وخلا بفكره وعقله ، كيف يعزب عنه باب من أبواب الكلام يريده ، أو وجه من وجوه المطالب يؤُمّه » •

وقد ذكرنا المطالب[4] التي يصير بها الشعر حسناً [١٠٢] وبالجودة موصوفا ، والمعاني التي يصير بها قبيحاً مرذولا • وقلنا : انّ الشعر كلام مؤلف ، فما حسن منه فهو في الكلام حَسَنٌ ، وما قبح منه فهو في الكلام قبيح . فكُلُّ ما ذكرناه هناك من أوصاف جيد[5] الشعر فاستعمله في الخطابة والترسل ، وكُلُّ ما قلناه من معايبه فتجنْبه هاهنا •

ثم انه يخص الخطابةَ والترسل أشياء نحن نذكرها ، ونبتدىء باشتقاق الخطابة والترسل من اللغة ، فنقول :

إنَّ الخطابة مأخوذة من « خَطَبْتُ ـ أخْطُبُ ـ خطابةً » كما يقال : « كتبْتُ ـ أكْتُبُ ـ كِتابةً » • واشتق ذلك من « الخَطْب » ، وهو الأمر الجليل ، لانه انما يقام بالخطب في الأمور التي تجل وتعظم •

---

(١) في س : تكرير •
(٢) في س : أو طي •
(٣) من رجال العراق في أواخر القرن الاول الهجري ، وقد ذكره الجاحظ عدة مرات في البيان والتبيين ج١ ص ٣٥٥ ، و ج٢ ص ٦٥ ، ١٧٥ •
(٤) في س : المعاني •
(٥) في س : حد •

والاسم منها : « خاطِب » مثل : « راحِم » • فاذا جعل وصفاً لازماً قيل: « خطيب » كما قيل في : « راحم » : « رحيم » ، وجعل « رحيم » أبلغ في الوصف وأبين في الرحمة • وكذلك لا يسمى خطيباً إلاّ من غلب ذلك على وصفه ، وصار صناعةً له .

والخطبة الواحدة من المصدر كـ « القَوْمة » من القيام ، و « الضَّرْبة » من الضرب • فاذا جمعتها قلت : « خُطَب » مثل : « جمعة » [و « جُمَع »][1] •

والخِطْبة اسم المخطوب به ، وجمعها : « خِطَب » مثل : « كِسْرة » و « كِسَر » • فأما المخاطبة فيقال منها : « خاطبْتُ ـ أُخاطِبُ ـ مُخاطَبَةً » ، والاسم : « الخطاب » مثل : « قاتلته ـ أقاتله [١٠٣] مُقاتَلةً » ، والاسم : « القتال » •

والترسل من : « تَرَسَّلْتُ ـ أترسَّلُ ـ تَرَسُّلاً » ، وأنا مُتَرَسِّل » كما يقال : « توقَّفْتُ بهم ـ أتوقف ـ توقفاً ، وأنا متوقف» ، ولا يقال ذلك إلاّ فيمن تكرر فعله في الرسائل[2] • كما لا يقال : « تكسَّرَ » إلا فيما تردد عليه اسم الفعل في الكسر • ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة : « أرسَلَ ـ يُرْسِلُ ـ ارسالاً ، وهو مُرْسِل » . والاسم : « الرسالة » • أو « راسل ـ يُراسِل مُراسَلَةً وهو مراسِل» وذلك إذا كان هو ومن يُراسله قد اشتركا في المراسلة •

وأصل الاشتقاق في ذلك أنَّه كلام يراسل به من بعيد ، فاشتق له اسم الترسل ، والرسالة من ذلك •

والخطابة[3] والخطاب اشتقا من الخطب والمخاطبة ، لانهما مسموعان •

---

(١) الزيادة من س •

(٢) فى س : الا لمن يكون فعله فى الرسائل قد تكرر •

(٣) فى س : والخطبة •

فمن أوصاف الخطابة أن تفتح [الخطبة][1] بالتحميد [والتمجيد][2] وتوشح بالقرآن ، وبالسائر من الامثال ، فان ذلك مما يزين الخطب عند مستمعيها ، وتعظم به الفائدة فيها . ولذلك كانوا يسمون كل خطبة لايذكر الله - عز وجل -[3] في أولها . « البتراء » ، وكل خطبة لا توشح بالقرآن ولا بالامثال : « الشوهاء »[4] . ولا يُتَمَثَّلُ في الخطب الطوال التي يقام بها في المحافل بشيء من الشعر ، فان أحَبَّ أنْ يستعمل [ذلك][5] في الخطب القصار وفي المواعظ والرسائل ، فليفعل ، إلاّ أنْ تكونَ الرسالة الى خليفة ، فانّ محله يرتفع من التمثل[6] بالشعر في كتاب اليه ، ولا بأس بذلك في غيرها [١٠٤] من الرسائل .

وأنْ يكون الخطيب أو المترسل عارفاً بمواقع القول وأوقاته ، واحتمال المخاطبين به ، فلا يستعمل الايجاز في موضع الاطالة فيقصر عن بلوغ الارادة ، ولا الاطالة[7] في موضع الايجاز فيتجاوز في مقدار[8] الحاجة الى الاضجار والملالة ، ولا[9] يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة ، ولا كلام الملوك مع السوقة ، بل يعطي لكل قوم من القول بمقدارهم ، ويزنهم بوزنهم ، فقد قيل : « لكل مقام مقال » .

وإذا رأى من القوم اقبالا عليه وانصاتاً لقوله فأحب[10] أنْ يزيدهم ،

---

(١) الزيادة من س .

(٢) الزيادة من س .

(٣) لم ترد فى س .

(٤) فى البيان والتبيين ج ٢ ص ٦ : « وعلى ان خطباء السلف الطيب ، وأهل البيان من التابعين باحسان مازالوا يسمون الخطبة التى لا تبتدأ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد : البتراء ، ويسمون التى لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - الشوهاء » .

(٥) الزيادة من س .

(٦) فى س : التمثيل .

(٧) فى س : والا يستعمل الاطالة .

(٨) فى س : فيتجاوز مقدار .

(٩) فى س : والا .

(١٠) فى س : فاحبوا

زادهم على مقدار احتمالهم ونشاطهم ، واذا تبين منهم اعراضا عنه وتثاقلاً عن استماع قوله ، خفف عنهم ، فقد قيل : « مَنْ لم يَنشَط لكلامك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك »[1] .

وليس يكون الخطيب موصوفاً بالبلاغة ، ولا منعوتاً بالخطابة[2] إلا بوضع هذه الاشياء مواضعها ، وأنْ يكون على الايجاز اذ شرع فيه قادرا ، وبالاطالة اذا احتاج اليها ماهرا . وقد وصف بعضهم البلاغة بما قلناه ، فقال، وقد سُئِل عنها : « هي الاكتفاء في مقامات الايجاز بالاشارة ، والاقتدار في مواطن الاطالة على الغزارة » .

وقال الشاعر في هذا المعنى : [من الكامل]

يرمونَ بالخُطَبِ الطِّوالِ وتارةً
وَحْيَ المَلاحظِ خيفَةَ الرُقباء[3]

وقال [١٠٥] جعفر بن يحيى[4] : « اذا كان الاكثارُ أبْلَغَ ، كان الايجاز تقصيرا . واذا كان الايجاز كافياً ، كان الاكثار هذرا » . فبيَّن ما يحمد من الايجاز ، وما يحتاج اليه من الاكثار .

فأما المواضع التي ينبغي أنْ تستعمل كل واحد منهما فيه ، فانّ الايجاز ينبغي أنْ يستعمل في مخاطبة الخاصة وذوي الافهام الثاقبة الذين يجتزئون بيسير القول عن كثيره وبمجمله عن تفسيره ، وفي المواعظ والسنن والوصايا التي يراد حفظها ونقلها . ولذلك لا ترى في الحديث عن الرسول ـ عليه السلام ـ والائمة ـ عليهم السلام ـ[5] شيئاً يطول ، وانما يأتي على

---

(١) ينظر البيان والتبيين ج١ ص ١٠٥ .

(٢) فى س : ولا منعوتا بالبلاغة والخطابة .

(٣) البيت لابى دؤاد بن حريز الايادى . (ينظر البيان والتبيين ج١ ص ٤٤ ، ١٥٥ ، وزهر الآداب ج١ ص ١١٤ ، ومحاضرات الادباء ج١ ص ٥٩ وص ١٣٨) .
الملاحظ : العيون ، لحظه ـ لحظا : نظره بمؤخرة عينه .

(٤) كان معروفا بالفصاحة والبلاغة ، وقد نقل الجاحظ فى البيان والتبيين بعض أقواله . كان أثيرا عند هارون الرشيد ثم قتله شر قتلة سنة ١٨٧ هـ حينما نكب البرامكة .

(٥) لم ترد فى س .

غاية الاختصار والاقتصار[1] ، وفي الجوامع التي تعرض على الرؤساء فيقفون على معانيها ولا يشغلون بالاكثار فيها .

وأما الاطالة ففي مخاطبة العوام ، ومن ليس من ذوي الافهام ، ومن لا يكتفي من القول بيسيره ، ولا يتفتق ذهنه الا بتكريره ، وايضاح تفسيره . ولهذا استعمل الله - عز وجل - في مواضع من كتابه تكرير القصص ، وتصريف القول ، ليفهم من يبعد فهمه ، ويعلم من قصر علمه . واستعمل في مواضع أُخر الايجاز والاختصار لذوي العقول والابصار . فمما روي من الخطب القصيرة ، والرسائل الموجزة ، والالفاظ المختصرة [١٠٦] ما نحن ذاكرو بعضه[2] ليدل على سائره .

فمن ذلك خطبة تروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي أنْ قال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أيُّها الناسُ كأنَّ الموتَ في الدنيا على غيرنا كُتب ، وكأنَّ الحقَّ بها على غيرنا وَجَب ، وكأنَّ الذي نُشَيِّعُ من الاموات سَفْرٌ[3] عما قليل الينا راجعون . نُبَوِّئهم أجداثَهم ، ونأكل تراثهم ، كأننا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة ، وأمِنَّا كل جائحة . طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وأنفق من مالٍ اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الذلة والمسكنة[4] ، وخالط أهل الفقه والحكمة . طوبى لمن أذل نفسه ، وحسنُت خليقته ، وصحَّت سريرته ، وعَزل عن الناس شره ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمْسَك الفضل من قوله ، ووسَّعته السُّنَّة ، ولم يَعْدُها الى البدعةِ »[5] .

---

(١) فى س : الاقتصار والاختصار .

(٢) فى س : ذاكروه أو بعضه .

(٣) فى أصل س : « وكأن الذين من الاموات » وقد أكملها المحققان من صبح الاعشى .

(٤) فى س : ورحم أهل الذل .

(٥) تنظر الخطبة فى صبح الاعشى ج ١ ص ٢١٣ ، وجمهرة خطب العرب ج١ ص ٠٥٢ السفر : المسافرون . الجائحة : الهلاك والاستئصال . طوبى : مؤنث أطيب ، والحسنى والخير ، وطوبى : شجرة فى الجنة .

خطبة أخرى له ـ عليه السلام ـ : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيُّها الناسُ إنَّ لكم معالمَ فانتهوا الى معالمكم ، وانّ لكم نهاية فقفوا عند نهايتكم • انَّ المؤمن بين غايتين : بين أجَل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين أجَل قد بقي ما[1] يدري ما الله قاضٍ فيه • فليأخذ امرؤ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياةِ قبل الممات[2] . [١٠٧] فوالذي[3] نفس محمد بيده ، مابعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار إلاّ الجنة أو النار »[4] •

خطبة قس بن ساعدة[5] التي رواها عنه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ[6] : ذكر [النبي][7] ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه رآه بسوق عكاظ [8] على جمل أحمر وهو يقول :

« أيُّها الناسُ اجتمعوا ، ثم اسمعوا وعوا • من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت • يا معشرَ إياد : أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ؟ وأين المعروف الذي لم يشكر ، وأين الظلم الذي لم ينكر ؟ أقسم قسٌ قسماً [حقاً] [9] ان لله ديناً[10] هو أرضى عنده من دينكم » •

ثم أنشد شعراً ، فهل فيكم مَنْ يحفظه[11] ؟ فقال بعضهم ـ هو أبو بكر ـ رضوان الله عليه ـ : أنا أحفظه[12] . فقال : هاتِه ، فأنشد :

---

(١) فى س : لا •
(٢) فى س : الموت •
(٣) فى س : والذى •
(٤) فى هذه الخطبة اختلاف بين ما ذكر فى (س) وجمهرة خطب العرب ج١ ص ٥٥ • (ينظر عيون الاخبار ج٢ ص٢٣١ ، والبيان والتبيين ج١ ص ٣٠٢-٣٠٣) •
(٥) كان خطيب العرب وحكيمها فى الجاهلية •
(٦) فى س : عليه السلام •
(٧) الزيادة من س •
(٨) فى س : بعكاظ •
(٩) الزيادة من س •
(١٠) فى س : لدينا •
(١١) فى س : فهل من يحفظه ؟
(١٢) فى س : فقال بعضهم : أنا أحفظه •

[من مجزوء الكامل]

في الذاهبـــــينَ الأوليـــ ـنَ ، من القرون لنـا بصائرْ
لمّـــا رأيتُ مـــوارداً للموتِ ليس لهـــا مصادر
ورأيتُ قومـي نحوهـــا يمضـي الأصـاغرُ والاكابر
لا يَرْجـعُ المـاضـي ولا يبقـى من البـاقـين غابر
أيقَنتُ أنّـي لا مَحـــا لةَ حيث صار القومُ صائر[1]

ومن كلام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ[2] في الحكمة والفاظه القصار المنتخبـــة :

« المرءُ مَخْبوءٌ تَحْتَ [١٠٨] لسانه »[3] .
« قيمة كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُ »[4] .
« اعرف الحق تعرف أهله » .
« العلم ضالّةُ المؤمن »[5] .
« أغنى الناس العقل ، وأفقر الناس الحمق »[6] .
« الدنيا دار ممر الى دار مَقَرٍّ ، والناس فيها رجلان : رَجُلٌ ابتاع نفسَه فاعتقها ، ورجل باع نفسَه فأوبقها »[7] .
« اذا قَدَرْتَ على عدوك فاجعل الصفح عنه شكراً للقدرةعليه»[8].
« الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا ينبو » .

---

(١) ينظر صبح الاعشى ج١ ص ٢١٢ ، وجمهرة خطب العرب ج١ ص ٣٥ـ٣٦ .
(٢) فى س : رضى الله عنه .
(٣) ينظر نهج البلاغة ج٣ ص ١٨٩ .
(٤) فى نهج البلاغة ج٣ ص ١٦٨ : « قيمة كل امرىء ما يحسنه » .
(٥) فى نهج البلاغة ج٣ ص ١٦٨ « الحكمة ضالة المؤمن » .
(٦) قال الامام علي : « لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميراث كالادب ، ولا ظهير كالمشاورة » (ينظر نهج البلاغة ج٣ ص ١٦٤) .
(٧) كذا فى الاصل و(س) ، أما فى نهج البلاغة ج٣ ص ١٨٣ : « الدنيا دار ممر لا دار مقر ، والناس فيها رجلان : رجل باع فيها نفســه فأوبقها ، ورجل ابتاع نفســه فأعتقهـــا » .
أوبقها : أهلـكها . ابتاع نفسه : اشتراها وخلصها من أسر الشهوات .
(٨) كذا فى الاصل و (س) . أما فى نهج البلاغة ج٣ ص ١٥٣ : فاجعل العفو .

« عَمَرت البلدان[1] بحب الاوطان » .
« كفران النعمة لؤم ، وصحبة الاحمق شؤم » .
« اتباعُ الهوى يصُدُّ عن الهدى » .
« الحَجَر الغَصْبُ في الدار رهنٌ بخرابها » .
« ما ظفِر من ظفِر الاثم به »[2] .
« الغالب بالشر مغلوب »[3].

★ ★

ومن كلام غيره :

[من الظفر][4] تعجيل اليأس من الممتنع » .
« من لم يعرِف شر ما يؤتى لم يعرف خير ما يُبلى » .
« الكريم للكريم محل » .
« الموت في قوة وعز ، خير من الحياة في ذل وعجز » .
« لا زوال للنعمة مع الشكر ، ولا بقاء لها مع الكفر » .
« شفيع المذنب اقراره ، وتوبته اعتذاره » .
« عُجْبُ الرجل[5] بنفسه ، أحَدُ حُسَّادِ عقله » .
« اِمنعْ الناس مِنْ عِرْضِك ، بما لا يُنكِرونه من فعلك » .
« مَنْ أمَّل أحداً هابه ، ومن قصَّر عن شيءٍ عابه » .
« جَهْلُ المرءِ بقدره ، اِهلاكٌ منه لنفسه » .
« الصبرُ حيلة مَنْ لا حيلةَ له » .
« حَسبُك من شَرٍ سَماعه » .
« أُسترُ عورةَ أخيك ، لِما [١٠٩] يعرِفه فيك » .

---

(١) كذا فى س ، أما فى الاصل : البلاد .
(٢) فى نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٣١ : « ماظفر من ظفر الاثم به ، والغالب بالشر مغلوب » .
(٣) ورد هذا القول فى نهج البلاغة مع القول السابق (نهج البلاغة ج٣ ص ٢٣١).
(٤) الزيادة من س .
(٥) فى س : المرء .

« مَنْ خَفَّ على عدوه ، ثقل على صديقه » .

« من أسرع الى الناس بما يكرهون ، رمَوه بما يعلمون وما لا يعلمون » .

وهذا كثير يطول به الكتاب ، وانما ذكرنا منه بعضه لنستدل[1] به على سائره – ان شاء الله – .

★ ★

ومن الرسائل القصيرة الآتية على المعاني الكثيرة ، رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – الى مُسيلمة[2] لما كتب اليه : « من مُسيلمة رسول الله ، الى محمد رسول الله . أما بعد : فان الله – عز وجل – قسم الارض بيننا ، ولكنْ قريشٌ قوم غُدُرٌ » .

فكتب اليه : « من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب . أما بعد: فانّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

ورسالة يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد ، وقد بلغه عنه بعض التحبس[3] عن بيعته ، فكتب اليه : « من عبدالله ، أمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، الى مروان بن محمد . أما بعد : فانى أراك تقدم رجلا ، وتؤخر أخرى . فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت . والسلام » .

فصل للحسن بن وهب[4] : « فأسْألُ الله أنْ يبلغني أملي فيك ، فانها دعوة على قصرها طويلة » .

---

(١) فى س : ليدل .

(٢) هو متنبىء بنى حنيفة ، قتل يوم اليمامة فى الوقعة التى كانت بينه وبين خالد ابن الوليد عام ١١ هـ .

(٣) التحبس : التمنع والتردد .

(٤) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثى ، أبو علي ، كاتب من الشعراء ، كان معاصرا لابى تمام وله معه أخبار . كان وجيها استكتبه الخلفاء ، ومدحه أبو تمام . مات نحو عام ٢٥٠ هـ (٨٦٥ م) (ينظر فوات الوفيات ج١ ص ٢٦٩ ، والاغانى ج٢٠ ص ٥٤ ، ووفيات الاعيان ج١ ص ٣٤٠ ، والاعلام ج١ ص ١٢٨ ، وديوان أبى تمام ص ٢٩) .

ولسليمان بن وهب[1] : « انّ الدول اذا أقبلت ، أكثرت العَدَد ، وأقلَّت العُدَد ، واذا أدبرت ، أكثرت العُدَد ، وأقلت العَدَد »[2] .

ولأحمد [١١٠] بن سليمان[3] : « والنعم ثلاث : مقيمة ، ومتوقعة ، وغير محتبسة • فحرس الله لك مقيمها ، وبلّغك متوقعها ، وأتاك ما لا تحتسب منها » •

وله أيضا : « واعلم أنّ الحق لمن أصابه ، لا لمن أخطأه وقد أراده » •

ولمحمد بن عبدالملك[4] : « ولم يكن من فضل الشكر إلاّ أنّه لا يُرى الاّ بين نعمة مقصورةٍ عليه ، أو زيادة منتظرة به » •

ولابي الربيع[5] الى يحيى بن خالد[6] في اختيار العمال : « وليس

---

(١) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثى ، آخو الحسن بن وهب • وزير من كبار الكتاب ، من بيت كتابة وانشاء فى الشام والعراق • ولد ببغداد وكتب للمأمون ، وولي الوزارة للمهتدى بالله ، ثم للمعتمد على الله ، ونقم عليه الموفق باللهفحبسه ومات فى حبسه • له ديوان رسائل • وكان من مفاخر عصره أدبا وعقلا وعلما ، ولابى تمام والبحترى مدح له ولاهله • مات عام ٢٧٢ هـ (٨٨٥ م) (ينظر الاغانى ج ٢٠ ص ٦٧ وما بعدها ، وتاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٤٩ ، ووفيات الاعيان ج٢ ص ١٤٤ ، وديوان أبى تمام ص ٣٠،٣٢ ، والنجوم الزاهرة ج٣ ص ٣٧، ٤٠، والاعلام ج٢ ص ٢٠١) • والاعلام ج ٣ ص ٢٠١) •

(٢) فى س : « ان الدول اذا أقبلت كثرت العدة وان اقلت العدد ، واذا أدبرت كثرت العدد وأقلت العدة » •

(٣) هو أحمد بن سليمان بن وهب ، أبو الفضل ، كاتب له شعر من أهل بغداد ، من بيت وزارة وفضل • تقلد أعمالا ، منها : النظر فى جباية الاموال • له ديوان شعر وديوان رسائل • توفى سنة ٢٨٥ هـ (٨٩٨ م) • (ينظر معجم الادباء ج ٣ ص ٥٤ ، والاعلام ج ١ ص ١٢٨) •

(٤) هو محمد بن عبدالملك الزيات ، وزير المعتصم والواثق من بعده ، قتله المتوكل فى تنور ابتدعه الزيات ليعذب فيه من يريد عذابه سنة ٢٣٣ هـ • وله ديوان شعر أخرجه الدكتور جميل سعيد • (تنظر ترجمته مفصلة فى كتاب « محمد بن عبدالملك الزيات صاحب التنور » للاستاذ محمود الهجرسى) •

(٥) ذكر محققا نقد النثر ان أبا الربيع ــ فى أغلب الظن ــ هو محمد بن يعقوب المعروف بأبى الربيع ، ولاه المتوكل المظالم عام ٢٣٧ هـ •

(٦) كذا فى الاصل و (س) • وقال محققا نقد النثر : « كذا بالاصل ، ولم نعثر على هذا الاسم فيما بين أيدينا من المراجع ، ولعله محرف عن يحيى بن خاقان الخراسانى مولى الازد • وروى الطبرى أن المتوكل ولاه ديوان الخراج عام ٢٣٤ هـ • وبذلك يستقيم قول المؤلف : ولابى الربيع ••• » •

لك أنْ تقول لربك لم أجد وأنت لم تجتهد » .

ولابن مُكْرَم[1] : « وأسألك في حاجتي عفو امكانك[2] ، وأضمن لك جَهْدى في شكرك » .

وفصل في تعزية : « وخير حواشي نعمتك ، ما فُقد فوقاك ، أو بقي فسلاك » [3] .

[وفصل آخر : « والناس متقاربون حتى يحدث لاحدهم][4] غنى موسع أو فقر مدقع ، أو شُكْر[5] سلطان ، أو نَبْوة زمان ، أو خوف يتصل به خور ، أو أمن يدعو الى بطر » .

آخر في فصل من كتاب : « ومن نكد الزمان انني ما عاشرت أحداً الا أنزلتني عشرته بين صبر على أذىً ، أو فراق على قِلىً » .

آخر : « والاعتذار منك تفضّل ، ومنا تنصُّل » .

ومن موجز التوقيعات[6] : [وَقّع أبو صالح بن يزداد[7] الى رجل أذنب : « قد تجاوزت عنك][8] ، فان عُدْتَ ، أعَدْتُ اليك ما صرفته عنك » .

والى آخر خافه : « ليس عليك بأس ، مالم يكن منك بأس » .

---

(١) لعله ابن مكرم القاضى الذى ذكره الطبرى فى حوادث عام ٢٨٢ هـ ، وذكر أنه ولى فداء الاسرى بين المسلمين والروم .

(٢) فى س : وأسألك عفو امكانك فى حاجتى .

(٣) فى س : « وخير حواشى نعمك ما نفد ووقاك ، او بقى فسلاك » .

(٤) الزيادة من س .

(٥) فى س : سكر .

(٦) التوقيعات هى تعليقات الوزراء والرؤساء على ما يرفع اليهم من الرسائل والقصص ، وكانوا يتوخون فيها الايجاز فى اللفظ والبلاغة فى المعنى . وفى البيان والتبيين ج١ ص ١١٥ : « وقال ثمامة : سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه : « ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا » . وفى أدب الكتاب للصولى ص ١٣٤ : « وقال جعفر بن يحيى لكتابه « ان استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات فافعلوا » يريد بذلك حضهم على الايجاز والاختصار » .

(٧) هو أبو صالح محمد بن يزداد وزير المستعين بالله .

(٨) الزيادة من س .

والى آخر أدلَّ بكفايته : « أدْلَلْتَ فأمللْتَ ، فاستصغر ما فعلْتَ ، تنلْ ما أمَّلْتَ » .

ووقَّع المأمون(1) الى عامل له شُكي : « قَدْ [١١١] كثر شاكوك ، وَقَلَّ شاكروك ، فامَّا عدلْتَ ، وأمَّا اعتزلْتَ »(2) .

ووقَّع في أمر الجند : « لا يُعطَوا على الشغب ، ولا يُحوَجُوا الى الطلب » .

ووقَّع الى طاهر بن الحسين(3) : « والله ، لئن همَمْتُ لأفعلنَّ ، ولئن فعلْتُ لأُبرِمَنَّ ، ولئن أبرمْتُ لأحكِمَنَّ » .

ووقع يحيى بن خالد(4) في كتبه(5) الى رجل سأله : « أحسنُ الناس حالاً في النعمة ، من ارتبط مقيمها بالشكر ، واسترجع ماضيها بالصبر » .

ووقع محمد بن خالد(6) الى عامل له : « أجْرِ أُمورك على ما يُكْسِبُك الثناء ، ويُكسِبنا الدعاء . واعلم أنَّها أيام تنقضي ، وأعْمار تنتهي ، فاما ذِكر جميل ، واما(7) خِزي طويل » .

وإنْ رُمْنا أنْ نأتي بكل ما سمعنا في هذا الباب من مختصر الوصايا والأدب(8)، وقصير التوقيعات والخطب ، طال علينا ، وشغلنا عما اليه

---

(1) توفى سنة ٢١٨ هـ (ينظر تأريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٣) .

(2) فى س : « قد كثر شاكوك ، فأما عدلت ، واما اعتزلت » .

(3) فى س : « ووقع طاهر بن الحسين » . وطاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون فى الحرب التى جرت بينه وبين أخيه الامين . كان أديبا محبا للادب ، ولاه المأمون خراسان سنة ٢٠٥ هـ ، وتوفى سنة ٢٠٧ هـ . وهو مؤسس الدولة الطاهرية التى ظلت وراثيه فى اسرته من بعده .

(4) هو يحيى بن خالد البرمكى مؤدب الرشيد قبل الخلافة ، ووزيره المصرف لشؤون الدولة بعد أن استخلف . نكبه الرشيد ، ومات فى سجنه عام ١٩٠ هـ .

(5) فى س : نكبته .

(6) هو محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، قلده المستعين الثغور الجزرية عام ٢٥١ هـ ، وكان له بلاء فى الفتن التى وقعت بالعراق عامئذ .

(7) فى س : أو .

(8) فى س : مختصر الدعاء والوصايا .

أجرينا ، وإنما ذكرنا ما ذكرنا مثالاً[1] يحتذي عليه اللبيب ، ويستنّ به الاديب . فأما الخطب الطوال ، والرسائل الكبار ، فهي مدونة موجودة في كتب الناس .

وممن برع في المعنيين بين الايجاز والاطالة من الاسهاب والنكت ، وتقدم الناس جميعا في ذلك لتقدمه في سائر فعائله ، أمير المؤمنين – عليه السلام –[2] . وله من الخطب الطويلة المشهورة : الزهراء ، والغراء ، والبيضاء ، وغيرهن [١١٢] مما حمل عنه[3] ، ونقل الينا من قوله .

★ ★

وانما تحسن الاطالة وسط الكلام – كما قلنا – في تفسير الجمل ، وتكرار الوعظ ، وافهام الغامة . ويليق ذلك بالأئمة والرؤساء ، ومن يُقتدى به ، ويؤخذ عنه . فأما العامة والجمهور فلا يليق ذلك بهم ، ولا ينبغي أنْ يُتركوا يستعملونه ، فانه[4] لقاح البيان ، وسبب الاختلاف والتشتت[5] . وقد روي أنّ عمّارا[6] – رضي الله عنه –[7] تكلم يوما

فأوجز ، فقيل له : « لو زِدْتَنا » فقال : « أمَرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باختصار الخطب »[8] .

ولهذا [المعنى][9] قال شاعر الخوارج : [من البسيط]

---

(١) فى س : وانما ذكرنا مثالا .

(٢) فى س : « وممن برع فى المعنيين من الايجاز والاطالة ، فسلم فى الايجاز من التقصير ، وفى الاطالة من الاسهاب والتكثير ، وتقدم الناس جميعا فى ذلك كتقدمه فى سائر فضائله ، أمير المؤمنين عليه السلام » .

(٣) فى س : مما قد حمل .

(٤) فى س : فانها .

(٥) فى س : وسبيل الاختلاف ، وسبب التشتت .

(٦) هو عمار بن ياسر الصحابى المشهور .

(٧) فى س : رحمه الله .

(٨) فى البيان والتبيين ج١ ص ٣٠٣ : « أبو الحسن المدائنى قال : تكلم عمار بن ياسر يوما فأوجز ، فقيل له : لو زدتنا . فقال : أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باطالة الصلاة ، وقصر الخطب » .

(٩) الزيادة من س .

كُنَّـــا أناســاً على دينٍ فَفَرَّقَنا
قَذْعُ الـكلام ، وخلْطُ الجدِّ باللَّعِبِ
ما كان أغنى رجالاً ضَلَّ سعيُهُـــم
عن الجدالِ ، وأغناهم عن الخطبِ [١]

ومن استعمل في قوله وكتبه الايجاز والاختصار من القدماء ليهوّنَ بذلك حفظ كتبه على من يريد حفظها ، ويقرب على ناقل [كتبـــه][٢] وأقواله نقلها ارسطاطاليس وأقليدس[٣] فانهما [لم][٤] يأتيا في شيء من كلامهما بما لا يتهيأ لاحدٍ أنْ يختصره ، أوْ أن يأتي في معناهما بأقل من لفظهما فيه[٥] .

ومن استعمل الشرح والاطالة منهم ، ليفهم المتعلم ، ويفصل المعاني للمتفهم جالينوس[٦] ، ويوحنا[٧] النحوي ، وكُلٌّ قَدْ قصَدَ قَصْداً لم يرد به إلاّ النفع والخير .

★ ★

ومن الاوصاف [١١٣] التي اذا كانت في الخطيب سمي سديدا ، وكان من العيب معها بعيدا ، أنْ يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جارياً على سجيته ،

---

(١) كذا فى الاصل و (س) أما فى الكامل للمبرد ج ٣ ص ١١٥٢ :
كنا أناســا على دين فغــيرنا طول الجدال ، وخلط الجد باللعب
والبيتان لزيد بن جندب الازرقى ، وهما من أبيات قالها يذكر الاختلاف الذى وقع بين الازارقة . (ينظر البيان والتبيين ج١ ص ٢٦٧ ، وج٢ ص ١٧٠ ، والكامل ج٣ ص ١١٥٢ ، وشعر الخوارج ص ٣٥) .

(٢) الزيادة من س .

(٣) أقليدس : عالم رياضى يونانى نشأ فى الاسكندرية ربما فى عهــد بطليموس (٣٢٣ ـ ٢٨٥ ق٠م) . أنشأ مدرسة مشهورة بالاسكندرية ، وقام بتنظيم علم الرياضيات فى عصره ، وضمنه مؤلفه (الاصول) . (تنظر ترجمته فى الموسوعة العربية ص ١٨٥) .

(٤) الزيادة من س .

(٥) فى س : أو يأتى بمعناهما بأقل من لفظهما .

(٦) جالينوس : طبيب وكاتب يونانى . (تنظر ترجمته فى الموسوعة العربية ص٥٩٧).

(٧) فى الاصل : يحيى ، والتصحيح من س . ويوحنا النحوى : فيلسـوف يونانى اسكندرى عاش فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس ، وقد عرف بالنحو .

غير مستكره لطبيعته ، ولا متكلف ما ليس في وسعه . فان التكلف اذا ظهر في الكلام هجنه ، وقبح موقعه ، وحسبك من ذم التكلف أن الله – سبحانه –[1] أمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – بالتبرؤ منه ، فقال : « قُلْ ما أَسْأَلُكُم عليه من أجرٍ ، وما أنا من المتكلِّفين »[2] .

وأنْ لا يظن أنَّ البلاغة انما هي الاغراب في اللفظ ، والتعمق في المعنى ، فانّ أصل الفصيح من الكلام ما أفصح عن المعنى ، والبليغ ما بلغ المراد ، ومن ذلك اشتقا . فأفْصح الكلام ما أفصح عن معانيه ، ولم يُحوج السامع الى تفسير له بَعْدَ أن لايكون كلاماً ساقطاً ، ولا للفظ[3] العامة مشبهاً . ولذلك قال بعضهم في وصف البلاغة : « هي أنْ يتساوى فيها اللفظ والمعنى ، فلا يكون اللفظ أسبق الى القلب من المعنى ، ولا المعنى أسبق الى القلب من اللفظ »[4]. وليس ينكر مع ذلك أنْ يكلم أهل البادية بما في سجيتها علمه ، ولا ذوو اللب[5] بما في مقدار أدبهم فهمه ، وانما ينكر أن تُكلم الحاضرة والمولدون من العرب[6] بما لايعرفون ، وبما هم الى تفسيره محتاجون ، وأنْ تكلم العامة [١١٤] السخفاء بما تكلم به الخاصة الأدباء . وانما مثل من يكلم[7] انسانا بما لايفهمه ، وبما يحتاج الى تفسير له كمثل من كلَّم عربياً بالفارسية ، لانَّ الكلام انما وضع ليعرف به السامع مراد القائل ، فاذا كلَّمه بما لايعرفه فسواء عليه أكان ذلك بالعربية أم بغيرها .

فمما جرى في هذا الباب مجراه المعهود ، وسلك به [سبيله المقصود ،

---

(١) فى س : عز وجل .
(٢) سورة ص ، الآية ٨٦ .
(٣) فى س : للالفاظ .
(٤) فى البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٥ : « وقال بعضهم – وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه – : لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك » . وتنظر ص ٨٨ وما بعدها من الجزء الاول.
(٥) فى س : الادب .
(٦) فى س : الغريب .
(٧) فى س : كلم .

واتي به][1] طريقه المحمود قول طَهْفَة[2] بن أبي زهير النهدي لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كلام له طويل أغرب فيه :

« ولنا نَعَمٌ هَمَلٌ أغفال ما تبِضّ ببلال ، ووقير قليل الرِّسل كثير الرَّسل ، أصابتها سَنَةٌ حمراءُ مؤزلة ليس لها عَلَل ولا نَهَل »[3].

فقال [النبي][4] صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم بارك في مَحْضِها ، ونَحْضِها ، ومَذْقِها ، وأحبس راعيها في الدَّثر[5] بيانع الثمر ، وافجر له الثمد ، وبارك له في المال والولد »[6] . في كلام له طويل .

وكقول الآخر في بعض سؤاله [إيّاه][7] : « أيُدالِكُ الرَّجُلُ امرأته يارسول الله ؟ » فقال : « نعم ، اذا كان مُفْرَحاً »[8] .

فهذا كلام من السائل والمسؤول ، والقائل والمجيب ، حسن مأثور ، لانه مفهوم بين من يخاطب به .

---

(١) الزيادة من س .

(٢) كذا فى الاصل والنهاية فى غريب الحديث والاثر ج١ ص ٢٢١ ، و ج٢ ص ١٠٠، والمثل السائر ج١ ص ١٥٨ ، أما فى س : طخفة بن زهير . وهو ممن ورد على الرسول (ص) عام ٩ للهجرة .

(٣) اغفال : غير مرعية لاعواز النبات . ما تبض ببلال : ما يقطر منها لبن .
الوقير : الغنم . الرسل ـ بكسر الراء ـ اللبن ، ـ وبالفتح ـ الابل والغنم .
سنة حمراء : شديدة . مؤزلة : من آزلت السنة : أتت بالازل ، وهو الضيق والشدة : العلل : الشرب بعد الشرب . النهل : أول الشرب . (ينظر المثل السائر ج ١ ص ١٥٨ وما بعدها) .

(٤) الزيادة من س .

(٥) كذا فى الاصل وس ، أما فى النهاية ج٢ ص ١٠٠ : « وابعث راعيها فى الدثر ».

(٦) المحض : اللبن الخالص . النحض : اللحم . المذق : المزج والخلط . الدثر : المال الكثير ، والمراد به هنا الخصب وكثرة النبات . الثمد : الماء القليل ، أى أفجره لهم حتى يصير كثيرا .
وفى النهاية لابن الاثير أحاديث فيها بعض هذه العبارات (ينظر ج١ ص ٢٢١ ، وج٢ ص ١٠٠ ، وج٤ ص ٣٠٢ ، وج٥ ص ٢٩) .

(٧) الزيادة من س .

(٨) كذا فى الاصل و س ، أما فى النهاية ج٢ ص ١٣٠ : « وفى حديث الحسن وسئل : « أيدالك الرجل امرأته ؟ قال : نعم اذا كان مفلجا » . المدالكة : المماطلة ، يعنى مطله اياها بالمهر » .
والمفرح : هو الذى أثقله الدين والغرم ، وقد أفرحه يفرحه ، اذا أثقله (ينظر النهاية ج ٣ ص ٤٢٤) .

وانما يُستنكر من ذلك الموضوع غير موضعه ، والمخاطب به غير أهله كقول أبي علقمة النحوي[1] وقد عثر فسقط ، فاجتمعت [١١٥] عليه العامة ، فقال : « مابالكم تتكأكأون عليّ كأنما تتكأكأون على ذي جِنَّةٍ ، افرنقعوا عني »[2] . وكقول آخر من أهل زماننا « كنت في عقابيل من علتي ، فَتَلَفَّعْتُ بالعفشليل »[3] . فهذا وشبهه منكر قبيح لا ينبغي أنْ يستعمله ذو عقل صحيح .

وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ايّاكم والتشادق »[4] ، وقال : « أبغضكم اليّ الثرثارون المتفيهقون »[5] ، وقال : « مَنْ بدا جفا »[6] .

★ ★

ومن أوصاف البلاغة أيضا : السجع[7] في موضعه وعند سماحة القول[8] به ، وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه . فانّ السجع في

---

(١) كذا فى الاصل و س وبغية الوعاة ص ١٣٩ ، وتفسير الزمخشرى (سورة سبأ) أما فى الايضاح ص ٣ : كما روى عن عيسى بن عمر النحوى . وأبو علقمة النحوى النميرى من أهل واسط ، كان يتقعر فى كلامه ويعتمد الحوشى من الكلام والغريب . له أخبار عجيبة فى التقعر ذكرها الحموى فى معجم الادباء ج ١٢ ص ٢٠٥ ، والسيوطى فى بغية الوعاة ج ٢ ص ١٣٩ .

(٢) تتكأكأون : تتجمعون . افرنقعوا : تفرقوا .

(٣) عقابيل : واحدها : عقبول ، وهو بقية المرض . العفشليل : الغليظ ، الكثير الوبر (تنظر المادتان فى اللسان) .

(٤) فى النهاية ج٢ ص ٤٥٣ : « أبغضكم الي الثرثارون المتشدقون » أى : المتوسعون فى الكلام من غير احتياط واحتراز .

(٥) فى النهاية ج٣ ص ٤٨٢ : « ان أبغضكم الي الثرثارون المتفيهقون » ، وهم الذين يتوسعون فى الكلام ويفتحون به أفواههم ، مأخوذ من الفهق ، وهو الامتلاء والاتساع .

وفى الكامل للمبرد ج١ ص ٥ : « قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « ألا أخبركم بأحبكم الي وأقربكم منى مجالس يوم القيامة ، احاسنكم اخلاقا الموطئون اكتافا ، الذين يألفون ويؤلفون . ألا أخبركم بأبغضكم الي وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة ، الثرثارون المتفيهقون » .

(٦) فى النهاية ج١ ص ٢٨١ : « من بدا جفا » بالدال المهملة : خرج الى البادية ، أى : من سكن البادية غلظ طبعه لقلة مخالطة الناس .

(٧) ذكر قدامة فى نقد الشعر ص ٢٥٥ أن من عيوب ائتلاف المعنى والقافية أن يؤتى بالقافية لتكون نظيرة لاخوانها فى السجع ، لا لان لها فائدة فى معنى البيت .

(٨) فى س : القريحة .

الكلام كمثل القافية في الشعر ، وانْ كانت القافية غير مستغنى عنها ، والسجع مستغنى عنه . فأما أن يلزمه الانسان في جميع قوله ، [ورسائله][1] ، وخطبه ، ومناقلاته[2] ، فذلك جهل من فاعله ، وعيّ من قائله . وقد رؤيت الكراهة في وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وآله[3] ـ فروي أنّ رجلاً سأله فقال : « يارسولَ الله ، أرأيْتَ من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهلّ ، أليس مثل ذلك يُطَلّ »[4] قال : فقال : « أسجع كسجع الجاهلية ؟ »[5] .

وانما أنكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وآله ـ[6] ذلك ، لأنّه أتى بكلامه مسجوعاً كله ، وتكلف فيه السجع تكلّف الكهان . فأما اذا أتى به [١١٦] في بعض كلامه ومنطقه ، ولم تكن القوافي مجتلبة[7] متكلفة، ولا متمحلة مستكرهة ، وكان ذلك على سجية الانسان وطبعه فهو غير منكر ولا مكروه ، بل قد أتى في الحديث : « فيقول العبد : مالي مالي ، وماله من ماله اِلاّ ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأمضى » .

ومما تكلم به بعضُ أهل هذا العصر فأتى بالسجع فيه محموداً ، ومن الاستكراه بعيداً قوله : « والحمد لله الذي ذخر المِنّة لك ، فأخّرها حتى كانت منك ، فلم يسبقك أحد الى الاحسان [اليّ][8] ، ولم يُحاصّك أحد في الانعام عليّ ، ولم تتقسّم الأيادي شكري ، فهو لك عتيد ، ولم تُخلِق المِنَن [وجهي][9] فهو لك مصون جديد ، ولم يزل ذِمامي

(١) الزيادة من س .
(٢) المناظرات والمحادثات ، يقال : ناقلت فلانا الحديث : اذا حدثته وحدثنى .
(٣) فى س : وقد رويت الكراهية فيه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .
(٤) استهل الصبى : رفع صوته عند ولادته . يظل : لاتدفع دينه . وفى النهاية ج ٣ ص ١٣٦ : « ومنه الحديث : (من لاأكل ولا شرب ولا استهل ، ومثل ذلك يطل) » .
(٥) ينظر البيان والتبيين ج ١ ص ٢٨٤ وما بعدها .
(٦) لم ترد فى س : وآله .
(٧) فى س : مختلفة .
(٨) الزيادة من س .
(٩) الزيادة من س .

مُضاعاً حتى رعيته ، وحقي مَبخوساً حتى قضيته ، ورفعت من ناظري بعد انخفاضه ، وبسطت من أملي بعد انقباضه ، فلست[1] أعتدُّ يداً إلاّ لك ، ولا مِنّة الاّ منك ، ولا أُوَجِه رغبتي الا اليك ، ولا أتّكِل في أمري بعد الله ـ عز وجل[2] ـ إلاّ عليك . فصانك الله عن شكرِ من سواه كما صُنتني عن شكر من سواك » .

ومما يباين هذا مما وضع غير موضعه قول صديق لنا في فصل من رقعة له : « ورزقني عدلك ، وصرف عني خذلك » .

وقوله ـ أيضا ـ : « ولقد حلّت عندي بأبي[3] فلان [١١٧] المصيبة، وعظمت الشّصيبة »[4] .

وقول آخر في صدر رقعة : « أطال الله [بقاءك][5] لي خصيصاً ، ولأوِدّائك فيصوصا »[6] .

ولقد شهدت مرة ابن التُسْتَري[7] ، وكان يتقعّر في منطقه ، ويطلب السجع في كتبه ، ويستعمل الغريب في ألفاظه ، وقد لقي امرأة عجوزاً فقال لها : « خَلّي عن سَنَنِ الطريق يا قحمة »[8] ، فظنّت أنه يقول لها : « يا قحبة » ، فتعلقت به وصاحت : « يا معشر المسلمين ،

---

(١) فى س : فليس .
(٢) لم ترد فى س .
(٣) فى س : بابن .
(٤) الشصيبة : الشدة والجدب . (اللسان ـ شصب) .
(٥) الزيادة من س .
(٦) لم نعثر على معناها .
(٧) هو سعيد بن ابراهيم ، وكان نصرانيا قريب العهد من صنائع بنى الفرات هو وأبوه . وكان يلزم السجع فى مكاتباته . وله من الكتب : المقصور والممدود . (ينظر الفهرست لابن النديم ص ١٩٣) .
(٩) القحم : الكبير المسن ، وقيل : القحم فوق المسن مثل القحر ، والانثى : قحمة . وزعم يعقوب ان ميمها بدل من باء (قحب) . والقحوم كالقحم ، والقحمة : المسنة من الغنم وغيرها كالقحبة ، والاسم القحامة والقحومة ، وهى من المصادر التى ليست لها أفعال . (اللسان ـ قحم) .

نصـراني يقول لمسلمة : يافحبة » . فأخـذته الأيدي والنعـال حتى كاد يتلف[1] .

ولو كان لزوم السجع في القول ، والاغراب في اللفظ[2] ، همـا البلاغة لـكان الله ـ عز وجل ـ أولى باستعمالهما في كلامه الذي هو أفضل الـكلام ، ولـكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأئمـة المهـديون ، والسلف المتقدمون[3] قد استعملوهما ، ولزموا سبيلهما ، وسلكوا طريقهما. فأمّا ولسنا واجدين فيما في أيدينا من كلامهم استعمال السجع والغريب إلاّ في المواضع اليسيرة ، فهم أولى أنْ يُقتدى بهم ، ويُحتذى بمناهجهم ممن قد نبت في هذا الوقت من هؤلاء الذين ليس معهم من البـلاغة الاّ ادعاؤها ، ولا من الخطابة الاّ التحلي باسمها .

ومما يزيد في حسن الخطابة وجلالة موقعها ، جهارة الصوت ، فانه من أحَد[4] [أوصاف][5] الخطباء ، ولذلك قال الشاعر : [١١٨] [من المتقـارب]

جهيرُ الـكلام ، جهير العُطـاسِ ، شديد النياط ، جهيرالنغم[6]

وقال آخر : [من البسيط]

انْ صـاح يوماً حسبت الصَّخر منحدراً
والريحَ عاصفـةً ، والموجَ يلتطـمُ

---

(١) فى س : كاد أن يتلف .
(٢) فى س : فيه وفى اللفظ .
(٣) سقطت « والسلف المتقدمون » فى س .
(٤) كذا فى الاصل ، وأصل (س) ، ولـكن محققى نقد النثر كتباها : أجل .
(٥) الزيادة من س .
(٦) كذا فى س ، أما فى الاصل : سريع . وفى البيان والتبيين ج١ ص ١٢٦ :
جهير العطاس ، شـديد النياط جهـير الرواء ، جهـير النغم
ويخطو على الاين خطو الظليـم ويعلو الرجـال : بجسـم عمم
والبيتان للعمانى فى مدح هارون الرشيد . (وتنظر أخباره فى طبقات ابن المعتز ص ١٠٩) . النياط : معاليق القلب .

وذم آخر بعضض الخطباء بدقة[1] الصوت وضآلته ، فقال : [من الطويل] :

ومن عجب الأيام أنْ قُمْتَ خاطباً
وأنت ضئيل الصوت ، منتفخ السَّحْرِ[2]

وليس يلتفت في الخطابة الى حلاوة النغمة اذا كان الصوت جميلا[3] ، لانّ حلاوة النغمة انما تراد في التلحين والانشاد دون غيرهما .

وليس ينبغي للخطيب أنْ يَحْصَرَ[4] عند رمي الناس بأبصارهم اليه ، ولا يعيا[5] بالكلام عند اقبالهم عليه . وقد روي أنّ عثمان ـ رضوان الله عليه[6] ـ لما بويع له صعد المنبر فحصر وأرْتج[7] عليه فقال : « أيّها الناس انّكم الى امامٍ عادلٍ ، أحوجُ منكم الى امامٍ قائل[8] . وانّ أبا بكر وعمر ـ رضوان الله عليهما ـ[9] كانا يعدان لهذا المقام مقالاً . وستأتيكم الخطبة على وجهها ـ ان شاء الله ـ » .

وأُرْتِجَ على آخر وقد صعد[10] المنبر ، فنزل وأنشأ يقول : [من الطويل]

فالاّ أكُنْ فيكم خطيباً فانني بسيفي اذا جَدَّ الوغى لخطيب[11]

---

(1) فى س : برقة .
(2) انتفخ سحره : عدا طوره وجاوز قدره ، والسحر : الرئة .
(3) فى س : جهيرا .
(4) حصر ـ يحصر : عجز فى نطقه ولم يقدر على الكلام .
(5) فى س : يعبأ .
(6) فى س : رضى الله عنه .
(7) ارتج عليه: استغلق عليه الكلام .
(8) قال ابن قتيبة فى عيون الاخبار ج ٢ ص ٢٣٥ : « لما ولى عثمان صعد المنبر فجلس على ذروته ، فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : « ان أول مركب صعب ، وان مع اليوم أياما ، وما كنا خطباء ، وان نعش لكم تأتكم الخطبة على وجهها ـ ان شاء الله ـ » . (وينظر جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٠١) .
(9) سقطت فى س .
(10) فى س : رقي .
(11) كذا فى الاصل و س ، أما فى البيان والتبيين ج١ ص ٢٣١ : بسمر القنا والسيف جد خطيب . والبيت لثابت بن قطنة .

فكان يقال : لو قاله وهو على المنبر ، كان من أخطب الناس [١١٩].

وقد استعاذ الشاعر من الحصر والعي ، فقال : [من الوافر]

أعِذْني ربِّ من حَصَرٍ وعيٍّ ومن نَفْسٍ أُعالجها عِلاجا[1]

وينبغي له أنْ يتقي خيانة البديهة في أوقات الارتجال ، ولا يغُرَّه انقياد القول له في بعض الاحوال فيركب ذلك في سائر الاوقات وعلى جميع الحالات . فان[2] وثق بانقياد القول له ، ومسامحته اياه ، فأتى بالبديهة ما يأتي به غيره بعد التروية[3] ، فذلك الخطيب الذي لا يعادله خطيب ، والاديب الذي لايوازنه أديب[4] . وبذلك وصف الشاعر بعضهم ، فقال: [من الكامل]

قَهَرَ الامورَ بديهةً كرويةٍ من غيره ، وقريحة كتجارب

وأن يُقِلَّ التنحنح ، والسعال ، والعبث باللحية ، فان ذلك من دلائل العي ، وفيه يقول الشاعر : [من الكامل]

ومن الكبائر مِقْوَلٌ مُتَتَعْتِعٌ
جَمٌّ التنحنُحِ ، مُتْعَبٌ مبهورُ[5]

ومما يدل أيضاً على الحصر ، وتصعب القول وشدته على القائم به ، العَرَق ، قال الشاعر : [من الرجز]

للهِ درُّ عامرٍ اذا نَطَقْ في حَفْلِ املاكٍ وفي تلك الحلق

---

(١) البيت للنمر بن ثولب (ينظر البيان والتبيين ج ١ ص ٣) .
(٢) فى س : وان .
(٣) فى س : الروية .
(٤) فى س : يوازيه أديب .
(٥) فى الاصل : مقول متنحنح ، والتصحيح من البيان والتبيين ج١ ص ٤١ . ومن س . والبيت لبشر بن المعتمر .

ليس كقوم يُعرفون بالسَّرِق   من كل نَضَّاح الذّفارى بالعرق(١)

ويُروى أنّ يزيد بن عمر بن هُبيرة(٢) تكلم بحضـــرة هشام(٣) فأحسن ، فقال هشام : « مامات من خلّف هذا » . فقال الأبرش الكلبي : « ليس [١٢٠] هناك ، أما ترى جبينه يرشح لضيق صـــدره ؟ » فقـــال [له](٤) يزيد : « ليس لذلك(٥) رَشَح ، ولكن لقعودك في هذا الموضع » .

وكانوا يتعاطون سعة الاشداق ، وتبيّن(٦) مخـــارج الحروف ، ويمتدحون بذلك ، ويطول اللسان ويعدونهما من آلات الخطابة ، قـــال الشاعر [من الطويل]

تشادَقَ حتى مال بالقول شِـــدقُه
وكُلُّ خطيبٍ لا أبالَكَ أشْـدَقُ(٧)

ويروى(٨) عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال لحسان : « ما بقي من لسانك ؟ » فأخرجه حتى ضرب بطرفه جبهتـــه ، ثم قال : « واللهِ ، ما يسرني به مقْوَل من معدٍ ، والله لو وضعته على صـــخر لفلقه ، أو على شعر لحلَقه » .

---

(١) فى الاصل : بالشرق . وفى البيان والتبيين ج١ ص ١٣٣ : « وأنشـــدنى ابن الاعرابى لابى مِسمار العِكلى :

لله در عـــامر اذا نطـــق   فى حفل أملاك ، وفى تلك الحلق
ليس كقـــوم يعرفون بالسرق   من خطب الناس ومما فى الورق
يلفقـــون القول تلفيق الخرق   من كل نضاح الذفارى بالعرق
اذا رمتـــه الخطباء بالجدق

الاملاك : التزويج وعقد النكاح . حلقة القوم ، تقال بالفتح وبالتحريك وبالـكسر ، وجمعها حلق . السرق ـ بالتحريك وبفتح فكسر ـ هو السرقة

الذفارى هنا : يعنى ، بدن الخطيب . والذفريان للبعير ، وهما اللحمتان فى قفاه .

(٢) ولى للامويين من عام ١٢٨ هـ وقتله العباسيون غدرا بواسط عام ١٣٢ هـ .

(٣) هو هشام بن عبدالملك .

(٤) الزيادة من س .

(٤) فى س : مالذلك .

(٦) فى س : وتبيين .

(٧) فى البيان والتبيين ج١ ص ١٢١ : « وقال الشاعر فى عمرو بن سعيدالاشدق : تشادق ... » . (وتنظر ص ٣١٦ من الجزء نفسه) .

(٨) فى س : وروى .

وينبغي للخطيب أنْ لا يستعمل في الامر الكبير ، الكلامَ الفطير الذي لم يخمره التدبر والتفكير ، فيكون كما قال الشاعر : [من الطويل]

وذي خَطَلٍ في القول يحسب أنَّه
مُصيبٌ ، وما يعرض له فهو قائله[1]

بل يكون كما قال الآخر : [من الطويل]

وَقوفٌ لدى الأمر الذي لم يَبِنْ له
ويمضي اذا ما شَكّ من كان ماضيا[2]

وأنْ يكون لسانه سالماً من العيوب التي تشين الالفاظ ، فلا يكون ألثغ[3] ، ولا فأفاء[4] ، ولا تمتاما[5] ، ولا ذا رُتَّة[6] ، ولا ذا حبْسةٍ[7] ، ولا ذا لَففٍ[8] ، فان ذلك أجمع مما يُذْهِبُ بهاءَ الكلام ، ويهجن البلاغة ، وينقص حلاوة النطق . وقد ذكر أنّ واصل ابن [١٢١] عطاء[9] كان قبيح اللثغة على الراء [وكان الى المناقلات ، وارتجال الخطب لاهل نحلته ، ومستحسني دعوته محتاجاً ، فراض لسانه

---

(١) كذا فى الاصل وس ، أما في ديوان زهير بن أبى سلمى ص ١٣٩ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ١١٠ : فما يلمم به فهو قائله .
والخطل : كثرة الكلام وخطؤه .

(٢) كذا فى الاصل و س ، وجاء فى البيان والتبيين ج١ ص ١٠٠ : « قال : ومدح سلمة بن عياش ، سوّار بن عبدالله بمثل ما وصف به اياس نفسه حين قال :
وأوقف عند الامر ما لم يضح له وأمضى اذا ما شك من كان ماضيا

(٣) الالثغ : الذى لا يستطيع أن يتكلم بالراء .

(٤) الفأفاء : الذى يكثر ترداد الفاء اذا تكلم .

(٥) التمتام : من يردد التاء فى كلامه .

(٦) ذورته : ذو عجلة فى الكلام وقلة اناة ، وقيل : الرتة أن يقلب اللام ياء .

(٧) الحبسة : تعذر الكلام عند ارادته .

(٨) اللفف فى الكلام : ثقل وعى مع ضعف .

(٩) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلى ، المعروف بالغزال . وكان يجلس الى الحسن البصرى فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر ، وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر ، خرج واصل عن الفريقين ، وقال : ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر ، بل هو بمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن من مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس الى عمرو بن عبيد . ولد سنة ٨٠ هـ ومات عام ١٨١ هـ .

حتى أخرج الراء من منطقه][1] ، وخطب خطبة طويلة تدخل في عـــدة أوراق لم يلفظ فيها بالراء ، فكان هذا مما يعد من فضائله ، وعجيب مـــا اجتمع فيه .

ويروى أنّ زيد بن علي[2] ـ عليه السلام[3] ـ خطب بعد خطبـة خطبها الجمحي فأحسنها وأجادها ، إلاّ أنّ الجمحي كان بأسنانه فلج[4] شديد ، وكان يصفر في كلامه ، فلما تساوى كلامهما في الوزن ، وحسن النظم ، واصابة المعنى ، وسلم زيد بن علي ـ عليه السلام ـ[5] من الصفر الذي كان في كلام الجمحي ، فضل عليه . فقال عبدالله بن معـــاوية بن جعفر[6] يصف خطبة زيد : [من الكامل]

قَـدَّتْ قوادِحُها ، وتَـمَّ عـــديدُها
فله بذاكَ مزيــةٌ لا تُنْـــكرُ[7]

فهذه جمل ما يحتاج اليه في الخطابة اذا كانت مسموعة .

أما الرسائل ، فهي مستغنية عن جهارة الصوت ، وسلامة اللسان من العيوب ، لأنها بالخط تنقل[8] ، فتحتاج الى أنْ [تشاهد][9] ويساعـــد حسنَها حُسْنُ الخط ، فانّ ذلك يزيد في بهائها ، ويقربهـــا من قلب قارئهـــا .

والأصل في الخط أنْ تكون حروفه بيِّنة قائمة ، ومن الاشكال بعيدة

---

(١) فى الاصل : قبيح اللثغة فاعرض على الراء من سائر من منطقه .
(ينظر ما ذكره الجاحظ عنه فى البيان والتبيين ج١ ص ١٤ وما بعدها) .
(٢) خرج على بنى أمية عام ١٢١ هـ ، وقتل بالكوفة سنة ١٢٢ هـ .
(٣) فى س : رحمه الله .
(٤) الفلج : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات ت
(٥) فى س : رحمه الله .
(٦) خرج على الامويين بالمشرق ، وقتل عام ١٢٧ هـ .
(٧) تنظر الرواية والبيت فى البيان والتبيين ج ١ ص ٥٨ـ٥٩ .
(٨) فى س : بالخط .
(٩) الزيادة من س .

سالمة ، ثم إنْ كان مع صحته وبيانه حلواً حسناً كان ذلك أزْيَدَ في وصفه[1] . وأنْ لا يستعمل فيه[2] التخفيف الذي يُعَمِّيه الا مع مَنْ جرت عادته بقراءة مثل ذلك واستعماله ، كنحو ما [١٢٢] جرت عادة الكتاب في تعليق الميم ، واقامة الكاف وتصيير شكلة عليها تفرق بينها وبين اللام ، ومد الشين[3] ، وتصيير شكلة عليها ، أو تنقيط ثلاث نقط من فوقها[4] ، فانّ استعمال ذلك مع من قد جرت[5] عادته باستعماله كاستعمال الغريب مع من يفهمه ، واستعمال اقامة الحروف على حقائقها وأصول أشكالها كاستعمال المعهود من الكلام المصطلح عليه مع سائر الناس .

وأنْ لا يكثر مَدَّ الحروف[6] التي لم تَجْرِ العادة بمدّها ، فانّ أبا أيوب[7] ــ رحمه الله ــ كان يقول : « المدة في غير موضعها لَحْنٌ في الخط » . وأنْ يتفقد قلمه بقطه وتسويته ، فانّ أبا أيوب [رحمه الله][8] كان يقول : « القلم الرديء كالولد العاق » .

ومما يزيد الخط حسناً ، ويمكن له في القلب[9] موضعاً ، شدةُ سواد المداد ، وجودة الإلاقَة[10] الدواة ، فانه يجري من الخط مجرى القطن من الثوب . فمتى كانَ القطن[11] رديء الجوهر لم ينفع النسّاج حذقه ، ووضع من الثوب سوء جوهره ، وان أحكم الصانع صنعته .

---

(١) فى كتاب أدب الكتاب للصولى ص ٤٦ وما بعدها ، فصول فيما قيل فى حسن الخط من المنظوم ، وما قيل فى قبحه ، والوصاية باصلاح الخط وآلته ، وما قيل فى النقط والشكل والخط الدقيق .

(٢) فى س : به .

(٣) فى س : السين .

(٤) فى س : تحتها .

(٥) فى س : من جرت .

(٦) فى س : والا يمد الحروف .

(٧) هو سليمان بن وهب ، وقد مرت ترجمته .

(٨) الزيادة من س .

(٩) فى س : القلوب .

(١٠) الاقة الدواة : اصلاح ليقتها ومدادها . يقال : ألقت الدواة أليقها الاقة ، اذا أدرت كرسفها حتى تسود .. وحقيقة ألاق الدواة فى اللغة انما هو : ادار المداد فيها حتى لصق وعلق (ينظر أدب الكتاب للصولى ص ٩٩) .

(١١) فى الاصل : فهى كالقطن . والتصحيح من س .

اختيار الرسول

والذي يحتاج اليه المرسل في الرسول حتى يكون عند ذوي العقول لبيبا ، ومن الصواب قريبا ، أنْ يختاره حتى يكون أفضل من بحضرته في عقله ، وضبطه ، وأدبه ، وعارضته ، ودينه ، ومروءته . فقد كان يقال : « ثلاثة يدل على [١٢٣] أهلها : الهدية على المُهدي ، والرسول على المُرْسِل ، والكتاب على الكاتب » . وكان يقال : « رسولُ الرجل مكان رأيه ، وكتابه مكان عقله » .

وكذلك جعل الله ـ عز وجل ـ رُسُلَه أفضل خلقه ، وأخبر أنَّه اصطفاهم على العالمين ، فقال [1] : « اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يجعلُ رسالَتَه »[2] .

وانما وجب أنْ يختار العاقلُ رسولَه ، لانّه قد أقامه فيما يؤديه عنه مقامه ، فعليه أنْ يجعله أفضل من بحضرته ، وعلى الرسول [أن][3] يؤدي ما حمل كما قال الله ـ عز وجل ـ : « فانما عليه ما حُمّل »[4] . وكما قال : « فهلْ على الرُسُلِ الاّ البلاغُ المبين »[5] . وانَّما وجب عليه البلاغ ، لانّ الرسالة أمانة ، فعليه تأديتها[6] ، لأن الله ـ عز وجل ـ

(١) فى س : وقال .
(٢) سورة الانعام ، الآية ١٢٤ .
(٣) الزيادة من س .
(٤) سورة النور ، الآية ٥٤ .
(٥) سورة النحل ، الآية ٣٥ .
(٦) فى س : أن يؤديها .

يقول : « إِنَّ الله يأمُركم أنْ تُؤدُّوا الامانات الى أهْلها »[1] . وليس للرســول أن يزيد في الرسالة ، ولا أنْ ينتقص منها ، لانّ ذلك خيانةٌ للامانة ، إلاّ أنْ يكون المرسِل فوّض اليه أنْ يتكلم عنه بما يرى[2] ، فقد قال الشاعر : [من المتقارب]

وانْ كُنْتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فأرْسِل حكيماً ولا تُوصِهِ[3]

وانما أمر بذلك ، لانّ الحكيم اذا وَصَّيْتَه لم يتجاوز وصيتك . وانْ كان الرأى عنده خلافها فربما ضَرَّكَ بترك الأصوب عنده ، واتباع أمرك ، ولا لوم عليه في ذلك ، واذا فوّضْتَ اليه عمل بحــكمته ورأيه [١٢٤] . وقد روي في هذا المعنى أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَجَّهَ بأمير المؤمنين[4] في بعض أموره فقال له : « أكون يا رسولَ الله في الأمر اذا وجهتني اليه ، كالسكة المحماة اذا وضعت للميسم ، أو يرى الشاهد ما لايرى الغائب » . فقال : « بل يرى الشاهدُ ما لايرى الغائب ». ففوّض اليه لما وثق برأيه وقال لغيره من الناس : « نَضَّرَ اللهُ امرءاً سَمِعَ مقالتي فأداها »[5] . ولم يفوّض اليهم لقلة ثقته بهم .

فعلى العاقل أنْ يستشعر هذا المعنى في رسله ، فاذا أرسل من يثق بأمانته وعقله ، فوّض اليه أنْ يقول عنه مايراه أولى بالصواب عنده ، واذا لم يكن بهذه المنزلة اِلاّ أنّه أفضل من يقدر عليه للوقت ، وَصّــاه ألاّ

---

(١) سورة النساء ، الآية ٥٨ .

(٢) فى س : رأى .

(٣) البيت من قصيدة لعبدالله الطالبى (ينظر الحماسة البصرية ج٢ ص ٥٩) .

(٤) فى س : وجه عليا عليه السلام .

(٥) كذا فى الاصل وس ، أما فى سنن أبن ماجــة ج ١ ص ٨٤ ، ٨٥ ، و ج ٢ ص ١٠١٥ : « نضر الله امرءا سمع مقالتي فبلغها » . وفيه ج ١ ص ٨٦ : « نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها ، ثم بلغها عنى » .
وفى النهاية ج٥ ص ٧١ : « نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها » .
نضره نضره وأنضره : أى نعمه . ويروى بالتخفيف والتشديد من النضارة ، وهى فى الاصل : حسن الوجه ، والبريق ، وانما أراد حسن خلقه وقدره .

يتجاوز قوله . وعليه أنْ يتخير من الرسل من لايكون فيه العيوب التي نذكرها ، وهي :

الحدة : فان صاحبها ربما فقد عقله ، وليس من الحزم أنْ يقيم الانسان مقامه من يفقد عقله .

والحسد : فان صاحبه عدو نعم الله ـ عز وجل ـ ولا يحب أنْ يرى لك ولا لغيرك حالاً مستقيمة ، ومتى رأى شيئاً من ذلك حمله حسده على أنْ يفسده .

والغفلة : فانّ صاحبها لايضبط ما يحمله عنك ، ولا ما يعود به اليك[1] .

والعجلة : فانّ صاحبها يضع الاشياء في غير مواضعها [2] [١٢٥] ، ويسبق بها أوقات فرصتها . وقد قيل : « رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً»[3] . وقال الشاعر : [من البسيط]

قد يُدْرِكُ المتأني بَعْضَ حاجته
وقد يكونُ مع المستَعْجِلِ الزَّلَلُ[4]

والنميمة : فانها تفسد الاخاء ، وتكدر الصفاء ، ولا يتم معها أمر ، ولا ينجح لمستعملها طلبة ، لانّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « استعينوا على نجح حوائجكم بالكتمان » ، فمن خالفه[5] كان بعدم التوفيق جديرا ، وبالحرمان حقيقا .

والكذب : فانّه مجانب الايمان ، وليس لكذوب رأي ، واذا اعتمد الانسان في أمره على من يكذبه كان في ذلك شَيْنه وعطبه .

---

(١) فى س : ولا يعود به اليك .

(٢) فى س : لايضع الاشياء على مواضعها .

(٣) ويروى (تهب ريثا)ـ بتشديد الباء ـ قاله أبو زيد . وأول من قال ذلك مالك بن عوف بن أبى عمرو بن محلم الشيبانى . (ينظر الفاخر ص ٢٠٨ ومجمع الامثال للميدانى ج١ ص ٢٩٤) .

(٤) البيت للقطامى (ينظر ديوانه ص ٢٥) .

(٥) فى س : خالف ذلك .

والضجر : فليس للضجور صبر على حفظ رسالة[1]، ولا تأدية أمانة .

والعُجْب : فانّ صاحبه منه في غرور ، وربما حمله عُجْبه على أنْ يخالفك فيما يضر بك فيه .

والهَذَر : فانَّ من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن أسقط لم يحفظ سر صاحبه وأبداه ، وانْ لم يكن ذلك مغزاه .

فان[2] سلم الرسول من هذه العيوب ، وكان مع ذلك أديبا أو مقارباً لوصف الاديب بلغ [للمرسِل][3] باذن الله ـ عز وجل ـ مراده ، وأمن ضرره وفساده .

فهذه عمدة ما يُحتاج اليه في اختيار الرسول ، وانّ اتفق للمرسل مع ذلك ، أنْ يكون الرسول مقبول الصورة ، حسن الاسم [١٢٦] كان ذلك زائداً في توفيق الله ـ عز وجل ـ له . وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأل الوافد عن اسمه ، فاذا كان حسناً تفاءل به وأعجبه، واذا كان مكروها غيَّرَه .

وعلى الذي تؤدَى اليه الرسالة أنْ يستمعها ، ولا يلوم الرسول اِنْ أغلظ له فيها ، فليس على رسول لوم ، لانّه مؤتمن ، وانما اللوم على المُرسِل اِنْ كان لوم[4] ، فان أحب أنْ يقابله بمثل رسالته فعل ، فقد أباحه الله ـ عز وجل ـ[5] ذلك بقوله ـ سبحانه ـ[6] : « فمن اعتدى عليكم ، فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »[7]. فانْ أمسك وعفا ، فالعفو أقرب للتقوى وأوْلى بالرأي عند ذوي الحجا .

---

(١) فى س : على حفظ الاسرار فى رسالة .
(٢) فى س : فاذا .
(٣) الزيادة من س .
(٤) سقطت هذه العبارة فى س .
(٥) لم ترد فى س .
(٦) لم ترد فى س .
(٧) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

الجدل والمجادلة

وأمّا الجدل والمجادلة ، فهما قول يقصد به اقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين . ويستعمل في المذاهب ، والديانات ، وفي الحقوق ، والخصومات ، والتنصل في الأعتذارات[1] . ويدخل في الشعر وفي النثر .

وهو ينقسم قسمين : أحدهما محمود ، والآخر مذموم .

فأما المحمود : فهو الذي يقصد به الحق ، ويستعمل فيه الصدق .

وأما المذموم : فما أريد به المماراة ، والغلبة ، وطلب به الرياء والسمعة .

وقد جاء في القرآن والخبر[2] ، مدح ما ذكرنا أنّه محمود ، وذم ما ذكرنا أنّه مذموم ، وتواتر فيه قول الحكماء [١٢٧] وألفاظ الشعراء ، فقال اللّه ـ عز وجل ـ : « ولا تُجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحْسَنُ »[3] . وقال : « يوم تأتي كلُّ نَفْسٍ تُجادِل عن نفسها »[4] . وقال في ابراهيم ـ عليه السلام[5] ـ : « وحاجَّه قومُه ، قال : اتحاجُّونّي في اللهِ وقد هَداني »[6] . وقال : « وتلك حُجَّتُنا آتيناها ابراهيمَ على

(١) فى س : والتسول والاعتذارات .

(٢) لم ترد فى س .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

(٤) سورة النحل ، الآية ١١١ .

(٥) لم ترد فى س .

(٦) سورة الانعام ، الآية ٨٠ .

قومه »[1] . وبذلك تعبّد[2] أنبياءه وصالحي عباده ، فقال [عز وجل][3]: « ادْعُ الى سبيلِ ربّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنَةِ ، وجادِلْهُمْ بالتي هي أحْسَنُ »[4] .

وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته ، وبيَّن عن حقه ، واستنقاص من عجز عن ايضاح حقه ، وقصر عن القيام بحجته . ووصف الله ـ عز وجل ـ قريشاً بالبلاغة في الحجة واللّدَد[5] في الخصومة ، فقال : « وتُنْذِرَ به قوماً لُدّاً »[6] . وقال: « فاذا ذهبَ الخوفُ سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ ، أشحّةً على الخير»[7] . وقال : ومن الناس من يُعجبُكَ قولُه في الحياة الدنيا ، ويُشْهِدُ اللهَ على مافي قلبه ، وهو ألدُّ الخصام »[8] . وقال : « وإنْ يقولوا تَسْمَعْ لقولهم ، كأنهم خُشُبٌ مُسَنّدَةٌ »[9]. وذم مَنْ لا يقيم حجته ، ولا يبين عن حقه في خصومته ، وشبّههم بالولدان والنسوان، فقال : « أوَ مَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْيةِ ، وهو في الخصامِ غيرُ مُبين »[10]

وقال الشاعر : [١٢٨] [من الطويل]

وإنَّ امرءاً يعيا بتبيين حقه
اذا اعتركت عند الخصام القرائحُ
لآبائه انْ كان من بيت قومه
وللحَسَبِ المأثور عنهم لفاضِحُ

(١) سورة الانعام ، الآية ٨٣ .
(٢) يقال تعبدالله العبد بالطاعة : أى : استعبده .
(٣) الزيادة من س .
(٤) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .
(٥) اللدد : الخصومة الشديدة .
(٦) سورة مريم ، الآية ٩٧ .
(٧) سورة الاحزاب ، الآية ١٩ .
(٨) سورة البقرة ، الآية ٢٠٤ .
(٩) سورة المنافقون ، الآية ٤ .
(١٠) سورة الزخرف ، الآية ١٨ .

وأمّا ما جاء في ذم التعنت والمراء ، وطلب السمعة والرياء ، وقصد الباطل وركوب الهوى ، فقول الله – عز وجل – : « ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ، فمن يجادلُ اللهَ عنهم يومَ القيامة ، أمْ من يكونُ عليهم وَكيلا[1] » ، وقوله : « والذين يُحاجُّون في الله من بعد ما استُجيبَ له ، حُجَّتُهم داحِضةٌ عند ربِهم ، وعليهم غَضَبٌ ، ولهم عَذابٌ شديدٌ »[2] .

ووصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صديقاً كان له في الجاهلية[3] ، فقال : « كان لا يُشاري ولا يماري »[4] ، وقال : « من تَسَمَّع ، سَمَّع الله به »[5] .

وقال بعضهم : « المِراءُ يُفْسِدُ الاِخاءَ » ، وأنشد : [من الكامل] .

فَدَعِ المِراءَ اذا نطقْتَ فانّه ... يُغري بك الأعداء والحسّادا

وقيل[6] : « دَعِ المِراءَ لقلة خيره » .

وقال أمير المؤمنين – عليه السلام –[7] لابن الكوّاء[8] : « سلْ تَفقّهاً ، ولا تسأل تعنُّتا » .

وحق الجدل أنْ تبنى مقدماته مما يوافق الخصم عليه ، وانْ لم يكن

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٠٩ .
(٢) سورة الشورى ، الآية ١٦ .
(٣) هو السائب بن أبى وداعة القرشى السهمى .
(٤) المشاراة : التمادى فى الخصومة .
(٥) فى النهاية ج٢ ص ٤٠١ : « من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه » . يقال سمعت بالرجل تسميعا اذا شهرته ونددت به .
(٦) فى س : وقال .
(٧) فى س : رضى الله عنه .
(٨) هو عبدالله بن الكواء اليشكرى ، كان عالما ، وكان أول أمره ممن ثار على عثمان ابن عفان – رضى الله عنه – ثم صار من أصحاب على – كرم الله وجهه – ثم خرج عليه وصار من زعماء الخوارج .

في نهاية الظهور للعقل . وليس هذا سبيل البحث ، لانّ حق الباحث أنْ يبني مقدماته مما هو أظهر [١٢٩] الاشياء في نفسه وأثبتها في عقله[١] ، لانّه يطلب البرهان ، ويقصد لغاية التبيين والبيان ، وألاّ يلتفت الى[٢] اقرار مخالفه .

فأمّا المجادل فلما كان قصده انما هو[٣] الزام خصمه الحجة ، كان أوكد الاشياء [في ذلك][٤] أن يلزمه اياها من قوله ، وذلك مثل قول الله ـ عز وجل ـ لليهود لمّا أراد الزامهم الحجة فيما حرّموه على أنفسهم بغير أمر ربهم : « كُلُّ الطعامِ كانَ حِلاًّ لبني اسرائيل الاّ ما حَرَّمَ اسرائيلُ على نفسه من قَبْلِ أنْ تُنَزَّلَ التوراةُ ، قُلْ فأتوا بالتوراة فاتلوها انْ كنتم صادقين . فمن افترى على اللهِ الكَذِبَ من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون »[٥]. فجادلهم بكتابهم الذي يقرون بمفروض ما فيه[٦] ووجوبه عليهم ، وأعلمهم أنّهم اذا حرّموا على أنفسهم ما لم يحرّمه الله ـ عز وجل ـ[٧] في كتابهم الذي هذه سبيله في وجوب التسليم له ، فقد ظلموا ، واعتدوا ، وهذا لازم لهم .

وقد قلنا : انّ الجدل انما يقع في العلة من بين سائر الاشياء المسؤول عنها ، وليس يجب على المسؤول الجواب الاّ بعد [أنْ][٨] يستأذن[٩] في السؤال ، فانْ لم يأذنْ ، فله ذلك ، وليس ينسب به[١٠] الى انقطاع

---

(١) فى س : أبينها لعقله .
(٢) فى الاصل : على . والتصحيح من س .
(٣) فى س : انه انما هو .
(٤) الزيادة من س .
(٥) سورة آل عمران ، الآيتان ٩٣ ، ٩٤ .
(٦) فى س : يقرون به ويفرض مافيه .
(٧) لم ترد فى س .
(٨) الزيادة من س .
(٩) فى س : يأذن .
(١٠) لم ترد فى س .

ولا محاجزة . فانْ اذن فقد لزمه الجواب ، فانْ قصَّـــر عنه نسب الى العجز[1] .

وطلب العلة يكون على [١٣٠] وجهين : امَّــا أنْ تطلبهـــا وأنت لا تعلمها ، وامَّا أنْ تطلبها وأنت تعلمها ، ليقر لك بها ، وليس لك أنْ تجادل أحداً في حقٍ تدعيه الاّ بعد مسألته عن العلة فيما ادعاه ، فان كان علمك بعلته قد تقدّم في شهرة مذهبه ، فالأحوط أن تقرره بما بنى عليه أمره لئلا يجحد بعض من ينتحله أهل مذهبه اذا وقف عليه الـــكلام ، ويدّعي أنَّه يخالفهم[2] فيه . فان أمنت ذلك فلا عليك أنْ تجادله انْ لم تُقدِّره بعلته .

واثنان لا يلزمك منهمـا سؤال ، ولا يجب لهمـا عليـك جواب : أحدهما : من سألك عن العلة في شيء ادعيته فأخبرته بها ، وهي مما يجوز أنْ يعلل ذلك الشيء بمثله ، فطالبك بعلة العلة[3] ، فمطـــالبته في ذلك غير لازمة ، ومسألته ســـاقطـة ، لانّ ذلك يوجب [أنّ][4] يطـــالب لعلة العلة بعلة[5] ، ثم كذلك الى مالا نهاية [له][6] .

والآخر : مَنْ أراد مناقضتك في مذهبك ولم ينصب لنفسه مذهبـاً يجب له عليك فيه بمخالفتك اياه المخاصمة ، فليس تلزمك له حجـــة في ذلك ، ولا يجب له عليك فيه سؤال . ومثال ذلك : أنَّ رجلا لو صار[7] الى بعض الائمة والحكام برجل قد قتل رجلاً أو أخذ ماله ، وأقام البيِّنة على ذلك ، ثم لم يكن ولي الدم ، ولا صاحب المال ، ولا وكيلاً لأولياء [١٣١]

---

(١) سيأتى تفسير المؤلف لهذه الالفاظ .
(٢) فى س : مخالفهم .
(٣) فى س : للعلة .
(٤) الزيادة من س .
(٥) فى س : بعلة للعلة .
(٦) الزيادة من س .
(٧) فى س : سار .

الدم ، أو لصاحب المال ، لم يكن للامام أو الحاكم أنْ يقيما حداً عليه[١] [أو يطالباه بردٍّ ما أخذ][٢] ، اذ كان الدافع له ، والمطالب بذلك فيه غير مستحق للمطالبةِ بما يجب عليه من الحكم .

★ ★

والعلل علتان : قريبة وبعيدة ، فالقريبة ما كان المعلول تاليها[٣] ، والبعيدة ما كان بينه وبينها غيره . وذلك كالولد الذي علته القريبة النكاح، وعلته البعيدة والداه[٤] .

وللعلل وجوه :

منها : اعتبارها ، فانْ اطردت في معلولاتها صَحَّتْ ، وانْ قصرت عن شيء من ذلك علم أنَّها غير صحيحة . ومثال ذلك أنّ الحركة لما كانت علة للمتحرك كان قولنا اذا سُئلنا عن الجسم المتحرك ما علة حركته ؟ فقلنا : حلول الحركة فيه ـ قولاً صحيحاً ، لانَّه يطرد في معلولاته ويوجد في كل جسم متحرك . فأما اذا[٥] سُئلنا عن العلة في حركة الجسم ، فقلنا : لانَّه جسم ، كان ذلك باطلا ، لانَّه قد تكون أجسام لاحركة فيها .

ومنها : أنْ تكون العلة في صحة الشيء ، هي العلة في بُطلان ضده اذا كان ضداً لا واسطة له . وقد مضى تمثيل ذلك .

ومنها : أنّ العلة في الشيء اذا كانت من اجتماع شيئين أو أكثر من ذلك لم تكن واجبة اذا انفرد بعض تلك الاشياء . مثل رجل أراد قلب حجر ثقيل فلم [١٣٢] يُطِقْه ، فلما عاونه عليه غيره وتأيدت قواهما قَلَباه . فليس العلة في الاستقلال به أحدهما ، لانّ كل واحد منهما عاجز عنه اذا

---

(١) فى س : ولا وكيلا لصاحب الدم من أوليائه ، ولا لصاحب المال ، فلم يكن للائمة ولا للحكام أن يقيموا حدا عليه .

(٢) الزيادة من س ، مع تغيير .

(٣) فى س : واليها .

(٤) فى س : والده .

(٥) لم ترد فى س .

انفرد به ، وانما العلة اجتماعهما . ومن هذا المعنى يحتج للتواتر بأنّه حجة ، وان كان كل واحد من المخبرين يجوز عليه الكذب .

ومنها : أنّ العلة اذا كانت مأخوذة مما يوافق الخصم فيه فلا مطعن له فيها . وذلك مثل قول موحّد سأله مشبّه عن العلة في قوله : « ان الله - سبحانه -[1] ليس بجسم » ، فقال : لأجتماعنا على أنه ليس يُشبهه شيء ، فلو كان جسماً لكان مثل الاجسام في معنى الجسمية . فاذا كانت العلة مأخوذة مما يخالفك فيه الخصم ، فليس يجوز أنْ يحتج عليه بها الاّ بعد أنْ تُعلمه أنّ علتك مأخوذة مما يخالفك فيه ، وانّه لا سبيل الى تعريفه صحتها الاّ بعد أنْ تصح عنده المقدمات التي أوجبتها ، وذلك كجواب موحّد سأله مُلحد عن العلة في اثبات الرسل ، فليس يمكنه أنْ يبين ذلك الاّ بعد أنْ يدل على الباري - سبحانه - . فاذا صح في نفس خصمه أنه موجود ، وأقرّ له بذلك ، ذكر العلة في الرسل . فأما قبل ذلك فلا سبيل له الى ايجاده العلة في ذلك .

ومنها : أنّ الجدل في العلة والسؤال عنها ماضٍ في سائر ما يخالفك فيه [١٣٣] خصمك ، فاذا صِرْتَ الى ما يوافقك فيه ، فليس لك أنْ تسأل عن العلة ، ولا أنْ تجادله فيها ، لانّك حينئذ تكون مجادلاً لنفسك ، اللّهم الاّ أنْ يكون سؤالك عن العلة في ذلك لتقريره بها[2] ، ثم تأخذه بطردها في شيء - وقد أباه - حكمه حكم ما وافقك عليه[3] ، وذلك مثل قولك[4] لمن وافقك على اثبات الباري - عز وجل - وهو مجسم : ما علتك ودليلك[5] اللذان أوجبت بهما وجود الباري - عز وجل - ؟ فيدل على ذلك بما يشاهده من تأليف الاجسام ووجودها بعد أنْ لم تكن ، وتناهيها وتركيبها وآثار الصنْعة فيها ، فتكون علته في ذلك هي العلة في أنّ صانعها

---

(١) لم ترد فى س .

(٢) فى س : لتقرره بها .

(٣) فى س : فيه .

(٤) فى س : كقولك .

(٥) فى س : ما دليلك وعلتك ؟

لا يشبهها ولا يكون مثلها . وانَّه متى كان جسماً لزمه حكم الاجسام في الحاجة الى صانعٍ غيرِه ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيرا[1] .

ومنها : ان المعارضة في الجدل صحيحة ، وانْ كان قوم قد أبَوْها ، وقالوا : انَّها لا مسألة ولا جواب . فليس الامر كما ظنوا ، والمعارضة هاهنا المقابلة كما يقال : عارضت السلعة [اذا بعتها][2] بمثلها . فاذا قابلت بين الأمرين والعلتين ، وطالبت خصمك أن يحكم للشيء بما توجبه العلة في نظيره كان ذلك واجبا . وقد عارض الله ـ سبحانه ـ[3] من أبى البعث واستنكره [١٣٤] مع اقراره بابتداء الخلق واختراعه فقال : « وَضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَه ، قال : مَنْ يُحيي العظامَ وهي رَميمٌ ؟ قُلْ : يُحييها الذي أنشَأها أولَ مَرّة ، وهو بكل خَلْقٍ عليم »[4]. فألزمهم [الله][5] أنْ لا ينكروا اعادتهم بعد أن فُقدوا[6] مع اقرارهم بابتداء الله اياهم وما كانوا .

وكل زيادة تقع في المسألة أو العلة من جنس المسألة فليس ذلك بخروج عنها ، فامَّا ما خالف معنى المسألة والعلة فهو خروج[7] وتخليط . وقد ذكر المتكلمون الخلاف والمناقضة ، وكثيرا ما يستعملون بعض ذلك في موضع بعض ، ونحن نبيّن كل واحد منهما ، ونرسم فيه ما يعرف به الفرق بينه وبين الآخر ، فليُستعمل[8] كل واحد منهما في موضعه .

* *

(١) لم ترد فى س . وفى سورة الاسراء ، الآية ٤٣ : « سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » .
(٢) الزيادة من س .
(٣) فى س : عز وجل .
(٤) سورة يس ، الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .
(٥) الزيادة من س .
(٦) فى الاصل : قيدوا . والتصحيح من س .
(٧) فى الاصل : مخروج . والتصحيح من س .
(٨) فى س : فيستعمل .

فالمناقضة في اللغة : المفاعَلَة ، من « نقضت البناء والغزل وغيرهما ، [فاذا][1] بنى الانسان قوله على اثبات شيء لشيء بعينه ثم نفاه عنه ، أو بنى قوله على نفي شيء عن شيء بعينه ،ثم أثبته له ، فكأنه قد نقض مابنى، واستحق اسم المناقضة . وانما جعل ذلك على « المفاعَلَة » لان المجادلة لا تتم[2] الا بين اثنين ، وانّما تقع المناقضة في الكلام اذا كان المخبر عنه واحداً والخبر واحداً ، ولم تتشابه الاسماء والاخبار[3] في لفظها مع اختلاف معانيها ، وكان الزمان في القول واحداً [١٣٥] والمكان واحداً ، والنسبة في الاستطاعة والفعل واحدة ، ثم اختلفا [في تلك][4] بالايجاب والنفي . فتلك المناقضة ، فأمّا اذا لم يكن المخبر عنه واحداً في الاسم كقولنا : « زيد قائم ، وعمرو غير قائم » ، فليس ذلك مناقضة . واذا اتفقت الاسماء واختلفت معانيها كقولنا : « اسحاق مُغَنٍّ » و« اسحاق غيرُ مُغَنٍّ »، ونحن نريد باسحاق الاول : الموصلي، وبالآخر الظاهري[5] فليس ذلك مناقضة . واذا اشتبهت الاخبار ، واختلفت معانيها ، كقولنا : « زيد أسود من عمرو » و « ليس زيدٌ أسود من عمرو »[6] ونحن نريد بأحدهما : السؤدد ، وبالآخر : السواد [الذي هو ضدّ البياض][7]، فليس ذلك مناقضة . فاذا اختلف الزمان في القول فقلنا : « زيد قائم ، وزيد غير قائم » ، وأردنا أنّ زيداً قائم الساعة ، وغير قائم في غد ، فليس ذلك بمناقضة[8] . واذا اختلف المكان في ذلك فقلنا : « زيدٌ خارج ، وزيدٌ غيرُ خارج » وأردنا أنّه خارج من داره ، وغير خارج من المدينة ، فليس ذلك بمناقضة[9] . واذا

(١) الزيادة من س .
(٢) فى س : لا تقع .
(٣) فى س : ولا الاخبار .
(٤) الزيادة من س .
(٥) اسحاق بن ابراهيم الموصلى المغنى المعروف ، المتوفى سنة ٢٣٦ هـ ، وأما الظاهرى فهو اسحاق بن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨ هـ ، جمع بين الحديث والفقه ، وعنه أخذ داود الظاهرى أمام أهل الظاهر .
(٦) سقطت من س ، واضافها المحققان لانها زيادة يقتضيها السياق .
(٧) الزيادة من س .
(٨) فى س : بالمناقضة .
(٩) فى س : مناقضة .

اختلفت النسبة في الاستطاعة والفعل فقلنا : « زيد كاتب ، وزيد غير كاتب » ، ونحن نريد أنَّه يحسن الكتابة ويستطيعها متى أرادها ، وهو غير كاتب بيده في حال[1] الاخبار عنه ، لم يكن ذلك مناقضة[2] . فهذا معنى المناقضة .

★ ★

وأمَّا الخلاف فهو ما [١٣٦] خالف الشيءُ [الشيءَ][3] فيه في بعض ما ذكرناه ، ولم تجتمع له شروط المناقضة التي وصفناها . وأكثر ما وقع الخلاف[4] في الشرائع خاصة من جهة النسخ ، أو التشابه في الأسماء والاخبار ، [أو][5] من جهة الخصوص والعموم ، أو من جهة الاجمال والتفسير ، أو من جهة الرأي والتخيير . وقد ذكرنا ذلك بشرحه في كتاب « التعبد » بما أغنى عن اعادته ، الا ّ أنّا نذكر من ذلك جملاً تدل عليه .

أما الاختلاف من جهة النسخ : فهو أنْ يكون الشيء محرماً ثم يحلل ، أو محللا ثم يحرم ، أو مفروضاً ثم يترك ، أو متروكاً ثم يفرض ، فيعلم الاول قوم ، ولا يعلمون بالنسخ[6] ، فيعملون بما علموا . أو يعرف النسخ آخرون فيأخذون بما عرفوا ، فيقع الخلاف بينهم من هذا الوجه ، وذلك مثل المسح على الخفين ، فانِ الشيعة تزعم أنَّه منسوخ ، والعامة ماضية على الاول[7]. وكالمتعة[8] التي تزعم العامة أنَّها منسوخة ، والشيعة ماضية فيها على الامر الأول . وانما خالف النسخ المناقضة لاختلاف

(١) فى س : حالة .
(٢) فى س : لم تكن مناقضة .
(٣) الزيادة من س .
(٤) فى س : من الخلاف .
(٥) الزيادة من س .
(٦) فى س : النسخ .
(٧) قال محققا نقد النثر : « المراد بالعامة هنا : غير الشيعة من المسلمين » .
(٨) المتعة : الزواج المؤقت .

الاوقات ، وانّ الوقت الذي حرم فيه الحلال غير الوقت الذي حُلل فيه الحرام .

وأما الاختلاف من جهة التشابه في الاسماء أو الاخبار ، فمثل تحريم المسكر ، فانّ قوماً حملوه على أنَّه الشراب [١٣٧] الذي هذا نعته ، فحرموا قليل النبيذ وكثيره ، وقوم حملوه على أنَّه الجزء الذي يسكر دون غيره فأحلوا منه ما كان دون السكر ، فوقع الاختلاف بينهم لاختلاف[١] التأويل .

وأمَّا الخصوص والعموم ، فهو أنْ يعم بالنهي جنسٌ ، ثم يخص نوع منه بالتحليل ، أو يُعم بالتحليل جنس ثم يخص منه نوع بالتحريم[٢]، وذلك كتحليل الله - عز وجل[٣] - البيع جملة ، واختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم - تحريم الدرهم بالدرهمين ، والدينار بالدينارين ، والرطب بالتمر ، وأشباه ذلك . وقد ذهب هذا التخصيص على عبدالله بن عباس[٤] - رضوان الله عليه [٥] - ، فكان يجيز بيع الدرهمين بالدرهم اذا كان نقدا ، فوقع الخلاف بينه وبين غيره من هذا الوجه .

وأما الاجمال والتفسير فكقوله [عز وجل][٦] : « واللاتي يأتينَ الفاحشَةَ من نسائكم ، فاستشهدوا عليهنَّ أربعةً منكم ، فانْ شهدوا فأمسكوهُنَّ في البُيوتِ حتى يتَوفَّاهُنّ الموتُ ، أو يجعلَ اللهُ لهُنّ سبيلا »[٧] . [ثم انه فسر السبيل ، فقال : « خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا][٨] ، البِكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثَّيِّب بالثيب جلد

---

(١) فى س : لاحتمال .
(٢) فى س : نوع منه بالتحريم .
(٣) لم ترد فى س .
(٤) هو ابن عم النبى (ص) ، توفى بالطائف عام ٦٨ هـ .
(٥) لم ترد فى س .
(٦) الزيادة من س .
(٧) سورة النساء ، الآية ١٥ .
(٨) الزيادة من س .

مائة والرجم » . وقد حمل الشُّراة[١] أمر السبيل على ظــاهر القرآن وأبطلوا الرجم . وكذلك قوله في تحريم الحُمُر الاهلية ، وكل ذي ناب ومخلب[٢] ، لانهم أخذوا في ذلك [١٣٨] بالجملة من قوله : « قُــلْ لا أجِدُ فيما أوحِيَ اليّ مُحرّماً على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ الاّ أنْ يكون مَيْتَةً »[٣] ، الى آخر الآية . وذهب عليهم التفسير ، فوقع الخلاف بينهم وبين الجماعة من هذا الوجه .

وأما الرأي فهو أنْ ترد الحادثة على بعض العلمــاء ، ولا يكون عنده فيها حكم لله ـ عز وجل ـ[٤] ولا سنة لرسوله ـ صلى الله عليــه وسلم ـ[٥] ، فيجتهد رأيَه ، فيأخذ الناس ذلك عنه ، ثم يَبْلُغُه الحكم في ذلك ، فيدَعُ رأيَه ويرجِع الى ما يبلغه[٦] من حكم الله ورسوله ، ويتمسك أتباعه بما حملوه عنه ، لانَّهم لايعلمون برجوعه . ولذلك قال ابن مسعود[٧] : « ويل للناسِ من زلةِ العالِم » ، لانَّه يجتهــد رأيه ، ثم يؤخذ [عنه][٨] ثم يتبين[٩] له الصواب [في][١٠] غــير ما رأى ، فيرجع اليه ، ويذهب الاتباع بما سمعوا ، فيقع الخلاف من هذا الوجه .

وأما التخيير فكالاقامة مثنى مثنى ، أو فُرادى [فُرادى][١١] ،

---

(١) هم الخوارج وقد سموا أنفسهم بذلك أخذا من قوله تعالى فى سورة البقرة الآية ٢٠٧ : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » .

(٢) فى س : كل ذى ناب من السباع ومخلب .

(٣) سورة الانعام ، الآية ١٤٥ . وتكملتها : « أو دما مسفوحا ، أو لحم خنزير ، فانه رجس ، أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غــير باغ ولا عاد ، فان ربك غفــور رحيم » .

(٤) لم ترد فى س .

(٥) لم ترد فى س .

(٦) فى س : بلغه .

(٧) هو الصحابى الجليل ، توفى بالمدينة عام ٣٣ هـ .

(٨) الزيادة من س .

(٩) فى س : يبين .

(١٠) الزيادة من س .

(١١) الزيادة من س .

وكتخيير الله ـ عز وجل ـ في كفارة اليمين في الطعام أو الكسوة ، أو تحرير رقبة[1] .

فهذه جمل ما في الخلاف والمناقضة ، وهي تكفي وتغني ـ ان شاء الله ـ .

(1) فى س : الرقبة .

أدب الجـــدل

فأمَّا أدب الجدل : فانْ يجعل المجادل[1] قَصْدَه الحق وبغيته الصواب ، وأنْ لا تحمله قوة انْ وجـــدها في نفسه ، وصحة في تمييزه وجودة خاطره وحسن [١٣٩] بديهته ، وبيان عارضته ، وثبات حجته ، على أنْ يشرع[2] في اثبات الشيء ونقضه ، ويشرع في الاحتجاج لـه ولضده ، فانّ ذلك مما يذهب ببهاء علمه ، ويطفيء نور بهجته[3] ، وينسبه به أهل الدين والورع[4] الى الالحاد وقلة الامانة . ولذلك اطرح النـاس الراوندي[5] ومن أشبهه على قوتهم في الجدل ، وتمكنهم من النظر . وليعلم أنّ عواقب اطلاق[6] اللسان وجنايات البيان على كثير من الناس كبيرة[7] غير محمودة ، ولذلك قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: « ما أوتي امرؤ شراً من طلاقة لسانه » . وأخـــذ أبو بكر ــ رضوان الله عليه[8] ــ بطرف لسانه فقال : « هذا أوْرَدني الموارد » .

(١) فى س : أن يجعل المجادل .
(٢) فى س : يسرع
(٣) فى س : فهمه .
(٤) فى س : أهل الورع والديانة .
(٥) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندى ، كان من رجـال القرن الثالث الهجرى ، وله مؤلفات كثيرة ، ومناظرات مع جماعة من علماء الـكلام .
(٦) فى س : طلاقة .
(٧) فى س : كثيرة .
(٨) فى س : رضى الله عنه .

وأنْ لا تسحره الكثرة والقلة فيما يطلبه من الحق ، فيقلد الاكثرين أو يريد التكبر عليهم ، أو التكثر بهم ، أو الترؤس عليهم بمتابعتهم ، فان الله ـ سبحانه ـ قد ذم الكثرة[1] ، ومدح القلة ، فقال ـ عز من قائل[2] ـ: « اِلاّ الذين آمنوا ، وعَمِلوا الصالحاتِ ، وقليلٌ ماهم[3] » . وقال : « وما أكْثَرُ الناس ولو حَرَصْتَ بمؤمنين »[4] .

وألاَ يقلد الحكم الفاضل في كل ما يأتي به ، اذْ كان غير مأمون منه الخطأ ، فقد يخطيء العاقل ويصيب الجاهل ، ولذلك قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام [5] ـ للحارث بن حوط [6] : يا حار [7] [١٤٠] انه ملبوس عليك ، اِنّ الحق لا يُعرَف بالرجالِ ، ولكن اعرِف الحقَ تعرِفْ أهله » .

وأن يُخرِج عن قلبه التعصُّبَ للآباء ، فانّ الله يقول : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل اللهُ ، قالوا : بل نتَّبِعُ ما وجَدْنا عليه آباءنا »[8] .

وأنْ يعتزل الهوى فيما يريد اصابة الحق فيه ، فانَّ الله ـ عز وجل ـ يقول[9] : « ولا تتَّبِع الهوى فَيُضِلَّكَ عن سبيل الله »[10] .

وألاّ ينقاد لزخرفة القول وظاهر رياء الخصم ، فقد حَذّرَ الله ـ عز وجل [11] ـ من هذه الطبقة على أيدي أنبيائه فقال : « ومن الناس من يُعجِبُك قولُه في الحياةِ الدنيا ، ويُشْهِدُ اللهَ على ما في قلبِه ،

---

(١) فى س : فقد ذم الله الكثرة .
(٢) لم ترد فى س .
(٣) سورة ص ، الآية ٢٤ .
(٤) سورة يوسف ، الآية ١٠٣
(٥) لم ترد فى س .
(٦) كان من أصحاب علي ـ رضى الله عنه ـ وقد قتل عام ٣٦ هـ .
(٧) فى س : ياحارث .
(٨) سورة لقمان ، الآية ٢١ .
(٩) فى س : فان الله يقول .
(١٠) سورة ص ، الآية ٢٦ .
(١١) لم ترد فى س .

وهو ألدُّ الخصام . واذا تولَّى سعَى في الارض ليُفْسِدَ فيها ، ويُهلِكَ الحَرثَ والنَّسلَ ، واللهُ لا يُحبُّ الفســاد »[1] . وقال ـ عز من قائل[2] ـ : « واذا رأيتَهُمْ تُعجِبُكَ أجسامُهم ، وانْ يقولوا تَسْمَعْ لقولهم كأنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ »[3] . وقال المسيح ـ عليه السلام[4] ـ في الانجيل : « احذروا الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحِملان ، وقلوب الذئاب » .

وألاّ يقبل من ذيقول مصيب فيه كُلَّ ما يأتي به لموضع ذلك الصواب الواحد .

ولا يردعلى ذي قول مخطيء فيه كُلَّ ما يأتي به لموضع ذلك الخطأ الواحد ، بل لا يقبل قولاً الاّ بحجة ، ولا يرده الاّ لعلة ، فيكون في ذلك كالوزّان الحاذق المتفقد لميزانه وصَنْجاته [١٤١] فانّ الخطأ في الرأي أعظم [ضرراً][5] من الخطأ في الوزن .

وأن لا يجادل ويبحث في الاوقات التي يتغير فيها مزاجه ويخرج عن الاعتدال ، لانّ المزاج اذا زاد على [حد][6] الاعتدال في الحرارة كان معه العجلة ، وقلة التوقف ، وعدم الصبر ، وسرعة الضجر . واذا زاد في البرودة على حال[7] الاعتدال أورث السهو والبلادة وقلة الفطنة وابطاء الفهم . وقد قال جالينوس : « انّ مزاج النفس تابع لمزاج البدن » .

وأنْ يتجنب العجلة ، ويأخذ بالتثبُّت ، فانّ مع العجل الزلل .

وألاّ يستعمل اللجاج والمَحْكَ ، فانَّ العصبية تغلُب على مستعملها فتبعده عن الحق ، وتصده عنه .

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٢) لم ترد فى س .
(٣) سورة المنافقون ، الآية ٤ .
(٤) لم ترد فى س .
(٥) الزيادة من س .
(٦) الزيادة من س .
(٧) كذا فى الاصل ، أما فى س : حد .

وأنْ لا يعجب برأيه ، وما تسوله له نفسه حتى يفضـــي بذلك الى نصحائه ، ويلقيه الى أعدائه فيصدقونه عن عيوبه ، ويجادلونه ، ويقيمون الحجة عليه ، فيعرف مقدار مافي يديه اذا خولف فيه ، « فانَّ كل مُجْرٍ بخلاء يَسُرّ[١] » . ومن لم يشعر برأيه ، ولم يَدْرِ أنّه في غررٍ[٢] من رأيه ، كان بعيداً من نيل ثنائه[٣] .

وأن يتجنب الـكذب في قوله[٤] وخبره ، لانّه خلافُ الحق ، وانما يريد بالجدل ابانة[٥] الحق واتباعه .

وأن يتجنب الضجر وقلة الصبر ، لانّ عمدة الامر في استخـــراج الغوامض واثارة المعاني الصبر على التأمل [١٤٢] والتفـكر ، ولذلك قال أمير المؤمنين – عليه السلام – « منزلة الصبر من الايمان ، منزلة الرأس من الجسد ، ولا ايمان لمن لا صَبْرَ له » .

وأنْ يكون منصفا غير مكابر ، لانّه انّما يطلب الانصاف من خصمه ، ويقصده بقوله وحجته ، فاذا طلب الانصاف بغير الانصاف ، فقـــد طلب الشيء بضده ، وسلك فيه غير مسلكه .

وأنْ يجتهد في تعلم اللغة ، ويتمهر في العلم بأقسام العبارة فيها ، فانَّه انّما يتهيأ له بلوغ ما يقتضي الجدل بلوغه من قسمة الاشياء[٦] الى ماتنقسم اليه ، واعطاء كل قسم منها ما يجب له . والاحتراس من اشتراك الاسماء ،

---

(١) فى مجمع الامثال ج٢ ص ١٣٥ : « كل مجر بخلاء يســر . ويروى : كل مجر بخلاء مجيد . وأصله أن رجلا كان له فرس يقال له : الابيلق ، وكان يجريه فردا ليس معه أحد ، وجعل كلما مر به طائر أجراه تحته ، أو رأى اعصارا أجراه تحته فأعجبه ما رأى من سرعته فقال : لو راهنت عليه ، فنادى قوما ، فقال : انى أردت أن أراهن عن فرسى هذا ، فأيكم يرسل معه ؟ فقال : بعض القوم : ان الحلبة غدا . فقال : انى لا أرسله الا فـــى خطار ، فراهن عنه ، فلما كان الغد أرسله فسبق فعند ذلك قال : «كل مجر فى الخلاء يسر» . ويقال أيضا : « كل مجر بخلاء سابق » .

(٢) الغرر : الخداع ، واطماع بالباطل .

(٣) فى س : شفائه .

(٤) فى الاصل : رأيه ، والتصحيح من س .

(٥) فى الاصل : اثارة ، والتصحيح من س .

(٦) فى س : قسمة الانسان الاشياء .

واختلاط المعاني باللغة والمعرفة بها .

وأنْ يتحرز من مغالطات المخالفين ومشبهات المموهين .

وأن يحلم عما يسمع من الاذى والنبز .

ولا يشغب اذا[1] شاغبه خصمه ، ولا يرد عليه اذا أربى في كلامه ، بل يستعمل الهدوء والوقار ، ويقصد مع ذلك لوضع الحجة في موضعها ، فانّ ذلك أغلظ على خصمه من السَّبِّ . وربما أراد الخصم باستعمال الشغب قطع خصمه ، وأن يشغل خاطره عن اقامة حجته . فاذا أعرض المجادل عن ذلك ، ولم يتحرك له طبعه ، ولم يشغل ذهنه ، جمع مع قهر خصمه [١٤٣] والاستظهار بالحجة عليه ظهور حلمه للناس ، ومعرفة الحضور بوقاره ووفوره ، ونقص خصمه وخفته .

وأن يتجنب الجدل في المواضع التى يكثر فيها التعصب لخصمه ، فانَّه لا يعدم فيها أحد شيئين : أما الغيظ فتقصر قريحته ، أو[2] الحصَر فيعيا بحجته .

وأن لا يستصغر خصمه ، ولا يتهاون به ، وان كان الخصم[3] صغير المحل في الجدال . فقد يجوز أن يقع لمن لا يؤبه له الخاطر الذى [لايقع][4] لمن هو فوقه في الصناعة[5] . وقد أوصى القدماء بالاحتراس من العدو ، وأنْ لا يُسْتَصغر صغيرٌ منه . والخصم عدو ، لانه يجاهدك بلسانه وهو أقطع سيفيه ، كما قال أردشير[6] . وقد قال حسان [بن ثابت][7]: [من الطويل]

---

(١) فى س : ان .
(٢) فى س : واما .
(٣) سقطت فى س .
(٤) الزيادة من س .
(٥) فى الاصل : القناعة . والتصحيح من س .
(٦) سبق ذكره .
(٧) هو الشاعر المخضرم الذى وقف للذود عن الدعوة الاسلامية .

لسـاني وسـيفي صـــارمانِ كلاهما
ويبلغُ ما لا يبلغُ السيفُ مِذْوَدي[1]

وأنْ يصرف همته الى حفظ النكت التي تمر في كلام خصمه ممـا يبني منها مقدماته ، ويُنتِج منها نتائِجَه ، ويصحح ذلك في نفسه ، ولا يشغَل قلبه بتحفُّظ جميع كلام خصمه ، فانه متى اشتغل بذلك أضـاع ما هو أحوج اليه منه .

وأنْ لايكلم خصمه وهو مقبل على غيره ، أو يستشهد لمن حضـر على قوله ، فانّ ذلك سوء عشرة ، وقلة علم بأدب الجدل ، وظهور حاجةٍ الى معونةِ من حضر اليه[2] .

وأنْ لا [١٤٤] يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله ، ولا يبـادر بالجواب قبل تدبُّره ، واستعمال الروية فيه .

وأنْ يعلم بعد هذا أنَّه لا يُعَدُّ في المجادلين الحذّاق حتى يكون بحسن بديهته ، وجودة عارضته ، وحلاوة منطقه ، قادراً على تصوير الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق متى شرع في ذلك ، واقامة[3] كل واحد منهما في مقام صاحبه ، فقد وصف الشاعر بعض الجدليين بذلك فقال : [من الطويل]

يَسُـــرُّكَ مظلومـاً ، وينجيك ظالمـاً
ويحمل انْ حملتـه كل مَغْرَمِ

وقال آخر : [من الطويل]

---

(١) ينظر ديوان حسان بن ثابت ص ٧٢ .
المذود : اللسان .
(٢) فى الاصل : له . والتصحيح من س .
(٣) فى الاصل : وأقام . والتصحيح من س .

ألا رُبَّ خَصْمٍ ذي بيانٍ علوته

وانْ كان ألوى يغلب الحقَ باطلُه(١)

وَلْيَسْتَشْعِر [مع](٢) هذا أنّ الأَنَفَةَ من الانقياد [للحق](٣) عجزٌ ، وأنّ الاعتراف به ، والتجرع(٤) له عِزٌ ، فلا يمتنع من قبول الحق اذا وضح له ، ولا يكونن قصده في الجدل أنْ لا يقطع ، فانّ من كان ذلك غرضه لم يزل في تنقل(٥) من مذاهبه وتلون في دينه . وانّما ينبغي له أنْ يعتقد من المذاهب ماقام البرهان عليه اِنْ كان مما يقوم على مثله برهان(٦) . أو وضحت الحجة المقنعة فيه انْ كان مما لا يوجد عليه برهان . ويناضل عن ذلك مَنْ ناضله ، ويُجادل [١٤٥] من جادله ، فانْ وقع عليه خصم(٧) هو أحسن عارضة منه وألحن بحجته ، وقَصّر هو في عبارته عن ايضاح حقه(٨) ، لم يتصور له الحق الذي قد قام في نفسه بصورة الباطل اذا قَصّر هو عن حجته(٩) . وألاّ يسحره بيان خصمه فيظن أنّ حقه قد(١٠) بطل لما انقطع هو عن الزيادة عليه ، بل يدع الكلام في الوقف(١١) اذا وقف عليه ، ويعاود النظر بعد الفكر والتأمل ، فانه لايعدم من نفسه اذا استنجدها ولاذَ بها مخرجاً مما قد نزل به ـ ان شاء الله ـ .

وليعلم مع هذا أنّ الانقطاع [ليس](١٢) بالسكوت فقط ، والتقصير

---

(١) كذا فى الاصل ، أما فى البيان والتبيين ج١ ص ٢٢٠ :

ألا رب خصم ذى فنون علوته ‌‌ وان كان ألوى يشبه الحق باطله

يقول الجاحظ بعده : « فهذا هو معنى قول العتابى : البلاغة اظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل فى صورة الحق » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) الزيادة من س .

(٤) فى س والبخوع .

(٥) فى س : فان من كان لم يزل فى ذلك غرضه تنقل .

(٦) فى س : عليه برهان .

(٧) سقطت فى س .

(٨) فى س : قصر عن عبارته فى ايضاح حقه .

(٩) فى س : الذى قام ..... اذا هو قصر .

(١٠) لم ترد فى س .

(١١) فى س : الوقت .

(١٢) الزيادة من س .

عن الجواب ، لكن المكابرة ، وجحد الصورة ، والخروج عن حد الانصاف الى اللجاجة ، والتنقل من مذهب الى مذهب وعلة الى علة ، كله انقطاع ، وهو أقبح عند ذوي العقول من السكوت . وقد قال الشاعر : [من الكامل]

واذا تنقّل في الجواب مُجادِلٌ
دلّ العقول على انقطاعٍ حاضرِ

واعلم أنّ السائل أشد [استهتاراً][1] واستظهاراً من المجيب ؛ لان له أنْ يُروّي في المسألة قبل اطلاقها ، والمجيب في غفلة عما يريده السائل . فليس ينبغي للمجيب أنْ يأذن في السؤال [١٤٦] إلاّ بعد أنْ يعلم في أي معنى هو . فانْ أحَسَّ من نفسه القوة على الجدال فيه ، وإلاّ لم يأذن . فاذا أذن [فقد][2] تضمن الجواب ، فان لم يجب [فقد عجز . وان أجاب فلم يقنع ، أو وقف الكلام عليه فلم يردد ولم يرجع الى قول خصمه فقد انقطع . واذا استأذن السائل فأذِنَ له فلم يسأل فقد عجز . وان تبرع عليه بالاذن من غير أنْ يستأذن فانه][3] لم ينسب الى عجز ولا انقطاع ، لانه مُخَيّر في ذلك ، والاقناع بالجواب الذي يوجب[4] على السائل القبول . فان لم يقبل ، ولم يرد فقد انقطع . وانْ مال المجيب نحو قول[5] السائل ، ولم يكن ذلك اعتقاده فقد حاجز خوفا من الانقطاع ، وكذلك ان ادعى أنّ الجواب قد أقنعه [ثم][6] لم يرجع اليه ويعتقده ، فقد حاجز خوف الانقطاع ، واذا اقنع المجيب السائل فقد زال عنه ما انعقد عليه من تضمن الجواب والتقصير من السائل والمجيب

---

(١) الزيادة من س .
(٢) الزيادة من س .
(٣) الزيادة من س .
(٤) في الاصل : وجب . والتصحيح من س .
(٥) لم ترد في س .
(٦) الزيادة من س .

دون اظهار الحجة في تحقيق ما تجادلا فيه . أو ابطاله من حيث تقرّ به النفس وانْ جحده اللسان[1] ، إمّا مِن الذي قَصَّر عن الزيادة أو من الذي نكل عن الجواب . والفلج في الجدل [إظهار الحجة][2] التي تقنع ، والغالب هو المظهر لذلك .

ثم انّ للمتكلمين من أهل هذه اللغة أوضاعاً ليست في كلام غيرهم ، مثل الكيفية[3] ، والكمية[4] [١٤٧] والمائية[5] ، والكمون[6] ، والتولد[7] ، والجزء[8] ، والطفرة[9] ، [وأشباه ذلك][10] . فمتى كلم به غيرهم كان المتكلم بذلك مخطئاً ، ومن الصواب بعيدا . ومتى خرج عنها في خطابهم كان في الصناعة مقصّرا ، وكذلك للمتقدمين من الفلاسفة والمنطقيين أوضاع متى استعملت مع متكلمي أهل هذا الدهر وأهل هذه[11] اللغة ، كان المستعمل لها ظالماً وأشبه من كلّم العامة بكلام الخاصة ، والحاضرة بغريب أهل البادية . فمن ألفاظهم : السولوجسموس[12] ، والهيولى[13] ، والقاطاغورياس[14] ، وأشباه ذلك مما اذا خاطبنا به متكلمينا أوردنا على أسماعهم ما لا يفهمونه إلاّ بعد أنْ نفسره ، فكانذلك عَيّاً وسوء عبارة ، ووضعاً للاشياء في غير مواضعها . ومتى اضطرتنا حال

---

(١) فى الاصل : فان جحد اللسان انقطع .
(٢) الزيادة من س .
(٣) الكيفية : ما يجاب به عن السؤال ب « كيف ؟ » ، والمراد بها هيئة الشىء .
(٤) الكمية : مقدار للشىء ، أو ما يجاب به عن السؤال ب « كم هو ؟ » .
(٥) المائية : وهى الماهية ، ومعناها حقيقة الشىء ، أو ما يجاب به عن السؤال ب « ما هو ؟ » .
(٦) الكمون : أن يكون بعض الاشياء كامنا فى بعض آخر ككمون النار فىالحطب .
(٧) التولد : نشوء الاشياء بعضها من بعض .
(٨) الجزء : ما ينقسم اليه الجسم .
(٩) الطفرة عندهم : ان المار على سطح الجسم ينتقل من مكان الى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ولا مر عليها ولا حاذاها ولا حل فيها .
(١٠) الزيادة من س .
(١١) فى س : وهذه اللغة .
(١٢) السولوجسموس : القرينة .
(١٣) الهيولى : المادة . وقد رد ارسطو الاشياء الى مبدأين : الصورة والهيولى .
(١٤) القاطاغورياس : المقولات .

الى أنْ نكلمهم بهذه الاشياء عَبَّرنا لهم عن معانيها بألفاظ قد عهدوها وعرفوها[1] . فقلنا في مكان السولوجسموس : القرينة ، وفي موضع الهيولى : المادة ، وفي موضع القاطاغورياس : المقولات . وكذلك ما أشبهه من ألفاظ الفلاسفة .

وقد أتى في شعر من لابس الكلام والجدل ، وعاشر أهلهما ، من ألفاظ المتكلمين ما استظرف ، لانَّه خوطب به من يعلمه ، وكلم به من يفهمه . من ذلك [١٤٨] قول أبي نواس : [من المضارع]

تأمل العينُ منها محاسناً ليس تنفد[2]
فبعضُها يتناهى وبعضُها يتزيَّد[3]

وقوله : [من المضارع]

تركْتَ مني قليلاً من القليلِ أقَلاَّ
يكاد لا يتجزأ أقل في اللفظ من لا[4]

وقول النَظّام[5] [من السريع]

أُفْرِغَ من نورٍ سمائيٍّ مُصَوَّرٌ في جسمِ اِنسيٍّ
وافتقر الحسنُ الى حسنِه فَجَلَّ عن تحديدِ كيفيٍّ

فأما مخاطبة من لم[6] يلابس الكلام ويعرف أوضاع أهله بألفاظ

---

(١) لم ترد في س .
(٢) كذا في الاصل و س ، أما في ديوان أبي نواس ص ٢٣٣ : تأمل الناس فيها .
(٣) كذا في الاصل ، أما في س :
وبعضها قد تناهى وبعضها يتولد
وفي ديوان أبي نواس ص ٢٣٢ :
فبعضه في انتهاء وبعضه يتولد
(٤) كذا في الاصل و س والعقد الفريد ج ٣ ص ١٧٨ ، أما في كتاب التشبيهات ص ٢٥٧ : كالجزء لا يتجزأ .
(٥) هو ابراهيم بن سيار النظام ، أحد رجال المعتزلة الكبار .
(٦) في الاصل : فان مخاطبة من لا .

المتكلمين وأوضاع الجدليين ، فهو جهل من قائله وخطأ من فاعله . ويلحق من ركبه من سوء البناء مالحق من قال في بعض خطبه في دار الخلافة : « نعم ، إنَّ الله – عز وجل[1] – بعد أنْ سَوَّى الخلق وأنشأهم ، ومكَّن لهم لاشاهم » . وكما لحق الآخر حين خطب فقال : « فأخرجه الله – عز وجل[2] – من باب الليسية الى باب الأيسية »[3] . وعلى أنَّ الطغام والعوام[4] ، ومن لا علم له بالكلام اذا سمعوا ألفاظاً لم يعهدوها ، ولم يقفوا على معانيها ، ربما اعتقدوا في قائلها الكفر واستحلوا دمه . ولذلك شهد [١٤٩] بعض سفلة العوام على الخليل وأصحابه بالزندقة لما سمعهم يذكرون أجناس العروض ، ويقطعون الشعر ، فورد عليه من ذلك ما لا يفهمه ، فظن أنَّه زندقة فقال[5] الخليل فيه : [من الكامل]

لو كُنْتَ تعلم ما أقولُ عذرتني
أو كُنْتُ أجهلُ ما تقولُ عذلتكا[6]

لكنْ جهلتَ مقالتي فعذلتني
وعلِمْتُ أنَّك جاهلٌ فعذرتُكا

فهذا ما في باب الجدل وأدب الجدل ، وفيه بلاغ للمتميز العاقل – إنْ شاء الله تعالى – .

(١) لم ترد فى س .
(٢) لم ترد فى س .
(٣) الليسية : نفى الصفات عن الله .
الايسية : اثباتها له .
(٤) فى س : العوام والطغام .
(٥) فى الاصل : حتى قال .
(٦) كذا فى الاصل وس ، أما فى وفيات الاعيان ج٢ ص ١٨ : أو كنت تعلم ما تقول عذرتكا .

الحديث

وأما الحديث ، فهو ما يجري من الناس في مخاطباتهم ومجالسهم ومناقلاتهم ، وله وجوه كثيرة . فمنها : الجد والهزْل ، والسخيف والجزل ، والحسن والقبيح ، [والملحون][1] والفصيح ، والخطأ والصواب ، والصدق والكذب ، والنافع والضار ، والحق والباطل ، والناقص والتام ، والمردود والمقبول ، والمهم والفضول ، والبليغ والعيي .

فأما الجد : فانَّه كل كلام أوجبه الرأي ، وصدر عنه ، وقصد به قائله وضعه موضعه ، وكان مما تدعو الحاجة اليه . وباستعمال ذلك ، والامساك عما سواه أوصت الحكماء فقالوا : « من علم أنَّ كلامه من عمله[2] ، قَلَّ كلامه اِلاّ فيما يعنيه » . وقالوا : « المغبون[3] من مضى عمره في غير ما خلق له » . وقال الله[١٥٠]ـ عزوجل[4] ـ : « أفَحَسِبْتُمْ أنَّما خلقناكم عَبَثاً ، وأنَّكم الينا لا تُرْجَعُون »[5] . ووصف نَبِيَّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ[6] فقال : « وما يَنْطِقُ عن الهوى . اِنْ هو اِلاّ وَحْيٌ يُوحى »[7] .

---

(1) الزيادة من س .
(2) في الاصل : علمه .
(3) في س : مغبون .
(4) لم ترد في س .
(5) سورة المؤمنون ، الآية ١١٥ .
(6) لم ترد في س .
(7) سورة النجم ، الآيتان ٣ ، ٤ .

وأما الهَزْلُ : فما صدر عن الهوى ، والناس في استعماله على ضربين : أما الحكماء والعقلاء فاستعملوه في أوقات كلال أذهانهم وتعب أفكارهم ليستجموا به أنفسهم ، ويستدعوا به نشاطهم ، ويروّحوا به عن قلوبهم خوفاً من ملالها وكلالها ، وأمروا بذلك فقالوا : « رَوِّحوا القلوبَ ، تَعِ الذِكرَ » . وقالوا : « رَوِّحوا عن القلوب فانّ لها سآمة كسآمةِ الابدان » . وجاء أيضا في الخبر : « روّحوا قلوبكم ساعةً بعد ساعةٍ ، فانّ القلوب تَمَلّ » . ومن قصد هذا بالهَزْل فالجد أراد ، لانّه قصد المنفعة وما يوجبه الرأي في سياسة نفسه وعقله[1] ، واجمام فكره وقلبه . وقد كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يمزح ، ولا يقول اِلاّ حقا . ورُوي أنّ عجوزاً جاءت الى النبي — صلى الله عليه وسلم — وقالت : « يا رسول الله اني أدخل الجنة ؟ » فقال — عليه السلام — : « العجائزُ لا يدخُلْنَ الجنةَ » . أراد — عليه السلام — أنّه لا تبقى المرأة في الجنة عجوزاً ، بل تكون في سن أربعة عشر كما جاء في الخبر[2] . وقال عمر في أمير المؤمنين — عليهما السلام —[3] : [١٥١] « هو والله لها لولا دعابة فيه »[4] . وقال الشعبي : « وصلْتُ بالعلم ، ونلْتُ بالمُلَح » ، وذلك لما عليه النفوس من استثقال الحق والجد ، واستخفاف اللهو والهَزْلِ .

وأما السفهاء والجهّال فاستعملوه للخلاعة والمجون ومتابعة الهوى ، وذلك المذموم الذي قد عاب الله — سبحانه —[5] مستعمله ، ومدح المعرض عنه ، فقال فيمن عابه : « واذا رأوْا تجارةً أو لهواً انفضّوا اليها وتركوك قائماً »[6] . وقال : « ومن الناس مَنْ يَشْتري لَهْوَ الحديثِ ليُضِلَّ عن سبيل الله بغير علمٍ ، ويتّخِذَها هُزُواً »[7] . وقال فيمن مدحه

(١) فى س : عقله ونفسه .
(٢) سقط فى س من قوله : « وروى أن عجوزا » الى « كما جاء فى الخبر » .
(٣) لم ترد فى س .
(٤) الضمير فى قوله : « لها » يعود الى الخلافة .
(٥) لم ترد فى س .
(٦) سورة الجمعة ، الآية ١١ .
(٧) سورة لقمان ، الآية ٦ .

بالاعراض عن ذلك : « وإذا سَمِعوا اللَّغْوَ أعرضوا عنه »[1] . وقال في موضع آخر : « وإذا مَرّوا باللَّغوِ مَرّوا كِراما »[2] .

وقد أوْصَت العلماء بتجنب هذا الفن من الهَزْلِ ، فقالوا : « إيّاك والمزاحَ فانه يُجَرّيء عليك السِّفْلة » . وقالوا : « المزاحُ السِّبابُ الاصغرُ » . وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام[3] ـ : « مَنْ أكثر من شيء عُرِف به ، ومن كَثُر ضحِكه قلَّت هيبته ، ومن مزح أُستُخف به » .

★ ★

وأمَّا السخيف من الكلام ، فهو كلام الرعاع والعوام الذين لم يتأدبوا ولم يسمعوا كلام الادباء ، ولا خالطوا الفصحاء . وذلك معيب عند ذوي العقول [١٥٢] لا يرضاه لنفسه إلاّ مائق[4] جهول . إلاّ أن الحكماء ربما استعملته في خطاب من لا يعرف غيره طلباً لافهامه ، كما أنّه ربما تكلف الانسان لمن لم يحسن العربية بعضَ رَطانة الاعاجم ليُفهِمه . فاذا جرى استعمال اللفظ السخيف هذا المجرى ، وغُزِي به هذا المغزى كان جائزاً . وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز أنْ يستعمل فيه غيرُه ، وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء ، فانه متى حكاها الانسان على غير ماقالوا خرجت عن معنى ما أريد بها وبردت عند مستمعها[5] . وإذا حكاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها وقعت موقعها وبلغت غاية ما أريد بها ، فلم يكن على حاكيها عتب في سخافة لفظها .

وأما الكلام الجَزْل[6] ، فهو كلام الخاصة والعلماء والعرب الفصحاء والكتاب والادباء ، الذي تقدم وصفه في الشعر والخطابة . وليس

---

(١) سورة القصص ، الآية ٥٥ .
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٧٢ .
(٣) لم ترد فى س .
(٤) المائق : الاحمق الغبى .
(٥) فى س : مستعملها .
(٦) فى س : وأما الجزل من الكلام .

شيء أعون[1] على جزالة الكلام وخروجه عن تحريف ألفاظ العوام من مجالسة الادباء ومعاشرة الفصحاء وحفظ أشعار العرب ومناقلاتهم والمختار من رسائل المولدين الادباء ومكاتبـــاتهـم . ولذلك كانت ملوك بني أميـة يُخْرجون أولادهم الى البوادي لينشئوهم على الفصاحة [١٥٣] وجزالة الالفاظ . وله ـ أيضاً ـ عَلَّمَ الناسُ أولادَهم الرسائل ، ورووهم شعر القدماء ، وحفظوهم القرآن ، وأمروهم بتحقيقه[2] ، ورفع أصواتهم بالقراءة والانشاد[3] ليعتادوا الكلام الجزل ، وتتفتق به لهواتهم وتذل به ألسنتهم ، وتتشكل بتلك الاشكال ألفاظهم ، فانَّ التَخَلُّقَ يأتي دونه الخُلُقُ ، والعادة كالطبيعة ، ولا شيء أفسدُ للكلام ، ولا أضر على المتـــكلم ، ولا أعون على سخافة اللفظ من معاشرة أضداد من ذكرنا ، وطول ملابستهم ، واستماع قولهم . فينبغي لمن أراد تجنب الكلام السخيف ، ولزوم الجزل الشريف ، أنْ يتقي معاشرة من يفسد بمعاشرته بيانه[4] [كما ينبغي أنْ يلزم معاشرة من تُصلِح معاشرتُه لسانه][5] .

وأما البليغ ، فقد ذكرناه حين وصفنا البلاغة ما هي ؟ ، وأتَيْنا بأشياء مما حضرنا ذكره من القول البليغ الموجز ، وأغنى ذلك عن اعادته .

والعيّ : ضد البلاغة ، وهو مذموم من الرجال ، محمود في النساء ، لانّ العي والحصر يجري منهن مجرى الحياء والخفر ، ولذلك قال امرؤ القيس : [من المتقارب]

فَتُورُ القِيام ، قطيعُ الكَلا مِ ، تَفْتَرُّ عنذي غُروبٍ خَصِرْ[6]

---

(١) في س : أصون .
(٢) كذا في الاصل واصل س ، وقد جعله المحققان : « بتجويده » .
(٣) في س : وأمروهم بالقراءة والانشاد .
(٤) في الاصل : لسانه والتصحيح من س .
(٥) الزيادة من س .
(٦) البيت من قصيدة مطلعها :

أحار بن عمرو كأني خمر ... ويعدو على المرء ما يأتمر

قوله « فتور القيام » قال أبو نصر : ليس بوثابة في قيامها . وقطيع الكلام : نزرة الكلام أي قليلته . تفتر : تبسم . الغروب : حدة الاسنان . خصر : بارد. (ينظر ديوان امرىء القيس ص ١٥٧) .

وقال الآخر : [من الرمل]

ليس يُستحسنُ في وَصْفِ الهوى
عاشِقٌ يُحْسِنُ تأليفَ الحججِ

وقد يُستحسن [١٥٤] - أيضاً - الحصر والعي في المسألة وعند [وصف][1] الفاقة والخَلّة ؛ لانهما يَدُلان على كرم الطبع والأنفة من حال المسألة ، والتصوُّنِ عن ذكر الخَلّة . وقد مدح الله - سبحانه[2] - قوماً بمثل هذا ، فقال : « يحْسَبُهُم الجاهلُ أغنيـاءَ من التعفُّفِ ، تعرِفُهُم بِسِيماهُم ، لا يَسألون الناسَ اِلحافاً »[3] .

★ ★

وأمّا الحَسَنُ من الكلام ، فهو كُلُّ ما كان في معالي الامور ومحاسنها . وأحسنه الدعاء الى الله والأمر بالمعروف ، وقد قال الله - عز وجل - : « اللهُ نَزَّل أحْسَنَ الحديث كتاباً مُتشابهاً مَثانِيَ تقشعِرُّ منه جُلودُ الذين يَخْشَونَ رَبَّهم ، ثم تَلينُ جُلودُهم وقلوبُهم الى ذكْرِ الله »[4] . وقال : « وَمَنْ أَحسَنُ قولاً ممن دعا الى الله ، وعَمِلَ صالحاً ، وقال : اِنّني من المسلمين »[5] .

ثم يتلوه كُلُّ ماكان من مكارم الاخلاق ، فانّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « بُعِثْتُ لِأُتمِّمَ مكارِمَ الأخلاقِ »[6] .

وكُلُّ ماكان من دعاء الى بر ، وتعطف ، واصلاح ، وتألف ، وخيرٍ يُجتَلَب ، وشرٍ يُجتَنب ، فهو من أحسن الكلام وجميله .

---

(١) الزيادة من س .
(٢) لم ترد في س .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٧٣ .
(٤) سورة الزمر ، الآية ٢٣ .
(٥) سورة فصلت ، الآية ٣٣ .
(٦) في الاصل : مكارمكم . ينظر هذا الحديث في النهاية لابن الاثير ج٢ ص ٧٠ ، وفيه أحاديث كثيرة من هذا النوع .

وما يستعمله أهل العقل والحكمة ، ويثابرون عليه ، ولا يرون تركه ولا السكوت عنه[1] ، لانَّ ترك استعمال الحسن قبيح ، ورأي من أهمله غير صحيح .

والقبيح من الكلام [١٥٥] ما كان في سَفْسَاف الامور وأراذلها كالنميمة والغيبة ، والسعاية ، والكذب ، واذاعة السر ، والنفاق ، والمكر ، والخديعة ، فكل ذلك قبيح ، لانَّه من مذموم الاخلاق ومعيب الاقوال[2]. وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اِنَّ اللهَ يُحِبُّ معالي الامور ، ويكره سَفْسافَها[3] » . وذم الله - عز وجل [4]- النميمة ، فقال : « ولا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهين . هَمّازٍ مَشّاءٍ بنميم[5] » . وقال - عز من قائل[6]- في الغيبة : « ولا تَجَسَّسُوا ، ولا يغتَبْ بعضُكم بعضا »[7] . وقال - عز وجل[8] - [في الكذب][9] : « ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذِبون[10] » . وقال - عز وجل[11]- في السعاية : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم اِلاّ خَبالاً ، ولأوضَعوا خِلالكم يَبغُونكم الفتنةَ ، وفيكم سَمَّاعون لهم[12] » . وقال في النفاق : « اِنّ المنافقين في الدَّرْكِ الأسفَلِ من النارِ ، ولن تَجِدَ لهم نصيرا »[13] . وقال في

---

(١) فى س : عليه .
(٢) فى س : الافعال .
(٣) وفى حديث آخر : « ان الله رضى لكم مكارم الاخلاق ، وكره لكم سفسافها » . السفساف : الامر الحقير والردىء من كل شيء ، وهو ضد المعالى والمكارم . وأصله ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل والتراب اذا أثير (ينظر النهاية ج٢، ص ٣٧٣) .
(٤) لم ترد فى س .
(٥) سورة القلم ، الآيتان ١٠ ، ١١ .
(٦) لم ترد فى س .
(٧) سورة الحجرات ، الآية ١٢ .
(٨) لم ترد فى س .
(٩) الزيادة من س .
(١٠) سورة البقرة ، الآية ١٠ .
(١١) لم ترد فى س .
(١٢) سورة التوبة ، الآية ٤٧ .
(١٣) سورة النساء ، الآية ١٤٥ .

المكر : « أَفَأَمِنَ الذينَ مَكَروا السيئاتِ أنْ يَخْسِفَ اللهُ بهِمُ الأرْضَ ، أوْ يأتِيَهُم العذابُ مِنْ حيثُ لا يَشْعُرُونَ[١] » . وقال في اذاعة السر : « وإذا جاءَهم أمْرٌ من الأمنِ أو الخوف أذاعُوا به ، ولو رَدُّوه الى الرسولِ والى أُولي الامر منهم لَعَلِمَهُ الذين يستنبِطُونَه منهم »[٢] . وقال في الخديعة : « يُخادِعون اللهَ والذين آمنوا ، وما يَخْدَعُونَ إلاّ أَنْفُسَهم ، وما يَشْعُرُون »[٣] .

فاذا أردت أنْ تنفي عن نفسك وقولك القبيح فانظر ما استَقْبَحْتَهُ [١٥٦] من فعل غيرك وقوله ، فتجنبه فانه القبيح ، وما استحسَنْتَهُ منهما فاتبعه ، فانَّه الحسن ، ولا تُشايح[٤] نفسك بأن تستحسن منها ما تستقبحه من غيرك ، فقد قال الشاعر : [من الكامل]

إبْدأ بنفسِك فانْهَهَا عن غَيِّها
فاذا انتَهَتْ عنه فأنْتَ حكيمُ[٥]

★ ★

وأما الفصيح من الكلام ، فهو ما وافق لغة العرب ولم يخرج عمَّا عليه أهل الأدب . ولتصحيح ذلك وضع النحو ، ولجمعه وضعت الكتب في اللغة ، وذكر المستعمل منها والشاذ والمهمل . وحق من ينشأ في العرب أنْ يستعمل الاقتداء بلغتهم ، ولا يخرج عن جملة ألفاظهم ، ولا يقنع من نفسه بمخالفتهم فيخطئوه ويُلحِّنوه .

والَّلحْنُ ما خالف اللغة العربية ، وخرج عن استعمال أهلها ، وما بُني عليه اعرابها . وهو معيب عند الادباء في الجملة ، وعلى من يأخذ

---

(١) سورة النحل ، الآية ٤٥ .
(٢) سورة النساء ، الآية ٨٣ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٩ .
(٤) فى س : تسامح .
(٥) ينسب هذا البيت لابى الاسود الدؤلى . (ينظر ديوانه ص ٢٣٣) .

نفسه بالاعراب ويتكلم بالغريب من لغة الاعراب أعيب . ويروى أنَّ عمر – رضي الله عنه – كان يضرب على اللحن . فأما العرب اذا لحن أحد(١) منهم لقربه من الحاضرة ونزوله على طريق السابلة ، سقطت عند أهل اللغة منزلته ، ورُفضت لغته . وإنّما يصح الاعراب لأحد الرجلين : أما أعرابي بدوي قد نشأ حيث لا يسمع غير الفصاحة والاصابة فيتكلم على حسب عادته وسجيته ومتى [١٥٧] خوطب باللحن لم يفهمه ، مثل ما حُكي عن رجل قال لبعض الاعراب ، وقد سأله عن أهله(٢) : « كيف أهلُك ؟ » فقال له الأعرابي : « قَتْلاً بالسيف انْ شاءَ اللهُ » . فظن الاعرابي أنه سأله : « كيف يموت ؟ » ، ولو قال له : « كيف أهلُكَ ؟ » ، لاجابه بجوابه . ورُوي أنّ الوليد قال لرجل : « مَنْ خَتَنَكَ ؟ » قال : « يهودي » ، فضحك [الوليد](٣) منه ، فقال له : « لعلك أرَدْتَ مَنْ خَتَنُك ؟ ، فهو فلان بن فلان » . وأما للمولّد الذي قد تأدب ونظر في النحو واللغة وأخذ بهما نفسه ومرن عليهما لسانه حتى صار ذلك عادة له ، فأما لغيرهما فليس يصحُّ إعراب . وربما اغتُفِر في دهرنا هذا اللحن للانسان في كلامه لكثرة اللحن في الناس ، وانه قد فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العربِ الاعاجمَ والأنباطَ(٤) وسائرَ الاجناس . فأما في الكتاب فغير مغتفر له ذلك ، لانّ الطرف يتكرر نظره فيه ، والروية تجزل(٥) في اصلاحه ، وليس كمثل الكلام الذي يجري أكثره على غير رويّة ولا فكرة . وأما المواضع التي يجب أنْ يستعمل اللحن فيها ويتعمد له في أمثالها ويكون ذلك مما يوجبه الرأي فهو عند الرؤساء الذين يلحنون ، والملوك الذين لا يُعْربون . فمن الرأي لذي العقل والحُنْكة(٦) [١٥٨] والحكمة

(١) فى س : واحد .
(٢) فى س : مثل ما يحكى عن رجل قال له بعض الاعراب قولا ، فقال له الرجل .
(٣) الزيادة من س .
(٤) فى س : الاقباط .
(٥) فى س : تجول .
(٦) الحنكة : الخبرة .

والتجربة ، ألاّ يُعْرِبَ بين أيديهم، وأنْ يَدخُلَ في اللحن مَدْخَلهم، ولا يريهم أنّ له فضلاً عليهم ، فانّ الرئيس والملك لا يحب أنْ يرى أحداً من أتباعه فوقه ، ومتى رأى أحداً منهم قد فضُلَه في حال من الأحوال ، نافسه وعاداه وأحب أنْ يضع منه . وفي عداوة الرؤساء والملوك لمن تحت أيديهم البوار . ومن ذلك ما يُحكى عن بعض من تكلم في مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون ، فلحن فعوتب على ذلك فقال : « لو كان الاعرابُ فضلا لكان أميرُ المؤمنين اليه أسبق » . وسأل الوليد رجلاً عن سنيه ، فقال : « كم سنيك ؟ » . فقال : « أربعين سنة » . فقال : « لحنْتَ » . فقال : « إنما أتبعك [يا أمير المؤمنين][1] . فقال : « كم سنوك ؟ » فقال : « أربعون سنة » .

وقد يُسْتَمْلَحُ اللحن من الجواري ، والاماء ، وذوات الحداثة من النساء ، لانه يجري مجرى الغرارة[2] منْهنّ وقلة التجربة ، وفي ذلك يقول الشاعر : [من الخفيف]

وحديث ألَذُّه هو مما تشتهيه النفوسُ يوزن وَزْنا
منطقٌ صائب وتلحن أحيا نًا، وأحلى الحديث ماكان لحنا[3]

---

(1) الزيادة من س .
(2) الغرارة : السذاجة .
(3) كذا فى الاصل وفى أدب الكتاب ص ١٣١ :
منطق رائع وتلحن أحيا نا ، وأحلى الحديث ماكان لجنا
وقد نسبه الى مالك بن أسماء الفزارى .
أما فى س : « وخير الحديث ما كان لجنا » وهو أحسن ، لان المؤلف شرحه على هذا الاساس . وحكى الجاحظ فى البيان والتبيين (ج١ ص١٤٧ ، ٢٢٨) انه يستحسن من الجارية ، اللحن ، وتكره الفصاحة . (وينظر أمالى أبى علي القالى ج١ ص ٦-٨) .
وفى عيون الاخبار ج٢ ص ١٦١ : « قال مالك بن اسماء فى جارية له :
أمغطى منى على بصرى للحب أم أنت أكمل الناس حسنا
وحديث ألذه هو مما يشتهى الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيانا ، وأحلى الحديث ما كان لحنا
قال ابن دريد : استثقل منها الاعراب . (وينظر حكاية أبى القاسم البغدادى ص ٥٤) .

ولست أدري كيف صار اللحن عند هذا الشاعر خير الحديث وأحسن أحواله أن يغتفر لمستعمليه[1] . وأظنه أراد : أملح الحديث ، فاضطره الوزن الى [١٥٩] أنْ جعل في موضع ذلك : « خير الحديث » . وقد تأول له بعض الناس ، فقال : « إنَّما أراد باللحن الفطنة للمعاني » . ومنه قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إنكم لتحاكمون اليّ ويكون أحدكم ألحن بحجته »[2] . يريد : أفطن لها . وما أتى في هذا التأويل بشيءٍ ، لانّ قوله : « منطق صائب » قد أتى على إصابة المعنى ، فما وجه فِعْلَتِها لذلك أحيانا ؟

★ ★

وأما الخطأ والصواب ، فانّ الصواب كل ما قصدت به شيئاً فاصبت المقصد فيه ولم تعدل عنه ، ومنه قيل : « سهم صائب » و « أصبْتُ الغرض »، وصواب القول من ذلك مأخوذ . ويقال : « قول صائب » من « صاب ـ يصوب وهو صائب » ، مثل : « قال ـ يقول فهو قائل » . و « قول مصيب » من « أصَبْتُ في القول ـ أُصيب إصابة ، وأنا مصيب » . و « القول مصيب» كما تقول : « أردت الشيء ـ أُريده ارادةً ، فأنا مريد » .

والقول المصيب هو ما أُعطي المفعول فيه اسم الفاعل مثل : « راحلة » وانما هي « مرحولة » و « عيشة راضية »[3] وانما هي مرضية . [وقد][4] مدح الله ـ عز وجل ـ الصواب ، فقال : « يومَ يقومُ الروحُ والملائكةُ صَفّاً لا يتكلمون إلاّ مَنْ أذِنَ له الرحمنُ ، وقال صَوابا »[5] .

ومن الصواب أنْ يعرف أوقاتَ الكلام ، وأوقاتَ السكوت ،

---

(١) سقطت فى س من : « وأحسن أحواله ... » الى : « لمستعمليه » .

(٢) فى النهاية ج٤ ص ٣٤١ : « انكم لتختصمون الي ، وعسى أن يكون بعضكم الحن بحجته من الآخر ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فانما اقطع له قطعة من النار » . وينظر أدب الكتاب ص ١٣١ . ففيه الحديث الشريف .

(٣) سورة القارعة ، الآية ٧ .

(٤) الزيادة من س .

(٥) سورة النبأ ، الآية ٣٨ .

وأقدار الألفـــاظ ، [١٦٠] وأقدار المعـــاني ، ومراتب القول ، ومراتب المستمعين له ، وحقوق المجالس ، وحقوق المخاطبـــات فيها ، فيعطي كل شيء من ذلك حقه ، ويضمه الى شكله ، ويأتيه في وقته وبحسب مايوجبه الرأي له ، فانه متى أتى الانسان بالـكلام في وقته أُنجِحت طِلبَتُــهُ ، وعَظُمت في الصواب منزلتُه ، ولذلك ترى من له الحاجة الى الرئيس رقب لها وقتاً يراه فيه نشيطاً فيكلمه في حاجته ، فيكون يسير القول منه في ذلك القول منجحا(١) ، ومتى عجل وكلّمه(٢) وهو ضيق الصـــدر أو مشغول ببعض الأمر ، كان ذلك سبب حرمانه وتعذر قضاء حاجته . وارتقاب الأوقات التي تصلح للقول وانتهاز الفرصـــة فيهـا إذا أمكنت من أكثر أسباب الصواب وأوضح طرقه . ثم متى سكت عن الـــكلام في الاوقات التي يجب أن يتكلم ، لحقه من الضرر بترك انتهاز الفرصة مثل ما يلحقه من ضرر الكلام في غير وقته ، ولذلك قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام(٣) ـ « انتهزوا الفرص فانهما تَمُرُّ كَمرِّ السحاب » .

وللسكوت : أوقات هو فيها أمثل من الكلام وأصوب ، فمنها السكوت عن جواب الاحمق والهازل والمتعنت . وفي ذلك يقول الشـــاعر : [١٦١] [من الوافر]

وأصْمُتُ عن جوابِ الجَهْلِ جُهْدي
وبعضُ الصَّمْتِ أبْلَغُ في الجوابِ

وقال بعضهم : « رُبَّ سُكوتٍ أبلغُ من مَنْطِقٍ » .

ومنها السكوت عن مقابلة السفيه على سَفَهِهِ ، واللئيم على ماينالك

---

(١) سقطت هذه العبارة فى س .
(٢) فى س : لانه متى كلمه .
(٣) فى س : رضى الله عنه .

منه ، والتصون عن اجابتهما ، والحلم على ما[1] يبدر منهما . وقد مدح الله ــ عز وجل ــ الحلم ، فقال : « إنّ ابراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ »[2] وسمّى نفسَه الحليم . وقال الشاعر : [من الطويل]

ولم أرَ مِثْلَ الحِلم زَيْناً لصاحبٍ
ولا صاحباً للمرء شَرّاً من الجَهْلِ

وقال الله – عز وجل – في وصف المؤمنين وتنزّههم عن مقابلة الجاهلين : « واذا خاطَبَهم الجاهلون قالوا : سلاما[3] » ، وقال ــ عز وجل[4] ــ : « وإذا سَمعوا اللغْوَ أعْرضوا عنه »[5] ، وقال : « وأعْرِض عن الجاهلين »[6] . وقال الشاعر : [من الوافر]

مُتاركةُ اللئيمِ بلا جوابٍ أشَدُّ على اللئيمِ من الجوابِ[7]

وقال آخر : [من الطويل]

وقد أسمعُ القولَ الذي كاد كلما
إذا ذكَرَتْه النَّفْسُ ، قلبي يُصَدَّعُ
فأُبدي لمن أبداه مني بشاشةً
واني مسرورٌ بما منهُ أسْمَعُ
وما ذاك من عُجْبٍ به غير أنني
أرى أنّ تَرْكَ الشَرِّ للشرِّ أقطعُ

والحلم انما هو عن نظيرك أو من هو دونك ، فأما من هو فوقك أو

(1) فى س : عما .
(2) سورة التوبة ، الآية ١١٤ .
(3) سورة الفرقان ، الآية ٦٣ .
(4) لم ترد فى س .
(5) سورة القصص ، الآية ٥٥ .
(6) سورة الاعراف ، الآية ١٩٩ .
(7) مر ذكره .

مسلط عليك فليس يسمى السكوت عن مقابلته حلماً بل هو [١٦٢] بباب التقية أشبه ، وبالمداراة أليق . وبذلك أوصى الشاعر حين يقول : [من الطويل]

بُنيَّ إذا ما سامك الذُّلَّ قادرٌ
عليك فانَّ الذُّلَّ أحرى وأحْرَزُ[١]
ولا خيرَ في كل الأمورِ تعزُّزاً
فقد يُورِثُ الذُّلَّ الطويلَ التعزز[٢]

ومما يستحسنه الأدباء ، ويراه صواباً كثير من العلماء : الحلم عن النظير ممن هو دون النظير ، لانَّه يبين عن فضل الانسان في نفسه ويرفعه عن مقابلة من جهل عليه ووضع نفسه لأذيته . وقد قيل : « من عاجلِ نفع الحلم ، كثرةُ أعوان الحليم على الجاهل » .

والتقية والمداراة للسلطان والرئيس لدفع المرهوب من جهتهم واجتذاب المحبوب منهم ، ومقابلة من يرى نفسه فوقك ، ويتوهم ان امساكك عنه خوفاً منه فيجتريء عليك بحلمك عنه ، ويكون سكوتك عنه زيادة فيما ينوبك منه ، ولذلك قال الله ــ عز وجل ــ : « فمن اعتدَى عليكم فاعتَدُوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »[٣] . وقال : « ولمن انتَصَرَ بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيلٍ »[٤] . وانما كان الصواب في مقابلةِ مَنْ هذه حالته ، لأنّ في مقابلته قطعاً لمادة أذيته ، وردعاً له عن معاودته بمثل فعله . وقد قال الشاعر : [١٦٣] [من الطويل]

إذا كنت عند الحلمِ تزداد جُرأةً
عليَّ وعند العَفْوِ والصفح تجهلُ

---

(١) كذا فى الاصل ، أما فى س : اذا ماسامك الدهر قادر .
(٢) كذا فى الاصل ، أما فى س :
ولا تحم فى كل الامور تعززا فقد يورث الذل الطويل التعزز
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .
(٤) سورة الشورى ، الآية ٤١ .

رَدَعْتُك عني بالتجاهلِ والخَنا
فإنّهما عندي لمثلِك أمْثَلُ

وقال الآخر : [من الوافر]

ألا لا يَجْهَلَنْ أحَدٌ علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا[1]

وأما أقدار الألفاظ وأقدار المعاني ، فهو أنْ يأتي بالمعنى فيما يليق به من اللفظ ، وقد مضى الكلام فيه بما أغنى عن اعادته .

وأمّا مراتب القول ومراتب المستمعين له[2] ، [**فهو حسن التلطف فيه والاتيان به على تقدير وتمرين لسامعه ، وحسن حيلة في ايراد ما يقبل** عليه ، وتجنيبه ماينكره . وأنْ لايهجم منه عليه بما يغضبه ، أو لا يحتمله قلبه ، ولا يسعه صدره ، ولا يليق به قبوله . ثم يزيده شيئاً بعد شيء حتى يبلغ به أقصى مراده منه فيكون في ذلك مثل المربي للصبي فانه متى هجم عليه بالغذاء من أول مرة قتله ، ولكنه يسقيه اللبن ثم ينقله في الغذاء من حالٍ لطيفةٍ الى ما هو فوقها حتى يكمل تربيته ، أو كالطبيب الحاذق الذي اذا رأى العليل يكره الدواء ، ويمتنع من أخْذِه لطف له واحتال في اقامة شيءٍ مكان شيء ، وخلط ما يستبشع طعمه بما يذهب بشاعته ، والتدبير لذلك حتى يسهل عليه أخذه ، ويبلغ مراده من نفعه . ولذلك بدأ [١٦٤] الرسول ــ عليه السلام ــ في أول النذارة بالدعاء الى التوحيد بشهادة الاخلاص ، فنظر ، ثم لم يزل يزيدهم فريضةً بعد فريضة ، وأمراً بعد أمر ، الى أنْ أكمل لهم الدين وانتهى في ذلك . ولو هجم به عليهم في أول وَهْلةٍ ، لاستثقلوه ، ورفضوه ، وخالفوه ولم يقبلوه . فينْبَغي للعاقل

---

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم (تنظر المعلقات السبع ص ١٦٣) .

(٢) في س : « وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له ، فقد تقدم القول فيه ، وبالله التوفيق » .
وبهذه العبارة انتهى القسم المطبوع من كتاب « نقد النثر » . أما ما بعد القوس الكبير الى نهاية الكتاب فهو تكملته التي سقطت في نسخة الاسكوريال التي اعتمد عليها المحققان ، وهي أكثر من نصف الكتاب .

أنْ يكون بصيراً بترتيب قوله ، عالماً بمراتب المستمعين له في قبوله ، فلا يأتيهم منه بما ينافر طبائعهم ، ويكون سببا الى إعراضهم ، ثم لايزال يلطف لهم في ذلك ويوفيهم من حال الى حال فيه حتى يبلغ بهم مقصده ، فانّ ذلك أصوب في الرأي وأولى بالقبول . وقد أوصى بعض حكماء العرب بنحو ماقلناه فقال : اعلم أنّه لا يتهيأ لك نقل رَجُلٍ عن طريقته بالمناقضة والمكابرة ، لاسيما إذا كان ذا سلطان أوْ ذا نخوةٍ ، ولكنك تقدر أنْ تعينه على رأيه وتنبهه على احسانه وتقربه من قلبه ، فانّك اذا قربت منه المحاسن كانتْ هي التي تكفيك المساويء ، واذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره الخطأ بألطف من تبصيرك ، وأعدل من قصتك ، لانّ الصواب يؤيد بعضه بعضاً ، ويدعو بعضه الى بعض . وانما حقوق المجالس وحقوق القول فيها[1]. فان مجالس السلطان [١٦٥] مخالفة لمجالس الرعية[2] ومجالس العلماء مخالفة لمجالس الجهال ، ومجالس الجد مخالفة لمجالس الهزل . فحق العاقل أنْ يعظم مجالس السلطان والعلماء ، فلا يأتي فيهما بشيء من الخناء ، ولا الهزل ، ولا اللهو، إلاّ أنْ يشاء السلطان ذلك منه ، فيأتي ما يأتي من ذلك عن اذْنه وطاعة لأمْره ، وبحسب ما يحتمله نشاطه من غير زيادة على ما يخرج به عن حد الخلاف عليه والعصيان لأمره . ولا يملي لنفسه مع ذلك في الاسترسال والجري على عادة النفس في الاهمال ، وأنْ يكونَ في مجلس السلطان بين ثلاثة أحوال : إمّا أن يكون مُنْصتاً ، أوْ معظماً لحقه عن الابتداء بالكلام في مجلسه ، أوْ مُجيباً عمّا يسأل عنه من غير دخول في جواب مسألة لغيره ، أو مُنْهياً نصيحةً اليه فيما أصلح ملكه ورعيته من غير أنْ يشوب النصح بالسعاية به ، أو يخلط المشورة بالنميمة والتحميل على الرعية ، فالتوقير للرؤساء والأئمة مما قد أمَر اللهُ ـ سبحانه ـ به حيث يقول : « يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا ترْفَعوا أصواتكم فوقَ صوتِ النبيء

(١) كذا فى الاصل .

(٢) فى الاصل : النزهة .

ولا تجهَروا له بالقول كجَهْر بعْضِكم لبعضٍ أنْ تَحْبَطَ أعمالُكم وأنتم لا تشعرون . إنَّ الذين يغُضُّونَ أصواتَهم عند رسول الله [١٦٦] أولئـك الذين امتَحنَ اللهُ قلوبَهم للتقوى ، لهم مَغفِرةٌ وأجْرٌ عظيمٌ » (١) .

والنصيحة للائمة واجبةٌ ، فقد روى جرير أنَّه بايع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على السمع والطاعة والنصيحة . ورُوي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إنَّ الدين النصيحةُ للهِ ، ولرسوله، ولائمة المسلمين » (٢) .

والسعاية والنميمة وتحميل السلطان على الرعية مذمومان (٣) عند الحكماء ، وقد رُوي أنَّ افلاطون أعْرَضَ عن ارسطاطاليس لشيء بلغه عنه ، فسأله عن سبب اعراضه فقال : « شيء بلَّغَنيهِ الثقةُ عنك » . فقال: « الثقةُ لا يكون نمَّاماً » . ورُوي أنَّ رجلاً سعى الى الاسكندر ببعض أصحابه فقال : « إنْ أرَدْتَ أنْ أقبل قولك فيه على أن أقبل قولَه فيك، فعلْتُ ، وإلاّ فَدَع الشر يدَعْك » .

وأنْ يكون في مجلس العلماء في أحد ثلاثة أحوال : إما سائلٌ متعلّم، أو منصت متفهم ، أو مذاكر بالعلم للمتعلم . فقد روي : « كُنْ عالماً أو متعلما ، أو منصتاً ، ولا تكن الرابع فتهلك » .

وأنْ توقر العلماء وتملقهم ، فقد روي في بعض الحديث : « ليس المَلَقُ في أخلاق المؤمن إلاّ في طلب العلم » (٤) . ورُوي عن أمير المؤمنين – عليه السلام – : « حق العالم أنْ لا تُكثِر عليه السؤالَ حتى تُضْجِرَهُ ، وأنْ لا تأخذَ بثوبه » .

---

(١) سورة الحجرات ، الآيتان ٢ ، ٣ .

(٢) فى النهاية ج ٥ ص ٦٢ : « ان الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم » .

(٣) كذا فى الاصل ، ولعله أراد بالسعاية والنميمة معنى واحدا .

(٤) فى النهاية ج٤ ص ٣٥٨ : « ليس من خلق المؤمن الملق » . والملق – بالتحريك – الزيادة فى التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغى .

وإذا [١٦٧] دَخلْتَ على قوم فسلم عليهم جميعا ، وخُصَّهُ بالتحية واجلس بين يديه ، ولا تغمز بعينك ولا تُشِر بيدك الى مجلسه ، ولا تكثر من القول : « قال فلان ، وقال فلان » ، خلافاً عليه . ولا تضجر بصحبته .

وذكرنا في الحديث : وأنْ يكون في مجلس الجد جاداً في مَنْطقه وقوله ، غير مهجنٍ بكلامه ونفسه باستعمال الهَزْل والافاضة فيه . فقد قيل : « لا يخلط الجد بالهزل فيُسخِّفُه ، ولا يخلط الهَزْلَ بالجد فيكدره » . وإنْ اضطرته حال الى حال فجالس السفهاء وأهل الهَزْل فليكن بينهم متملساً[١] ، وعن جملتهم خارجاً ، ولما هم فيه ماقتاً ، وعنه بسمعه معرضا . وليكن في استعمال ما لا إثْمَ فيه من المَزْح والهَزْل ، وما لا يسقط مروءة ، ولا يثلم ديناً ولا جاهاً قاصداً الى ترويح قلبه وإجمامه لمعاودة ما فيه نفعه . فقد رُوي أنَّ في حكمة الى داود : « على العاقل ما لم يكن مغلوباً على أمره[٢] أن يجعل نهاره أربع ساعات : فساعة يناجي بها ربَّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يُفضي بها الى اخوانه الذين ينصحون له ويصدقونه عن عيوبه ، وساعة يخلي فيها : يخلي بين نفسه وبين شهواته ولذاته فيما يحل ويجمل ، فانَّ في هذه الساعة له عوناً على هذه الساعات » .

وأمّا مجالس السوقة فليس [١٦٨] تخلو من غاشٍ بينهم مِنْ حضورها ، ولا بُدّ للانسان من ملابستهم فيها ، فَحَقٌ العاقل أنْ لا يلقاهم بكل رأيه ، ولا بجميع عقله فيها ، وأنْ يستعمل في مخاطبتهم ومعاملتهم بعض المقاربة لأحوالهم فانَّ ذلك أولى بسياستهم . وقد رُوي أنّ عمر ــ رضي الله عنه ــ صرف زياداً عن بعض عمله ، فقال له : « ألذنبٍ كان صرفك إيّاي ؟ » فقال : « لا ، ولكني كرِهْتُ أنْ أحمل فضل عقلك

---

(١) فى الاصل : متسلما . يقول الدكتور مصطفى جواد : « لعل الاصل : (متملسا) ، يقال : تملس من الامر : أفلت وتخلص كما فى معجمات اللغة . وتملس الرجل من غيره : خرج من عهده ، كما فى كتب الادب » .
(٢) فى الاصل : أثره .

على العامة » . وقد فسر هذا المعنى بعضهم ، والناس في أشـكالهم أمثل . وربما كان التغابي من الانسان للعوام ، والتغاضي لهم في الامور العظام أحد الطرق المستقيمة الى بلوغ المراد منهم ، لانـّهم متى تصوروا الانسان صورة من هو أعلى في الفَهْم والضبط منهم حذروه واستعملوا الاحتراس منـه فيما ينبغي أنْ يحترس منه وفيما لاينبغي ، واستشعروا فيه في جميع أمره الحيلة عليهم فاستدّت[1] الطرق بذلك على معاملهم في بلوغ مراده منهم . واذا كان عندهم مساوياً لهم في العقل والحيلة والتجربة والرُجْلَة[2] ، استرسلوا اليه وعاملوه بمثل معاملة بعضهم لبعض ، فلا بأْسَ أنْ يتغابى العاقل لهم ، وأنْ يظهر ما يستديم به أنْسَهم واسترسالهم ، ولا يفتـح باستعمال غيره بابَ التقبض والاحتشام بينه [١٦٩] وبينهم من غير أنْ يزيد في ذلك على مقدار ما توجبه السياسة ، فانهم متى اجترأوا عليه وطمعوا فيه، لحقه من الضرر بذلك أكثرُ مما يلحقه بانقباضهم عنه . وقد أمر معاوية عَمْراً[3] حين أرسله للحكومة[4] هذا الذي ذكرناه بعينه فقال : « قد وَجَّهْتُكَ الى رجلٍ قريبِ الغَورِ ، فلا تَلْقَهُ بكلِ عقلك ، وأجد الحزَّ ، وأصِبْ المفْصَل »[5] . ولولا مقـاربة عمرو لابي موسى[6] وتخادعُه له ، لما تَمَّ له ما يريد منه .

وينبغي أنْ تجعلَ وكْدَكَ[7] مداراتهُم على طبقاتهم ، واعطاء كل صنف منهم من القول ما يُرضيه ، فانّ العاقل من دارى أهْلَ زمانه .

---

(١) استدت : أغلقت .

(٢) الرجلة : الرجولية .

(٣) هو عمرو بن العاص المتوفى سنة ٤٣ هـ .

(٤) التي جرت بينه وبين أبى موسى الاشعرى ، وهى التحكيم المعروف .

(٥) فى كتاب الصناعتين ص ١٧٥ : « وقوله : وطبق المفصل قبـل التحزيز » مأخوذ من كلام معاوية ــ رضى الله عنه ــ وهو قوله لعمرو بن العاص لما أقبل أبو موسى : « ياعمرو ، انه قد ضم اليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأى والعرفان ، فاقلل الحز وطبق المفصل ، ولا تلقه بكل رأيك » .

(٦) هو أبو موسى الاشعرى .

(٧) وكدك : قصدك .

وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « رَأْسُ العَقْل بعد الايمان بالله مداراةُ الناس » . فانْ أمْكنك ذلك باستعمال الحق في بعض، والمعارضة في البعض ، فقد ظفرت بما اليه أَجْرَت الحكماء ، وقصَدَت العلماء . وإنْ لم تظفر بذلك لاختلاف الناس ـ وان اجتماعهم على الرضى بالشيء من الامور العسرة الوجود ـ فليكن وَكْدُكَ مداراةَ خواصّهم وأهل العقل منهم ، فانّ لكل قومٍ رؤساءَ وأفاضلَ ، والمرؤوسون أتباعُ الرؤساء ، والمفضولون تَبَعٌ للفاضلين ، فاذا حُزْت رضى الرؤساء والنظراء ، فانك قد حُزْتَ رضى [١٧٠] الجميع .

الخطأ

وأمّا الخطأ ، فهو ضد الصواب . ومعناه : العدول عن المقصد من غير تَعَمُّد . وانمّا الفرق بين الخطأ والجَوْر وإنْ كانا جميعاً عدولاً عن الطريق المقصود والسبيل المسلوكة ، أنّ الجور انما هو عُدُولٌ عن الطريق بقصد[1] . والخاطيء : اسم الفاعل من : « خَطِيءَ ـ يَخْطَأ ـ خطأً » مثل : « عَمِلَ ـ يَعْمَلُ ـ عملاً ، وهو عامل » . وقال الشاعر في « خطيء » : [من الكامل]

والناسُ يلحَوْنَ الأميرَ إذا هُمُ
خَطِئُوا الصوابَ ، ولا يُلامُ المرشد

والمُخطيءُ : اسم الفاعل من : « أخْطَأ ـ يُخطيء ، وهو مُخطيء » مثل : « أكرم ـ يُكرم ، وهو مُكرِم » . والذي ذَمَّه الله ـ عز وجل ـ ، فقال : « لا يأكلُه إلاّ الخاطئون »[2] فهو المأخوذ من الخطيئة ، لا من الخطأ الذي هو السَّهْو . وكذلك أمرَ اللهُ عبادَه أنْ يسألوه أنْ لا يؤاخذهم بالخطأ الذي من جهة الخطيئة ، لانّه قد وضع عنهم ما لايعتمدونه . وكُلّ ما قلناه من الصواب فانّ الخطأ في صدره[3] .

---

(١) فى الاصل : بغير قصد .
(٢) سورة الحاقة ، الآية ٣٧ .
(٣) يجوز أيضا « فى ضده » لان الخطأ ضد الصواب (مصطفى جواد) .

الصدق والكذب

وأمّا الصدق والكذب فقد ذكرناهما فيما تقدم من كتابنا هـذا ، وكذلك الحق والباطل . وقد أمَرَ اللهُ - عز وجل - باستعمال الحق والصدق ، ووصفَ نفسَه بهما ، فقال : « وَمَنْ أصْدَقُ من اللهِ قيلا »[1] . وحدثنا : « فذلكمُ اللهُ ربُّكُمُ الحقُّ »[2] . وقال : « والذي جاء بالصِّدق وصَدَّقَ به ، اولئك هم المتقون »[3]. و « وقل [١٧١] جاءَ الحقُ وزهَقَ الباطلُ ، إنَّ الباطلَ كان زهوقا »[4].

ولو لم يكن في شَرَفِ الحق والصدق إلاّ أنّ جميع الامم على كثرتها واختلاف طبائعها وهممها تمدحهما ، وسائر الناس إنما يقصدون بقولهم وفعلهم اصابتهما ، فلا ترى أحَداً إلاّ وهو [يريد][5] أن يصدق في قوله ، وأن يصيب الحق في اعتقاده وفعله ، حتى أنَّ الكاذب انمّا يكذب ليصدق على كذبه ، فطلبُ الصدق قصدُه ونيلُه بغيتهُ . والمبطل انمّا يقصد الحق فيخطيء في الوصول اليه وطلبُ الحق قصدُه وإنْ كان من المموهين على الناس فانما يزخرف لهم باطله حتى يقيمه مقام الحق الذي يُقبل ويُعمل به . وكفى بهذا فضيلة للحق والصدق ولمن عُرِف

(١) سورة النساء ، الآية ١٢٢ .
(٢) سورة يونس ، الآية ٣٢ .
(٣) سورة الزمر ، الآية ٣٣ .
(٤) سورة الاسراء ، الآية ٨١ .
(٥) الزيادة يقتضيها السياق . ويجوز أن يكون : (يود) .

بهما ونُسب اليهما ، فانَّ الصادقَ المحق عظيمُ المنزلة عند الله ـ عزوجل ـ وعند خلقِه ، والكاذب المبطل ساقط المحل عند الله ـ عز وجل ـ وعند خلقه . فالعاقلُ حريٌّ بلزوم شرف المنزلتين وطلب أعلى الدرجتين ـ إنْ شاء الله ـ .

ولما علم الله ـ سبحانه ـ أنَّ الباطل والكذب قرينان مع طبائع كثير من عباده ، ملائمان لشهواتهم ، مطابقان لمداراتهم ، وكان طول استماع الكذب ومعاشرة أهْله مخوفين على أخلاق[1] الناس ، خليقين بأنْ يصيرا عادةً لهم على طول الملابسة ، نهى الله ـ سبحانه ـ عن [١٧٢] القعود مع المبطلين ، كما نهى عن الخوض في الباطل وذم مستمعي الكذب كما ذم الكاذبين ، فقال ـ عز وجل ـ : « وقد نَزَّل عليكم في الكتاب أنْ إذا سمِعتم آياتِ الله يُكْفَرُ بها ويُستَهزَأُ بها ، فلا تقعُدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره ، إنكم إذَنْ مثْلُهم »[2] . وقال في ذم قوم : « سَمَّاعون للكَذِبِ ، أكَّالون للسُّحْتِ »[3] .

[وقال الشاعر : من السريع]

فسامعُ القولِ كمن قالَه ... ومُطعِمُ المأكولِ كالآكلِ[4]

وانما أمر الله ـ عز وجل ـ والحكماء بذلك لما قدمناه من الاحتياط على الناس لئلا يصير ذلك عادةً لهم ، ولانَّ استماع الكذب والصَّبْر على معاشرة المبطلين على باطلهم رضى بذلك ، ومن رضي بالباطل فهو مبطل ، ومن قنع بالكذب فهو كاذب ، ويهرب من استماع كذبهم وباطلهم ما أمكنه ذلك . فانْ اضطرته تقية الى حضور ذلك أو إستماعه صَدَفَ عنه ولم يرعِه سمعَهُ وكان كالغائب عنه ، فانَّ ذلك أوْلى به في اصلاح أخلاقه ، وتأديب نفسه .

---

(١) فى الاصل : اطلاق .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٤٠ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٢ .

(٤) فى الاصل : ومعظم ...

النافع والضــار

وأمَّا النافع والضار ، فانّ النافع من الحديث ماكانت عواقب القول فيه والاستماع له والعمل عليه مفضيةً بسامعه الى نفعٍ عاجلٍ أو آجل ، والضار ضد ذلك .

فمن النافع طلب الحوائج ، ومنه الشكر للمنعم ، ومنه حفظ السر ، ومنه معاتبة المذنب ، ومنه التنصل [١٧٣] من الذنب ، ومنه السؤدد ، ومنه الاخذ بشهود الحديث في حكايته .

الطلب

والطلب ينقسم أربعة أقسام : دعاء ، ومسألة ، وطلب ، وأمْر .

فالدعاء : لله وحده ، قال الله ـ سبحانه ـ : « قُلِ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أياً ما تدعوا فله الاسماءُ الحسنى »[1].

والمسألة : قد تكون لله ـ عز وجل ـ وقد تكون لمن هو فوقَك من الرؤساء والمدبِّرين . وفي المسألة لله ـ عز وجل ـ يقول الله ـ عز وجل ـ : « واسألوا اللهَ من فضْلِه »[2].

والطلب : من النظير ومن هو دون النظير .

والأمر : لمن هو دونك .

فحق العاقل أنْ يدعو الله ـ عز وجل ـ بحوائجه ، ويرغب اليه في أموره ، وأنْ يعلم أنَّ الخير والشر في خزائنه وتحت قدرته وملكه ، وأنَّه لا يملك ذلك أحدٌ إلاّ باذنه فيكون دعاؤه إيّاه بالاخلاص والاخبات[3] والتضرع ، كما قال ـ سبحانه ـ : « ادعُوا ربَّكم تضرُّعاً وخفيَةً »[4] .

وكما قال في وصف أنبيائه : « إنَّهم كانوا يُسارِعونَ في الخيرات ،

---

(1) سورة الاسراء ، الآية ١١٠ .

(2) سورة النساء ، الآية ٣٢ .

(3) الاخبات : الخشوع .

(4) سورة الاعراف ، الآية ٥٥ .

ويدعوننا رَغَباً ورَهَباً ، وكانوا لنا خاشعين[1]» . وأن يقدمَ قبل الدعاء التحميدَ والتمجيدَ والثناءَ على الله ـ سبحانه ـ فانّ المدح قبل المسألة . وقد رُوي ذلك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديث مشهور .

وان يعلم ان الدعاء هو العبادة الكبرى [١٧٤] ، ولذلك قال الله ـ عز وجل ـ : « قُلْ ما يَعْبَأُ بكم ربي لولا دعاؤُكم »[2] . فانَّ مَنْ دعا ربه فقد أطاع أمره ، وعرف قدره ، لانّ الله ـ سبحانه ـ بذلك أمره ، حيث يقول : « ادعوني استَجِبْ لكم »[3] .

قال قائل : فاذا كان الله ـ عز وجل ـ قَدْ قَدَّر الاشياء تقديرا واحداً ، وعلم مايكون منها ، وكان غير جائز أنْ يقع شيء بخلاف ما علم منه ، فما معنى الدعاء وقد فرغ الله ـ عز وجل ـ مما يدعو فيه ؟

قلنا : لو كانت الأشياء السابقة في علم الله محتومة كلها ، لكان ما قلْتَ ، ولم يكن للدعاء موقع ولا للاستجابة موضع . لكنّ لله ـ تعالى ـ علمين : أحدهما محتوم ، والآخر موقوف على شرط . وبذلك نطق كتابُه تعالى : « هو الذي خلَقكم من طينٍ ، ثم قضى أجلاً ، وأجَلٌ مُسمَّى عنده »[4] .

فالمحتوم لا يتأخر عن وقته كما قال الله ـ سبحانه ـ : « فاذا جاء أجَلُهم لا يستأخرون ساعةً ولا يَستقدِمون »[5] .

والآخر : الموقوف على الشرط ، هو الذي يُدفَع مكروهُه بالدعاء ، والصدقة ، والبر ، وغيري خرَّجُوه بمثل ذلك ، وبالانابة والتوبة ، وهو الذي يقول [فيه] الله ـ عز وجل ـ « يمحُو اللهُ ما يشاءُ ويُثبِتُ ،

---

(١) سورة الانبياء ، الآية ٩٠ .
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٧٧ .
(٣) سورة غافر ، الآية ٦٠ .
(٤) سورة الانعام ، الآية ٢ .
(٥) سورة النحل ، الآية ٦١ .

وعندَه أُمُّ الـكتاب »[1] . وفيه يقول : « وما يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ ، ولا يُنْقَصُ من عُمُرِه إلاّ في كتـاب »[2] . ومثله مما قد قَصَّ علينا في القرآن قوله : « ياقومِ ادخُلُوا الأرْضَ المقدَّسـةَ التي كَتَبَ اللهُ لـكم »[3]. [١٧٥] . وكانت مكتوبة في سابق علمه لهم على شـرط وهو أنْ يُطيعوه في دخولها ، فلما عصوه حَرَّمَها عليهم .

وقد تواترت الاخبار بانّ الصدقة تَرُدُّ القضاءَ ، وأنّ بر الوالدين يزيد في العمر وأشباه هذا . وانـّما ذلك فيما هو من علم الله ـ سبحانه ـ معلق بشرط عنده . وقد ذكرنا هذا في كتاب « الايضاح »[4] عند ذكرنا مالله ـ عز وجل ـ فيه من المشيئة بما أغنى عن اِعادته . ولعل مَنْ لم يَقْوَ تمييزه ، ويكمل عقله يسوء ظنه بربه ـ سبحانه ـ اِذا دعـاه فلم يستجب له ، ويتوهم أنَّ ذلك بخلف وقع من الله ـ سبحانه ـ في وعده ، أو تهاون بدعاء عبده . وليس الأمر كذلك ، لكنْ هاهنا سرٌ في الدعاء ، فيه تنبيـه لـكثير من الناس على رشدهم ، وهو أنّ كُلَّ أحـدٍ مجبول على أنْ يهيىء لنفسه أعلى المنازل وأشرف المراتب ، فهو لا يسأل الله ـ تعالى ـ اِلاّ على قَدْر تمنيه وشهوته ، ولو أعطى الله ـ عز وجل ـ كُلَّ أحدٍ مـا يشاء ، كان الناسُ جميعاً في أعلى طبقة وأشرف منزلة ولو صار الناسُ على هذا يوماً واحداً لاستغنى بعضُهم عن بعضٍ ، ولو استغنى بعضُهـم عن بعض ما ترافدوا[5] ولا تعاونوا . ولو لم يترافدوا ويتعـاونوا لبطلت الحكمة في سياستهم ودخل الخلل والاضاعة على جماعتهم ، لأنّ [١٧٦] الصُّناع والتجارَ والمُهَّان[6] كانوا يشرفون على صنائعهم وتجاراتهـم

(١) سورة الرعد ، الآية ٣٩ .
(٢) سورة فاطر ، الآية ١١ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٢١ .
(٤) أحد كتب المؤلف ، وهو يؤيد ما نذهب اليه من أن هذا الـكتاب ليس من تأليف قدامة بن جعفر .
(٥) ترافدوا : تعاونوا .
(٦) المهان : جمع ماهن ، ككاتب وكتاب . وفى حديث عائشة ـ رضى الله عنها : « كان الناس مهان أنفسهم » (ينظر النهاية لابن الاثير ج٤ ص ٣٧٦) .

ومهنهم ، ويستغنون عنها ، فيبقى كل واحد من الناس بغير معين . واذا لحق ذلك كل واحد منهم دخل عليه من الضرر في نفسه وأهله وماله وولده ما لا بقاء معه ولا صلاح بعده . فاذا دَعَوْتَ اللهَ - سبحانه - فاعلم أنَّك تدعو حكيماً يسوس الخَلْقَ ويدبرهم بحكمته ، والحكيم لا يعطيك في نفسك وأنت جزء من خلقه ما ينتقض به تدبيره في سائر خلقه ، ويفسد به سياسته في جميع ملكه ، لكنَّه يستجيب لك فيما ينفعك ولا يضر غيرك . فاذا منعك فانمّا يمنعك ما يفسد به تدبير الكُل الذي أنْتَ جُزْءٌ منه ، كمنعه إياك لنفعك إذ كان حكم الجزء تابعاً لحكم الكل .

★ ★

وأمَّا السؤال فينبغي أنْ يكون لله - عز وجل - بالتذلل والاستكانه ، وللناس بالتعفف والقناعة ، ومجانبة التذلل والضراعة . فقد رُوي أنَّ بعض الحكماء سُئل عما يقرّب العبد من الله - عز وجل - وما يقربه من الناس فقال : « أمَّا ما يقرّبك من الله - عز وجل - فانْ تسأله . وأمَّا ما يقربك من الناس فانْ لا تسألهم » . ورُوي أنَّ رجلاً سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنْ يعلمه عملاً يدخله الجنة فقال : « لا تسأل الناسَ شيئاً ، فاذا أردْتَ [١٧٧] حاجة من الله - عز وجل - فاسألْه إياها فيما بينك وبينه ، وأخلص النية له ، وتطهر من الذنوب الموبقة بالتوبة والاستغفار ، فانّه سميع الدعاء ، فَعّال لما يريد »[١] .

واستشعر الانابة ما عرفناك ، فاشكره ولا تتَّهِمْهُ إنْ منعك وحماك . واذا أرَدْتَ حاجةً من المخلوقين فمثِّل في نفسك عز الغنى وذل الحاجة وما تُريقُه من ماء وجهك في المسألة . ثم انظر فانْ كان لك مندوحة عن تلك الحاجة تكرمْتَ عنها ، وعَزفتَ عن التذلل للمسألة فيها ، وانْ وجدْتَ الحال يضطرك اليها عملْتَ في مسألة من لاتعرك[٢]

(١) الذنوب الموبقة : المهلكة .

(٢) يقال : عره بشر ، أى : ساءه ولطخه (م . ج) .

مسألته ، ولا تلحقك بذل له من رئيس مسلط منبسط اليـــد ، أو رجل معروف بالاسعاف والتكرم والسماحة والتذمم . وأثبت ما تأتيه من ذلك على سبيل تعفف وتجمل ، فقـــد وصف الله ــ عز وجل ــ قوماً بذلك ، فقال : « يَحْسَبُهم الجاهلُ أغنياءَ من التعفُّفِ »(١) .

واعلمْ أنَّ « السؤال وإنْ قَلَّ ، ثمنُ كل نوال وإن جَلّ » ــ كما قال أكثم بن صيفي ــ(٢) . ولم يزل السؤال مكروهاً عند ذوي المروءة من الرجال ، وفي ذلك يقول الشاعر : [من مجزوء الكامل]

وفتى خـــلا من مـــاله ومن المروءة غيرُ خـــالِ
أعطاك قبـــل ســـؤالِـهِ وكفاك مكروهَ السؤالِ(٣)

[١٧٨] وليس ينبغي للعاقل أنْ يَسأل مشهوراً بالبخل ، ولا لئيماً بالطبع ، ولا قليلَ ماء الوجه ، ولا حديثَ عهدٍ بسلطانٍ أوْ نعمة ، فانَّ نتيجةَ سؤال هؤلاء الحرمان ، وهم أعوانُ الزمان على الانسان .

وينبغي له أنْ لا يسألَ الا ممكنا يجوز أنْ يُسْعفه ، فقد قيل : « انّ العاقل لا يُرَدُّ عن حاجته » . فقيل : « وكيف ذلك ؟ » قيل : « لانَّه لا يسأل الاّ ما يجوز » .

وأنْ لا يحمل المسؤول اذا أنِسَ منه كرم طبع وحُسْنَ اسْعاف فوق طاقته أنْ ينزل به من مؤونته ما يستنفد وسعه ، فانَّه اذا فعل ذلك أحْوجه الى أنْ يقطع به . وفي هذا المعنى يقول الشاعر : [من الرجز]

انك انْ كلفتني مـــا لم أطِقْ ساءك ما سَـــرَّك مني من خُلُق

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٧٣ .

(٢) هو أكثم بن صيفى بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معـــاوية التميمى ، حكيم العرب فى الجاهلية وأحد المعمرين . عاش زمنا طويلا وأدرك الاسلام ، وتوفى سنة ٩ هـ (٦٣٠ م) . (ينظر الاصابة ج١ ص ١١٣ ، والاعلام ج ١ ص ٣٤٤) .

(٣) فى عيون الاخبار ج٣ ص ١٨٨ : « وكان معاوية يتمثل بهـــذين البيتـين : وفتى خلا ... » ولم يذكر قائلهما .

وينبغي له أنْ لا يُلِحَّ على من يسأله حاجتَه ، ولا يبرمه ، وأنْ ينظر أي حالي الاثنين أقرب الى قلبه ، وأولى باسعافه ، أطيب النفس بقضاء حاجته اليه بالحياء والاعظام أم حال من يطلبها اليها بالالحاح والابرام ، ثم ليحكم على نفسه بحكمه في ذلك على غيره . فلا ينبغي أنْ تسألَ رجلاً معونتك على غيره في حاجةٍ لك ، ولذلك الرجل الى من حاجتك اليه حاجة مثل حاجتك فانه لا يقدم حاجتك على حاجته ، ولا يستفرغ الوسع في معونتك ، ويدع نفسه . وربما ضَرَّكَ اذا اعتمدْتَ عليه ، وكان في[1] أمرك مقصرا ، وبجاهه على غير حاجتك متوفرا[2] . وقد [١٧٩] حكى الاصمعي[3] عن بعض موالي قريش انه قال : « لاتطلبن حاجتك الى كذّاب ، فانَّه يقربها وهي بعيدة ، ويبعدها وهي قريبة . ولا الى أحمق فانه يريد أنْ ينفعك فيضرك ، ولا الى رجل له عند القوم مثل حاجتك ، فانه سيجعل حاجتك وقاءاً لحاجته » .

وإنْ كان سؤالك في طلب العلم ، فالذي يليق بالعاقل ويحسن بالعاقل الالحاح بالطلب واللزوم في الدّأب ، وأنْ لا يرد وجهه عن الاستقصاء في استخراج الفائدة . فقد رُوي عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه قال : « على العلومِ أقفالٌ ، ومفاتحها السؤال » . وقيل : « مَنْ رَقَّ وَجْهُه ، رَقَّ علمه » . وقيل لابن عباس : « أنّى لك هذا العلم ؟ » فقال : لسانٌ سؤول ، وقلب عقول » .

وقد ذكرنا السؤال والأدب فيه في « الجدل » بما أغنى عن إعادته .

* *

(١) فى الاصل : من . يقال قصر فيه ، لاقصر منه بهذا المعنى (م.ج) .

(٢) فى الاصل : موقرا . يقال : توقر على الامر ، أى : صرف همته . (م.ج) .

(٣) الاصمعى : هو عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلى أبو سعيد ، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر ولد فى البصرة سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) ، ومات فيها سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) . وللدكتور عبدالجبار الجومرد دراسة مفصلة عن الاصمعى ، وقد طبعت فى بيروت .

وأمَّا الأمر فينقسم قسمين :

أحدهما : ما أُمِرْتَ أن تعمل ، فيخص باسم الأمر .
والآخر : ما أُمِرْتَ بأن يُتْرك ، فيسمى نَهْيا .

ومن الواجب على ذي الحجا وأخي النهى ، أنْ لا يأمر اذا أمر ، ولا ينهي اذا نهى وزجر اِلاّ بعد تثبت ونظر . وأن يأتي في الامر والنهي ما هو عند العلماء مألوف ، وعند الحكماء معروف مما هو بيِّن النفع لذي الأدب ، خارج عن ذي العبث واللعب .

ومن أوجب ما أمر به الانسان ، ونُهي عنه ، الامر بالمعروف والنهي عن [١٨٠] المنكر ، لانَّ الله ـ تعالى ـ قد حضَّ على ذلك ، وعنَّفَ على تركه ، وعاقب على اهماله ، فقال ـ عز من قائل ـ : « كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ ، تأمُرُونَ بالمعروفِ ، وتَنْهَوْنَ عنالمنكر »(١). وقال : « يا بُنيَّ أَقِمِ الصلاةَ ، وَامُرْ بالمعروفِ ، وَانْه عن المُنْكَرِ ، واصْبِرْ على ما أَصابَكَ »(٢) . وقال : « كانوا لا يَتَناهَوْن عن مُنْكَرٍ فَعلُوه ، لَبئس ما كانوا يَفْعلون »(٣) . وقال : « فلما نَسُوْا ما ذُكِّرُوا به أنجينا الذين يَنْهَونَ عن السُّوء ، وأخَذْنا الذين ظَلموا بعذابٍ بئيسٍ بما كانوا يَفْسُقُون »(٤) .

والمنفعة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكرِ ، بيِّنَةٌ ظاهرةٌ ، لانّ الله ـ عز وجل ـ لما خلق الخلق فباعد بين هممهم ، وفِطرِهم ، وخالف بين عقولهم وفِكرِهم ، وكان أكثرُهم الى الفساد سراعاً ، وللهوى أتْباعا ، وكانوا متى تركوا ، وما تدعوهم اليه نفوسهم ، فَسَدوا وأفسدوا غيرهم ، وليس للفساد خلقوا ، ولا لما خالف الصــلاح جعلوا ـ أمَرَ الله ـ عز وجل ـ الأنبياء بتأديبهم ، وأمَرهم بحثّهم والاخذِ على أيدي سفهائهم ،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .
(٢) سورة لقمان ، الآية ١٧ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٧٩ .
(٤) سورة الاعراف ، الآية ١٦٥ .

وأقام الأئمة في ذلك بعد الانبياء مقامهم ، وقال : « ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بَعْضَهم ببعضٍ لفَسَدَتِ الارْضُ »(١) . فجعل الامر والنهي باللسان لذوي العقول والابصار ، ومن يردعهم الحياء عن مقارفة ما لايليق بذوي الاخطار . وجعل السوط [١٨١] لمن لا ينفعه الزجر من شُرّاب الخمور ومن مُرتكبي الفجور . وجعل السيف لمن لا يقنع في تأديبه بالسوط من المتقاتلين والبغاة والمارقين . وكُلٌ ذلك أمْرٌ بالمعروف ، ونَهْيٌ عن المنكر . وقد رُوي : « مَنْ رأى منكم منكراً فلينكره بيده ، فانْ لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »(٢).

وليس من العدل عند ذوي العقول أنْ يُصْلِحَ الانسانُ غيرَه وهو غير صالح في نفسه ، ويقوّم أخلاقَ الناس بقوله وفعله وهو غير مقوّم في خلقه . وانّما ينبغي أنْ يبتديء بنفسه فيحملها على ما يريد اخلاق الناس به ، فانها أقرب اليه ، وأولى بنصيحته . فاذا انقادَتْ له أخذ في اصلاح عيوب غيره ، ومن ذلك قول الله ــ عز وجل ــ : « أتأمرون الناسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أنْفُسكم ؟ »(٣) . وقال المسيح ــ عليه السلام ــ « مابالك ترى القذاة في عين أخيك ، ولا ترى السارية (٤) التي في عينك ؟ أَخْرِجْ أولاً السارية من عينك ، ثم أخْرج القذاةَ من عين أخيك » . وقد رُوي عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقْتَاب(٥) بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون : يافلان : أمَا كنت تأمر

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥١ .

(٢) جاء فى سنن ابن ماجة ج١ ص ٤٠٦ ، وج٢ ص ١٣٣٠ : « من رأى منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع بلسانه فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٤٤ .

(٤) القذى : ما يقع فى العين أو فى الشراب من تبنة ونحوها .

(٥) فى النهاية ج٤ ص ١١ : وفى حديث الربا : « فتندلق أقتاب بطنه » . الاقتاب : الامعاء ، وأحدها : قتب ــ بالكسر ــ . وقيل : هى جمع قتب ، وقتب جمع قتبة ، وهى المعى .

بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنتُ [١٨٢] آمُرُ بالمعروف ولا أفعله ، وأنهى عن المنكر وآتيه .

ومن الحق أيضاً عند ذوي الحكمة ، أنْ لا يبذلوا نصيحتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن يُعاديهم على ذلك ، ويخافون سطوته فيه ، ولا يرجون قبوله إياه ولا رجوعه اليه ، فانّ ذلك جهلٌ من فاعله ، وهو شبيهٌ بوعظ الأصمِّ ، ومخاطبة الموتى في قلة الانتفاع به والتضييع له . ونظيرُه التعرُّضُ للسَّبُعِ بما يُغْضِبه ، وللافعى بما يوثبه ، فهو إنّما يتعرض من بلاء هذه الطبقة لما لا يطيقه . ولذلك استعمل أهل الدين والفضل والحكمة والعقل التقيةَ هذه ، وأمروا بها ، وأطلقها الله ورسوله ، فرُوي عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنَّه قل لأبي ثعلبة : « الحُسنى يا أبا ثعلبة ، ائتمروا بالمعروف ، وتناهَوْا عن المنكر . فاذا رأيت دُنيا موثرة ، وشحاً مطاعاً ، واعجابَ كُلِّ ذي رأي برأيه ، فعليك نَفْسَكَ »[١] ، وذكر باقي الحديث . ورُوي عن الحسن أنَّه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ليس للمؤمنِ أنْ يُذِلَّ نفسه » . قيل : « وكيف اذلالُه لنفسه ؟ » . قال : « أنْ يتعرض من البلاء لما لا يطيقه » . وقال سفيان : « أنا لا أنهاك عن أنْ تأمر وتنهى ، انما أخاف عليك أنْ تُبتلى فلا تصبر » .

وأما ما رُوي عن الصادقين ــ عليهم السلام ــ من أنه « لادينَ [١٨٣] لمنْ لا تقيةَ له » . وقال العالم[٢] ــ عليه السلام ــ : « التقية ديني ودين آبائي » . فانْ قال قائل : إنَّك قُلْتَ : إنَّ الأمر والنهي لمن هو دونك ، ثم ذكرت هاهنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجعلتهما لمن هو دونك ولمن هو فوقك ممن يبسط يده عليك ، وتخاف أنْ يسبق بمكروه اليك ، فما وجْهُ ذلك ؟ قلنا : إنَّ المأمورَ المنهي من الملوك وغيرهم ، فانْ كانوا

(١) فى النهاية ج٣ ص ١٤٢ : « هوى متبع وشح مطاع » هو ان يطيعه صاحبه فى منع الحقوق التى أوجبها الله عليه فى ماله .

(٢) هذه أشبه بالقائم (م·ج) .

فوق الآمر لهم والناهي بالقدرة والسلطان فانهم دونه في حقيقة الايمان ، لانَّهم إذا ارتكبوا من الامور الموبقة المفسدة توجَّب عليهم نهيهم عنها ، ووعظهم فيها ، فقد صارت منزلتهم دون منزلته في حكم الشريعة وترتيب العقـل . فأمَّا من دون الانسان من تابعٍ وعَبْدٍ وغيرهما ، فالواجب على العاقل أنْ لا يأمرهم من حوائجه إلاّ بما يطيقونه ، ولا يحملونهم منها ما لا يحملونه، وأنْ يعلم أنَّهم بشر مثله ، فان اللهَ ـ سبحانه ـ فَضَّله عليهـم ليبلُوَ شكره ، وصيَّرهم دونه ليبتليَ صبرهم . وانّ من العدل عليهم أنْ لا يأتي اليهم إلاّ ما يُحِب أنْ يُؤتى اليه لو كان في مثل حالهم ، فلا يضربهم ، ولا يجهدهم ، ولا يمنعهم مصلحة لهم ، وأنْ يأتي في صلاحهم وسياستهم ما يأتيه في سياسة نفسه وولده وأخَصّ أهله من حَيْثُ لا يُرضى لهم العذار[1] [١٨٤] فيما يفسدهم ولا يلزمهم من الرعة ما يُعفيهم[2] . فاذا فعل ذلك كان قد مضى بحبهم ، وبلغ مراده منهم ـ انْ شاء الله ـ .

وقد جاء في الخبر عن النبي ـ صلى الله عليه وسـلم ـ أنَّه قال : « أوصاني جبريل بالمماليك حتى ظننتُ أنه سيورثهم[3] ، وبالنساء حتى ظننتُ أنَّ طلاقهن حرام »[4] . ورُوي أيضاً أنه قال ـ عليه السلام ـ : « اذا ملك أحدكم مملوكاً فليحسن اليه ، فانه كما ملككم رقابهم فلا بُدَّ أنْ يملكهم رقابكم »[5] . والله أعلم .

---

(١) فى الاصل : لايرجى لهم العذار . « والعذار : هو ما سال من اللجام على خد الفرس ، وهو تعبير بالكناية عن ترك حرية التصرف لهم » . (م.ج) .

(٢) الرعة مصدر من مصادر ورع أى ابتعد عن الاثم وكف ، والاعافة يراد بها التنفير . (م.ج)

(٣) فى الاصل : يرث ، والتصحيح من حاشية المخطوطة . وللرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الجار : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » .

(٤) فى سنن ابن ماجة ج١ ص ٦٥٠ : « أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

(٥) فى الاصل : أرقابهم ... أرقابكم .

الشكر

وأمَّا الشكر ، فانَّ فيه أمْراً للمريد ، ومكافأة للنعمة . وقد أمر الله ـ سبحانه ـ به فقال ـ عز وجل ـ : « فاذكروني أذكركم ، واشكُروا لي ولا تكفُرُون »(١) . وقال : « ومن شكر فانما يشْكُرُ لنفسه ، ومن كفَرَ فانّ ربي غنيٌّ كريم »(٢) . وقال : « اِعْمَلوا آلَ داودَ شُكْراً »(٣) .

والمنفعة أنّ المنعم اذا شُكر تبين ثمرة عمله وزكاة حرثه ، وقد قال الله ـ عز وجل ـ « لَئِنْ شكرتُمْ لأَزيدنَّكم ، ولئن كفرتُم اِنّ عذابي لشديدٌ »(٤) . وقال الشاعر : [من الكامل]

نُبِّئْتُ عَمْراً غيرَ شاكر نعمتي
والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لنفسِ المُنْعِمِ(٥)

ومن فعل بك جميلاً فأنْتَ مُرتَهَن بشكره أو مكافأته ، بذلك حكمت شريعة العقل ، وقضى محض العدل . وقد أوْجَبَ اللهُ المكافأةَ على القول والفعل فقال : « واذا حُيِيتم بتحيةٍ ، فحيُّوا بأحْسَنَ منها ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٢ .
(٢) سورة النمل ، الآية ٤٠ .
(٣) سورة سبأ ، الآية ١٣ .
(٤) سورة ابراهيم ، الآية ٧ .
(٥) البيت من معلقة عنترة (ينظر ديوانه ص ١٢٨ . وشرح المعلقات السبع ص ١٩٣) .

أوْ رُدُّوها »[1]. وقال : [١٨٥]« هل جزاءُ الاحسان إلا الاحسان ؟»[2] فجزاء من أحْسَنَ اليك أنْ تكافئه بمثل فعله انْ لم يتهيأ لك ما هو أفضل منه ، فانْ أعجزتْكَ المكافأةُ ، شكَرْتَه ونشرْتَ محاسن فعله ، وذكرْتَ مانالك من فضله ، فقد أمَرك اللهُ ـ سبحانه ـ بأنْ تَشكره وتتحدث بنعمته لما اعجزك عن مكافأته فقال : « وأمَّا بنعمةِ ربِّكَ فحدِّثْ »[3] .

وقال الشاعر : [من الكامل]

ارفَعْ ضعيفَكَ لا يَحُرْ بك ضَعْفُه
يوماً ، فتدركه العواقبُ قد نَما[4]
يجزيك أو يُثني عليك فانَّ مَنْ
أثنى عليك بما فَعَلْتَ فقد جَزَى[5]

ويروى أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع هذين البيتين ، فقال : « قال لي جبريل عن الله : « مَنْ أسْدَيْتَ اليه يامحمد معروفاً فكافأَكَ فذلك ، وإنْ عَجَزَ وأثنى عليك فقد كافأك » .

وقد قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « كفران النعمة لؤم ، وصحبة الأحمق شؤم » .

وقد يستعمل الناسُ الحمدَ في موضع الشكر وبينهما من الفرق

---

(١) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية ٨٠ .

(٣) سورة الضحى ، الآية ١١ .

(٤) كذا فى الاصل ، والاغانى ج٣ ص ١١٤ وص ١١٧ (ط . دار الكتب) ، أما فى الشعر والشعراء ج١ ص ٢٩٦ :
ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه يوما فتدركه عواقب ما جنى
وفى العقد الفريد ج٣ ص ١١٩ (باب فضائل الشعر) : ارفع ضعيفك لايحل بك ضعفه .

(٥) البيتان لزهير بن جناب (ينظر الشعر والشعراء ج١ ص ٢٩٦) وذكر أبو الفرج فى الاغانى ج٣ ص ١١٤ ، انهما لغريض اليهودى .

ما أنا ذاكره . وهو أنّ الحَمْدَ أعَمُّ من الشكر ، لانَّ الشكر : انما هو الثناء بالفعل الجميل الذي قد وصل اليك نفعه . والحمد : الثناء بالفعل الجميل وإنْ لم يصل اليك نفعه . ألا ترى أنَّكَ تَحْمَدُ الرجل في صواب منطقه ، وتحْمدُ السيف في مضي ضربته ، والفرس في سرعة عدوه [١٨٦] ولا تشكر شيئاً من ذلك ، وتشكر الله ـ سبحانه ـ على نعمته، وتشكر الرجل على معروفه . فهذا فرق مابين الحمد والشكر .

حفظ الســـر

وأمَّا حفظ السر والمنفعة به ، فانَّه سببٌ لنيل كل مطلوب والاحتراس من كل مرهوب ، ولذلك قال رسول الله ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ : « استعينوا على نجح حوائجكم بالكتمان فان لكل ذي نعمة حاســـداً » . وقال ـ عليه السلام ـ : « من كتم سرَّهُ ملك أمرَهُ » . وأوْصَت الأئمةُ ـ عليهم السلام ـ بكتمان اسرارها ، وما أتى من ذلك من وصايا القـدماء والحكماء في تحصين الاسرار وكتمها من الاشرار ، كثيرٌ لا يحتمله كتابنا .

وليس كتمان السر من سائر الناس محموداً ، لانّ الانسان اِذا كتم سره من نصيحه وذي الثقة عنده ، أخْطأ الرأي من جهتين : اِحـداهما : أنَّه يعدم المشورة ، وقد أمر اللهُ بها فقال : « وشاوِرْهُم في الامر »[1] . وأمَّننا الرسول ـ عليه السلام ـ من سوء عاقبتها فقال : « لن يهلك اِمرؤ بعد مشورة » . وقيل : « ماحار من استخار ولا ندم من اسْتَشار »[2] . فمن كتم النصيح أمره ، وطوى عنه سره ، واستغنى برأيه عنه ، كان كمن كتم الطبيب علَّتَه ، واستغنى بتجربته من مشاورته ، فهـو حقيقٌ بزيادة علته حتى يؤديه الى ما يعجز عن تلافيه .

والثانية : [١٨٧] ايحاش أخي النصيحة وافساد قلبه اذا رآك قـد حصنْتَ سرك دونه ، واستظهرت عليه بالمكاتمة له .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٢) استخار الله : طلب منه الخيرة .

والعدل في ذلك وصواب الرأي ، أنْ تحصن - أيضاً - ممن اتهمته ، وتغلق باب الانس بينك وبينه حتى لا يطلع لك على مكنون بطن ولا يقين . وأنْ تحترس - أيضا - ممن لاتثق غاية الثقة به ، فلا تطلعه من أمرك على ما تخاف منه بُدوَّ سرك ، واذا وثقْتَ الثقةَ كلَّها بالانسان وكشفت له عن صحة غيبه شواهدُ الامتحان ، فلا عليك أنّ تطلعه على أكثر أمرك وعلى ما يصلح أنْ تطلعه عليه من سرك فتشتري بما تطلعه عليه أنسه ، وتملك به قلبه ، وتزيد به في تأكيد الحال بينك وبينه ، وتقيس الصواب من مشورته فيما اشتبه عليك من رأيه ، فانّ الرأي في صدور الرجال - كما قال الأول - . وانّما صار الانسان محتاجاً الى المشورة ، وكان المشير أوْلى بالصواب من المستشير ، لانّ المستشير يلقى من استشاره بقلبٍ فارغٍ مما قلبه مشغول به ، وذهن غير مكدود بما ذهنه مكدود به ، فيكون الى اصابة الرأي أقرب . فليس ينبغي أنْ يكتفي المستشير بنصيحة المستشار حتى يؤنس منه عقلاً صحيحاً ورأياً مصيبا ، فانّ النصيحة من الجاهل غير نافعة [١٨٨] ، لانّ رأيه غير صحيح ، والرأي من العاقل الذي لايوثق بنصيحته غير نافع أيضا لما لايؤمن مِنْ غشه . فاذا اجتمعت النصيحةُ والعقلُ في رجل فحقٌّ المستشير أنْ يُصْغي الى قوله، ويعمل برأيه ، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمَّا سُئل عن الحزم ، ماهو ؟ قال : « أنْ تستشير ذا الرأي ، وتطيع أمره » .

ومَنْ كانَتْ هذه صورته فليس لك أنْ تخالف مشورته إلاّ فيما يتبين لك أنَّه أخطأ وجه الرأي فيه ، فانّ المستشار مجتَهد ، والاجتهاد مخطيء ومصيب . فليس على المجتهد أنْ يصيب ، وانّما عليه الاجتهاد في الاصابة . واذا كنْتَ مشيراً فاعلمْ أنّ المستشار مؤتمن ، وأنّ من أشار بغير الحق عنده سلب رأيه ، فامحضْ مَن استشارك النصيحةَ ، وإيَّاك ومقاربته في رأيه المتفق عليه ، والتقريب من قلبه اذا كان ذلك مدخلاً عليه ضرراً في عاجل أمْره أو آجله ، فانّ ذلك من الخيانة . ولا يكرثك كراهيته لقولك فيما أصلحه ، فانّ الطبيب العالم لا يلتفتُ الى كراهية

العليل للدواء اذا علم أنَّه ينفعه بل يحمله من ذلك ما يشفيه ، ويحميه من لذيذ الغذاء ما يشتهيه ويلذه . وإنْ استشارك عدوك في أمْر فانصح له فيه ، فانَّك تجمع بذلك مع تأدية الامانة في [١٨٦] المشورة شيئين :

أحدهما : أنْ يكون عدوُك عاقلاً ، ويراك قد اجتهدْت في نصحه، فيتبين عقلك وفضلك ، وربما كان ذلك سبيلا الى نزوعه عن عداوتك ورجوعه الى تلافيك واستقالتك .

والآخر : أنْ يكون عدوُكَ جاهلاً بموقع النصيحة ومخارج الرأي، وهو مع ذلك معتقد لعداوتك ، فيتيقن أنَّك تغشه فيما تشير به ، فربما خالف مشورتك بجهله بصحتها ، وقد محضته النصيحة فيها ، فاذا فعل ذلك فقد أَهْلَكَ نفسه ، وأراحك من عداوته ، وكنت موفورا ، وعند ذوي العقول مشكورا .

وقد مدحت العرب[١] الاستبداد بالرأي ، ووصفَت أنفسها بالاستغناء عن المشاور ، فقال بعضهم : [من الرمل]

لَيْتَ هِنْداً أنجزتنا ما تَعِدْ وشفتْ أنفسَنا مما نجدْ
واستبدَتْ مرةً واحِدَةً إنَّما العاجزُ مَنْ لايستبدْ[٢]

وقال الآخر : [من الطويل]

إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عَزْمَهُ
وأعْرضَ عن قول العواذِلِ جانبا
ولم يَسْتَشِرْ في رأيه غير نفسه
ولم يَرْضَ إلاَّ قائم السيف صاحبا[٣]

(١) فى الاصل : الأنا ... ، ويجوز أن يكون الاناس أو الانام أو غير ذلك .
(٢) البيتان لعمر بن أبى ربيعة (ينظر شرح ديوانه ص ٣١٢-٣١٣) .
(٣) كذا فى الاصل أما فى الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥٨٥ ، وديوان الحماسة ج١ ص ٧٣ :
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى أمره غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وليس ذلك أخلاق ذوي العلم والأدب ، وانما هو شيء امتدحت به العرب على طريق الوصف لانفسها بالجرأة والأنفة والاقدام . ومن أمثالهم في ذلك :

« من [١٩٠] طلب غَرَّرَ ، ومَنْ فكر قَصَّرَ »[١] . وليس العمل عند الحكماء على ذلك .

والبيتان لسعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر اسلامي كان من شياطين العرب . (ينظر الشعر والشعراء ج٢ ص ٥٨٥ ، والكامل للمبرد ج١ ص ١٧٧ ، والحماسة ج ١ ص ٦٧ ، والمختار من شعر بشار ص ١٠١ ، وزهر الآداب ج١ ص ١٩٣ ، والمطول ص ٣٣١ ، وخزانة الادب ج ٣ ص ٤٤٤ ، واسرار البلاغة ص ١١٥) .

(١) غرر : مصدر التغرير ، يقال : غرر بالشيء تغريرا : عرضه للهلاك . فالطالب للشيء العظيم يعرض نفسه للهلاك . (م.ج) .

الاستعتاب

وأمَّا الاستعتاب فانّ المنفعة به بيّنة في تلافي من تريد تلافيه ، واستصلاح من لك رأي فيه . فانَّك متى تركْتَ صديقك للذنب يذنبه أو للجرم يجرمه ، ولم تعاتبْه على ذنبه ، ولم تؤنبه وتجرمه[1] بقيت بلا صديق ، لأنَّك لا تجد أحداً ممن تصاحبه بعده ، أو ممن يعتاض به منه إلاّ ولا بُدَّ أنْ يأتي بمثل فعله لك لما في جبلات الناس من الخلاف وقلة المراقبة . وفي ذلك يقول الشاعر : [من الوافر]

وكنْتُ اذا الصديقُ أرادَ هجري
وأشْرقني على حَنَقٍ بريقي
غفرتُ ذنوبَه ، وصفحتُ عنه
مَخافَةَ أنْ أكونَ بلا صديقِ[2]

واعلمْ أنَّ مَنْ طلب عيباً وجده ، ومَنْ أراد السالم من العيوب

(١) ومصدره التجريم ، أي : نسبة الجرم اليه (م٠ج) ٠

(٢) كذا في الاصل ، أما في رسالة الصداقة والصديق لابي حيان التوحيدي ص٠٣١
وكنت اذا الصديق أراد غيظي وأشرقني على حنق بريقي
عفوت ذنوبه وصفحت عنه مخافة أن أعيش بلا صديق
وذكرهما في ص ٤٠٠ ، ولم يذكر قائلهما ٠
ولابي زبيد الطائي :
وأغمض للصديق عن المساوى مخافة أن أعيش بلا صديق
وهو من مقطوعة ذكرها أبو حيان في الصداقة والصديق ص ١٨ ، وذكره ابن قتيبة في عيون الاخبار ج ٣ ص ١٦ ٠

فَقَدَه ، ولا بُدَّ للانسان من الناس ، وقد قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: « العاجز من عجز عن اتخاذ الأصدقاء ، وأعْجزُ منه من ضيَّع من ظفر به منهم ، وأكملُ الاصدقاء أقلهم عيوباً ، وأشدُّهم مؤالفةً أقلهم مخالفة»(١) فأمَّا حتى لاتجد في الصديق عيباً ، ولا تراه في شيء من هواك مخالفاً فهذا عَسِر وجودُه ومَنْ طلبَه أوشَكَ أنْ ينفَدَ عمره ولا يجده ولا يظفر به . فكن في أمور أصدقائك كما قال الشاعر : [١٩١] [من الطويل]

إذا كُنْتَ في كُلِّ الأمور مُعَاتِباً
صديقَكَ ، لم تَلْقَ الذي لا تعاتِبُه
فَعِشْ واحداً ، أوْ صِلْ أخاك فانَّه
مقارِفُ ذنبٍ مَرَّةً ومجانِبُه
إذا أنْتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى
ظمِئت ، وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُه(٢)

واعلمْ أنَّ تَرْكَ العتاب من دلائلِ الزهادة ، ومن دواعي القطيعة ، ولذلك قال الشاعر : [من الوافر]

إذا انقرض العتابُ فليس ودٌّ ويبقى الودُّ مابقي العتابُ

وانْ كانت المعاتبة على كل ذنب والتعلق بكل جرم من دلائل التجني والملالة . وقد قال الشاعر : [من البسيط]

إذا العتابُ أتى في غير موضِعِه فانَّه مُفْصِحٌ عن شدةِ المللِ

ونتيجة كثرة العتاب في غير موضعه ، قلةُ احتفالِ المعاتَب ، فان الشيء اذا كثُرَ هان . ومن العدل اذا أَذْنَبَ صديقُكَ اليك أنْ تفحص عن مخرجه ، فانْ كان أتاه عن غير تعمد له اغتفرْتَه وتناسيته ولم تعاتبه

(١) في نهج البلاغة ج٣ ص ١٥٣ : « أعجزالناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم » .
(٢) الابيات لبشار بن برد . (ينظر ديوانه ج١ ص ٣٠٩ ، ورسالة الصداقة والصديق ص ١٢٤ ، ومحاضرات الادباء ج٣ ص ١٠) .

على ارتكابه ، بل تنبهه على موقع خطأه ليحترس من معاودة مثله . وإنْ وجدته قد أتى ذلك عامداً ، وكان من الأمور التي يضر[1] بالمودة والاخاء احتمالها ، احتملتَها وصفَحْتَ عنها . وانْ كان ممن اِذا أُغضِيَ على مثله عاد بالضرر وقبح فيه الخير ، عاتَبْتَه عليه غير مهْتبلٍ لزلته ، ولا مُغتنمٍ لصرعته . فان اعتذر بما يوجب حجةً ، قبلته فأقلته ، وإنْ اعترف [١٩٢] وسأل الصَّفْحَ صفحْتَ عنه ، فانّ المقدرةَ توجب المغفرة ، والتوبة تمحو الحوبة ، والاعتراف يُزيل الاقتراف . وقد قال الشاعر : [من الطويل]

إِذا اعتذر الجاني محا العذْرُ ذَنْبَهُ
وكُلُّ امريءٍ لا يقبلُ العذرَ ظالِمُ

وعلى هذا الترتيب رتَّبَ اللهُ – عز وجل – عباده في ذنوبهم فعفا عن الخطأ وما جرى على غير تعمدٍ ، وعفا عن صغائر[2] ما اعتمده ، وتجاوز عن الكباير مع الندم والتوبة ، وعذب على الاصرار على ما يعود العفو عنه بالاضرار[3] .

واِذا كُنْتَ معتذراً أو متنصلاً فلا تعتذر اِلاّ الى من تحب أنْ يجد لك عذرا ، ولا تعتذر الى ممتحن ولا متعنت ، فان الاعتذار الى هذين الصنفين ضائع . ولا تخلط الاعتذار اذا وجب أنْ تعتذر بالاحتجاج ، فانّ ذلك يدل على مقامك على الذنب ، لانَّك ليس تحتج اِلاّ فيما لا ذنب لك فيه . وليس هذا موقف التنصل والاعتذار ، وانَّما هو موقف النصح عن النفس ، والاحتجاج . فان كُنْتَ على حجة ، فأنت غني عن الاعتذار .

---

(١) يقول الدكتور مصطفى جواد : « فى هذه الكلمة غموض بالنسبة الى جملتها ، فكأنه أراد : « من الامور التى لا يضر بالمودة والاخاء احتمالها » .

(٢) فى الاصل : مغاير ، وصغائر جمع صغيرة وهى الخطيئة الصغيرة ولذلك قال « عفا عن صغائر ما اعتمده » (م٠ج) .

(٣) الاضرار مصدر أضر به لان الاصرار على الذنب الكبير سيؤدى العفو عنه الى الاضرار بالناس ، ويجوز كون « الاضرار » جمع الضرر وهوبالمعنى نفسه(م٠ج).

وسبيلك أن تقيمها وتجتهد في التخلص من اسم الذنب بما تظهره منها . وإنْ كنت مذنباً ، فسبيلك أنْ تعترف بذنبك ، وتعتذر منه ، وتسأل الصفح [١٩٣] عنه ، فانَّ مَزْجَ الاعتذار بالاحتجاج يدلُّ على استئناف الذنب . ولذلك قال بعضهم وقد اعتذر رجل اليه ، فأتى في اعتذاره بما قدمناه : « مارأيْتُ عُذْراً أشْبَهَ باستئناف ذنب من عذرك » . وذلك أنَّ المذنب اِذا كان عند نفسه غير مذنب ، وكان له فيما يظن حجة يزيل عنه الذنب ، فهو غير مقلع عن ذنبه ، لانَّه انما يرجى الاقلاع عن الذنب للمذنب اِذا عرف ذنبه وقبح فعله ، وانَّه لا حجة له فيه . وكان يقال : « من وثق بحسن العذر وقع في الذنب » .

واذا اعتذر اليك معتذرٌ فاقبلْ عذره ، وصدِّقْ في ذلك ظنه ، اِلاّ أنْ يكون ممن ترى أنَّ الراحة في قطيعته . فانْ كان كذلك ، فاجعل ذنبه سبباً لهجرك له ، ولا تستَعْتبه ، ولا تسمع عذره ، فانَّ العضو الفاسد ليس لصاحبه راحة اِلاّ في قطعه ومفارقته . ومن جاهرك بذنب ، أو ذكرك بما يسوؤك في مَلأ ، ثم جاء معتذرا فيما بينك وبينه ، فلا تقبل تنصله وعذره حتى تكونا في مَلأ ، وعلى المجاهرة كما كانتْ زلته وذنبه . وكذلك مَنْ أذْنَبَ اليك فيما بينك وبينه ، فلا تكلفه الاشتهار بالذنب عند من لم يعرف ذنبه ، واقْبَلْ عذره فيما بينك وبينه .

واعلم أنَّ الأُنْسَ بمواقف الاعتذار ليس من أخلاق ذوي [١٩٤] الاقدار فاهرب مما تحتاج الى اقامة العذر فيه هربك من التلف . فليس في كل حين تقال الهفوة ، ولا في كل وقت تغتفر الزلة . ومن القبيح أنْ يختار الانسان اللوم من الحمد عوضا ، وأنْ يجعل نفسه للالسن غرضا . وقد قيل : « اِيّاك وما تعتذر منه ، فقلما اعتذر أحد اِلاّ كذب ، ومن عرّضَ نفسه للتهمة فلا يلومَن مَنْ أوقع به الظِنَّة » .

التودد

وأما التودد فمن أنْفع الأشياء للانســــان وأعونها على الزمان ، لأن بالمودة صلاح جميع الامور وبالعداوة فسادها . وبذلك أمَرَ اللهُ ــ سبحانه ــ بالتوصل والمودة ، ونهى عن التعادي والفُرقة ، وقال : « إنّ الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات سيجعل لهم الرحمنُ وُدّا »[1] . وقال : « انّمــا المؤمنون إخوةٌ »[2] . وقـــال : « واعْتَصِموا بحبـل اللهِ جميعـا ، ولا تَفرّقوا »[3] . والودُّ ودان : ودٌّ للمشاكلة والمجانسة ، وهو الذي يقول فيه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « القلوب كأجنادٍ مُجَنَّــدةٍ ، فما تَعارف منها ائتلفَ ، وما تناكر منها اختلف »[4] . وود بالعرض وهو ينقسم قسمين :

أحدهما : ود العصمة في الدين .

والآخر : ود المنفعة في الدنيا .

فأما العصمة في الدين ، فالود فيه والمحبةُ هي الولاية التي فرضها الله ــ تعالى ــ على عباده المؤمنين لأئمتهم واخوانهم ، فقال ــ عز من قائل ــ :

---

(١) سورة مريم ، الآية ٩٦ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

(٤) فى النهاية ج ١ ص ٣٠٥ : « الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » . مجندة : مجموعة ، كما يقال آلوف مؤلفة وقناطير مقنطرة .

« إنَّما وليُّكم اللهُ ورسولهُ والذين آمنوا الذين [١٩٥] يُقيمون الصلاةَ ، ويؤتون الزكاةَ وهو راكعون »(١) . وقال : « والمؤمنونَ والمؤمناتُ بَعْضُهم أولياءُ بعضٍ »(٢) . وحظرها على المخالفين إلاّ في حال التقيَّة فقال : « لا يتخذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ مِنْ دونِ المؤمنين ، ومَنْ يَفْعَلْ ذلك فليس من الله في شيءٍ إلاّ أنْ تتقوا منهم تُقاةً »(٣) . وجاء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إنّ أوْثَقَ عُرى الايمان ، الحبُّ في الله ـ عز وجل ـ والبغض فيه » . والذي تخال به مودة ذي العصمة ، ألاّ يرى أخاه مقارفاً لما جمعهما عليه الدين في سرٍ وعلانية .

وأما المودة للمنفعة في الدنيا فتتأكد بتأكد الاسباب الموجبة لها ، ويزيد فيها الاحسان والافضال ، كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « جبلت القلوبُ على حبِّ مَنْ أحْسَنَ اليها » . ويُنَمِّي ذلك ويزيد فيه البِشْر والطلاقة والكلمة الطيبة ، فانه يروى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « انكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالكم ، فَسَعُوهم بأخلاقكم » . وفي حديث آخر : « بالبشر وطلاقة الوجوه » . وقد قال الله ـ عز وجل ـ: « ضَرَبَ الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصْلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السَّماء »(٤) .

وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « مَنْ لانت كلمته ، وجبت محبته » . والذي يحوز به الانسان هذه المودة ممن يرومُها منه ، هو أنْ يرى له مواسياً بما يقدر عليه ، فقد قال أرسطاطاليس : « ليس [١٩٦] مع الايثار بغضة ، ولا مع الاستكبار(٥) محبة » .

وأنْ يكون متابعاً له فيما يقوده اليه ، فانّ الخلاف أذى ، والأذى

(١) سورة المائدة ، الآية ٥٥ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ٧١ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ٢٨ .
(٤) سورة ابراهيم ، الآية ٢٤ .
(٥) لان المستكبر بغيض . (م.ج)

مخالف للهوى ، وقد قال الشاعر : [من الطويل]

يُحَبُّ ويُدْني من يَقِلُ خلافَهُ
وليس بمحمودٍ حبيبٌ مخالِف

وقال آخر فأحسن : [من الطويل]

فاني رأيْتُ الحبَّ في الصدْرِ والأَذَى
اذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهب[1]

فتوددْ الى الناس جهدك ، واجعلْ نيل محبتهم وَكْدَكَ فانَّك لن تُعْدَم بذلك مروءة كريم أوْ أمْن عداوة لئيم ، فتكون قد نِلْتَ المحبوب، وكُفيت المرهوب - إنْ شاء الله -

(١) فى عيون الاخبار ج٣ ص ٣١ : « وكتب محمد بن عبدالملك الى الحسن بن وهب : يجب على المرءوس اذا تجاوز به الرئيس حق مرتبته بعمله ، وكان تفضيله انما وقع له بخفته على القلب ومحله من الادب أن يقابل ذلك بمثله ان كان محاميا على محله ، والا فلن يؤمن عليه . معنى بيت شريح : فانى رأيت الحب ... » .

الاخذ بالمشهور

وأمَّا الأخْذُ بالمشهور من الحديث والقول ، وحكايته ، وترك الغريب والمنكر منهما ، واجتناب روايته ، فانَّ المنفعةَ في ذلك عظيمةٌ ، والفائدة جسيمة . وذلك انك تحرز به النبل في عيون الناس والجلالة في صدورهم . ومتى أخَذْتَ بالشذوذ وبالبديع والغريب من الأحاديث والروايات ، وحكيت ذلك ونقلته ، كنت عند الناس غير محصل ، ولا يَغُرَّنَّك : « انما أحكي ما أسمع » . فكفاك عيباً أنْ تحكي كل ما تسمع، لانَّ أكثر ما تسمع الباطل ، وانما الحق جزء من أجزاء كثيرة مما تسمعه . وقد قيل : « حَسْبُكَ من شَرٍّ سَماعُهُ ، فكيف حكايتُهُ ونقلُه » . ومن رضي بأنْ [١٩٧] يكون حاملاً للأباطيل ، وراوية للأكاذيب ، فقد رضي بما لا يرضى به اللبيب . فان استطعْتَ فلا تَحْكِ اِلاَّ ما تُصَدِّقُ فيه وما لاتحتاج الى اقامة شاهد عليه ، فافعَلْ فهو أولى بك اِنْ كُنْتَ من أهْل التحصيل ، وأردت أنْ تسلم من العَتب والتجهيل . فقد رُوي عن بعض الأعْراب . أنه قال : « اِيَّاك وما يسبق الى القلوب انكارُه ، وإنْ كان عندك اعذارُه . فليس كل من حكى عنك نُكرا يُوسِعُكَ عُذرا ».

واحذر الحذرَ كلَّه من شهوة الاستطراف وطلب الغرائب ، فانَّ كثيرا من الناس يطلب ماكان طريفا ولم يكن عند الناس معروفا ، وذلك لما في النفوس من التطلع الى استماع ما لم يسمعوه ، والكلف بما لم يعهدوه ويعرفوه . وكلما كان الشيء ليس عندهم ، كان اليهم أعجب ومن قلوبهم

أقرب . ومن هاهنا ضَلَّ كثيرٌ من الناس ، ودخلَتْ عليهم الشُّبَهُ في اعتقاداتهم ودياناتهم ، فانك إذا نظرْتَ في كثير من مذاهب أهْل المذاهب وجدتها لم تنفق على أهلها إلاّ بطرافتها وغرابتها وامتناع ذلك عليهم من اظهارها لهم . والنفسُ طُلَعَةٌ ، وهي ضنينة بما تُمنَعُهُ ، وليس عندها فيما قدرتْ عليه من الرأي والهوى مثل الذي عندها في الغريب المستطرف. وكلما كان في ملك غيرها كانت اليه أشوق ونحوه أتوق . ولهـــذا [١٩٨] صار أزهدَ الناس في العالِم جيرانُه ، وصار الانسان بما استفاده أشـــدَّ ضناً منه بما ورثه ، فاحترسْ في هذا الباب ، ولا تُراعِيَنَّ في مستطرف من الامور إلاّ ماكانت امارات الحق فيه ظاهرةً ، والشكوك التي تعرضه قاهرة . فقد قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « شَـــرُّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها »[١] .

وقال : « كُلُّ بِدْعةٍ ضلالة »[٢] .

ولا يثقل عليك الحق وإنْ كثر عليك استماعه ، ولا تَمَلَّنَّه وإنْ كَثُر على سمعك مروره ، فانَّ الحقَّ جديدٌ لا تُخْلِقُه الايام .

---

(١) فى النهاية ج١ ص ٣٥١ : « اياكم ومحدثات الامور » . جمع محدثة ــ بالفتح- وهى ما لم يكن معروفا فى كتاب ولا سنة ولا اجماع .

(٢) فى النهاية ج١ ص ١٠٦ : « وفى حديث عمر ــ رضى الله عنه ــ فى قيام رمضان : « نعمت البدعة هذه » . البدعة بدعتان : بدعة هدى ، وبدعة ضلال ..... » .

المقبول والمردود

وأمَّا المقبولُ والمردود ، فانّ المقبولَ كُلُّ ما أُريدَ به المنفعة من الأمور التي ذكرناها ووعدناها ، وكانت القلوب له قابلة وبفضل اقتفائه غيرَ جاهلة . والمردود ضد ذلك .

فمما ينبغي أنْ يُقبلَ وَعْظُ من وَعَظَك ، ونُصْحُ مَنْ نصحك بما وقرك منهما ، وأَلان لك القول فيما يورده عليك منهما ، وإنْ تعجرف فخاطبك في ذلك بما يغلُظ عليك استماعُهُ . فانْ كان ممن تثق بنيَّتِه ، ولا تستريبُ بمودته وطويته تشجعْتَ على الصبر له والقبول منه ، وكنت كالعاقل الذي يتشجع على أخْذِ الدواء الكريه اذا علم أنَّه ينفعه ، ويصبر في ساعة الخوف تحت ظلال السيوف اذا علم أنّ الصَّبر خيرٌ له . وإنْ كان ممن تعرفه بعداوة ، وسوء نيّةٍ ، وخُبثِ [١٩٩] طويّةٍ ، رددت عليه قوله على استماعك المكروه الذي حصل له ، فانّ في الناس من يريد عيب عدوه والاشارة بمساوئه . فلا يجد طريقاً الى ذلك أبلغ وأسهل من الوعظ والنصيحة ، لأنَّهما يشتملان على ذكر عيوبه ، فهو يبلُغ مرادَه من فضيحته ، والاغلاظ له من حيث لا يستحق في الظاهر لوماً منه ولا مكافأة على قُبح ما يلقاه به . وقد ذكر أُردشير هذه الطبقة وزرايتها على الملوك وتوصُّلَها الى عيبهم بالوعظ ، وحذّر منهم ، وعَرَّف الملوك كيف السبيل الى الراحة منهم . ونحن نذكر قوله اذا صرنا الى موضعه ، فاعرِفهُم أنتَ ، وأنْزِلهُم منزلهم .

وقد حُكي عن بعض أهل هذه الطبقة أنّه قال لبعض الخلفاء : « إني أريد أن أنصَحَكَ يا أميرَ المؤمنين ـ بكلمات ، فاحتمل اغلاظي فيها » . فقال : « لا ، ولا كرامة ، انّ الله بعث من هو خير منك الى من هو شَرٌّ مني فقال له : « فقولا له قولاً ليناً ، لعلّه يَتَذكّرُ أوْ يَخْشى »[1] .

ومن ذلك قبول العذر ممن اعتذر اليك انْ صدق في عذره . وإنْ كذب ، فقد قال الشاعر : [من البسيط]

اقْبَلْ معاذيرَ مَنْ يأتيك مُعتذِراً
إنْ بَرَّ عندك فيما قال ، أوْ فَجَرا

[٢٠٠]

فقد أطاعك مَنْ أرضاك ظاهرُهُ
وقدْ أجَلَّك من يَعْصيك مستترا

فاذا قبلْتَ معذرته وأقلت عثرته مرةً بعد أخرى وثانيةً بعد أُولى ، ورأيته مقيماً على الاصرار لا يزيدك على الاعتذار عند تخوّفه عواقبَ الانكار ـ علمت أنه يريد مخادعتَك، فيطلبالحيلةَ عليك ، فحينئذٍ لاتقبل عذره ، وتَأَسَّ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما صنعه ببعض أسرائه ، وأحسبه أنا عزّة[2] ، فانه أمر بضرب عنقه ، وقال : « لا تقعُدْ في نادي قومك ، فتقول : خدعت محمداً ثلاث مرات » .

ومما يقبله العاقلُ مَدْحُ مَنْ مدحه بما فيه ، ولم يخرج في وصفه عَمَّا يستحقه بمساعيه . فقد سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدح وأثاب عليه .

فامَّا اذا رأيْتَ المادح يُزكيك بما ليس فيك ، ويواربك ، ويريد

---

(١) سورة طه ، الآية ٤٤ .

(٢) لعله المعروف أيضا بأبى ذات الكرش ، الشاعر الراجز بهجو رسول الله (ص) فعفا عنه ، ثم عاد الى فعله وعدائه فأمر بقتله . (م.ج) .

أنْ يخدعك عن نفسك ويغتمز(١) جانبك ، فلا يكونن من شأنك الاصغاء الى قوله ، ولا الاستماع منه ، ولا الرضى بمنطقه ، فانّ ذلك ثلمةٌ في عقلك . فانْ لم تَسُدَّها اقتحم الناس عليك منها ، وتوصلوا الى حوائجهم منك بها ، ثم لم تسلم بعد ذلك من غِيبتهِم لك وضحكِهم منك . وقد قالت الحكماء : « قابلُ المدحِ كالمادحِ نفسَه » . وانّما قالوا ذلك لهذه الطبقة من المادحين ، وهم الذين أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – [٢٠١] بأن يُحثىَ التراب في وجوههم .

ومن المقبول – أيضاً – إطالةُ القول فيما أُرِيدَ به تأنيس المستوحش وتسكين روع المرتاع ، فانّ ذلك مما قد امتدحوا به ، فقال شاعرهم : [من الطويل]

سَلي الطارقَ المُعْتَرَّ يا أُمَّ مالكٍ
اذا ما اعتراني بين قدري وتجزيري
وأبسط وجهي أنه أوّلُ القرى
وأبذل معروفي له دون تنكيري(٢)

وقال آخر : [من الطويل]
أُحدّثه اِنّ الحديثَ من القرى
وتعلم نَفْسي أنّه سوف يَهْجَعُ(٣)

(١) يغتمز جانبك : يختبره ، وهو مشتق من غمز الشيء أى : جسه باليد ، وغمز القناة أى : عضها ليختبرها ، وهو على سبيل الاستعارة . وافتعل قياسى للاتخاذ . (م.ج) .

(٢) كذا فى الاصل ، أما فى ديوان عروة بن الورد ص ٩٠ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ج٤ ص ١٥٧٥ :
سلي الطارق المعتر يا أم مالك اذا ما أتانى بين قدرى ومجزرى
أيسفر وجهى انه أول القرى وابذل معروفى له دون منكرى
المعتر : الفقير . المجزر : مكان النحر .

(٣) وقبله :
لحافى لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهنى عنه غزال مقنع
والبيتان لعتبة بن بجير ، وقيل : لمسكين الدارمى . (ينظر شرح ديوان الحماسة ج٤ ص ١٧١٩ – ١٧٢٠) .

ومما يتسع فيه القول ، ويكون عند ذوي العقل مقبولاً ، أنْ يجد القائل فيمن يقصد القول فيه مقالاً بما يظهر من خلقه ، وفعله ، ونقصه ، أو فضله ، فيكون المادح له أو الذّام لفعله منبسطي اللسان ، غير كليلي البيان ، ويكون السامع ذلك منهما قابلاً مصدقاً ، ولقولهما فيك محققاً . وقد قال الشاعر : [من الكامل]

بهواك صَيَّرني العذول نكالا وجد السبيل الى المقال فَقالا

وقال آخر يعتذر من تركه مديح قومه : [من الطويل]

فلو أنَّ قومي أنطقتني رماحُهم
نطقْتُ ولكنَّ الرماحَ أجَرَّتِ (١)

ومما تقبل فيه الاطالة : المذاكرة بالعلم ، فان مذاكرة [٢٠٢] الرجال تلقيح لألبابها . ورُوي عن الصادقين ـ عليهم السلام ـ : « المذاكرة بالعلم عبادة حسنة » .

فهذا ما في المردود والمقبول .

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب (ينظر عيون الاخبار ج٣ ص ١٦٤) .
أجرت : قطعت . يقول : لو قاتل قومى أو أبلوا لذكرت ذلك وفخرت بهم ، ولكن رماحهم أجرتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بفرارهم .

المهـم والفضول

وأمَّا المهم والفضول ، فانّ المهم كُلُّ مادعت الانسان حاجة اليه في قوام معيشته ، أو اصلاح عاقبته ، أو سياسة نفسه وخاصته . فذلك مطلق له الكلام فيه ، وغير مستقبح منه الطلب له من حيث لايشوب المبالغة بالهذر، ولا الطلب بالطمع ، ولا المسألة بالالحـاف ، ولا الوعظ بالتسليط ، ولا الأمر بالعنف ، ولا النهي بالغلظة ، ولا التنبيه على الذنب بالتوبيخ . فقد قال ابن عيينة[1] : « يُستَحَبُّ للعالم اذا عَلِّم أنْ لا يَعْنُفَ ، واذا عُلِّمَ أنْ لا يأنَفَ » .

وأنْ يتلطف فيما قلناه حتى يأتي به على ما ذكرناه فيبلغ مراده من حيث لا يلحقه عيب ، ولا يُنسَب الى تقصير . وقد أمر الله ـ عز وجل ـ بالكلام فيما تدعو الحاجة اليه ، وبالرفق واللين والتـأتي[2] فقال ـ عز وجل ـ : « خُـذ العَفْوَ ، وأْمُر بالعُـرْفِ ، وأعْرِضْ عن الجاهلين »[3] . وقال : « وقولوا للناس حُسْنا »[4] . وقال : « فقولا له قولاً ليناً لعلّه يَتَذَكّرُ أوْ يَخْشَىٰ »[5] .

---

(١) ابن عيينة : هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران الهلالى بالولاء · أحد أئمة الاسلام وعظماء الرواة ، ومن أعلم الناس بكتاب الله · توفى سنة ١٩٠ هـ (خلاصة تذهيب الكلام ص ١٢٣) ·

(٢) تأتى للامر : ترفق له · (م·ج)

(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٩٩ ·

(٤) سورة البقرة ، الآية ٨٣ ·

(٥) سورة طه ، الآية ٤٤ ·

ولم يقنع من أنبيائه وصُلَحاء خَلْقه بترك الكلام في المهم من أمر الدين ، بل قد عاب من ترك الكلام في ذلك ، فقال فيما أمَرَ به نبيَّه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من البشارة والنذارة [٢٠٣] : « واذا جاءَكَ الذين يُؤمنون بآياتنا فَقُلْ سلامٌ عليكم كَتَبَ ربُكم على نفسه الرحمةَ أنَّه من عَمِلَ منكم سوءاً بِجَهالةٍ ، ثم تابَ من بعده وأصْلَحَ، فانه غفورٌ رحيم »(١) . وقال في غير هذا : « واذا رأيْتَ الذين يخوضونَ في آياتنا فأَعْرِضْ عنهم حتى يَخُوضوا في حديث غيره »(٢) . وقال أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ : « إنَّ اللهَ ــ عز وجل ــ لم يَرْضَ للائمة أنْ تقضي في أكناف الارض ، وهم ممسكون لا يأمُرون ولا يَنْهَوْن » .

وقد أجابَ اللهُ ــ عز وجل ــ عبادَه عمّا يسألونه عنه من مهم دينهم، فقال : « يَسْألونَك عن الشَّهْرِ الحرامِ قتال فيه ؟ قل : قتالٌ فيه كبيرٌ » (٣) ... الى آخر الآية(٤) . وقال : « يسألونَكَ عن الخمر والميسر قل : فيهما إثمٌ كبيرٌ ومَنافِعُ للناس »(٥) . وقال : « ويَسْألونك عن المحيضِ ، قل : هو أذى ، فاعتزلوا النساءَ في المحيض »(٦) .

وكذلك سائر ما سألوا عنه مما يهمهم في أمر دينهم ، فلما سألوا عَمَّا لا يهمهم ، وما هو فضول منهم ، كانت نتيجته إخلافهم وتفرقهم ، أمْسَكَ عن جوابهم فقال : « ويسألونَكَ عن الروحِ ، قل : الروحُ منْ أمْرِ ربي ، وما أُوتيتُم من العلمِ إلاّ قليلا »(٧) . ولما سألوا عن آبائهم قال :

---

(١) سورة الانعام ، الأية ٥٤ .
(٢) سورة الانعام ، الآية ٦٨ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢١٧ .
(٤) تكملتها : « وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام ، واخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ».
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢١٩ .
(٦) سورة البقرة ، الأية ٢٢٢ .
(٧) سورة الاسراء ، الآية ٨٥ .

« يا أيُّها الذين آمنوا لا تَسألوا عن أشياءَ إنْ تُبْد لكم تسُؤكُم »(١). وقال : « يَسألونك عن السَّاعة أيَّانَ مُرساها ؟ قُل : إنَّما عِلمُها عند ربي »(٢).

فكُلُّ ما جرى مجرى [٢٠٤] المهم الذي ينتفع به ، وتدعو الحاجة الى استعماله ، فَحسَنٌ الكلامُ فيه . وكُلُّ ماخالف ذلك وجرى غير مجراه فيما لا يُغني الانسان ولا يُجدي نفعاً فهو الفُضول الذي سمعْتُ العلماءَ تذمه ورأيْتُ الحكماء تنهى عنه ، فقالوا : « انما يَهلِكُ الناسُ في فُضول المال ، وفضول القول » . وقال رجل لابنته وقد نقلها الى زوجها : « يا بُنيَّةَ أمسِكي عليك الفضلين : فضل القول ، وفضل الشهوة » . ومن ذلك يكون العطب ، فكم ممن قتله كثرة فضوله ، ولم يُرَ أحَدٌ قَطُّ قُتِلَ لسكوته ، ولا ضُرِبَ بالسوط على قلة كلامه ، وانما يفعل به تلك الافاعيل ، ويورده تلك الموارد ، فضولُ قوله ولسانه ، ولذلك قال الشاعر : [من المتقارب]

وجُرْحِ اللسانِ كجُرْحِ اليدِ (٣)

وقال الآخر : [من الطويل]

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانهِ
وليس يموتُ المرء من عَثْرةِ الرجْلِ (٤)

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١٠١ .
(٢) سورة الاعراف ، الآية ١٨٧ .
(٣) الشطر لامرئ القيس (ديوانه ص ١٨٥) وقد تقدم ذكره .
(٤) تقدم ذكره ، وبعده :
فعثرته من فيه ترمى برأسه   وعثرته بالرجل تبرا على مهل
ذكرهما الوشاء فى الموشى ص ١٤ ، ولم يذكر قائلهما .

التام والنــاقص

وأما التام والناقص ، فانّ التام من الكلام ما اجتمعت فيه فضائل هذه الاقسام فكان بليغاً صحيحا ، وجَزْلاً فصيحا ، وكان جداً صوابا وحَسَناً حقا ، ونافعاً صدقا ، وعند ذوي العقول مقبولا ، ولم يكن تكلفاً ولا فضولا . فاذا اجتمع ذلك فيه ووضعه قائله موضعه وأتى به [٢٠٥] في حينه ، وأصاب به مقصده ، فهو التام .

ومثله من الكلام مارُوي عن رجل قــدم من اليمامة على عمر بن عبدالعزيز[١] فسأله : « كيف الناس ؟ » فقال : « ظالمٌ مقهور ، ومظلوم منصور ، وفقير مجبور ، وغني موفور » . فقال : « سَرَّكَ اللهُ ، وأحْسَنَ بُشراك » . وما يُروَى عن رجل من ولد سمرقند قام بين يدي المهدي[٢] فقال : « يا أميرَ المؤمنين ، اِنّا قومٌ نأيْنا عن العرب ، وشغَلَتْنا الحروب عن تحفظ الخطب ، وأميرُ المؤمنين يعرف طاعتنا ، ويعلم ما فيه مصلحتنـا فيجتزيء منا باليسير من الـكثير ، وبما في الضمير دون التفسير » . فقـال له : « أصَبْتَ وأجَدْتَ ، أنتَ خطيبُ القوم » . وشكا بعضهم حاله الى بعض الرؤساء فقال : « اِنّ الدهرَ كَلَحَ فجَرَحَ ، وجَمَح فطمح ، وأفْسَد ما صلح ، فانْ لم تُعِن عليه فضح » . وأوْصَى خالد

---

(١) توفى سنة ١٠١ هـ .

(٢) هو محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن على العباسى أبو عبدالله المهدى بالله من خلفاء الدولة العباسية فى العراق ، توفى سنة ١٦٩ هـ .

ابن صفوان[1] ابنه فقال : « كُن يا بُنيّ أحْسَنَ ما يكون في الظاهر حالا ، أقَلّ ما يكون في الباطن مالاً ، فانّ الكريم مَنْ كَرُمَت طبيعتُه، واللئيم مَنْ خَبُثَت عند الحاجة طعمته . وإيّاك وكثرةَ الكلام فيما لا يعنيك فانه فَضْلٌ ، ولا آمن عليك فيه الوزْر ، والموتُ خيرٌ من طَلَبِ الحاجة الى غير أهْلها » .

والناقص عن التمام ، وما قصر عن هذه الاقسام ، كان معيباً عند ذوي الافهام . [٢٠٦] كما رُوي أنّ بَعْضَ جلساء عبدالملك تنقّصَ مصعب بن الزبير[2] ، وقد أفاضوا في ذكره بحضرته فقال : « مَهْ أما علمت أنّ مَنْ صَغّر مقتولا فقد صَغّر قاتله » . وهو إنّما أراد التقرب من قلب عبدالملك بتنقصه وتصغير شأنه ، وجهل مافي ذلك من التقصير بعبدالملك والوضع من ظفَرِه ، فكان كلامه بادي النّقْص عند ذوي العقول ، غير محمود عند ذوي التحصيل .

وكذلك قال بعض الاعراب لرجل رآه نطق بمنطق مذموم غير ماضٍ ولا مقبول ، فقال : « يا هذا اِنّ عورات الرجال بين أرْجلهم ، وانّ عورتك لبَيْنَ فكيك » .

وهذا في هذا الباب مقنع - انْ شاء الله - .

---

(١) خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الاهتم التميمى ، من فصحاء العرب المشهورين . توفى سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) .

(٢) مصعب بن الزبير بن خويلد الاسدى القرشى ، أحد الولاة الابطال فى صدر الاسلام . توفى سنة (٧١ هـ = ٦٩٠ م) (ينظر تأريخ الطبرى حوادث سنة ٧١ هـ وما قبلها ، والاعلام ج٨ ص ١٤٩) .

أدب الحـديث

فأمَّا أدَبُ الحديث ، فانَّ أصله ، وعمدته ، وبهاءَه ، وزينتـه ، اتقاءُ الخطأ فيه والزلل واللحن والخطل . ثم أنْ يكون حقاً سالما ممـا يهجنه من معايب القول التي قدمنا ذكرها . ثم أنْ يُقدِّرَ المُحَـدِّثُ مقدار كلامه ، ومقدار نشاط مستمعه ، فلا يحمله منه ما يُضجره ويقصر عنه شيئاً ، وإلاّ وقع من مخاطبه موقع إياس بن معاوية[1] من ابن شبرمة[2] ، فان ابن شبرمة قال له : « أنا وأنت لا نتفق » . قال : « ولم ؟ » . قال : « لانَّك لا تشتهي أنْ تَسْكُتَ ، وأنا لا أشتهي أنْ أسمع » [٢٠٧] . وأنْ لا يُردد القول اذا أعجبه ، فانّ في التوراة : « لا يُعاد الحـديث مرتين » . ورُوي أنَّ ربيعة الرأي[3] تكلم يوما فأعجبه كلامه ، فقـال لأعرابي حَضَره : « ماتعدون العي فيكم ؟ » . قالوا : « ماأنت فيه منذ اليوم » . وتكلم ابن السماك[4] في قصصه فردد أشياء من مواعظه فقالت له جاريته :

---

(١) أياس بن معاوية بن قرة المزنى ، أبو وائلة قاضى البصرة ، وأحـد أعاجيب الدهر فى الفطنة والذكاء . توفى سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) . (ينظر البيـان والتبيين ج١ ص ٩٨ ، ووفيات الاعيان ج١ ص ٨١) .

(٢) هو عبدالله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان الظبى الكوفى القـاضى ، ولاه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة . توفى سنة ١٤٤ هـ (ينظر البيان والتبيين ج١ هامش ص ٩٨) .

(٣) ربيعة الرأى : امام حافظ فقيه مجتهد ، كان بصيرا بالرأى . توفى بالهاشمية من أرض الانبار سنة ١٣٦ هـ (فهرست ابن النديم ص ٢٩٩) .

(٤) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بنى عجل المعروف بابن السماك . سمع هشام بن عروة والعوام بن حوشب وسفيان الثورى . وروى عنه الحسـين الجعفى وأحمد بن حنبل . وهو كوفى قدم بغداد زمن الرشيد ومكث بها مدة ، ثم رجع الى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ . (البيان والتبيين ج١ هـامش ص ١٠٤) .

« لم تردد كلامك ؟ » فقال : « ليفهمه مَنْ لا يفهمه » . فقالت : « الى أنْ يفهمه من لم يفهمه [يكون][1] قد مَلَّه مَنْ فهمه »[2] .

وأنْ لا يكون نزر الكلام فينسب الى العي ، ولا كثير الكلام فينسب الى الهذر ، بل يتوسط في منطقه ، فانَّ خير الامور أوْساطها .

وإذا أعجبه الكلام فليصمت ، وإذا أعجبه الصمت فليتكلم ، فانَّ البركة في مخالفة الهوى . وأنْ يتجنب الايمان في حديثه ، فانَّما تحمل الرجل على اليمين احدى ثلاث خلال :

إمَّا مهانة يجدها في نفسه ، وقد وصف الله – سبحانه – الحلاَّف بذلك فقال : « ولا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهين »[3] .

أوْ عيّ في الكلام ، فهو يجعل الأيمان حَشْواً له .

أوْ تهمة ظهرت منه ، فهو لا يثق من الناس بتصديق إلاّ بعد اليمين ، ولذلك قال بعض الأعراب في بغض ما تكلم به : « واللهِ ، فانها مهانة أو فجور » . أي : بأنَّ الانسان لايحلف بالله إلاّ من فجور قد ظهر منه فأحوجه الى استعمال اليمين حتى يُصَدَّقَ . أو مهانة يجدها في [٢٠٨] نفسه .

ولا يبتديء كلامَه إلاّ بعد أنْ يُروّي فيه ، فانّ الرجوع عن الصمت الى الكلام أحْسَنُ من الرجوع عن الكلام بعد الشروع فيه . فقد رُوي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنَّه أوْصى رجلاً سأله أنْ يخصه بشيء من العلم ، فقال له : « أمستوصٍ أنْتَ ؟ » . فقال « نعم » . فقال : « اذا أردت أمراً فتدبَّر عواقبَه ، فانْ كان خيراً فأمضِه ، وإنْ كان شراً فانْتَهِ عنه » .

---

(١) الزيادة من البيان والتبيين ج١ ص ١٠٤ .
(٢) ينظر البيان والتبيين ج١ ص ١٠٤ ، ففيه هذه الرواية .
(٣) سورة القلم ، الآية ١٠ .

وأنْ يخزن كلامه إلاّ عند اصابة المواضع ، فانه ليس في كل حين يحسن الصواب ، وانّما تمام الاصابة باصابة الموقع . فانْ أخْطأَه دخل على كلامه الهُجنة ولم يبلغ به البُغية .

وأنْ لا يحضر كلاما لم يحضره ، ولا يدخل بين اثنين في شيء لم يدخل فيه ، ولا يُجيبَنّ عن شيء لم يُسْأل عنه .

وأنْ لا يجيب مَنْ خاصمه وأغضبه بجواب الغضب والشر ، فانّه ربما ظهرت عليه عند الغضب أماراتٌ تصدق عليه قولَ العائب له ، ولكنْ ليكن جوابُه بالحلم والوقار ، فانّ الغلبة للحليم .

وليعلم أنّ جهل خصمه يبين عن فضله اذا لم يقابله ، فقد قيل : « لولا جهلُ الجاهل ، ما عُرِف عَقْلُ العاقل » . وقد قال أمير المؤمنين — عليه السلام — : « الغالب بالشر مغلوب » .

وأنْ لا يتهاون بالكِذبة تحفظ عليه في الجد أو الهَزْلِ فانّها سريعة في ابطال ما يأتي من الحق . وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إنّ الرجل [٢٠٩] ليكذِبُ الكذبةَ فلا يزال بها حتى يصيرَ عند اللهِ كاذبا » .

واذا سُئِل غيرُه فلا يسلب الجواب منه ، واذا حُدِّثَ أنْصتَ لمحدثه ، وان كان يعرف الحديث . فقد روي عن الأحْنَف(١) : « تجنَّب في حديث جليسك ثلاثاً : الاعراضَ عنه ، وسوءَ الاستماعِ منه ، وأنْ تُرِيَهُ أنّك قد عرفت ما أراد » . واذا بلي بالجواب عن شيء قد سُئل عنه هو وجماعة معه فلا يبادرهم بالجواب فيكونوا متعقبين لقوله ، آخذين بأحسنه ، مُمكَّنين من عيبه ، بل يكون آخرهم جوابا فانه يجمع بذلك أخذَ محاسن قولهم ، وتعقب آثارهم ، والسلامة من عيبهم وطعنهم .

---

(١) الاحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرى السعدى ، أحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان ، يضرب به المثل فى الحلم . ولد فى البصرة ، وتوفى سنة ٧٢ هـ (٦٩١ م) . (الاعلام ج١ ص ٢٦٢) .

وليدع التطاوُلَ في المجالس على أهلها بالقول مما يَعْرُضُ له من الصواب لئلا يظنوا أنه يريد التكبّر عليهم والوضعَ منهم فيعادوه .

وليكن قَصْدُه بحضرة العلماء أنْ يعرفوا منه أنّه على الاستماع أحرصُ منه على القول . فانْ نازَعَتْهُ نفسُه الى القول بحضرتهم ، وهم نُقّاد القول وجهابذتُه ، فلا يخرجَنّ منه اليهم إلا ماكان صحيحا جائزاً . وليستحي من تكذيب صاحبه في حديثه ، وان كذب فأراد تنبيهه على كذبه تلطف له في ذلك بألطف القول ، فانه يجمع بذلك البُقيا على مودته وقضاءَ حقه في التأتي لاصلاح خُلُقِه .

وليُحدّث الناسَ بما يَعْرِفون ، ويُعْفِهم مما يكرهون ، [٢١٠] تدُمْ له بذلك موداتهم . وقد رُوي عن الصادقين ـ عليهم السلام ـ : « رَحم اللهُ مَنْ حَبَّبَنا الى الناس بأنْ حَدّثهم عنا بما يعرفون » .

وليعلم أنَّ لسانه آفةٌ مرسلةٌ عليه اذا أطلقه فليضبطه . وقد رُوي عن العباس بن عبدالمطلب أنّه قال لابنه عبدالله[1] : « يا بنيَّ احفَظْ لسانك إلا مما لك ، وانهَ نفسَك إلا مما أُمِرْتَ به » .

واذا غُلِب على الكلام فلا يُغلَب على السكوت ، فقد قيل : « اذا فاتكَ المنطق ، فلا يفُتْكَ الصَّمْتُ » .

واستشعِر ما وَصّى به أكثم بن صيفي بعض ولده فانه قال له : « ومن الجمال والمروءة أنْ تكونَ عالماً كجاهل ، وناطقاً كعيي ، والعلمُ مَرشَدةٌ ، والصَّمْتُ مَحمدةٌ ، وفَضْلُ القول على العمل لؤمٌ ، وفضل العمل على القول كرم . ولم يلزم الكذب شيئاً إلا غلب . والانقباض عن الناس مَكسَبَةٌ لعداوتهم ، والتقربُ منهم مَجلبةٌ لقرين السوء . فكن من الناس بين المتقصّي والمشترك ، فانّ خير الأمور أوساطها ، ومن لم يكن له واعظ من نفسه تمكن منه عدوُّه على شر فعله » .

---

(١) هو عبدالله بن العباس الصحابى والعالم الجليل ، توفى سنة ٦٨ هـ .

ولا ينبغي أنْ يمنعه حذرُ المِراء من حسن المجادلة ، ولا خوف العِي من استعمال الصمت في وقته . وليعلم أنّ الرجل قد يكون زمِّيتاً فيحمله الحرص على أنْ يقال : « لَسِنٌ » ، والخوف من أن يقال : « عيي » ، على أنْ يتكلم في غير موضعه فيصير ماهرب منه خيراً مما أوْقَع نفسه فيه .

وليعلم أنّ مَنْ غاب الناس [٢١١] وذكر مساوئهم[1] جمع من الاثم في الغيبة التي نهى الله عنها الاستهداف لعيبهم ، والتعرض لسوء قولهم . وقد قال الشاعر : [من السريع]

ومَنْ دعا الناسَ الى ذَمِّه ... ذمُّوه بالحق وبالباطلِ
مقالةُ السوءِ الى أهلها ... أسرعُ من منحدرٍ سائلِ[2]

وقال آخر : [من الطويل]

ولا ينطلِقْ منك اللسانُ بسَوْءَةٍ
فللناسِ عَوراتٌ وللناس أَلْسُنُ

وليعلم أنَّه ليس من عِلْمٍ يَذْكره عند غير أهله اِلاّ عادَوه واستثقلوه ، فلا تجالس أحداً بغير طريقته ، ولا تحدثه اِلاّ بما يستحقه ، فانّ للعلم حقين :

أحدها : بذله لمستحقيه .
والآخر : صرفه عمن ليس من أهله .

وأنْ لا يستعمل المزاح اِلاّ في الأحوال التي يخرج بها من حد العبوس ، ومتى زاد في المزح على انسان فاجابه بما يحرّك من طبعه فلا يلومَنّ اِلاّ نفسه ، اذْ ليس من العَدْلِ أنْ يغضب من شيء هو المبتدىء

---

(١) فى الاصل مسائلهم . يقول الدكتور مصطفى جواد : « للتناسب بين الاغتياب والمساوىء » .
(٢) ذكرهما ابن قتيبة فى عيون الاخبار ج٢ ص ٢٦ ، ولم يذكر قائلهما .

به ، فقد قال حكيم العرب : [من الطويل]

وأولُ راضٍ سُنَّةٍ من يسُنُّهـــا[1]

وينبغي أنْ نتعلم حسن الاستماع كما نتعلم حسن القول .

وهذا آخر باب العبارة ، وقد أتينا بجمل مما حضرنا فيه ، تغني عن الاطاله - إنَّ شاء الله تعالى -[٢١٢]

---

(١) والبيت :

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها وأول راض سنة من يسنها

وهو لخالد بن عتبة الهذلي . (ينظر اللسان - سنن)

البيان الرابع

الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله حق حمده

باب
البيان الرابع وهو الكتاب

قال أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب :

قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا نعمة الله ـ عز وجل ـ على عباده فيما أَلْهمهم إِياه من الكتابة ، ودللنا على حكمته ـ سبحانه ـ في ذلك ، وإِنَّه أراد اتمام منافعهم وايجاب الحجة عليهم . فانه لولا الكتاب الذي قيَّد علينا أخبارَ من مضى من الرسل ، ونقل الينا ما أتوا به من الكتب ، لما قامت لله ـ سبحانه ـ حُجةٌ علينا اذ كنا لم نشاهدهم ولم نسمع حججهم ، ولم نعاين آياتهم ، ولانقرضت العلومُ والرواياتُ بانقراض أهلها وموت من تحملها ، ولم يَبْقَ في أيدي الناس من ذلك ومن أخبار الماضين وآثار المتقدمين إِلا اليسيرُ مما تَلَقَّاه الخَلَفُ عن السَّلف . وكم عسى أنْ يكون ذلك وما يرى أنْ تبلغ من العلوم الخالية والأخبار الماضية . فلما أعطاهم هذه الموهبةَ قيدوا بها ذلك أجمعَ وحُفظ ، فصار مَنْ قرأ كتب الأولين ، وتأمَّلَ أخبارَ الماضين كمن عُمِّر معهم وكان في أيامهم وأخذ عنهم [٢١٣] وسمع منهم . ولذلك قيل : « الكتاب أحدُ اللسانين » ، لانك اذا قرأت كتاباً كأنك قد سمعت لفظ صاحبه . وقيل : « القلم أبقى أثرا ،

واللسان أكثر هذراً » . وقالوا : « اللسانُ مقصورٌ على الشاهد ، والقلم ينطق في الشاهد والغائب » . وقال بعضُهم : « استعمال القلم أجْدرُ أنْ يحضر الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام »[١] .

والكتاب يُقْرأ بكل مكان ويُدرَسُ في كل زمان ، واللسان لايعدو سامعه ولا يتجاوز الى مَنْ بعده . وقد بَيَّنَ الله ـ عز وجل ـ فضيلةَ الكتاب والخط ومعونتهما على الحفظ والضبط ، فقال : « يا أيُّها الذين آمَنوا اذا تدايَنْتُم بِدَيْنٍ الى أجَلٍ مُسمّىً فاكتُبوه ، وليَكتُبْ بينكم كاتِبٌ بالعَدْلِ »[٢] .

ثم بَيَّنَ العلة في أمره بذلك ، فقال : « ولا تَسْأموا أنْ تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجَله ، ذلكم أقْسَطُ عند الله ، وأقْوَمُ للشهادةِ ، وأدْنى أنْ لا ترتابوا إلاّ أنْ تكونَ تجارةً حاضرةً تُديرونها بينكم ، فليس عليكم جُناحٌ أنْ لاتكتبوها »[٣] . وإنَّما وضع الجناح في تَرْك كَتْبِ التجارة الحاضرة ، لانَّه ليس يجري فيما يكون مؤجلا .

ولما كان هذا موقع الكتاب في النفوس من المعونة على الحفظ والنفي للشك ، خاطب الله ـ عز وجل ـ الناسَ من ذلك بما يعرفون ، فقال : « هذا كتابُنا يَنْطِقُ عليكم بالحقِّ ، إنّا كُنا نَسْتَنْسِخُ ما كنتم تَعْملون »[٤] . وقال : « قال عِلْمُها عِنْدَ [٢١٤] ربي في كتابٍ لا يضلُّ ربي ولا يَنْسَى»[٥] . فقال ذلك على المجاز والمتعارف ، وإلاّ فهو غير محتاج في علم ما كان ويكون الى كتاب من يَنْسى ويغفل ، والله ـ عز وجل ـ لا يَنْسى ولا يغفل .

---

(١) ينظر ما جاء فى وصف القلم : أدب الكتاب للصولى ص ٦٦ وما بعدها .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .
(٤) سورة الجاثية ، الآية ٢٩ .
(٥) سورة طه ، الآية ٥٢ .

وقد شَرَّفَ اللهُ - عز وجل - منزلةَ الكُتَّاب ، وأحْوَجَ الناسَ اليهم ، وأمرهم بمعاونة من استعان بهم ، فقال : « ولا يأبَ كاتبٌ أنْ يكتُبَ كما علَّمه اللهُ ، فليكتُبْ ، وليُمْلِلِ الذي عليه الحقُّ »[1] . ولو لم يكن من فضل الكتابة إلاّ أنّ اللهَ - سبحانه - مَدَحَ الملائكة بها ، فقال : « وإنَّ عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ماتفعلون»[2].

والكتّاب خمسة : كاتبُ خطّ ، وكاتبُ لفظ ، وكاتبُ عَقْد ، وكاتبُ حكم ، وكاتبُ تدبير . ولكل واحد من هؤلاء مذهبٌ من الكتابة يخالف مذهب غيره . ونحن نذكر منها ما يحضرنا ذكره .

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .
(٢) سورة الانفطار ، الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

كاتب الخط

أمّا كاتب الخط ، فانّه امـا أنْ يكون وراقاً أو محرراً . وهما موصوفان بنقل الالفاظ وتصورها ، ويحتاجان الى أن يجمعا مع حلاوة الخط وقوته ، وسواد المداد وجودته ، وتفقد القلم واصلاح قطّته ، الى جودة التقدير والعلم بمواقع الفصول . وأن يعرفا من النحو المقصور والممدود ، والمؤنث والمذكر ، وحكم الهجاء ما يسلمان معه من اللحن والخطأ . ثم يحتاج المحرر الى اطالة من قلمه ، فانه أصفى لكتابته ، وأنْ يعفي قلمه [٢١٥] فلا يلح على شحمه ، لانّ ذلك أقوى لخطه ، وكذلك سائر ما يُكتَبُ بالمداد . فامّا ما يكتب بالحبر فيخاف على الشحم فيه لِثقل ما يحمل من الحبر . ويحتاج الوراق الى تحريف قطة قلمه ، والمحرر الى أن يجعلها بين التحريف والاستواء ، فانّ ذلك أحسن لخطه . وكلما كان اعتماد الكاتب ـ وراقا كان أو محرراً ـ على سنّ قلمه الأيمن ، كان أقوى لخطه وأبهى بخطه . ويختار للوراق أنْ لايكتب في الجلود والرق بالحبر المثلث ، فانه قليل اللبث فيهما ، سريع التفرك منهما . وأنْ يكتب فيهما بالحبر المطبوخ ، وفي الورق بما أحب . ويختار المحرر أنْ يكتب عن السلطان في أنصاف الطوامير[1] ، وفي الادراج المنصورية العريضة ،

---

(١) في المعرب ص ٢٢٥ : « طومار معروف ، وهو معرب زعموا » . وفي اللسان عن ابن سيده : « الطامور والطومار : الصحيفة . قيل : وهو دخيل . قال : وأراه عربيا محضا لان سيبويه اعتد به في الابنية » .

وعن نفسه ، وعن سائر الناس فيما أحب بعد أنْ يكون ذلك ألطف مقداراً من مقادير كتب السلطان ووزرائه .

فأما جودة التقدير ، فان يكون ما يفضله من البياض أو القرطاس أو الكاغد أو الورق عن يمين الكتاب وشماله وأعلاه وأسفله على نسب متساوية . وأنْ تكون رؤوس السطور وأواخرها متساوية ، فانه متى خرج بعضها عن بعض قبحت وفسدت . وأنْ يكون تباعد ما بين السطور على قسمة واحدة اِلاّ أنْ يأتي فصل [٢١٦] فيُزاد في ذلك . والفصل اِنّما يقع بعد تمام الكلام الذي يبتدأ به ، واستئناف كلام غيره ، وسعة الفصول وضيقها على مقدار تناسب الكلام . فانْ كان القول المستأنف مشاكلاً للقول الأول أو متعلقاً بمعنى منه جعل الفصل صغيراً ، واِنْ كان مبايناً له بالكلية جعل أكثر من ذلك . فأمّا الفصل قبل تمام القول ، فهو من أعْيب العيوب على الكاتب والوراق جميعا . وتَرْكُ الفصل عند تمام الكلام عَيْبٌ أيضاً ، اِلاّ أنّه دون الاول .

* *

وأما النحو ، فقد ذكر النحويون منه ومن حكم المقصور والممدود ، والمؤنث والمذكر ، والهجاء ، مافيه كفاية . اِلاّ أنّا نذكر جملاً من ذلك لئلا يخلو كتابنا من سائر ما يُحتاج اليه في البيان . ونبتديء ذكر النحو فنأتي منه بما يكون اِعرابه بالحروف وتعيين أشكالها دون الحركات التي لا تبين في الكتاب . وانما تعرف بالشكل اِذ كان الكتّاب لا يشكلون ، وانّما الشكل للوراقين ولهم فيما قد سطره النحويون في كتبهم من حكم الاعراب ما يغنيهم عن كتابنا هذا ، فنقول :

اِنّه ليس يعرب من الكلام اِلاّ الاسم المتمكن ، والفعل المستقبل ، وما سواهما مبني غير معرب . وليس في المبنيات ما تتغير صورته في الكتاب بتغير الاعراب فيه ، وانما يقع ذلك [٢١٧] في بعض الاسماء المتمكنة ، والأفعال المستقبلة . فمن ذلك ما رَفْعُه من الاسماء بالواو ، ونَصْبُه

بالألف ، وخَفْضُه بالياء . وهي خمسة أسماء : أبوك ، وأخوك ، وحموك، وفوك ، وذو مال[1] . تقول : « جاءني أخوك » ، و « رأيْتُ أخاك » ، و « مَرَرْتُ بأخيك » .

ومن ذلك الاثنان والجمع الذي يسمى جمع السلامة ، وهو الذي يسلم فيه بناء الواحد ، ويزاد عليه علامة الجمع . فانّ علامة رفع الاثنين الألف ، وعلامة رفع الجميع الواو ، وعلامة النصب والخفض فيهما الياء . إلاّ أنَّ ياء الجمع مكسورٌ ما قبلها ، وياء الاثنين مفتوحٌ ماقبلها . تقول : « مررت بالمُسْلِمِيْنَ » و « المُسْلِمَيْنِ » .

ومن ذلك الالف التي تدخل في النصب بدلاً من التنوين في الاسم العلم المنصرف ، كقولك : « رأيْتُ زيداً » .

والالف التي تبدل من النون الخفيفة ، نحو قولك : « اضْرِبا زيداً » . وما لا ينصرف لايدخله التنوين فليس تبدل في منصوبه ألف ، وخفضه بالفتح كنصبه ، فاذا اضيف أوْ دخلته الألفُ واللام صُرِف .

ومما لا ينصرف ، ما لاينصرف في معرفة ونكرة ، ومنه ما ينصرف في النكرة ، ولا ينصرف في المعرفة . فمما لاينصرف في معرفة ولا نكرة خمسة أشياء :

منها : كل نعت على « أفْعَل » وأُنثاه « فَعْلاء » نحو : أحمروحمراء .

ومنها : كل نعت على « فَعْلان » أنثاه « فَعْلى » [٢١٨] نحو : عطشان وعَطشَى .

ومنها : كل اسم في آخره ألف تأنيث ممدودة ، نحو : أربعاء . وكل جمع في آخره هذه الالف ، نحو : فقهاء .

ومنها : كل اسم في آخره ألف تأنيث مقصورة ، نحو : حُبْلى . وكل جمع كذلك نحو : صَرْعى .

---

(١) هى ستة سادسها : هنوك .

: كل جمع لانظير له في جموع الاسماء ، وهو ماكان في وسطه ألف قبلها حرفان ، وبعدها ثلاثة أحرف أو حرفان أو حرف مشدد ، نحو : دنانير ، ودراهم ، ودواب .

وأمّا ما لاينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة فكل اسم فيه زيادة من زيادات الافعال المستقبلة نحو : أحمد ، وتغلب ، ويشكر ، واصبع . وكل اسم لمؤنث فيه هاء التأنيث ، أو ليست فيه هاء التأنيث إلاّ ما كان على ثلاثة أحْرف وسطه ساكن ، وليست فيه هاء تأنيث ، فانه ينصرف ، نحو : هِنْد ، ودَعْد .

وأسماء السُّوَر والبلدان والقبائل إنْ أرَدْتَ بها البلد والرجل ، ذكَّرت وصرفْتَ ، وإنْ أردْتَ بها السُّورةَ والقبيلةَ والمدينةَ أنَّثْتَ ، ولم تصْرف .

وكل اسم في آخره ألف ونون زائدتان على أي بناء كان نحو : كيسان . فانْ كانت النون من أصل الكلمة انصرف نحو : تَبَّان من التبن.

وكل اسم أعجمي نحو : عج[1] ، وكنج[2] ، ويعقوب[3] ، وزكرياء[4] ، لاينصرف في المعرفة[5] .

وكل اسم معدول نحو : عمر من عامر ، وزُفَر من زافر ، وثلاث[6] من ثالث [٢١٩] ورُباع من رابع ، فكل ذلك لاينصرف في المعرفة ، وينصرف في النكرة .

---

(١) كذا فى الاصل .
(٢) كذا فى الاصل .
(٣) فى المعرب ص ٣٥٥ : « يعقوب : اسم النبى (ص) ويوسف ويونس ويوشع واليسع . كلها أعجمية » .
(٤) اسم اعجمى ، مقصور وممدود (المعرب ص ١٧١) .
(٥) قلت قال الجوهرى فى الصحاح « ونوح ينصرف مع العجمة والتعريف وكذا كل اسم على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن كلوط لان خفته عادلت أحد الثقلين » (م . ج) .
(٦) فى مختار الصحاح « وثلاث بالضم ومثلث بوزن مذهب غير مصروفين للعدل والصفة » وهذا يدل على أن التعريف الذى أشار اليه المؤلف غير وارد (م.ج).

فهذه جمل ما لاينصرف ، وكل شيء بعد ذلك منصرف .

ومما يعرب فيتغير بتغير الاعراب : الاسماء التي في أواخرها ياء ساكنة قبلها كسرة ، فانَّ رفعها وخفضها باسكانها ، وحذفها لسكونها وسكون التنوين ، والاجتزاء بالكسرة والتنوين منها ، ونصبها بالفتح واظهار الياء ، لانها قد تحركت ، فزال الحذف . تقول : « رأيتُ قاضياً وغازيا » ، فان أضَفْتَ ، أوْ أدْخَلْتَها الألف واللام صَحَّتْ على كل حال ، لانَّ التنوين يفارقها فلا تحذف ، تقول : « جاءني قاضيكم » ، و « جاءني القاضي » ، و « مررتُ بقاضيكم وبالقاضي » .

ومن ذلك خمسة أمثلة من الافعال المستقبلة ، وهي : تَفْعَلينَ ، وتَفْعَلان ، ويَفْعَلان ، ويَفْعَلون ، وتَفعلون[1] . رَفْعُ هذه بثبوت النون ، ونصبُها وجزمُها بحذف النون . والحروف الناصبة والجازمة مذكورة في كتب النحويين .

ومن ذلك كُلُّ فعل مستقبل قبل آخره واو ، أو ألف ، أو ياء ، سواكن . فانَّ ذلك يُحذف في الجزم ، لانَّه إذا أُسْكن اجتمع والساكن[2] الذي قبله ، وهم لا يجمعون بين ساكنين ، فنقول في « يقوم » : « لم يَقُمْ » وفي « ينَال » : « لم ينَلْ » وفي « يبيع » : « لم يَبِعْ » .

واذا كان آخر الفعل حرفاً ساكناً حذفته نحو : « يدعو » و « يقضي » و « يخشى » . تقول : « لم يَدْعُ » و « لم يقضِ » و « لم يخْشَ » . [٢٢٠]

وإنْ كان آخره همزة قبلها ألف ، أسكنت الهمزة للجزم وأسقطت الألف لئلا يجتمع ساكنان ، فقلت : « لم نَشَأه » . وإذا أمرت غائباً أدخلْتَ في الامر اللام ، فقلت : « ليقُمْ زيدٌ » . وكذلك اذا أمرْتَ

---

(١) هى الافعال الخمسة .

(٢) الفصيح أن يقال : اجتمع هو والساكن .

فيما لم يُسَمَّ فاعله كقولك : « لِيُدفع اليه ألف درهم » ، و « لِيُخرجْ من الدار » .

وأسماء الاشارة تجري في بعض أحوالها هذا المجرى وهي : هذا ، وهذه ، وذلك ، وتلك ، لا يتبيّن الاعراب في واحدها ولا جمعها ، ويتبيّن في تثنيتها . تقول : « ذانك الرجلان جاءا » و « رأيْتُ ذينك الرجلين » . وتثنية « هذا » : « هذان » ، وجمعه « هؤلاء » ، وتثنية « هذه » [وجمعها] : « تانك » و « اولئك »[1] . فالذال والالف والهاء في « هذا » و « هذه » اِنْ ثُنِّيَ المشار اليه أو جمع قلت « هذان » و « هؤلاء » ، والهاء لا تثنى ولا تجمع ، وكذلك الذال والالف في : « ذلك » والتاء واللام في « تلك » أسماء المشار اليه ، والكاف للمخاطب . فاذا أردت أن تثني المشار اليه وتجمعه ، وخاطبت واحداً قلت : « ذانك » و « اولئك » . فاذا أردْتَ أنْ تثني المخاطب وتجمعه وتفرد المشار اليه قلت : « ذلكما » و « ذلكم » فانْ أردْت أنْتثنيهما جميعا قلت : « ذانكما » ، وانْ أرَدْتَ أنْ تجمعهما قلت : « اولئكم » . وكل ذلك قد جاء في القرآن .

وأما أسماء المكنى فهي [٢٢١] ـ أيضاً ـ تتغيَّر بتغير اِعرابها في بعض الاحوال دون بعض فتكون « التاء » المضمومة » و « أنا » للمتكلم في الرفع ذَكراً كان أوْ أنثى . وتثنية « أنا » وجمعه : « نحن » ، وتثنية « التاء » وجمعها بالنون ، والالف ، ساكن ما قبلها . نقول في « قمْتُ » : « قمنا » في الاثنين والجميع . و« النون والياء وإياي » للمتكلم المنصوب ، وتثنية « النون والياء » بالنون والألف محرك ماقبلهما ، نحو : « ضرَبَنا » . و« الياء » للمتكلم المخفوض ذكراً كان أو انثى ، وتثنيتها وجمعها بالنون والالف موصولا بحرف الخفض أو الاضافة . و « أنْتَ » للمخاطب المذكر المرفوع مفتوح التاء ، وتثنيته وجمعه : « أنتُما » و « أنتُم » . و « أنْتِ » للمؤنث

---

(١) فى الاصل : وتثنية « هذا » وجمعه و « هؤلاء » وتثنيته « هذه » ذانك واولئك ، وتثنيته ذانك وجمعه تانك واولئك ..

المخاطبة بكسر التاء ، وتثنيته وجمعه : « انتُما » و أنتُنَّ » . وكذلك « التاء » المفتوحة في قولك : « ضربْتَ » و « قُمْتَ » ، والمكسورة في « قُمْتِ » و « ذهبْتِ » . وتثنية المذكر وجمعه : « قمتُما » و « قمتُم » . وتثنية المؤنث وجمعه : « قمتُما » و « قمتُنَّ » . و « إياكَ » مفتوحة الكاف، والكاف وحدها اذا كانت مفتوحة للمخاطب المنصوب ، وتثنيته : « اياكُما » وجمعه : « إياكُم »[1] ، و « إياكِ » مكسورة الكاف . والكاف وحدها اذا كانت مكسورة للمؤنث ، وتثنية « اياكِ » وجمعها : « إياكما » و « إياكُنَّ » . وتثنية الكاف وجمعها : « ضربكُما » و « ضربكُنَّ » . والكاف المفتوحة للمخاطب المخفوض اذا كان مذكراً كقولك : « مَرَّ بك [٢٢٢] زيدٌ » وتثنية ذلك وجمعه : « بكُما » و « بكُم » . والكاف المكسورة للمؤنث ، وتثنيتها وجمعها : « بكُما » و « بكُنَّ » .

و « هو » وما في الفعل من ذكر الفاعل اذا أضمر للغائب المذكر المرفوع، نحو : « هو قام » و « هما » و « هم » . و « قام » و « قاما » و « قاموا » . والتاء الساكنة ، و« هي » للغائب المؤنث المرفوع، نحو : « قامَتْ » و « قامتا » و « قُمْنَ » ، و « هي » و « هما » و « هُنَّ » . والفعل في سائر الاحوال واحد . وإنَّما يثنى ويجمع دلالة على الفاعلين وجمعهم ، وإلاّ فالفعل على الحقيقة واحد . ولذلك لا يثنى ولا يجمع اذا تقدم الاسماء ، لانَّه لا ذكر فيه منها . ويثنى ويجمع إذا تأخر عنها ، لانّ فيه ضميراً منها ، و « الهاء المضمومة » . وتثنية « إيّاه » وجمعه : « إياهما » و « إياهم » . و « ايّاه » للغائب المنصوب اذا كان مذكراً ، نحو قولك : « إيّاه ضرب وضربته » . وتثنية « ضربتُهُ » وجمعه : « ضربتُهُما » و « ضربتُهُم »[2]. وكذلك « الهاء والالف» . و« إياها » للمؤنث الغائب ، وتثنية ذلك وجمعه :

---

(١) الصحيح أن يقول : وتثنية « اياك » وجمعه : « اياكما » و « اياكم » . وتثنية الكاف وجمعها : « ضربكما » و « ضربكم » كما مثل للمؤنث .

(٢) كذا فى الاصل ، والصحيح ان يقول : « والهاء المضمومة واياه للغائب المنصوب اذا كان مذكر نحو قولك : « اياه ضرب وضربته » وتثنيه اياه وجمعه : اياهما واياهم . وتثنية ضربته وجمعه : ضربتهما وضربتهم .

« إِياهما » و « إِياهُنَّ » و « ضربتهما » و « ضربتهن » • والهاء المكسورة للمكنى الغائب نحو : « مررت به » وتثنيتها وجمعها : « بهما » و « بهن » .

واذا جمعت بين الفاعل والمفعول به في الكتابة ، كان الفاعل على الفعل ، لانَّه أحق به ، وكان المفعول بعد ذلك ، نحو : « ضربته » و « ضربتهما » و « ضربتك » . وإِنْ وقع الفعل على مفعولين جئت بهما – أيضا – [٢٢٣] بعد الفاعل ، كقولك : « كسبتكه »[١] و « أعطيتكه » و « أعطيتها إِيّاه » و « كفيتموه » و « سَيكفيكهم الله »[٢] . وتقول للرجلين من أجل واحد : « فسيكفيكما الله » ، وللاثنين من أجل رجال: « فسيكفيكهما الله » ، ولنسوة من أجل رجال : « فسيكفيكهم الله » ، ولنسوة من أجل نسوة : « فسيكفيكهنّ الله » . فان كان الخطاب واقعاً على غائب من أجل مخاطب ، قلت : « سيكفيه الله إِيّاك » . وإِنْ كان واقعاً من أجْل اثنين ، قلت : « سيكفيهما الله » . وإِنْ كان واقعاً على جماعة من أجْل جماعة ، قلت : « سيكفيهموكم الله » . وإِنْ كان واقعاً على مؤنث من أجْل مذكر ، قلت : « سيكفيهاك الله » ، وللاثنين : « فسيكفيهماك الله » ، وللمثلث : « فسيكفيهن الله إِياك » . فَقِسْ على هذا كُلَّ ما يأتي في هذا الباب .

والاسماء المبهمة « الذي » و « التي » ، و « ما » و « مَنْ » اذا كانا بمعنى « الذي » و « التي » . و « أي » اذا كانت بمعنى « الذي » أيضا . فكل هذه نكرات مبهمة لاتقع على شخص بعينه ، بل على كل نوع وأنواع كل جنس . وإِنَّما يعرفها ويفسرها صِلاتُها ، ولا فائدة فيها قبل أنْ توصل ، وهي وصلاتها بمنزلة الاسم الواحد . فـ « ما » و « مَنْ » و « أي » لايثنين ولا يجمعن . و « الذي » يثنى في الرفع بالالف ، وفي النصب والخفض بالياء ، فيقال : [٢٢٤] « اللذانِ » و « اللّذَيْنِ » . وفي سائر أحوال الجمع بالياء ، فيقال : « الذين » . ولا بُدَّ في صلات هذه

(١) جاء في مختار الصحاح « وكسبت أهلي خيرا وكسبته مالا » فهو متعد بنفسه الى مفعولين (م٠ج) ٠

(٢) في سورة البقرة ، الآية ١٣٧ : « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » ٠

الاسماء من عائد يعود عليها ، إمّا مظهر وإمّا مضمر ، وإلاّ لم يقع بها فائدة . و « أي » من بينها تعرب ، وباقيها مبني غير معرب[1] . وإذا أردتَ أنْ تعلم موضع الاسمين من الاعراب فارْدُد الكلام الى نفسك ، فانْ كان اسمك فيه بالتاء أو بـ « أنا » أو بالنون والالف و « نحن » فهو مرفوع نحو قولك : « قمْتُ » . فـاذا رَدَدْتَـه الى غـيرك ، قلت : « قام زيد » ، وكذلك : « قمنا » و « قام القوم » . وإنْ كان اسمك فيه بالنون والياء أو بـ « إياي » أوْ بـ « إيانا » ، أو بالنون والألف ، فهو منصوب ، نحو قولك : « ضربني زيد » . فاذا رَدَدْتَـه الى غيرك ، قلت : « ضرب عَـمْـراً زيدٌ » . وإنْ كان اسمك فيه بالياء ، فهو مخفوض ، نحـو : « مَـرَّ بي زيدٌ » . فاذا رَدَدْت الى غيرك ، قلت : « مَرَّ زيدٌ بعمرو » . فلا يغلطنـك في ذلك قولهم : « لعلّي » و « إنّي » ، فان أصل ذلك : « لعلّني » و « إنني » . وإنما ادغمت النون في النون وفي اللام . وقد قال حاتم : [من الطويل]

أريني جَـواداً مـاتَ هُـزْلاً لعلَّني
أرَى ما تـرَيْـنَ ، أوْ بخيلاً مُـخَـلَّدا[2]

فأخرجه على الاصل .

فهذه في معرفة موقع الاسم من الاعراب ، وفيما يبين الاعراب في حروفه تدل ذا اللب على ما يحتاج .

وينبغي لمن لم يَـقْـوَ في علم اللغة اذا وقع [٢٢٥] في كلامه ما لايدري كيف إعرابه أنْ يَـدَعه ويفعل في مكانه ما يعرفه ، فانَّ الكلام واسع ، وليس يضطر أنْ يأتي بذلك اللفظ بعينه ، بل يجوز له أنْ يأتي بالمعنى الذي يريده بلفظ آخر أقل اشكالاً عليه .

* *

---

(١) قلنا : اللذان واللتان معربان أيضا (م.ج)

(٢) الهزل ـ بالضم والفتح ـ : الضيق والفقر (ينظر ديوان حاتم ص ٤٠) .

وأما المقصور والممدود[1] ، فمنهما مايعرف بالقياس ، ومنهما مايأتي مختلفاً فيتبع فيه السماع من العرب ويحفظ عنهم .

فمما يعرف فيـــه بالقياس من المقصور كل فعل[2] على « فَعِل ـ يَفْعَل » والاسم منه على « أفعَل » فانَّ مصدره مقصور ، نحو : « عَمي ـ يَعْمَى » فهو « أعْمى » ومصدره « عمىً » . وكذلك اِنْ كان الاسم منه « فَعْلان » نحو : « صَدِي ـ يصدى ـ صدىً » وهو « صديان » ، وكل مفعول بني من فعل زائد على ثلاثة أحرف في آخره ألف فهو مقصور ، نحو : « معطى » من « أعطيت » و « مقصى » من « أقصيت » . وكل مفعول من « فاعلت » في آخره ألف فهو مقصور ، مثل : « عافيت » وهو «معافى» . وكلُّ ماكان جمع « فُعْلة » أو « فِعْلة » على « فُعَل » أو « فِعَل » ، نحو : « عُروة » و « عُرًى » و « لِحية » و « لِحى » . وما كان مجموعاً على « فَعْلى » نحو : « جَرْحى » و « صَرْعى » ، أو على « فعالى » نحو : « سكارى » فهو مقصور . وكل اسم على بناء هذين الجمعين ، نحو: « المَنْدَى »[3] و « الحُبارى »[4] فهو مقصور . وما كان من المشي في آخره ألف ، نحو : « القَهْقَرى »[5] و « الخَوْزَلى »[6] .

ومما [٢٢٦] يدرك بالقياس من الممدود ، كل مصدر من « أفْعَلَ » في أوله زيادة ، نحو : « أعطى اِعطـاءاً » و « أدنى ادناءاً » . وما كان مصدراً من « فاعلت »[7] نحو : « واليته ولاءاً » . وما كان من المصادر على الـ « تَفعال » نحو : « التَّرماء » و « التَّقصاء » . أو على « الاستفعال »

---

(١) لابن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢ هـ كتاب « المقصور والممدود » وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م .

(٢) ينبغي أن يزاد عليه « آخره ياء » (م.ج)

(٣) المنتدى والمتندى والندى والندوة والنادى : مجلس القوم ومتحدثهم .

(٤) الحبارى : طائر رمادى اللون يشبه الاوزة ، طويل العنق ، طويل المنقار .

(٥) القهقرى : الرجوع الى الوراء .

(٦) الخوزلى والخيزلى : مشية فيها ظلع أو تفكك أو تبختر (اللسان) .

(٧) يزاد عليه « وآخره ألف » (م.ج)

مثل: « الاستدناء » ، و« الافتعال » كالانتهاء ، أو« الانفعال » نحو« الانقضاء ». وما جاء من الأصوات نحو : « الدعاء » و « الرُغاء »[1] و « الغناء » . وكل ماكان جمعه من الاسماء على « أفْعِلة » نحو : « كِساء » و « أكسية » ، و « عطاء » و « أعطية » . وما جمع من « فَعْل » على « فعال » نحو « ظبْي » و « ظباء » . وكذلك ما يجمع من « فَعْل » على « أفْعال » نحو « أحياء » و « آباء » و « أبناء » . وما كان جمعا لـ « فَعْلة » نحو « قثوة » و « قِثاء » و « ركوة » و « رِكاء »[2]. فأما « قَرية » و « قُرى » فانه شاذ لايُعمل عليه . وما جمع على « أفعلاء » نحو : « أصفياء » و « أنبياء » . وكل ماكان على « فَعْلاء » ومذكره على « أفْعل » نحو : « حمراء » و « بيضاء » . وكل هذا ممدود يطرد فيه القياس ، وما سوى ذلك فانّما يؤخذ سماعا . وقد ذكر الفراء[3] وابن السكِيت[4] وغيرهما من ذلك ما يغنينا عن تكلفه وجمعه .

فأمّا حكم المقصور والممدود في الخط ، فانّ الممدود كله يكتب بالألف ، واذا ثنيته رَدَدْتَ عليه ألفا للتثنية قلت : « رداءان » و « كساءان » ، وانْ شئت اقتصرت على ألف [٢٢٧] وهمزة . فان كانت المَدّةُ للتأنيث قلبت الهمزة واواً فقلت : « حمراوان » . واذا نسبت الى الممدود قلت : « كسائي » . فانْ كانت المَدّةُ للتأنيث جعلتها واواً ، فقلت:

---

(١) الرغاء : صوت ذوات الخف .
(٢) الركوة ــ بكسر الراء وفتحها ــ شبه ثوب من أدم ، أو للتى للماء ، ج : ركاء ــ بكسر الراء ــ .
(٣) الفراء : هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمى ، مولى بنى أسد ، أبو زكرياء أمام الكرفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب . توفى سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢ م) . (ينظر وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٢٨ ، ومعجم الادباء ج٧ ص ٢٧٦ ، والاعلام ج٩ ص ١٧٨) .
(٤) ابن السكيت : هو يعقوب بن اسحاق أبو يوسف ، امام فى اللغة والادب . أصله من خوزستان ، تعلم ببغداد واتصل بالمتوكل العباسى فعهد اليه بتأديب أولاده وجعله فى عداد ندمائه . توفى سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٨ م) .) ينظرفهرست ابن النديم ص ١١٣ــ١١٤ ، ووفيات الاعيان ج٢ ص ٣٠٩ ، والاعلام ج ٩ ص ٢٥٥) .

« بيضاوي » . وما كان من المقصور على ثلاثة أحرف ، وكان من ذوات الياء فاكتبه بالياء ، وذوات الياء ماظهر في تثنيته من الاسماء الياء ، أو في تصريفه من الافعال الياء ، كقولك في « فتى » : « فتيان » وفي : « قضى » : « قضيتُ ـ أقضي » . وماكان من ذوات الواو فاكتبه بالالف كقولك في « غزا » : « يغزو » . وفي تثنية « عصا » : « عصوان » . وما كان على أربعة أحرف ، وما جاوزها فاكتبه كله بالياء نحو : « اغتدى » و « التوى » في الفعل ، و « معزى » و « ذكرى » في الاسم . وما كان من ذوات الياء واتصل به مكني فاكتبه بالالف نحو : « هذه رحاه » و « هذا فتاه » . وكلّ ماكان قبل آخره ياء ، فاكتبه بالألف نحو : « الدنيا » و « المحيا » . ولم يأتك في هذا الباب شيء شاذ الاّ « يحيى » اسم رجل بالياء . واذا أشكل عليك المقصور فلم تَدْرِ أمِنْ ذواتِ الياء هو أم مِنْ ذوات الواو ، فاكتبه بالالف ، لانّها الاصل . واذا نسبت الى المقصور قلبت الالف واواً ، فقلت : « رضوي » و « قروي » .

* *

وأمّا المذكر والمؤنث ، فانّ الافعال كلها مذكرة ، وإنّما يلحقها التأنيث دلالة على [٢٢٨] تأنيث فاعلها . فاذا قلت : « قامت هند » دللت بالتاء على أنّ القائمة مؤنثة ، والقائم في نفسه مذكر اللفظ . فأمّا الحروف فتذكر وتؤنث ، تقول : « هذا ألف » [وهذه ألف] وكذلك الى آخر حروف المعجم . فأمّا الاسماء فأصلها التذكير أيضاً ، والتأنيث داخل عليه . ألا ترى أنّك تقول للشخص « هو » قبل أنْ تتبينه ، والشخص والشيء مذكران ، وهما واقعان على كل شيء يخبر عنه . فاذا اجتمع المذكر والمؤنث في هذا الباب غلّبت التذكير ، فقُلتَ : « عندي عَشْرةُ رجالٍ ونساء » .

والتأنيث والتذكير في الاسماء على ضربين :

أحدهما : ما استحق التذكير والتأنيث بالطبع .

والآخر : ما استحقهما بالوضع .

فأمَّا ما استحق التذكير والتأنيث بالطبع ، فهو الحيوان الذي خلق الله ، فقال : « من ذكرٍ أوْ أُنثى »[1]

وأمَّا التأنيث والتذكير بالاصطلاح والوضع ، فكالنجوم ، والجبال ، والشجر ، والدواب ، وما أشبه ذلك مما ليس فيه [ذكر] ولا انثى على الحقيقـــة .

وما كان من الحيوان فهو على ضربين :

أحدهما ما يعرف شخص الذكر فيه من الانثى بالمعاينـــة . فما كان هكذا فقد فصلت العرب فيه بين الذكر والانثى بمخالفة الاسماء فقــالوا : رجل وامرأة ، وديك ودجاجة[2] ، [٢٢٩] وحمار وأتان ، وبعير وناقة ، وكبش ونعجة ، وأشباه ذلك .

وما أشبه من ذلك في العيــان فقد فصلوا فيه بالهـــاء فقالوا : ثعلب وثعلبة[3] وغلام وغلامة[4] . وفصلوا بين المذكر والمؤنث وأوصافهما بالتاء في « قامت » والنون في « قمن » ، والمـــــدّة في « حمراء » ، والألف في « حُبلى » ، والهاء في « ظريفة » .

وأمَّا ما لايستحق التذكير والتأنيث بطبعه ، فالاصل فيـــه التأنيث ، والتذكير داخل عليه . فاذا اجتمع المذكر والمؤنث من هذا الباب ، غلبت التأنيث ، كما قال الله ـ عز وجل ـ : « والشَّمْسَ والقَمَرَ والنجومَ

(١) سورة النساء ، الآية ١٢٤ .

(٢) جاء فى مختار الصحاح « والدجاج معروف وفتح الدال أفصح من كســرها ، الواحدة دجاجة ذكرا كان أو انثى والهاء للافراد كحمامة وبطة ألا ترى قول جرير :

لما تذكرت بالديرين أرقني ... صوت الدجاج وضرب بالنواقيس

انما أراد زقاء الديوك . فالدجاجة لا تعنى أنثى هذا الطائر الا عنـــد العامة (م.ج) .

(٣) ويقال للذكر : ثعلبان ، ومنه قول الشاعر :

أرب يبول الثعلبان برأســه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(م.ج) .

(٤) مع وجود الغـــلامة لم تستعملهـــا العرب ، وانما قالوا : جارية ، كمـــا هو معروف . (م.ج)

مُسَخَّرات[1] بأمره »[2] . وقال : « يُتَوَفَّوْنَ منكم ، ويَذَرُون أزْواجاً يتربَّصْنَ بأنفُسهِنَّ أرْبعةَ أشْهر وَعَشْرا »[3] .

وقد قسمت العرب ماكان من هذا الباب ، فأنثت بعضا وذكَّرت بعضاً ، وعدلت في ذلك بين الشيء ونظـــيره . فأنَّثت : « الشمس » وذكَّرت : « القمر » ، وأنَّثت : « الارض » وذكَّرت : « الجو » ، وأنَّثت : « الناب » وذكَّرت « الباب » ، وأنَّثت : « العقاب » وذكَّرت « الغراب » .

وليس يوصل الى علم المذكر والمؤنث من هذا الباب الا بالسماع دون القياس ، اِلاّ فيما ظهرت فيه علامات التأنيث التي قدّمناها من الهاء والياء والمدة والألف ، أوْ ماظهرت في تصغيره مثل : « نار » [٢٣٠] و « نُويرة »، و « عين » و « عُيينة » ، و « أُذن » و«أُذينة » ، و« شمس » و« شُميسة » . وما بعد هذا فانَّما يؤخذ من أفواههم ، ويؤدي كما حفظ . وقد يأتي منه في كتب القراءة وغيره ما يغني عن ذكرنا اِيَّاه ، وتكلُّفِنا جمعه ـ اِنْ شاء الله ـ .

واذا أتاك ما لا يُعرف أمذكر هو أمْ مؤنث ، وكان ممـــا يستحق التذكير والتأنيث بالطبع ، فاكتبه بالتذكير فانَّه الاصل ، واذا أتاك من ذلك ما تذكيره وتأنيثه بالوضع لا بالطبع فاكتبه على التأنيث فانَّه أصله ـ كما قدمنا ـ .

★ ★

وأما الهجاء فهو على ضربين :

ضرب للسمع وضع لاقامة وزن الشعر ولا يثبت في الخط كالحرف المشدد الذي هو في الشعر حرفان ، والممدود الذي هو كذلك ، والمدغم

(١) قلنا : هذا للاخبار عن حال جماعة غير العقلاء فحكمها حكم المؤنث وان كانت مذكرة (م٠ج) ٠

(٢) سورة الاعراف ، الآية ٥٤ ٠

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٣٤ ٠ لم نجد تغليبا للمؤنث فى هذه الآية الكريمة فالمتوفون رجال والمتربصات نساء والفعل خاص بالنساء أعنى يتربصن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو هنا للمرأة (م٠ج) ٠

الذي هو كذلك ، وأشباه هذا .

وضرب للخط ، فالأصل فيـه أنْ يكون على حروف الـكتابة كـ « الرحمن » الذي أثبت فيه اللام ، وإنْ كان الادغام في اللفظ قد أسقطها لانّ الاصل « رحمن » ، دخلت عليه الألف واللام اللتان للتعريف .

فأصل الكتاب أنْ يكون هجاؤه على الحروف إلاّ أنّ الـكتّاب زادوا في بعضه ماليس فيه ليفصلوا بذلك من متشابه ، ويفصلوا منه ماهو فيه تحقيقاً . ولأنّهم لم يخافوا لبساً وخالفوا اللفظ في بعض ذلك لاسباب دعتهم الى المخالفة له [٢٣١] ، ووصلوا في موضع ما قطعوه في موضع آخر لمعان فصلت بين ذلك .

فأمّا ما زادوه ليفصلوا به بين متشابه ، فواو « عمرو » التي أدخلوها فيـه فرقاً بينه وبين « عمر » وأسقطوها في النصب ، لانّهـم جعـلوا الالف عوضا من التنوين [الذي] لايدخل « عمر » ، لانه لاينصـرف فاجتزأوا بالألف في النصب من الفرق بينهما . وواو « اولئك » التي أدخلوها فرقاً بينه وبين « اليك » . وألف « مائة » التي فرقوا بينها وبين « مـيَّة »[1]. والألف في « ذهبوا » و « كفروا » التي فرقوا بينها وبين واو الجمع وواو العطف إذا كان في الكلام كفر وفخر ، وما أشبه ذلك . وأما « يدعو » و « يغزو » و « ذو » فالاختيار أنْ لا تثبت فيها الالف لئلا يشبه الواحـد الاثنين المجزومين والمنصوبين . وقد أثبتهما قوم من الكتّاب .

وأمّا ما حُذف اختصاراً أوْ لانّهم أمنوا اللبس ، قالوا : « بسـم الله » في هذا الموضع فقط لـكثرة الاسـتعمال وقلة اللبس . فاذا قلت : « باسم ربك » أو ماشاكل ذلك ، رددتها الى الاصل . وألف « ابن » اذا كان نعتاً لاسمِ علمٍ معرفة مضاف ألى اسم علم معرفة ، نحو قولنا : « زيد بن عمرو » . فاذا ابتدىء أو وقع موقع الخبر أثبت فيـه الالف . وانْ كان

---

(١) قلنا كان هذا أيام كانت الحروف غير منقوطة فأما بعد النقط والتحريك فلا وجه للابقاء على هذه المغالطة الخطية التى تسبب المغالط اللفظية للناس(م٠ج) .

مضافا الى كنية أو نعتا لكنية فاثبات الالف فيه أحسن ، ويجوز اسقاطها . والالف التي للتعريف اذا دخلت عليها لام الاضافة [٢٣٢] نحو قولك : « هذا الرجل » . والالف التي في « دراهم »[١] اذا كان قبلها عدد يدل على الجمع ، فاذا لم يكن عدد لم تحذف لئلا يشبه الجمع الواحد . وألف « صالح » اذا كان اسماً ، فان كان نعتاً أو خبراً ثبتت . وألف « سلام » و « السلام » لكثرة الاستعمال أيضا . ومنها حذف الواو الثانية من «رؤوس»، وكان حقها أن تكتب بواوين . ومنها حذف ألف « ما » إذا كانت استفهاماً ووقعت بعد حروف الخفض فرقا بينها وبين الخبر ، كقولك : «فيم عتبت ؟» . و « لِمَ جئت ؟ » . وفرقوا في ذلك بين الاستفهام وبين الخبر [في] قولهم : « مما عَتَبْتَ عَتَبْتُ » ، و « لما أمرتني به جئتُ » . لام « الذي » اسقطت، وكان الاصل أنْ تكتب بلامين وإنّما فعلوا ذلك ؛ لانّها لم تأْتِ منفردة من لام التعريف ، فلم يخشوا ذلك في هذا فرقا بينه وبين « الذين » .

وأمّا ما خولف اللفظ فيه ، فكل فعل صار الى حرف واحد ، فانّك تزيد فيه في الخط ، كقولك : « عِه » من « وعيت » و « قِه نَفْسَكَ » من « وقيت » . « والصلاة » ، و « الزكاة » ، و « الربا » ، و « الحياة » ، فتكتبه بالواو اتباعاً للمصحف ؛ لانّ الذين كتبوه على التفخيم ، كانت لغتهم التفخيم . ومن الكتّاب من يكتبه كله بالألف ، فاذا أضفت ذلك كتبته بالألف على كل حال . ومن ذلك المدغم إذا كان الحرفان يتولد عنهما في الادغام حرف [٢٣٣] غيرهما ، مثل : « مدّكر » الاصل « مذتكر » من التذكير .

ومن الهجاء حكم الهمزة ، وهي اذا كانت أول الكلمة كتبت ألفاً على أي حركة كانت نحو « أُبْلُم »[٢] و « أَحمد » و « إِصْبَع » . وإذا كانت في آخر الكلمة وقبلها حرف ساكن لم تثبت لها صورة نحو « الجُزْء » .

---

(١) فى الاصل : دارهم .
(٢) الابلم : الغليظ الشفتين ، وبقلة لها قرون كالباقلاء .

و « الخَبْء » و « الدِّفْء » . وإذا اضيفت كتبت على حركتها فجعلت الضمة واواً ، والفتحة ألفاً ، والكسرةُ ياء ، فقلت : « هذا جُزْؤك » و « قرأْتُ جُزْءَك » و « قرأْتُ في جزئِك » . وإذا كانت آخراً وكانت قبلها فتحة ، كتبتها ألفاً على كل حال ، نحو : « هو يقرأ » . وإنْ كان آخراً وقبلها ضمة كتبتها واواً نحو قولك : « يَسُوْؤ » و « سُوْؤ » . وإنْ كان قبلها كسرة كتبت ياء نحو : « يستهزِئ » . وإذا وليها مضمر كان سبيلها سبيل ما قدمنا من كَتْبها على حركتها . وإذا وليها وقبلها كسرة فانْ شئت كتبتها ياء وأثْبَتَّ الواو بعدها وإنْ شئت أسقطتها فاكتفيت بالواو مثل : « يستهزئون » ، تكتب بالياء وبغير ياء . وإذا كانت الهمزة وسطاً وقبلها فتحة كتبت على حركتها ، فكتبت إنْ كانت مضمومة بالواو ، نحو : « لَؤُمَ فلانُ » . وإنْ كانت مفتوحة كتبت ألفاً نحو : « سَأَل » . وإنْ كانت مكسورة كتبت ياء نحو : « سَئِم فلانٌ » . فأما « يَسْأم » و « يَسْأل » . فلأَنَّ قبل الهمزة ساكناً ، فالاختيار لا تَثْبُت لها [٢٣٤] صورة قياساً على « الجُزء » وغيره .

ومن الهجاء ما يوصل ويقطع لمعانٍ تفرق بين الموصول والمقطوع . فمن ذلك « إلاّ » إذا كانت استثناء كتبت موصولة . وإذا كانت « إنْ » التي للجزاء ووليها « لا » التي للجَحْد، فقلت : « إنْ لا تَقُمْ أَقُمْ » فصلتها ، وكان ذلك الاختيار . وقد وصلها قوم على نية الادغام . وكذلك « كلّما » و « كأنّما » و « إنّما » إذا أردت بها حروف الأدوات وَصَلْتها . فانْ جعلت « ما » التي فيها لمعنى « الذي » قطعتها فقلت : « كلّ ما علمت صواب » و « إنَّ ما أعطيتني بعضُ استحقاقي » وأشباه ذلك . وإنّما وصلت حروف الأدوات ؛ لانّه لا يجوز الوقف على بعض حرف الأدوات . وقطعت هذه . لانّه يجوز الوقف على « كل » و « إنَّ » وما أشبهها .

فهذا ما في الهجاء . وإذا أشكل عليك الشيء من الهجاء فلم تَدْرِ كيف اصطلاح الكتّاب ، فاكتبه على لفظه فانّه الأصل .

ما يحتاج المحرر الى استعماله

ثم يحتاج المحرر بعد هذا الى مراتب المكاتَبِين واستحقاقات كل واحد منهم من الأَدعية والرسم في عنوانات الكتب اليهم وأصناف التحرير ، وما يليق بكل صنف منها من الخطوط .

فأمَّا مراتب المكاتَبين فهي ثلاث مراتب : مرتبة من فوقك ، ومرتبة نظيرك ، [٢٣٥] ومرتبة من دونك .

والمرتبة العليا تنقسم ثلاثة أقسام : فأعلاها مرتبة الخليفة ووزيره ومن كان نظير الوزير عنده . ثم مرتبة الامراء ومن جرى مجراهم ممن هو دون الوزراء . ثم مرتبة الرؤساء بعد هؤلاء من العمال وأصحاب الدواوين .

والمرتبة الوسطى تنقسم ثلاثة أقسام : وأعلاها طبقة الصديق إذا كان شريفاً أو عالماً أو شيخاً .

والثانية : طبقة الصديق إذا كان ذا رَحِمٍ ، أو ممن يؤنس به .

والثالثة : طبقة الصديق إذا خلا من هذه الأحوال .

والمرتبة السفلى ثلاثة أقسام : فأعلاها طبقة من قارب محلُّه عقلك ، وإنْ كان دونك . ثم طبقة من جرت لك رياسة عليه ، أوْ وليت عملاً هو من رعيتك فيه . ثم طبقة الحاشية ومن جرى مجراهم من الخدم والأولياء . ولكل طبقة من هذه الطبقات مرتبة في المخاطبة ومنزلة من الدعاء متى زيد عليها أو قُصِّر به عنها وقع في ذلك الخلل والخطأ وعاد بالضرر والأذى . وذلك أنَّ

الرئيس متى قصرته عما يستحقه أغضبه ذلك وأحقده . والتابع إِنْ زيد على استحقاقه بطره ذلك وأفسده ، اللّهم إلاّ أَنْ يكون قد أتى في الخدمة ما يستحق به رفع المنزلة فيجعل الزيادة له في المكاتبة والرفع في المخاطبة ثمرة فعله [٢٣٦] .

وليس في الطبقات مَنْ لا تعاب زيادته على مقدار استحقاقه إلاّ الصديق ، فانّ كلّ ما تخاطبه به مما تريد أَنْ تستحق مودته به ، وتمكن ما بينك وبينه باستعماله فجميل . وقد قال شيخنا أبو علي الحسن بن وهب ــ رحمه الله ــ وكان قدوة في الأدب : « كاتِبْ رئيسَك بما يستحقه ، ومن دونك بما يستوجبه . وكاتبْ صديقك كما تكاتبُ حبيبك ، فانّ عَرْكَ المودة أَرقّ من عَرْكِ الصبابة » .

وقال أبو أيوب[١] ــ رضي الله عنه ــ وكان اماما في الكتابة : « طرق الصداقة أملح من طرق العلاقة ، والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق » .
فسرق أبو تمام هذا القول منهم ، فنظمه فيهم ، فقال : [من الخفيف]

واجدٌ بالخليل من بُرحَاء الشّو ق ، وجدانَ غيره بالحبيب[٢]

وقد كانت المكاتبة في القديم على ترتيب مرتبة الناس واستحسنوا غيره ، وجرت بذلك عاداتهم . ثم خولف بعض ذلك في زماننا هذا ، ولم يكونوا في الزمان القديم يستعملون كثرة الدعاء ، ولا المخاطبة بالسيادة ، وكان أول من خاطب بالسيادة في كتبه أبو أيوب[٣] ــ رحمه الله ــ .

وحدثني الباقطائي[٤] قال : « قالت لي أمي رأيْتُ بين يدي أحمد

---

(١) سبق ذكره ، وهو أبو أيوب سليمان بن وهب أخو الحسن بن وهب .
(٢) البرحاء : الشدة .
(٣) في أدب الكتاب للصولي ص ١٦٣ : « وأول من كتب « أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه » ــ سليمان بن وهب ، وكان « وأعزه » » .
(٤) في الأصل : الهاقطاني ، والتصحيح من كتاب نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ص ٦٤ . وهو الحسين بن علي . وفي أدب الكتاب ص ٨٩ : « الحسين ابن علي البامطانى لسليمان بن وهب . قال : وكان قلمه يصر من شدة اعتماده عليه » .

ابن اسرائيل(١) كتابا في صدره : « ياسيدي ومولاي ، أطال الله بقاءك » ولم يعرف ذلك ، فقلت : « ماهذا ياسيدي ؟ » [٢٣٧] فقال : « مَلَقٌ الى وهب » .

وكانوا يدعون للخلفاء والامراء وولاة العهود والوزراء بـ « أبقاه الله » و « أكرمه الله » و « أعزه الله » ونحو هذا (٢) ، حتى كان أول من غيَّر هذا ، ورتب فيه الترتيب الذي اقتُفِي أثرُه وجُعِل سُنَّةً من بعده ، أبو أيوب ـ رحمه الله ـ فانه قال : « اذا قلت أمير المؤمنين أعزه الله ، أو أكبره الله ، أو أيَّده الله ، فانه قيل له : « عزيز » ، أو : الله قد أكرمه بخلافته . ولربما ينبغي أنْ تسأل له ادامة ما وهب له فتقول : « أدام الله تأييده وعزه وكرامته » . واستحسن الناس ذلك من قوله ، وأخذوا به من بعده ، ورتبوا الدعاء على ما رتبه . فجعلوا « أطال الله بقاءك » أول الدعاء ، لانَّ أولَ ما يسأل الله ـ عز وجل ـ الانسانُ ، البقاءُ . فمن كانت رتبته عالية ، كانت مكاتبته « أطال الله بقاءه » . ومن كانت مرتبته دون ذلك ، كانت مكاتبته بـ « مَدَّ الله في عمرك » . ومن كانت مرتبته دون ذلك ، كانت مكاتبته بـ « أبقاك الله »(٣) . وانما صارت « أبقاك الله » دون ما تقدمها ، لانه يسأل له « بقاء » قَلَّ أوْ كثر ، فصارت « مَدَّ الله في عمرك » أكثر من

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن اسرائيل الانبارى وزير المعتز . مات فى أيام المهتدى بالله . (ينظر كتاب نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ص ٦٥ ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٥٦) .

(٢) في أدب الكتاب ص ١٦٣ : « وأما مكاتبة الوزراء وامراء الناحية الاجلاء المساوين والمقارنين فهى : « أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وكرامتك ، وأتم نعمته عليك واحسانه اليك وعندك » . وربما زيدت لفظة ونقصت لفظة ودون هذا قليلا « أطال الله بقاءك ، وأعزك ، وأكرمك ، وأتم نعمته عليك واحسانه اليك » .

(٣) في أدب الكتاب للصولي ص ١٦٣ : « وأول من كتب : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه » سليمان بن وهب ، وكان « وأعزه » . ودون هذا « أدام الله عزك ، وأطال بقاءك ، وأدام كرامتك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك » .
ودون هذا « أمد الله في عمرك ، وأكرمك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك » .
ودون هذا « كرمك الله ، وأبقاك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك » .
ودون ذلك هذا الدعاء باسقاط « وأدامها » .
ودون ذلك « حفظك الله وأبقاك ، وأمتع بك » .
ودونها « عافانا الله واياك من السوء برحمته » .

ذلك ، لانَّه قد سأله أنْ يمد له في ذلك ، وقـد يمد مداً لا يطيله . فاذا سأله أنْ يطيل [٢٣٨] بقاءه ، فقد سأله أكثر مايسأل في البقاء .

ثم يلي ذلك بـ « أدام عزه » لمن مرتبته عالية . وبـ « أعزه الله » لمن مرتبته دون ذلك .

وجعل الانسان العز تالياً للبقاء ، لانَّ أول ما ينبغي أنْ يُسأل اللهُ – عز وجل – للانسان بعد البقاء العزُّ ، ولذلك قيل : « الموت في قوة وعزٍ، خيرٌ من الحياة في ذلةٍ وعَجْزٍ » . فانْ كان المـكاتب من أهل العز ، فانما ينبغي أنْ يسأل اللهَ – عز وجل – أنْ يديم له مامنحه منه . وانْ كان من غيرهم جعل مكان « أدام عِزَّه » : « أعَزَّه » .

ثم يلي ذلك بالتأييد على هذا الترتيب . وجعل السلطان وحده وأوليـاءه الذين يحتاجون الى التأييد ، ويقع لامثالهم ، ولا يجعل لغيرهم . واسقط من مكاتبات النساء وانْ حَلَّ محلهن ، ومن مكاتبات أهـل الذمة ، لان التأييد من الله – عز وجل – لايقع لامثالهم .

ثم يلي ذلك بالكرامة والسعادة وتمام النعمة والزيادة في الاحسان ، وتتابع الآلاء ، وجميل البلاء ، وجزيل القسم والمواهب . ويستعمل في كل واحد من ذلك ما مثلناه قبل .

وكان هذا رسم الصدور فيما استعملوه ، وكانوا لا يكتبون « وأتَمَّ نعمه عليك » و « زاد فيها عندك » أو « وأدامها لك » اِلاّ لأدون طبقـات النظراء[1] ، ومن في المرتبة العليا من الطبقة السفلى . وكانوا لا يخاطبون بـ « جعلني اللهُ فداك » و « قَدَّمني قبلك » اِلاّ للنظراء ، ولا يخاطبون بهما الرؤساء ويجعلونهما [٢٣٩] في كتب الاتباع ومن جرى مجراهم : « جعلت فداك » و « قدمت قبلك » . وكان عندهم « وجعلني من كل سوء ومكروه

---

(١) في أدب الـكتاب ص ١٦٥ : « ومكاتبة النظراء تحتمل كل شيء على حسب المودة » .

فداك » فوق « وجعلني فداك » ، و « جعلني فــداك » فوق « وجعلني من السوء فداك » .

وكانت كتبهم الى السلطان وولاة العهود : « لعبدالله فلان بن فلان » . وللوزير « فلان بن فلان » . وللامير « فلان بن فلان » الى قولهم : « صلى الله » . ويثبّتون في آخر الكتاب « أتَمَّ الله على أمير المؤمنين نعمته ، وهناه كرامته ، وألبسه عفوه وعافيته ، وأمنه وسلامته . والسلام على أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته »[١] .

وعلى العنوان : « الى أمير المؤمنين : بســم الله الرحمن الرحيم . لعبدالله أبي فلان بن فلان » . والى الوزير : « للوزير أبي فلان بن فلان ابن فلان » .

فأمَّا الكتب عنهم فتبدأ في الكتاب عن الخليفة باسمه فيقال : « من عبدالله فلان بن فلان ، الى فلان بن فلان . سلام عليك . وان أمير المؤمنين يحمد الله[٢] اليك ، الله الذي لا إله إلا هو ... » الى آخر الصدر . ويقال في العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله فلان بن فلان الفلاني»

---

(١) في أدب الكتاب ص ١٦٤ : « فاما مكاتبات الناس الى الامام أو الى ولي العهد أو الى الوزير فيكتب : « لعبد الله فلان بن فلان الى كذا أمير المؤمنين • سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته • فانى أحمد الى أمير المؤمنين الله الذى لا اله الا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم » • ويكون ذلك في سطرين ، وبعض آخر ، ثم يقال : « أما بعد : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام عزه وتأييده وكرامته وسعادته وحراسته ، وأتم نعمته عليه ، وزاد في احسانه اليه بفضله عنده وجميل بلائه لديه وجزيل قسمه له » • ويكون فى سطرين ثم يقال بعد ذلك « فقد كان كذا » ، لان جواب « أما بعد : » بالفاء ، فقد كان كذا وكذا • فاذا أتى على جميع المعاني المحتاج الى المكاتبة فيها فبلغ الى الدعاء قال : « أتم الله على أمير المؤمنين نعمه ، وهناه كرامته ، وألبسه عفوه وعافيته ، وأمنه وسلامته • والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » • وكتب فلان بن فلان يوم كذا في شهر كذا •

والى ولي العهد والوزير مثل ذلك الا ان الفرق بين الامام ، وبينهما أن يكتب الى الامام مع السلام : وبركاته ، وفي آخر الكتابة مثل ذلك ، ويحذف « بركاته » الى هذين في التصدير ، ويثبت في آخر الكتاب » •

(٢) لعلها زائدة « م٠ج » •

هذا عن يمنة الكتاب ، ويقال عن يسرته : « الى فلان بن فلان » . فانْ كان الوزير ملقباً ، أو الأمير ولي عَهْدٍ ، نحا بهما هذا النحو . ولا يدعى لاحد في الكتب المكتتبة من [٢٤٠] أمير المؤمنين الى الوزير وولي العهد ، فانه يدعى لهما ب « أمتع الله أمير المؤمنين بك » . فهذا رسم الخلفاء والملقبين من الوزراء وولاة العهود من الامراء في مكاتبتهم ومكاتبة أصحابهم لهم وعمالهم .

والاطلاقات فانَّه مسقط منها التقدير ، ويقصر فيها على الدعاء وذكر الحاجة أو الخبر .

وقد ترك الآن في مكاتبة الوزراء وولاة العهود ما ذكرناه ، واقتصر بالوزير ملقباً كان أو غير ملقب ، على أنْ يخاطب بالوزارة ويدعى له الدعاء التام . وربما اقتصر به من الدعاء على إطالة البقاء ، ودوام العز والتأييد . وخوطب مع الوزارة والسيادة فقيل : « أطال الله بقاء سيدنا الوزير ، وأدام عزه وتأييده » . وليس يصلح أنْ يخاطب ب « سيدى الوزير » إلاّ من خص عنده من ولد ومن ساوت منزلته من أمير . وعلى العنوان ماقدمناه . فانْ كان من الرعية أو خدم الوزير وصنائعه كتب : « من خادمه فلان ، ومن صنيعته أو من غرسه ، أو من عبده » بحسب مايليق بمحله . و « عبده » أشد في تعظيم المكاتب من « خادمه » . و « عبده » و « خادمه » أجَلُّ مِنْ : « من خادمه وصنيعته وغرسه » . و « صنيعته » و « غرسه » أجَلُّ من « وليّه » . وإنْ أحَبَّ الحاشية والخدم والعمال أنْ يسقطوا اسم الوزير من العنوان ، ويكتبوا [٢٤١] يسرة الكتاب : « عبده » أو « خادمه » أو « عبده وخادمه » ، أوْ غير ذلك مما قَدْ قَدَّمْنا ذكره ، جاز ذلك ، وعليه عمل الناس في هذا الوقت .

ومكاتبة الوزير عماله وأصحابه بما سَنُبيِّنه من مكاتبة الطبقة السفلى أمَّا الطبقة الثانية من المرتبة العليا ، فقد وقع اصطلاح الناس في هذا الوقت على مكاتبة الامراء منهم بثلاثة أدعية :

فأعلاها : « أطال الله بقاء سيدنا الأمير » .
والثاني : « سيدى ، الامير » .
والثالث : « الأمير » بلا سيادة .

فانْ قلت : « سيدنا الامير » اختصرت الدعاء .

وأمَّا من ليس بأمير وله رياسة تداني الوزارة ، أو الامارة ، أو كان وزيراً أو أميرا ، فصرف مخاطبته « سيدنا » وبالهاء ، فتقول : « أطال اللهُ بقاءَ سيدنا ، وأدام عزه » . وكلما عظم محله يقصر الدعاء له . ودون هذا : « أطال الله بقاء سيدي » . وإنْ شئْتَ أنْ تزيده في الدنيا ، زدته وخاطبته ــ أيضا ــ بالهاء . ودون هذا : « أطال الله بقاءَ السيد »[1] . ثم : « ياسيدي ومولاي ورئيسي » ، وهذان يخاطبان بالكاف . وإنْ كان المخاطب قاضيـاً خوطب بالقاضي وبالهاء ، فقيل : « أطال الله بقاء القاضي وأدام عزه » . فان نقصت منزلته عن ذلك خوطب بـ « أطال الله بقاءك أيّها القاضي »[2].

والعنوان الى من خوطب بسيـدنا الامير : « للامير أبي فلان [٢٤٢] فلان بن فلان » بلا دعاء « من فلان بن فلان » . أو : « من عبده فلان بن فلان » . وانْ شئْتَ اقتصرْتَ على أنْ يكتب يسرة الكتاب : « عبـده وخادمه فلان » . والى من خوطب بسيدي الامير : « لسيدي الامير أبي فلان ابن فلان بن فلان » ، ويدعو له الدعاء التام « من فلان بن فلان » . والى من خوطب بـ « أيّها السيد » وبالكاف « فعبدك » أو « خادمك » أو « وليك » . والى من خوطب بـ « سيدنا » وبالهاء : « عبده » أو « خادمه » أو « عبـده وخادمه » على مقدار محل المكاتب له منه . والى من خوطب بـ « يا سيدى ومولاي ورئيسي » بأن يجعل يمنة الكتاب « حضرة سيدى أبي فلان بن

(١) في الاصل بقاءك السيد .
(٢) في أدب الكتاب ص ١٦٥ : « ويكاتب الوزير ــ أيضا ــ الامام بغير تصدير اذا لم تكن الكتب منشاة من الدواوين . ويكاتب الوزير في الحوائج بغير تصدير ، واذا كوتب أمير أو قاض « أطال الله بقاء الأمير أو القاضي » ، لم يقل : « أما بعد » ولا « سلام » على أحدهما » .

فلان ، أطال الله بقاءه » ، والدعاء التام الى نعمته ، ثم يكتب في يسرة الكتاب : « عبدك فلان » أو « خادمك » أو « وليك » . ولا يخاطب هؤلاء أحد من أهل الذمة ، فانذلك مما لم تَجْرِ عادة الكتّاب به ، وإنّما تركوه لقول الله ـ عز وجل ـ : « لا يتخذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ من دونِ المؤمنينَ ، ومَنْ يَفْعَلْ ذلك فليس من الله في شيء »[1] . وخاطبوهم بالسيادة ، لانّ الله ـ تعالى ـ قد حكى عن الكفار أنّهم قالوا : « ربّنا إنّا أطَعْنا سادَتَنا وكُبراءَنا ، فأضلّونا السَّبيلا »[2] .

والعنوان الى القاضي اذا كان رفيع المحل وخوطب بالهاء : « للقاضي أبي فلان بن فلان بن فلان » بلا دعاء . واذا خوطب بالكاف : « للقاضي [٢٤٣] أبي فلان بن فلان ، يدعى له من فلان » . ولم يكن القدماء يَسْتَجيزون أنْ يكتبوا الى القاضي : « لسيدنا القاضي » ، ولا يكتبون على عنواناتهم اليهم « عبده » ولا « خادمه » . وكانت القضاة تنكر على من يفعل ذلك ولا تقبله ، حتى كوتب بذلك أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف[3]، فقبله .

ورأيت جماعة من القضاة يكتبون به ، ومخاطبة جميع هذه المرتبة في الحاجة : « فانْ رأيْتَ » ، فان كان ممن يخاطب بالهاء من سائر أصنافها ، قيل له : « إنْ رأى أنْ يفعل كذا ، فَعَلَ إنْ شاء الله » . وإنْ كان ممن يخاطب بالكاف قيل له : « فان رأيت فعلت إنْ شاء الله » .

وأمّا المرتبة الوسطى ، فالدعاء للطبقة العليا منها بـ « ياسيدي ومولاي » ، أوْ : « شيخي وكبيري » على قدر استحقاقه في العلم أوْ السن أو الشرف . والطبقة الثانية بـ « ياسيدي ومولاي » . فانْ زدْت « شقيقي وخليلي » ، أو « أعز الخلق عليّ وأقربهم اليّ » أو « آثر الناس عندي ،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢٨ .

(٢) سورة الاحزاب ، الآية ٦٧ . وأولها : « وقالوا : ربنا .... » .

(٣) هو أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف ، قاض كانت له حظوة عند المقتدر العباسي . ولي القضاء ، ثم جعل قاضي القضاة الى آخر عمره . وكان عالماً بالحديث والفرائض والحساب والادب . توفي سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م) (ينظر البغية ص ٣٦٤ ، والاعلام ج ٥ ص ٢٢١) .

وأجلهم لديّ » ، فعلتْ من ذلك ما توجبه القرابة أو المودة أو المؤانسة ، فانّ كلّ ذلك حسن جميل ، واستعماله مليح غير مستنكر ولا قبيح .

والطبقة الثالثة من هذه المرتبة : « ياسيدي أطال الله بقاءك » ودونه : « ياسيدي وأخي » ، ودون ذلك : « يا أخي » .

والعنوان الى الطبقة العليا من هـــذه المرتبة [٢٤٤] بـ « لسيدي ومولاي ورئيسي أبي فلان ، أطال الله بقاءه » ، والدعاء الى « ونعمته » . وفي يسرة العنوان : « من فلان الى فلان » ، وتحته : « سيدي ومولاي ورئيسي آبو فلان بن فلان أدام الله عزّه » . وإنْ شئْت اقتصرت على : « عبدك فلان بن فلان » . وليس يصلح أنْ يخاطب أهل هذه الطبقة بـ « خادمك » . والى الطبقة الثانية بـ « سيدي ومولاي أبي فلان » والدعاء تاما . وفي يسرة الكتاب « من فلان بن فلان » وتحته : « سيدي ومولاي أبو فلان بن فلان أيَّـده الله » . وإنْ شئت « لابي فلان » والدعاء تاما في يسرة الكتاب « من فلان ابن فلان » وتحته « أبو فلان وفلان بن فلان أدام الله عزه » . وإنْ شئْتَ اقتصرت على أنْ تكتب يسرة العنوان : « عبد إخائك » أو « شاكر تفضلك » أو « أخوك » أوْ ماشاكل ذلك .

والى الطبقة الثالثة اذا كان الصدر بـ « أخي » و « سيدي » : « لاخي وسيدي أبي فلان » ، وتدعو له ، وسقط من الدعاء النعمة . وتكتب يسرة العنوان تحت اسمك : « أخي وسيدي أبو فلان بن فلان أعزه الله » ولا تذكر اسمك ، واقتصر على ذلك .

والى من تخاطبه في الصدر بـ : « أخي » : « لابي فلان » وتدعو له ، وتسقط ذكر النعمة ، وتجعل اسمه يمنة الـكتاب بلا كنية ، وتدعو له بـ « أعزّه الله » .

ومخاطبة أهل هذه [٢٤٥] المرتبة على صنفين ، فانْ كان في أعلاها ، خوطب بـ « إنْ رأيْتَ » ، و بـ « فعلت » ، وإنْ كـــان في أدونهـــــا فبـ « أحَبَّ » ، و بـ « إنْ شاء الله » .

وأما الطبقة السفلى فأعلى طبقاتها في الدعاء : « أطال الله بقاءك ، وأعزّك ، وأيّدك » . ودون ذلك : « أعزك ، وأكرمك » . ودونه : « أعزّك » . ودونه : « أطال الله بقاءك » . وقد تستعمل : « أطال الله بقاءك » مفردة في رقاع الرؤساء ، إذا كانت ممن بحضرتهم من كتاب المجالس وغيرهم . وتستعمل ـ أيضا ـ في الخروج وما يجري مجراها . ودون ذلك : « أدام اللهُ عزك » . ودونه : « مَدَّ الله في عمرك » . ودونه : « أعزك الله ، ومَدَّ في عمرك » . ودونه : « أكرمك الله ، وأبقاك » . ودونه : « أكرمك الله » . ودونه : « أبقاك الله » . ودونه : « تولاك الله بحفظه » . ودونه : « عافانا اللهُ وإياك من السوء » .

وأعلى طبقات الدعاء في العنوانات لهؤلاء : « لابي فلان ، أطال الله بقاءه ، وأدام عزه وتأييده » . وتجعل اسمه في يمنة الكتاب ، وتدعو له بـ « أعزّه الله » . ودونه : « أطال الله بقاءه » . ودونه : « أدام الله عزّه » . ودونه : « أعزه الله » . ودونه : « أكرمه الله » . ودونه : « أبقاه الله » . وتجعل اسم المكتوب اليه في جميع ذلك يمنة الكتاب ، ولا يدعى له [٢٤٦] .

وقد يقتصر بهذه الطبقة اذا كان الكتاب توقيعا مختوما ، أو يجري مجرى التوقيع في يمنة : « أبو فلان فلان بن فلان » . وبدعاء له بحسب استحقاقه من الادعية التي قدمناها .

ومخاطبة أهل هذه المرتبة في الامر على ضربين :

فأعلاهم محلاً يخاطب بـ « رأيك » ، ويقال بعد انقضاء ما يؤمر به « مُوَفَّقاً إِنْ شاء الله » . وانما ينصب ذلك على تقدير : « رأيتك موفقا ان شاء الله » .

والى أدناهم محلاً بـ « افعل ذلك » ، و « اعلم ذلك » و « اعمل به » وما شاكل هذا .. « ان شاء الله » .

ولما كانت الدول في كثير من الازمان ، وبخاصة زماننا هذا قد علت عليها النساء ، وصار الرؤساء فيها الخدم والاماء ، وكانت لهم أوضاع في المكاتبات وسنن في الدعاء والمخاطبات ، متى خالفها مخالف نسبوه الى قلة الفهم ونقص العلم ، احتجنا الى ذكر جمل من ذلك واضافتها الى هـذا الباب . فمن ذلك أنّه لا يدعى لهن بالكرامة ولا السعادة لانّ كرامة المرأة وسعادتها موتها عندهن . ولا يقال لهن : « وتمم الله نعمته عليك » ، لانهن يتصوّرن أن يكون شيء عليهن . ولا يخاطبن بـ « جعلني فداك » ولا « قدمني قبلك » ، لانّهما يجريان مجرى المغازلة والمهازلة . ولا يقال : « بلغني أملي فيك » ولا « كان هذا تقديري فيك » لاستقباحهن أنْ يكون شيء [٢٤٧] فيهن .

وقد رأيتُ شيخنا أبا الحسن علي بن عيسى(١) ـ رحمه الله ـ يكاتب أم المقتدر فيتخلص في مكاتبتها من هذه الالفاظ المنكرة عندهن لما ظهر من انكارهن ذلك على حامد وأمثاله ، والسعيد مَنْ اتعظ بغيره .

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الحسني ، وزير المقتدر العباسي والقاهر ، وأحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد . نشأ كاتباً كأبيه ، وولي مكة ، واستقدمه المقتدر الى بغداد سنة ٣٠٠هـ ، فولاه الوزارة فأصلح الأحوال وأحسن الادارة وحمدت سيرته . توفي سنة ٣٣٤هـ أو ٣٣٥هـ (٩٤٦م) .
(ينظر دول الاسلام للذهبي ج ١ ص ١٦٤ ، والمنتظم ج ٦ ص ٢٥١ ، والاعلام ج ٥ ص ١٣٣) .

الخـــط

وأمَّا الخط فله أجناس قد كان الناس يعر فونهـــا أولادَهم على ترتيب ، ثم تركوا ذلك وزهدوا فيه كزُهْـدهم في سائر العلوم والصناعات. وكان أكبرها وأجلها أمر الثلثين[1] ، وهو الذي تكتب به السجلات بمـا يقطعه الائمة ويوعزونه ، وسمي قلم السجلات . ثم ثقيل الطومار[2] والشامي ، وكان يكتب بهما في القديم عن ملوك بني أمية ، ويكتب اليهم في المؤامرات[3] بمفتح الشامي[4] ، ثم استخلص ولد العباس قلم النصف[5] ، فكتب بـه عنهم ، وترك ثقيل الطومار والشامي . ثم إن المأمون تقدم الى ذي الرياستين بأنْ يجمع حروف قلم النصف ويباعد بين سطوره ، ففعل ذلك ، وسُمي : الرياسي ، فصارت المكاتبة عن السلطان بقلم النصف والرياسي ، والمكاتبة اليهم بخفيفها . والمكاتبة من الوزير الى العمال بقلم الثلث ، ومن العمـال اليهم بصغيره . وكتب الوزير الى السلطان بقلم المشور عوضا عن مفتـــح

---

(١) الثلثين : كان للكتابة عن الخلافة الى العمال والامراء فى الآفاق .
(الفهرست لابن النديم ص ١٧ ، وتأريخ الخط العربى للكردى ص ٩٨) .

(٢) قلم الطومار : وهو قلم مبسوط له فيه شيء مستدير . وسمى به لان الطومار اسم للورقة الـــكبيرة التى عرضها ذراع واحد ولم يقطع منه شيء . ويكتب به السلطان علاماته على المكاتبات والولايات ومناشير الاقطاع . (صبح الاعشى ج ٢ ص ٥٣ ، وتأريخ الخط العربي للكردي ص ٩٤) .

(٣) سمي بذلك ، لانه كان يستعمل لاستشارة الامراء ومناقشتهم ، وهو مستخرج من الثلثين . (الفهرست ص ١٧ ، وتاريخ الخط العربى لسهيلة الجبورى ص ٦٨).

(٤) قلم المفتح : تولد من ثقيل الثلثين . (الفهرست ص ١٧ ، وتاريخ الخط العربي للكردي ص ١٣٠) .

(٥) قلم النصف : وهو مما اخترع بعد الاسلام . ومن الطومار والثلث والثلثين تولدت خطوط كثيرة . (الفهرست ص ١٧ ، وتأريخ الخط العربى للكردى ص ١٣٠).

الشامي وتصغير المشور ، وسميا قلم المؤامرات[1] وقلم [٢٤٨] الرقاع[2] ، وهو دون صغـير الثلث للحوائج والظلامات والجوامع التي تعرض على السلطان . وقلم الحلية وعيار الحلية[3] وصغيرهما للاسرار وللكتب التي تنفذ على أجنحة الاطيار .

وأكثر أهل هذا الزمان لا يعرفون هذه الاقلام ولا يدرون ترتيبها وليس في أيديهم منها في هذا الوقت إلا قلم المؤامرات ، وصغـير الثلث ، وقلم الرقاع . وقد اقتصر كل كاتب على ما وقف عليه خطه من صغر ، أو كبر ، أو ضعف ، أو قوة ، أو وخامة ، أو حلاوة ، كاقتصارهم في سائر أمورهم على البخوت والحظوظ[4] ، فهما ما يحتاج اليه المحرر .

★ ★

ثم إنَّ في الكتاب أشياء من باب اللغـة ينبغي أن نذكرها ، لانَّ الكاتب غير مستغن عن علمها . فمنها قولهم : « مددت الدواة » اذا خلطت فيها مداداً كما قال الله ـ سبحانه ـ : « والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحرٍ ما نَفِدَتْ كلماتُ اللهِ »[5] . « أمددتها » . : اذا زدتها مداداً ، فاذا أمرت من « مَدَدْتَ » قلت : « مُدَّ الدواةَ » ، ومن « أمْدَدْتَ » : أمْدِدْ وأَمِدَّ[6] .

---

(١) قلم المؤامرات كان لاستشارة الامراء ومناقشتهم .

(٢) قلم الرقاع : وهو الذي يكتب به في قطع العادة المنصوري والقطع الصغير . وقد تولد من خفيف الثلث . (صبح الأعشى ج ٣ ص ١١٩ ، وتاريخ الخط العربي للكردي ص ١٣١) .

(٣) ينظر فهرست ابن النديم ص ١٩ .

(٤) أراد ان كتاب زمانه صنائع الحظوظ لا صنائع البراعة والخطوط . (م . ج) .

(٥) سورة لقمان ، الآية ٢٧ .

(٦) فى أدب الكتاب للصولى ص ١٠٣ : « ويقال : مددت الدواة » جعلت فيها مدادا . وكل شيء زدت فيه فانك تقول : « مددته ـ أمده مدا » . قال الله تعـالى : « والبحر يمده من بعده سبعة أبحر » . واذا أمرت قلت : « مد الدواة » بكسر الدال . ومد الدواة : تتبع الضمة الضمة ، وامدد الدواة . ولا يقال : « أمددت » الا ماكان على جهة الاعانة ، كقولك : « أمددته بمال ورجال » . ومنه قوله ـ عز وجل : « انى ممدكم بألف من الملائكة مسومين » . ومنه : « امددناكـم بأموال وبنين » أى : أعناكم وقربناكم .

وتقول : « أَلَقْتُ الدواةَ فأنا أُلِيقُها إِلاقَةً » ، فاذا أمرت قلت : « ألِق الدواة »(١) . ومعناه : أدرت كُرْسُفَها(٢) .

وتقول : « بريت القلم » بالياء ، ولا يقال : « برأته » . ويقال لما يسقط منه « براية » . واذا أمَرْتَ قلت : « ابْرِ يارجل » .

وتقول : « أحددت السكين » [٢٤٩] ، « وحدَّ هو » اذا صار حاداً ، و « سكين تُحَدُّ » . فاذا أمرت قلت : « أحِدَّ السكين »(٣) .

وتقول : « أنشأْتُ الكتاب أُنشِئُهُ » من قولك : « أنْشأ اللهُ الخلْقَ » فاذا أمرت قلت : « أنشِيءْ الكتاب يارجل »(٤) .

وتقول : « أعجمت الكتاب » اذا نقطته ، « أعجمه » ، فاذا أمرْتَ قلت : « أعْجِم الكتاب » . وتقول : « أخطأت في الكتاب »(٥) بالهمزة ،

---

(١) في أدب الكتاب للصولي ص ٩٩ : « يقال ألقت الدواة أليقها الاقة اذا أدرت كرسفها . وألاقوا بينهم كلاما ، أي : أداروه بسرعة ... وحقيقة الاق الدواة في اللغة انما هو ادار المداد فيها حتى لصق وعلق » .

(٢) فى اللسان (كرسف) : « الكرسف ـ بضم الكاف والسين : القطن ، وهوالكرسوف واحدته كرسفه . ومنه كرسف الدواة » .

وفي أدب الكتاب ص ١٠٠ : « الكرسف : القطن خاصة دون غيره ثم صاروا يسمون كل شيء وقع موقعه فى الدواة من صوف وخرقة كرسفا » .

وينظر صبح الاعشى ج ٢ ص ٤٥٩ .

(٣) في أدب الكتاب للصولي ص ١١٧ : « ويقال : هذا حد السكين وشفرته وظبته وغرته وغراره وذبابه . فظبته : طرفه ، والجمع ظبات . وشفرته : حده من أوله الى آخره . وغراره وشفرته : واحد . وذباب كل شيء : حده وأكثر ما يوصف به السيف من الحد يجوز في السكين . وأحددت السكين : احده احداداً ، وحد السكين نفسه صار حاداً ، وأحد فهو محد ، واذا امرت قلت : احد سكينك ، وسكين حديد : أي قاطع » .

(٤) في أدب الكتاب ص ١١٨ : « أنشأ الكاتب الكتاب : ابتدأ عمله على غير مثال يحتذيه . قال الله تعالى : « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » . وتقول العرب : « أنشأ يفعل كذا ، وأنشأ يقول كذا » اذا ابتدأ . و « أنشأ الله الخلق » ينشئهم انشاءا اذا ابتدأ خلقهم . وأنشأت أنا الشيء انشئه انشاء . وقال عز وجل : « وان عليه النشأة الأخرى » .

واذا أمرت قلت : « أنشيء الكتاب » باثبات الياء فى الكلام والخط ، لان هذه الياء هى همزة فذهبت للامر منها للحركة .

(٥) فى أدب الكتاب ص ١٢٢ : « تقول : أخطأت فى الكتاب تخطيء خطء وخطأ وخطاءا » . والخطأ في اللغة ضد الصواب ، وتقول : « لا تخطيء يا هذا » اذا أمرته بالهمزة ساكنة ، وانما اسقطت للجزم حركة الهمزة » .

وتقول : « وهمت في الكتابِ » اذا سهوت فيه . فاذا أسقطت منه شيئاً ، قلت : « أوهمت »(١) . واذا نَهَيْتَ عن الوهم ، قلت : لا تَوْهَمْ » ، واذا نَهَيْتَ عن الاسقاط قلت : « لا تُوْهِمْ » مثل : « لا تُوبِق » .

وتقول : « عرضت الكتاب » بغير ألف ، فاذا أمرت قلت : « اعْرِضِ الكتاب »(٢) .

وتقول : « محوت الحرف »(٣) بالواو ، فاذا أمرت قلت : « أمْحُ » . وتقول : « وقَّعت في الكتاب »(٤) ، واذا أمرت قلت : « وقِّعْ » . و « علَّمت فيه »(٥) ، واذا أمرت قلت : « عَلِّمْ » .

وتقول : « وَكَّدْتُ الكتاب وأكَّدْته » لغتان جيدتان ، فاذا أمرت قلت : « وكّد » و « أكّد » .

وتقول : « وَرَّخْته وأرَّخْتـه » ، واذا أمرت قلت : « وَرِّخْ وأرِّخْ » و « سَحَيْتُ الكتاب وسَحَوْتُه »(٦) اذا قشرت منه سحاءه ،

---

(١) في أدب الكتاب ص ١٢٢ : « وتقول : وهمت في الكتاب أوهم وهماً اذا سهوت فيه فكتبت شيئاً مكان شيء . وأوهمت فيه : أسقطت منه شيئاً فلم تكتبه . قال أبو عبيدة يصف انسانا بالبلادة : « ما فهم ، ولو فهم لوهم » .

(٢) في أدب الكتاب ص ١٢١ : « وعارضت الكتاب بالكتاب انما هو : « عرضت ذا على ذا ، وذا على هذا حتى استويا » .

(٣) في أدب الكتاب ص ١٢٦ : « يقال : « محوت الكتاب أمحوه محواً » بالواو . فاذا أمرت من هذا قلت : « امح » وحكى : « ماأنت الا ممحيا وكتبا » فاذا أمرت من هذا قلت : « امح » والواو أفصح ، وبها نزل القرآن : « يمحو الله ما يشاء ويثبت » . والمحو فى اللغة : تعفية الاثر حتى لا يرى » .

(٤) في أدب الكتاب ص ١٣٤ : « يقال : وقعت فى الشيء أوقع توقيعا ، وكتاب موقع فيه ، ورجل موقع . فاذا أمرت قلت : وقع فيه . وحقه فى اللغة التأثير القليل الخفيف . يقال : دف هذه الناقة موقع ، اذا أثرت فيه حبال الاحمال ـ والدف : الجنب ـ تأثيرا خفيفا «

(٥) فى أدب الكتاب ص ١٣٥ : « يقال : علمت فى الكتاب اعلم تعليما : اذا وقعت فيه خطا تعرفه ويعرفه غيرك . ولا تقل : أعلمت فيه ، ولا أعلمت عليه ، ولا تعلمت فيه . ومن العرب من يقول : أعلم كذا ، وتعلم كذا ، بمعنى » .

(٦) فى أدب الكتاب ص ١٢٥ : « السحاة : تقول : سحوت الكتاب اسحوه سحوا ، وسحيته اسحاه سحيا ، والواو أكثر . وسحيت ـ بالتشديد ـ آسحى تسحية . ومعنى سحيت : قشرت . وسحاة القرطاس ، والجمع سحاء ممدود . وحكى

←

ومنه سُمِّيَت المسحاة لانه يقشـــر بها الارض ، فاذا أمَرْت من ذلك ، قلت : « اسْحُ » و « سَحَّيْت أنا الكتاب » ـ اذا شددته ـ بسحاة ، فاذا أمرت قلت : « سحّ » .

و « تربّت الكتاب أتربّه تتريبا »[1]، واذا أمرت قلت : « تربّ » .

و « طيّنت الكتاب أطيّنه وأطنته »[2] ، واذا أمرت قلت : [٢٥٠] : « طين الكتاب وأَطِنْه » .

و « ختمت الكتاب » ـ بغير ألف ـ « أختمه »[3] ، واذا أمرت قلت : « اختـم » .

ويقال : « عنونت بالـكتاب » ، وقد قيل : « عنونته »[4] . والعنوان

بعض أهل اللغة انه يقال : سحاة وسحاية ، يقال : سحوت اللحم عن العظم ، اذا قشرته .

قال الاصمعى : الساحية من المطر : التى تقشر وجه الارض .. والمســحاة مشتقة من ذلك لانها تسحو وجه الارض . واذا قال : سحيت الكتاب ، فانمـا يريد جعلت عليه سحاة مثل : عظاة وسحاية : مثـــل عظاية . وما أحسن سحيتك للكتاب : أى أخذك سحايته . واذا أمرت من سحوت ، قلت : اســح ياهذا ، ومن سحا : سح يارجل ، ومن سحيت : سح . وكتاب مسحى ومسحو. واذا اخلق الكتاب فصار كالسحايا قيل : قد أسحى الكتاب فهو مسح » .

(١) فى أدب الكتاب ص ١٢٦ : « يقال : تربت الكتاب تتريبا ، ولا تقل : أتربت . فاذا أمرت قلت : « ترب كتابك » ولا تقل : « اترب » . اللهم الا أن تريد أن تقول : ان كتابه كثير التراب ، فتقول : « اترب بكتـــابك » كما تقول : « برد بطعامك » .

(٢) فى أدب الـــكتاب ص ١٢٦ : « وبقال : « طينت الـــكتاب اطينه تطيينا » اذا جعلت عليه طين الخاتم . وتقول : « طنت الكتاب أطينه طينا » مثل : زنـــه أزينه زينا ، ولا يقال : أطنت . فاذا أمرت قلت : « طين كتابك » وان شئت قلت : « طن كتابك » من : « طنت ـ أطين » . و « ما أحسن طينتك للكتاب » من هذا . وكتاب مطين ، مثـــل قولهم : زت العجين فهو مزيت ، اذا ألقيت فيه زيتا » .

(٣) فى أدب الكتاب ص ١٤٠ : « ويقال : ختمت الكتاب بغير ألف ، ولا يقال : اختمت . فاذا أمرت قلت : اختم كتابك » .

(٤) فى أدب الكتاب ص ١٤٣ : « يقال : عنوان الكتاب ، وعنونته وهى اللغــــة الفصيحة . وبعضهم يقولون : علونت فيقلب النون لاما لقرب مخرجهما من الفم ، لانهما يخرجان من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا . وقد قيل : العلوان : « فعوال » من العلانية ، لانك أعلنت به أمر الكتاب ... والعنوان : العلامة كانك علمته حتى عرف بذكر من كتبه ومن كتب اليه . »

مشتق من « عنيت به كذا وكـــذا » كأنك أعلمت بالعنوان ما عنيت به في الـكتاب . والعلوان[١] مشتق من « الاعلان » ، كأنك أعلمت بما كنيت به على العنوان ما فيه . واذا أمرت من العنوان قلت : « عَنْوِنْهُ » ، ومن « العلوان » قلت : « عَلْوِنْهُ » .

فهذه جوامع ما يحتاج اليه كاتب الخط .

(١) فى الاصل : الاعلان .

كاتب اللفظ

فأمّا كاتب اللفظ ، فهو المترسل . وقد مضى من ذكر الرسائل والخطب مافيه كفاية لذوي الادب . واذا استشعر الكاتب ما أتينا به هناك، وأخَذَ محاسنه ، وجانَبَ معايبه ، رجوت أنْ يبلغ من هذه الصناعة مبلغا . وكلُّ ما حَسُنَ في الشعر ، حَسُنَ في القول ، ولا بأسَ باستعمال الشعر وإدخاله في الكتب اقتصارا وتمثلا ، وأنْ يقصد بذلك مكاتبة النظراء ، ومن دون النظراء المتوسطي المحل من الرؤساء . ولا تستعمل في الكتب الى السلطان ووزرائه ، لانّ محلهم يكبر عن ذلك .

واعلم أنّ الشعر أبلغ البلاغة ، لانّه كلام بليغ موزون مؤلف ، وقد قال أبو تمام : « البلاغة بعض الشعر » . وحكى عنه أبو أيوب[1] ـ رحمه الله ـ انه قال له يوما وقد أطلع في كتاب يكتبه : « ياأبا أيوب ، كلامك ذوب شعري »[2] [٢٥١] .

واذا استعمل المترسل في كتبه التمثل بآداب الاوائل ، والاستشهاد

---

(١) هو أبو أيوب سليمان بن وهب ، وقد تقدم ذكره .

(٢) لابى تمام عدة قصائد فى مدح عائلة آل وهب (ينظر ديوانه ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣) .

وللبحترى قصائد فيهم أيضا (ينظر ديوانه ج٢ ص ١٦٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤١) .

وعندما مات الحسن بن وهب رثاه البحترى بأبيات منها :

أصاب الدهر دولة آل وهب ... ونار الليل منهم والنهار
أعارهم رداء العز حتى ... تقاضاهم فردوا ما استعاروا

بالقرآن ، كان ذلك أحلى لمنطقه ، وأحسن عند سامعه . وقد ذكر أبوأيوب ـ رحمه الله ـ وحسبنا بقوله في هـذه المصانعة ـ رجلا بالبلاغة ، فأتى في ذكره بأوصافها ، وما يستحسن منها فقال : « كان ـ والله ـ بارع المنطق ، جزل الالفاظ ، فصيح اللسان ، ليس بالهذر في منطقه ، ولا المتعسف في مقصده ، ومعناه الى القلب أسبق من لفظه الى السمع » . فجمع في هذه الالفاظ اليسيرة جميع ما وصفنا به البلاغة وذكرنا به أهلها ، وأمرنا المتعاطي لها أن يستعمله فيها . فمن تهيأ له أنْ يكون فيها كما وصف ، فهو أكتب الناس لسانا ، وأحسنهم بيانا . وَلَوْلَمْ يتقدم من ذكر البلاغة إلاّ بهذا القول من شيخنا ـ رحمه الله ـ لكفى وأجزا .

وقد كانت وجوههم بدورا لمختبط ، وأيديهم بحار
(ينظر فوات الوفيات للكتبى ج١ ص ٢٦٩) .

وفى أدب الكتاب للصولى ص ٨٩ : « الحسن بن على الكاتب قال : حدثنى سليمان بن وهب ، قال : رآنى أبو تمام وأنا أكتب كتابا فقال : « يا أبا أيوب كلامك ذوب شعرى » .

كاتب العقد

وأمَّا كاتب العقد ، فهو كاتب قد ذكره الله ـ عز وجل ـ في كتابه : « فأمَّا مَنْ أُوتيَ كتابَه بيمينه فَسوف يُحاسَبُ حساباً يسيراً »[1] . وقال : « كفى بنفسك اليومَ عليك حَسِيبا »[2] . وقال : « يُرزَقُون فيها بغير حساب »[3] . وعلم الخاصة والعامة ، والعقلاء والجهال بمنفعة الحساب واقرارهم بالحاجة اليه في سائر أمور معايشهم وأمر دنياهم وآخرتهم يغنينا عن ذكر فضله والتشاغل بوصف [٢٥٢] نفعه .

وليس في العلوم كلها ما لا يختلف فيه أهله ، ولا تتباين فيه آراء علمائه ، غيره . وليس في العلوم كلها ماذا أخطأ المخطيء فيه أو أصاب علم باصابته أو خطئه المرتاضون فيه كما يعلمه المتمهرون فيه ، غيره . واذا تبيّن متبيّن أصل تركيبه ، ووجد[4] الحكمة التي فيه واتقان الصنعة التي في تركيبه يدلان على أنّ الله ـ عز وجل ـ هو الذي تولى في تركيبه ، وانه ليس من صناعات المخلوقين ، فانَّك اذا فكرْتَ فيه وَجَدْتَ كل عدد قَلَّ أو كثر يعادل نصف عدد حاشيتيه اذا جمعتا ، بَعُدَتا أمْ قَرُبتا . وذلك مثل الخمسة التي حاشيتاها القريبتان الستة والاربعة ، فان

(١) سورة الانشقاق ، الأيتان ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الاسراء ، الآية ١٤ .

(٣) سورة غافر ، الأية ٤٠ .

(٤) لعل الاصل « وجد أن الحكمة ... واتقان الصنعة ... يدلان » لاتمام الجملة (م.ج) .

حاشيتيها اذا جمعتا كانتا عشرة ونصفها خمسة . وكذلك الحاشيتان اللتان هما أبعد من هاتين ، وهما السبعة والثلاثة . وكذلك الثمانية والاثنان ، وكذلك التسعة والواحد . وهذا مطرد في سائر الأعداد الى آخر ما يمكن ضبطه منها . ثم انَّ الواحد أوّل الافراد ، فليس بعدد ولكنه مُبتَدأ العدد . وحد العدد : إنّما هو ماتركب من الآحاد ، فاذا أضفت هذا الفرد الاول الى الفرد الثاني وهو ثانيه ، كان من ذلك أربعة . وهو أول الاعداد[1] المجذورة ، وجذره اثنان ، وهما أول العدد الزوج . فاذا أضفت الى الاربعة الفرد [٢٥٣] الثالث فهو خمسة اجتمع من ذلك تسعة ، وهو ثاني الاعداد المجذورة ، وجذره ثلاثة ، وهو ثاني الاعداد . واذا أضفت الى التسعة الفرد الرابع وهو سبعة ، كان من ذلك ستة عشر ، وهو ثالث الاعداد المجذورة ، وجذره أربعة ، وهي ثالث الاعداد . وكذلك يجري تركيب الافراد وتولد الاعداد منها بجذور الاعداد المجذورة المتركبة من اجتماعها الى آخر مايمكن ضبطه من الحساب ، وفي ذلك دليل على الفردانية[2] ، وقدم الواحد ، وتنبيه للعقول عليه . على أنّ الاشياء عن الواحد – عز وجل – تكونت وهو العلة فيها . ولو رُمنْا استقصاء أعاجيب صنع الله – عز وجل – وآثار حكمته في هذا الباب ، لطال به الكتاب ، وانّما سنذكر منه ما يشوق

(١) فى الاصل : الانزال .

(٢) فى أدب الكتاب للصولى ص ٢٣٨ : « قال الصولى لم نرد بذكر الحساب أن نذكر الضرب والقسمة والمعاملة ، انما أردنا أن نذكر اللغة فيه ووصف الكتاب به اذ كان الحساب قد عملت فيه كتب يزيد بعضها على جملة كتابنا هذا ، ولئلا يخلو هذا الكتاب من ذكره ، اذ كان أصلا لا يستغنى عنه الكاتب ، ولا بد لكل أحد منه . »

ثم يقول : « وأجمع الحساب من كل جنس وملة ، بكل خط ولغة ، على أن تراكيب الحساب لا تعدو أربعة : عدد يضرب فى عدد ، أو قسمة عدد على عدد ، أو القاء عدد من عدد ، أو زيادة عدد على عدد . وتكلموا فى أوائل العدد ونهاياتها بكلام كثير وأحسنه ما قال الهند : ان الاعداد تبتدىء من واحد وتنتهى الى تسعة ، ثم تكون العشرة راجعة الى حال الواحد على الرتبة . وعلى هذا وضعوا حروفهم التسعة ، وقالوا : الحساب الهندى أخرج لكثير العدد . الا أن الكتاب اجتنبوه ، لان له آلة ورأوا أن ماقلت آلته وانفرد الانسان فيه بألة من جسمه ، كان أذهب فى السر ، وأليق بشأن الرياسة ، وهو ما اقتصروا عليه من العقد والبنان ، واخراج رؤوس الجمل فى أواخر السطور وحط التفصيلات عنها واحدا دون آخر ، وفرعا دون أصل . وعنى بعض الكتاب بذلك حتى خف عقده وصار يلحق ببنانه مثل ما يلحق ببصره ، ولا يستبين الناظر موقع أنامله » .

المبتديء الى قراءة كتب الاوائل والنظر فيما جمعوه فانه يهجم به على رياض مؤنقة . وأحوال معجبة ـ ان شاء الله ـ

وكتّاب الحساب ثلاثة : كاتب مجلس ، وكاتب عامل ، وكاتب جيش . والذي يعم هؤلاء أنّهم غير محتاجين الى معرفة اللغة والاعراب لاجتماع الناس في هذا الوقت على مَنْ تركهما في الحساب . ويحتاجون الى أنْ يكونوا عارفين بالتقدير حتى يعلموا مواقع الجمل والتفصيلات وما ينبغي أنْ يخرجوه من الرؤوس في التقديرات ، وما ينبغي أنْ [٢٥٤] يكون في حشو الحكايات . وأنْ يكونوا محتاطين في ألفاظ حكاياتهم حتى تصح معانيها ، ولا يقع عليهم تأول فيها . وأنْ يكونوا ضابطين لما يشرعون فيه من فنون الحساب حتى لا يقع عليهم خطأ فيه . وإنْ خَفَّت أيديهم في العقود وأسرعت ، كان ذلك زائداً في كمالهم .

والحساب الذي يحتاج اليه الكُتَّاب هو خمسة أشياء : الجمع ، والتفريق ، والتضعيف ، والتصريف ، والنسبة .

فأمّا الجمع : فهو تركيب الآحاد من الواحد الى التسعة ، ثم تُصيَّر العشرةُ من العشرات بمنزلة الواحد من الآحاد الى تسعمائة . ثم يُصيّر الألف من الالفين بمنزلة الواحد من الآحاد الى تسعة آلاف ، وكذلك الى مابلغ . وأكثر مايمكن ضبطه باليد من الحساب تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعون . فاذا زاد على ذلك واحداً أو مازاد صار حفظ مايجتمع بالقلب[١] دون اليد . وانما جعل الهند الحروف الهندية لضبط ما لا تضبطه اليد من الحساب . ولا يتسع القلب لحفظه ، ولاحصاء ما يدِقّ من ضرب الكسور في الكسور وجعلوه تسعة أحرف لما قدمناه من ذكر الآحاد وتركيبها ، وان العشرات والمئين والألوف بمنزلتها .

وأمّا التفريق فهو تجريد الجمل بالتفصيل والقسمة . إنّ التفصيل

---

(١) في الاصل : بالثلث .

قد يكون بعض أجزائه أكثر من بعض . وذلك مثل : « مائة درهم » رفعناها [٢٥٥] وذكرناأنها « جاري عشرة من الرجال » . ثم فصّلناها ، فقلنا : « جاري فلان عشرة دراهم » ، و « جاري فلان عشرون درهما » ، و « جاري فلان خمسة دراهم » و « جاري فلان سبعة دراهم » وكذلك حتى نأتي على تفصيلها .

والقسمة : لايجوز أنْ يكونَ بعض أجزائها أكثر من بعض ، بل تكون متساوية ، وذلك كقسمتنا مائة على خمسة فيكون منها عشرون جزءا متساوية . وإنْ قَسَّمْناها على عشرة ، كان منها عشرة أجزاء متساوية .

وأما التضعيف : فهو الضرب ، ومعنى الضرب : تضعيف العدد بمقدار ما يضربه فيه من العدد الصحيح . وذلك قولنا : « كم عشرة في عشرة ؟ » فانما معناه : كم تصير العشرة اذا ضوعفت عشرات ؟ فنقول : « مائة » . وكذلك الاثنان في الاثنين ، إنّما معناه : كم الاثنان اذا ضوعفا مرتين ؟ فنقول : « أربعة » . وكذلك الواحد في الواحد ، انما معناه : كم الواحد مرةً واحدةً ؟ فيقال : « واحد » .

فهذا الضرب في العدد الصحيح ، فاذا ضربت العدد الآن في الكسور ، فانما معناه ، أنْ تأخذَ منذلك العدد بمقدار الكسر كقولنا [عشرة] فينصف، فانما معناه : كم نصف العشرة ؟ فيقال : خمسة . وكم تسعة فيثلث ؟ فيقال : ثلاثة . لانّك إنما سألت عن ثلث التسعة . وكذلك سائر [٢٥٦] الباب . فاذا قلت : كم نصف في نصف ؟ فانما معناه : كم نصف النصف ؟ فتقول : « ربع » . وكم ثلث في ثلث ؟ فانما معناه : كم ثلث الثلث ؟ فيقال : « تسع ». وكم ربع في ربع ؟ فانما يراد : كم ربع الربع ؟ فيقال : نصف ثمن .

وأما التصريف : فهو تثمين العين ، والورق ، والوزن بالعين ، أو تصريف الغلاّت بعضها ببعض . فاذا فرغت قسمة الدينار في العدد الذي تريده ، فما اجتمع فهو قيمة الدنانير . وذلك قولنا : « إذا كان الدينار أربعة

عشر درهما ، فكم لنا بخمسة دنانير ؟ » . فيضرب أربعة عشر في خمسة ، فيكون سبعين درهما . وإنْ أردْت أنْ تعرف قيمة أقل من دينار ، فاعلم أنّ الدينار ستون حبة[1] ، والدرهم ستون عشيرا[2] . فاذا كان الدينار بأربعة عشر درهما ، فحبة منه بأربعة عشر عشيرا ، وهو دانق[3] وأربعة أعشرة[4] . وإنْ سألك عن أقل من حبة أو أكثر ، فحساب ذلك . وإنْ أرَدْتَ أنْ تعرف كم ثمن الورق من العين وكان ذلك بأكثر من قيمة الدينار وما خرج ، فهو الذي طلبت . كأنّك قلت : اذا كان الدينار بأربعة عشر درهما فكم ثمن سبعين درهما ؟ فيقسم السبعين على أربعة عشر فيكون خمسة ، فهو الذي تريد . وإذا كان الورق أقل من قيمة الدينار فانسبه الى قيمة الدينار بأربعة عشر درهما ، فكم لنا بسبعة دراهم ؟ [٢٥٧] فتنسب السبعة الى الاربعة عشر فيكون نصفا ، فنقول : نصف دينار . وكذلك سائر الباب .

وأما تصريف الغلّة ، فانهم يستعملونه في العبر ومعاملات التحصيل للتقريب ، وهو تعديل القيم في الغلات فيجعلون الكر[5] من السمسم وما

---

(١) الحبة التى يتركب منها الدرهم هى حبة الشعير المتوسطة التى لم تقشر بل قطع ما ارتفع من طرفها ، وهى حبة الخردل البرى . (ينظر الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٧ هامش ١) .

(٢) العشير والعشر : واحد مثل الثمين والثمن والسديس والسدس . والعشير فى مساحة الارضين عشر القفيز ، والقفيز عشر الجريب (اللسان ـ عشر) .

(٣) الدانق من الفارسية (دانه) أى حبة . واستعمله العرب فى الجاهلية للدلالة على وزن معين ، وفى النقد أيضا . ثم استعمل فى العصر الاسلامى كوزن ثقله عشر حبات من الشعير ، أو أربعون من حبات الارز ، وهو أيضا سدس الدرهم . (ينظر اغاثة الامة بكشف الغمة ص ١٠ حاشية ١ ، ونهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٦ .

(٤) قلت : قال الجوهرى فى الصحاح : « الدرهم ستة دوانيق ، والدانق قيراطان ، والقيراط طسوجان ، والطسوج حبتان ، والحبة سدس ثمن درهم ، وهو جزء من ثمانية واربعين جزء من درهم » (م.ج) .

(٥) الكر ـ بضم الكاف ـ : مكيال لاهل العراق . وفى حديث ابن سيرين : « اذا بلغ الماء كرا لم يحمل نجسا » . وفى رواية : « اذا كان الماء قدر كر لم يحمل القذر » . والكر : ستة أوقار حمار . وهو عند أهل العراق ستون قفيزا . ابن سيده : يكون بالمصرى أربعين اردبا . (اللسان) .

شاكله أربعة أكرارٍ شعيرا . والكر من الحنطة وما شاكلها كرين شعيرا ، والشعير بحاله .

وانّما يستقيم هذا التصريف في أثمان الغلات بالسواد ، لانّ سعر الشعير هناك أبداً مقارب لسعر نصف الحنطة وربع السمسم . فأمّا في الشام وغيرها ، فليس يصح ذلك . وأما الاكرار ، فالذي يعمل عليه منها في السواد : المعدل والفالج[1] ، وهو خمسا المعدل . والنصف وهو نصف المعدل . فأما سائر النواحي فتختلف أكرارها كاختلاف أوزانها . وان رُمْنا ذكر جميع ذلك طال به الكتاب . فهذا ما فى التصريف .

فأما النسبة : فقد جعلها الحسّاب في أعمالهم من سين ، وليس يستعمل الكتّاب نسبَهُ سين[2] الا في تصريف العين بالورق ، والورق بالعين . فأما غير ذلك فانما يستعملون فيه الدوانيق والعشرات ، وأحسبهم أرادوا بذلك التخفيف . فاذا أرادوا أنْ ينسبوا ذا الربع ، قالوا : ثلاثة دوانيق وخمسة أعشراء . واذا [٢٥٨] أرادوا أنْ يَنسبوا السدس والعشر ، قالوا : دانق وستة أعشراء ، وكذلك سائر الاجزاء .

واِنّما ذكرنا هذه الجوامع اِذْكاراً بها لمن علم ، ومطالعة بها لمن لم يعلم . فأمّا شَرْح أبواب الحساب فمجموع في كتب الحساب ، وقد أتوا منه على مايحتاج اليه . وهاهنا أشياء تَخُصُّ كل واحد من كتّاب الحساب محتاج الى معرفتها فيما هو سبيله دون غيره .

فمن ذلك اِنَّ كاتب المجلس محتاج الى أنْ يكون حاذقاً باقتصاص الكتب وترتيب أبوابها في المعاملة على ما يقتضيه ترتيب وقوع الجماعات والموافقات لتقابل بذلك عند وروده ، ويخرج مافيه من خلف في المؤامرة التي يعملها العامل ، ويحكم في ذلك بما يوجبه حكم الكتابة .

---

(١) الفالج ــ بكسر اللام ــ: مكيال ضخم ، وقيل هو القفيز . (اللسان ــ فلج) .
(٢) كذا فى الاصل .

وأنْ يكون عالماً برسوم العبر المحوجة الى تكميلات ، وما يجوز أنْ يكثر به في ذلك مما يلزم العمل به .

وأنْ يعرف أحكام الخراج وما يجب رَدّه على العمال من النفقات ومردود الجاري والاحتسابات ، وما ينبغي أنْ يحسب لهم .

وأنْ يعلم ماينبغي أنْ تحمد فيه آثار العمال وما يقبح به آثارهم .

وأن يكون في ذلك عَدْلاً لا يميل به الهوى في بعض العمال الى التأول له ، ومسامحته بما يفسد عند الكتاب صناعته . ولا يحمله الانحراف عن بعضهم على التأول في أمره ، ومماحكته بما يعيب عند أهل الصناعة في كتابه . [٢٥٩] .

ولا يرخص في نفسه في إخراج شيء من الديوان بعد أنْ قد ثبت فيه ، ليزيل بذلك حجة عمن يلزمه الحجة . ولا أنْ يثبت فيه شيئاً لا أصل له ليقيم به حجة لمن ليست له حجة . فانّ مقام الكاتب مقام العدل الذي متى عُرِفَ منه أو جرِّبَ عليه[١] ميل مع هوى أو قلة أمانة سقطت عدالته ولم تقبل شهادته . وسمعت أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات[٢] ـ رحمه الله ـ يوماً وهو يقول : « الكاتب فوق الشاهد » . قال : « لاني وسائر الوزراء نحكم بقوله . وبما يخرجه من ديوانه ، والقاضي لايحكم بقول شاهد واحد حتى ينضاف اليه غيره » .

(١) فى كتاب عمر بن الخطاب ـ رضى ـ « أو مجربا عليه شهادة زور » كما ورد فى الكامل للمبرد . (م.ج) .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد بن الفرات وزير من الدهاة الفصحاء الادباء الاجواد، وهو ممهد الدولة للمقتدر العباسى ، وقد ولاه الوزارة ثلاث مرات . توفى سنة ٣١٢ هـ (٩٢٤ م) (ينظر وفيات الاعيان ج١ ص ٣٧٢ ، والاعلام ج٥ ص ١٤١) . ←

كاتب العامل

وأمّا كاتب العامل فيحتاج الى أن يكون متبحراً بعلم الزرع والمساحة لـكثرة مايجري فيعمله وحساباته من ذلك. وأصل ماتمسح به الأرضون : أشـْل[1] ، وباب ، وذراع . فالأشل : حبل طوله ستون ذراعاً . والباب : قصبة طولها ستة أذرع . والذراع : التي يمسح بها السلطان مسائحـــه ، اثنتان وثلاثون اصبعا ، وتسمى : الذراع الهاشمية ، والسوداء ـ أيضا ـ . والتي يمسح بها الدور وغيرها أربع وعشرون اصبعا ، وتســـمى الذراع الحديد . والتي يمسح بها الانهار والرهوص[2] ستون اصبعاً ، وتسمى الميزان . والأشل : عشرة أبواب . والباب ستة [٢٦٠] أذرع ، وأشل في أشل جريب . وأشل في باب قفيز ، لانّه أشل في عشر أشل فيكون عشر الجريب . والجريب عشرة أقفزة . وأشل في ذراع عشير وثلثا عشير ، لانّ واحداً في ستين ستون ، والعشير ستة وثلاثون ذراعا ، لانَّـــه من باب في باب ، فتكون الستون : عشيرا وثلثي عشير . وباب في باب عشير كما قلنا . وباب في ذراع سدس عشير ، وذراع في ذراع ربع تسع عشير .

والاشكال التي تقع عليها المساحة في الاصل ثلاثة أشكال وهي : المربع والمثلث والمدور . والمربع بخمسة أصناف : مربع متساوي الاضلاع،

(١) فى اللسان (أشل) : « الاشل من الذرع بلغة أهل البصرة ، يقولون كذا وكذا حبلا ، وكذا وكذا أشلا لمقدار معلوم عندهم . قال أبو منصور: وما أراه عربيا ».

(٢) فى الاصل : الرهوص ، او الرموص ، ولم نجد لهما معنى يتعلق بهذا الكلام .

ومربع مستطيل ، ومربع مختلف الاضلاع ، ومربع معين ، ومربع مُشَبَّه بالمعــــين .

فأما المربع المتساوي الاضلاع ، فاذا ضربت أحد أضلاعه في نفسه ، كان مايجتمع تكسيره . وذلك مربع متساوي الاضلاع كل ضلع منه عشر أذرع ، فتكسيره مائة ذراع . وكذلك المربع المستطيل . وأما المربع المختلف الاضلاع ، فانّ المُسَّاح يجمعون طوليه وعرضيه ، ويضــربون نصف الطولين في نصف العرضين ، وما اجتمع فهو التكسير عندهم . وفي هذا عند الحُسَّاب غلط يسير ، إلاّ انّا لما كنا انما نصف مايستعمله المُسَّاح والعمال [٢٦١] لم يكن بنا حاجة الى ذكر ما يقوله الحُسَّاب في الحساب في ذلك.

وأما المعين ، فانّ استخراج تكسيره بضرب أحد قطريه في نصف الآخر ، فما اجتمع من ذلك فهو تكسيره .

وأما المُشبّه بالمعين ، فيقطع مثلثات ومربعات ، وتمسح كل قطعــة منها على حسابها وتجمع .

وأما المثلث ، فهو ثلاثة أصناف : مثلث متساوي الأضلاع ، ومثلث متساوي الضلعين . وهذا على صنفين : أحدهما : قائم الساقين، والآخر : منفرج الزاوية . ومثلث مختلف الاضلاع .

فأما المثلث إذا تساوت أضلاعه أوْ تساوت اثنتان منها ، فان عموده مضروبا في نصف القاعدة ، تكسيره . وذلك مثل مثلث عموده عشر أذرع ونصف قاعدته خمس أذرع ، فان تكسيره خمسون ذراعا . فأما استخراج ذراع العمود من قبل الضلع فانه أنْ يضرب الضلع في نفسه ، وينقص منه نصف القاعدة مضروبا في نفسه ، وتأخذ جذر ما بقي فهو العمود . (وإنْ أردت استخراج الضلع من قبل العمود ضربت العمود في نفســه ونصف القاعدة في نفسها ، وجمعتهما وأخذت جذرهما ، فهو الضلع . وإنْ أردت استخراج نصف القاعدة ، ضربت الضلع في نفســـه ، ونقصت من ذلك

العمود مضروبا في نفسه [٢٦٢] وبأخذ جذر مابقي ، فهو نصف القاعدة[١]) .

ومثال ذلك : مثلث كل واحد من ضلعيه عشرة ، وقاعدته اثنا عشر ، اذا أردنا أنْ نستخرج عموديه ، ضربنا نصف القاعدة في نفسها فكانت ستاً وثلاثين ، ونقصناها من الضلع مضروبا في نفسه ، وهو مائة ، فبقي أربعة وستون ، وجذره ثمانية وهو العمود . واذا ضربنا العمود وهو ثمانية في نفسه ، كان أربعة وستين ، وضربنا نصف القاعدة في نفسها كانت ستاً وثلاثين ، فاذا جمعناهما كانا مائة ، وجذر مائة عشرة ، وهو الضلع . واذا ضربت العمود في نفسه كان أربعاً وستين ، وضربت الضلع في نفسه كان مائة ، وحططت الاربع والستين من المائة ، كان مايبقى ستا وثلاثين ، وجذره ست ، وذلك نصف القاعدة فهذا مافي المثلث المتساوي الاضلاع وذي الضلعين المتساويين . فاذا اختلفت أضلاع المثلث ، فانّ باب مساحته أنْ تجمع الاضلاع [٢٦٣] الثلاث وتأخذ نصف ما يجتمع معك من ذلك فتحفظه ، ثم تنظر مابين كل واحد من الاضلاع وبين هذا النصْف ، فتضرب بعضه في بعض ، ثم في هذا النصف ، وبأخذ جذر جميع ذلك ، فهو تكسير للمثلث ومثال ماقلناه : مثلث أحد أضلاعه خمس عشرة ذراعا ، والاخرى أربع عشرة ، والاخرى ثلاث عشرة ، بابه أنْ يجتمع الخمسة عشرة والاربع عشرة ، والثلاث عشرة فيكون ذلك اثنتين وأربعين ، وتأخذ نصف ذلك فيكون احدى وعشرين . ثم تنظر كم بين الخمس عشرة والاحدى والعشرين فيكون ستا ، وكم بينها وبين الاربع عشرة فيكون سبعا ، وكم بينها وبين الثلاث عشرة فيكون ثمانيا ، فتضرب ستا في سبع ، فيكون اثنتين واربعين ثم في ثمانٍ ، فيكون ثلاثمائة وستاً وثلاثين . ثم تضرب ذلك في احدى وعشرين فتكون ثمانية آلاف وست وخمسين ذراعا ، فجذر ذلك وهو أربع وثمانون ذراعا تكسير المثلثة .

وأما المدوّر ، فانّ استخراج تكسيره بضرب قطره في مثله ، واسقاط

---

(١) مابين القوس كرر مرتين ، وقد حذفنا المكرر .

سبع ما يجتمع معك فنصف سبعه . وذلك مثل : مدور قطره أربع عشرة ذراعا فانه تضرب أربع عشرة في مثلها فيكون مائة وستا وتسعين ذراعا . ويكفي من [٢٦٤] ذلك سُبُعُه ونصف سُبُعِه ، ومبلغه اثنتان وأربعون ذراعا ، فيبقى مائة وأربع وخمسون ذراعا ، وهو تكسير المدوَّر . وإنْ لم تعرف القطر فأردت أنْ تستخرجه من التكسير ، فاضرب التكسير في أربعة عشر ، واقسمه على أحد عشر ، فما خرج فخذ جذره ، فهو القطر . وإنْ أردْت معرفة الدور ، ضربت القطر في ثلاثة وسبع ، فما اجتمع فهوالدور.

ويحتاج كاتب العامل مع هذا ، أنْ يكون مشفقاً محترساً من حيل الزارعين والمعاملين ، فَهِماً بوجوه سرقاتهم وحيلهم في تلف الغلة ، ومغالطاتهم في اقطاع المساحة ، عالماً بأحكام المظالم والتحييل ، وغيرهما مما يرفد به أصحاب الخراج والمقاسمة[١] حتى لايجري عليه غبن[٢] منهم ، ولا يتم على صاحبه حيلة من جهتهم .

(١) المقاسمة : وهى أخذ حصة الخراج بالقسمة . « م.ج » .
(٢) هو الخديعة فى البيع وغيره « م.ج » .

كاتب الجيش

وأمّا كاتب الجيش ، فانّه يحتاج مع العلم بالحساب وضبطه ، الى أنْ يعرف الأطماع وأوقاتها ، والحلى[1] وأحكام أخذها ، والارزاق وما يتوفر منها .

والطمع : هو الوقت الذي يستحق فيه الجاري .

والحلية : هي وصف الرجل الذي يفصل به بينه وبين غيره ممن يوافق اسمه اسمه .

والاصل في ارزاق الجند والمقاتلة ، المساواة بينهم ، وكذلك قَسَّمَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووضع الديوان عمر عليه وفضل بعض الناس على بعض ، ولم يخالفه في ذلك أحد بعده [٢٦٥] ، غير أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فانه رَدَّ الامر الى ما كان عليه في أيام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنقم في ذلك عليه من خالف عليه . ثم رجع الناس بعد مضيّه الى سنة عمر ـ رضوان الله عليهما ـ وكان الجند فيما تقدم يفضلون في الارزاق وشهورهم واحدة ، وكانت استحقاقاتهم تتوافى في وقت واحد ، فمتى تأخر عنهم ما لهم اجتمعت كلمتهم على الطلب ، ولقي معاملهم جُلاً[2] من الشغب . فلما تقلد شيخنا أبو القاسم عبيد الله بن

(١) حليت الرجل : وصفت حليته . والحلية : تحليتك وجه الرجل ، اذا وصفته ←

(٢) وهو المعظم وبريد به كثيرا من الشغب « مصطفى » .

سليمان[1] ـ رحمه الله ـ للمعتضد بالله ، لطف لتفرقة أرزاقهم والمخالفة بين أوقات استحقاقاتهم بانْ زاد من أُخِّرَ رزقه بمقدار الزيادة في الكلام ، واقتصر بمن قدَّم رزقه على مالايقصر عن مؤونته ، فسلم بذلك من شغبهم وذمهم . وجمع ما صنع ترفيه نفسه وسلطانه ؛ لانَّ معظم الاموال والارزاق الوافرة إذا تأخرت الى مَدَد بعيد تحمل في مثلها أموال النواحي ، وتلحق فيها الغلات دَرَّت الارزاق ، وقل الخلاف ، وتفرقت مع ذلك كلمة الجند باختلاف أوقات اطماعهم ، ولم يكن لمن لم يجب له رزق أنْ يشغب مع من وجب رزقه ، ولا أنْ يطالب بما لم يستحقه . وإذا تفرقت الكلمة وتشتتت [٢٦٦] الجماعة انكسرت الشوكة ، وقلت المؤونة ، وجعل أقرب الاطماع النوبة [2] ، وهي في المشاهرة في كل ثلاثين يوماً ، ثم أرزاق الحشم وهي في كل أربعين يوما . ثم أرزاق المماليك من الخدم والغلمان الحجرية [3] ، ومن جرى مجراهم في كل شهرين [4] . ثم أرزاق المختارين في كل خمسة وسبعين يوماً . ثم التسعينية وأرزاقهم في كل تسعين يوما . ثم الأحرار العظم [5] في كل مائة وخمسة أيام . ثم الاحرار الحلين[6] في كل مائة وعشرين يوما . ثم الموسابادية[7] وأصحاب الرقاب في كل مائة وثمانين يوما يجري الامر على هذا .

وعلى انتخاب الأوْلياء واختيارهم ومطالبتهم بالعرض في السلاح التام . وعلى الخيل الفارهة [8] ووسمها عليهم لئلا يكون عاريّة أوْ كراء .

---

(١) أبو القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب الحارثى ، وزير من أكابر الكتاب . استوزره المعتمد العباسى وأقره بعده المعتضد ، واستمرت وزارته عشر سنين الى وفاته . وقد رثاه ابن المعتز ، وقال عند دفنه :

هذا أبو القاسم فى نعشه   قوموا انظروا كيف تسير الجبال

(ينظر الوزراء والكتاب ص ٢٥٢ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٤٧ ، والاعلام ج٤ص٣٤٩).

(٢) وهم جند النوبة للحراسة والمهمات (م.ج) .

(٣) وهو الموكلون بحجر دار الخلافة من الجنود (م.ج) .

(٤) فى الاصل : شهر .

(٥) كذا فى الاصل .

(٦) كذا فى الاصل .

(٧) منسوبون الى موضع اسمه « موسى أباد » أى عمارة موسى (م.ج)

(٨) فى مختار الصحاح « الفاره من الناس الحليم الحسن ومن الدواب الجيد السير » .

وكتب اسم السلطان وولي عهده على المجان والترسة[١] . والامتحان لهم فيما يعالجونه من السلاح فمن كان في المحنـــة مرضيـــا ، وكانت أداته كاملة وفرسه فارهاً ، وبزته جميلة ، على مقدار رزقه أمضى أمره وإلا حُلّق[٢] على اسمه ، ووفر رزقـــه . فلم يزل الأمر جارياً على ذلك لا تخالف فيه هذه الاوضاع والسنن الى أنْ وقـــع التخليط ، ونضبت الذمامات[٣] ، وأثبت الجنـــد بالرشاء ، واستعملوا للهوى لا للكفايـــة والغناء[٤] ، وصاروا يتبايعون الاسماء على نقبائهم بيعـاً ظاهراً مكشوفـاً ـ فسدت [٢٦٧] طبقات الاولياء ، ودخل فيهم منْ لم يحمل السلاح ، ولم يشهد الحروب ساعة قط . وكانت نتيجة هذا الاهمال ، وثمرة هذه الافعال أنْ خرج السلطان في جيشه على أحسن زينة[٥] لقتال غلام من غلمانه ، فقتل وحده من بين أهـــل عسكره ، وتفرق عنـــه الباقون ، ورجعـــوا موفورين[٦] .

ومن ترك سياسة رعيته وأوليائه بما يُوجبه الرأي كان بمثل ما جرى عليه جديراً ، وبه حقيقا .

وأما التحلية : فأولها أنْ يذكر اسم الرجل في يمنة الورقة ، وينسب الى بلده أو ولائه فيقال : فلان الرومي ، أو فلان المقتدري ، أوما أشبه ذلك. ثم يذكر جاريه تحت اسمه ويفصل فصل يسير . ثم يكتب عن يسرة الورقة بعد ذلك الفصل سنّه ، شاب أو كهل أو مراهق .

هذا ما أخَذَ الناسُ فيه ـ والذي كان عليه في القديم كثير من الناس ـ الآن ، فانْ يذكر اسم الرجل وولاؤه وحليته في يمنة الورقة وجاريه في

---

(١) الترسة « جمع الترس وهو كالمجن يتخذ من الفولاذ للوقاية من ضربة السيف ونحوه » (م٠ج) ٠
(٢) مصدره التحليق أى رسمت حوله حلقة خطية أى دائرة لاخراجه من الجيش(م٠ج)
(٣) أى جفت العهود على سبيل الاستعارة « م٠ج » ٠
(٤) وهو القدرة والكفاية « م٠ج » ٠
(٥) لان الخروج فى الجيش يحتاج الى زينة وأبهة لا الى رتبة « م٠ج »
(٦) كان هذا عام ٣٢٠ هـ (ينظر المنتظم لابن الجوزى ج٦ ص ٢٤٣)

يسرتها ، ولا يذكر في الحلية في الجيش شيخ ولا صبي ، فانْ كانا فيمن يحلى ، قيل للشيخ : « كهل مجتمع » ، وقيل للصبي : « غلام أمرد » . وانما أسقط[1] ذكر الشيخ والصبي من ديوان الجيش لضعفهما والطمع الذي يلحق أمثالهما .

ثم يذكر قدّه ، فان كـان طويلاً قيل : [٢٦٨] « رَبْعَة[2] الى الطول » ، وإنْ كان قصيراً قيل : « ربعة الى القصر » ، وإنْ كان ربعة قيل : « مربوع » . وانما لم يقل : « طويل » و « قصير » على الاطلاق ؛ لانّ الطول والقصر من باب المضاف ، والطويل إنما يكون طويلاً بالاضافة الى مَنْ هو أقصر منه . وكل طويل فهو قصير إذا اضيف الى مَنْ هو أطول منه . وكان قولهم : « ربعة الى الطول » أو « الى القصر » أحـوط في تصحيح المعنى .

ثم يذكر لونه فيقال : أسود ، أو آدم[3] ، أوْ أحمر يعلوه حمرة إذا كان أشقر أو أبيض . ولا يقولون : أبيض ولا أشقر ؛ لانّ البياض والشقرة مما كانت العرب تعيّر بعضها بعضا ، وتسمنيهم : العبيد والحمران ، وبني حمراء العجان[4] ، وصهب السبال[5] ، وتهجّن من كان منهـم .

ثم يذكر الجبهة بأوصافها من ضيق أو رحب . وإن كان أجلح[6] ، أو أصلع ، أوْ ذا وَفْرةٍ[7] ، أو جُمة[8] ذكر ذلك . وإنْ كان في جبهته غضون ذكرت .

---

(١) في الاصل : أقسط .

(٢) رجل ربع وربعة ومربوع : معتدل الخلق . (ينظر المخصص ج٢ ص ٧١) .

(٣) الأدم : الاسمر .

(٤) حمراء العجان ـ العجان : ـ بكسر العين ـ الدبر ، وقيل : مابين القبل والدبر ، وفي حديث علي ـ رضي الله عنه ـ ان أعجميا عارضه فقـال : « اسكت يا ابن حمراء العجان » . وهذه عبارة سب كانت تجرى على ألسنة العرب . (اللسان ـ عجن) .

(٥) الصهبة والصهب : ان تعلو الشعر حمرة وأصوله سود ، فاذا دهن خيل اليك أنه أسود . وقيل : هو أن يحمر الشعر كله وقد اصهاب وصهب صهبا فهو أصهب والانثى صهباء . وقيل : الاصهب الذى تخلط بياضه حمرة . (المخصص ج٢ ص١٠٨) ..

(٦) جلح : انحسر شعره عن جانبي رأسه ، فهو أجلح .

(٧) الوفرة : ماسال من الشعر على الاذنين .

(٨) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

ثم يُذكر الحاجبان بما فيهما من قَرَنٍ أو بَلَج [1] .

ثم العينان بما فيهما من كحل ، أو زرقة ، أو شهل ، أوْ حوص ، أو حور ، أو جحوظ ، أو غؤور ، أو حول ، أو عور ، أو بياض .

ثم الأنف بما فيه من قَنا [2] ، أو فَطس [3] ، أو ردّة أرنبة ، أو انتشار مناخر .

ثم الأسنان بما فيهما من درد [4] ، أو شغى [5] ، أو فلج ، أو قلح ، أو انقلاع بعضها ، أوْ سواد بعض . [٢٦٩] .

فانْ ذكر الشامات [6] ، والخِيلان [7] ، وآثار الحديد ، والقروح ، وغير ذلك مما في البدن واليدين وغيرهما فلا بأس .

والأعمدة من هذا الحلي ما لا تتغير مثـــل : الفطس ، والزرقة ، والطول ، والقصر ، وأشباه ذلك . فانْ اقتصر مقتصر عليها أجْزَتْ وأغْنَتْ ـ اِنْ شاء الله ـ .

واذا استحق الجند أخرج الكاتب الجرايد باستحقاقهم ، فذكر الطمع في وسط الرقعة ، فقال في وسطها : المختارون ، والمماليك ، أو غيرهم . ثم قال في سفلها الأيمن : « فلان الفلاني » ، وجعل جاريه تحته . ثم ذكر

---

(١) القرن : وهو أن يطول الحاجبان حتى يلتقى طرفاهما .
البلج : وهو ان ينقطع الحاجبان ويكون ما بينهما نقيا من الشعر . والعرب تستحسنه وتمدح به ويكرهون القرن (ينظر المخصص ج١ ص ٩٢ ، ٩٣) .

(٢) وفيه القنا : وهو الذى يرتفع وسط من طرفيه وتسمو أرنبته وتدق ، رجل أقنى وامرأة قنواء (المخصص ج١ ص ١٣٢) .

(٣) وفيه الفطس : وهو عرض الارنبة وتطامن قصبة الانف مع انتشار فى منخريه ، رجل أفطس وامرأة فطساء . (المخصص ج١ ص ١٣٢) .

(٤) فى المختار « رجل أدرد بين الدرد أى ليس فى فمه سن والانثى درداء وبابه طرب » (م.ج) .

(٥) جاء فى المختار « السن الشاغية هى الزائدة على الاسنان وهى التى تخالف نبتتها نبتة غيرها من الاسنان يقال : رجل أشغى وامرأة شغواء وقد شغى من باب صدى » (م.ج) .

(٦) الشامة : علامة مخالفة لسائر اللون . (المخصص ج٢ ص ١١١) .

(٧) الخال : شامة سوداء ، وجمعه خيلان . (المخصص ج٢ ص ١١١) .

حليته في الشق الايسر بعد فصل يسير الى آخر الورقة • أو جعل اسمه وحليته يمنة الورقة وجاريه شرقها[1] •

وان كان الرجل المذكور قائدا أو أميرا لم يذكر حليته ، واقتصر على اسمه ، وذكر جاريه ؛ لانه ربما يحلى من لا يعرف ومن يخشى أن تقع حيلة في اسمه أو يدخل دخيل مكانه • فاما من عرف باسمه وعينه ونسبه ، فلا حاجة بالكاتب الى تحليته •

ثم يذكر عددهم ومبلغ جاريهم في آخر الجريدة ، ويكتب الى الخازن بحمل ما لهم الى مجلس العطاء • وتخرج الجرايد بالاسماء والحلي ومبلغ الجاري الى المنفقين مع المال فيتولون عرضهم ويقبض من صحت حليته منهم ورفع [٢٧٠] الحساب بما ينفقونه ، وذكر ما يوفرونه من جاري من لم يصح عرضه من البدلاء والدخلاء والاموات والغياب الى ديوان الجيش ، ورفع الحجج الى الخزان بما يحملونه اليهم •

هذا جملة ما يحتاج اليه كاتب الجيش ، وهو آخر ما يحتاج الى ذكره في أمر كاتب العقد •

(١) عبرها بالشرق عن اليسار لانه قال قبله « اجعل اسمه وحليته يمنة الورقة • فالمعاش النقدى يكون بازائها من الشرق أو هى تصحيف « يسرتها » لتقابل « يمنتها » المذكورة قبلها • (مصطفى) •

كاتب الحكم

وأمّا كاتب الحكم ، فهو كاتب الحكام . وليس شيء من أمور الدين أو اعمال السلاطين هو أعظم خطراً ، ولا أجلّ قدراً ، ولا أبقى على الايام أثراً ، من الحكم . وكيف لا يكون كذلك ، وهو خلافة النبوة ، وأمر الله في الفروج والدماء والأموال الباقي على تصرف الأحوال والزمان . ولذلك جعل الله ـ تعالى ـ الحكومة الى العُدول دون غيرهم ، فقال ـ جَلَّ مِن قائل ـ : « يحكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ منكم »[1] . وجعل الشهادة ـ أيضا ـ في العدول ، فقال : « وأشهِدُوا ذَوَي عَدْلٍ منكم ، وأقيموا الشهادةَ للهِ »[2] . وأعْلَمنا ـ عزوجل ـ أنَّه إنّما يوفق من الحكام من حسنت نيته ، وكان الصلاح طويته ، فقال ـ عزوجل ـ : « اِنْ يُريدا اِصلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَينهما »[3] .

وأمور الاحكام من ملة الاسلام ، جارية على أربعة أوجه : أحدها[4] وهو أعظمها حكم القضاء ، ثم حكم المظالم [٢٧١] ، ثم حكم الديوان وهو حكم الخراج ، ثم حكم الشرطة .

والذي يعم جميع هؤلاء انهم لا يستحقون تقلد شيء من هذه الأحكام

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٩٥ .

(٢) سورة الطلاق ، الآية ٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٣٥ .

(٤) الصواب « أولها » لان الأحد يجوز أن يكون الاول أو الثانى أو غيرهما (م.ج) .

إلا بأن يكونوا عدولاً في أنفسهم ، عالمين بما توجبه مراتب أعمالهم ، غير متعدين لرسوم أحكامهم ، يرحمون المظلوم ، ويخشنون على الظالم ، ويؤثرون الحق ، ولا يميلون مع الهوى ، ولا يشرهون الى حطام الدنيا .

ثم على القاضي أن يختار لنفسه كاتباً يكون مثله ، يقاربه في النزاهة والأمانة والعفة والعدالة والعلم بالحلال والحرام والسنن والاحكام وما يوجبه أقسام الكلام . ودليل على أنَّه يشترط عدالة الكاتب قوله تعالى : « وليكتُبْ بينكم كاتبٌ بالعَدْلِ »(١) . ووجه الدليل ، أنَّه لا يكتب إلاَّ بالعدل ، لانَّ الفاسق مُتَّهم ويحمله فسقه على خلاف المصلحة والعدل المأمور به ، فوجب أنْ يكون كما ذكرناه . وإذا كان كذلك ، فترد اليه كتب الشروط والاقرارات والمحاضر والسجلات ، وتجعله مؤتمناً على خزن ذلك وحفظه ، واخراج مايحتاج اليه في وقت الحاجة الى اخراجه .

وقد ذكر الناس في كتاب الشروط والمحاضر والسجلات ما يغني من نظر فيه ، إلاّ أنّنا لا نحب أنْ يخلو كتابنا من مقال لكل ما نذكره لتكون معانيه [٢٧٢] كاملة فيما قصد له .

فجملة الشروط أنْ يذكر المشترِط والمشترَط عليه ويعرفهما باسمائهما وأنسابهما وبتجارتهما إنْ كانا تاجرين ، أو بصناعتهما إنْ كانا صانعين ، أو أجناسهما أو أسماء بلدانهما ، أو أنسابهما في العرب أو العجم .

ثم يذكر الشيء الذي يجمع الشرط فيه ، فإنْ كان بيعاً ، ذكرْتَ البيع ووصَفْته ، وحددت المبيع ، إنْ كان مما يحدد كالأرضين والدور . أو بجنسه ووصفت عينه ، إنْ كان مما لا يحدد كالرقيق والدواب وعروض التجارات .

ثم تذكر الثمن ومبلغه وتصف بعده ووزنه ، ثم تذكر التقابض منهما أو التفرق بعد الرضا .

---

(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

ثم يضمن البائع الدرك للمشتري ، وإنْ كان إجارة ذكرتَ الاجارة ومدتها ، والشيء الذي استؤجر ونعته وحددت ما يحـــدد منه ، ووصفت ما لا يحدد ، وذكرت مدة الاِجارة وجعلتها على شهور العرب دون غيرها وذكرت مال الاِجارة وأوقات وجوبه ، وذكرت قبض المستأجر ما استأجر ، ورضاه به ، وتفرقهما بعد الرضا . وإنْ كان فيما استؤجر نخل أو شجر استثنيت بذلك وبمواضعه من الارض من الاِجارة ، وجعلته في آخر الكتاب معاملة ومساقاة [٢٧٣] بجزء من الثمرة ، فانّه لايجوز في الاحكام غـير ذلك . وضمّنت المؤجر[١] الدرك[٢] للمستـــأجر . وإنْ كان صلحـــاً ذكرت الشيء الذي صـــولح عليـــه . وإن كان براءة وصـــفت مـــا تبرىء منه ، وإنْ كانت البراءة بعرض ذكرت العرض ، وإنْ كـــان اقراراً ذكرت مبلغـــه ، وهــل هو حال أو مؤجـل . وإنْ كان مؤجـــلا ذكرت أجَله ، ووقت حلوله ، وحددت ذلك بشهور العرب . وإنْ كان وكالة سميت الوكيل ونسبته وذكرت ماوكل فيه من خصومة ومنازعـــة وقبض ، أو صلح ، أو قسمة ، أو بيع ، أو شري ، أو غير ذلك من الاشياء التي تقع الوكالة في مثلها ، وقررت الوكيل بالقبول . وإنْ كان رهناً ذكرت أولاً الدين في صدر الـكتاب ووقت محله ، ثم ذكرت قسمتـــه وصفتـــه وحددته ، وحددت ما يحدد منه ، ثم قررت المرتهن بقبض ذلك . وإنْ وكله في بيعة عند المحل ذكرت الوكالة بذلك بعد فراغك من أمر الدين والرهن . وإنْ كانت وصية قررت الوصي بعد تسميتك إياه في صـــدر الوصية [على][٣] شرائع الاسلام ، ثم ذكرت أنه أوصى بكـذا وكذا ، وبدأت [٢٧٤] بالدَّيْن وقررته بمبلغه ، ثم ذكرت الوصيةَ بعد الدين فيما يوصي به . وليس له أنْ يوصي في أكثر من ثلث ماله . ثم سبلت ذلك في

(١) فى الاصل : المؤاجر ، والصواب « المؤجر » لانه من الرباعى آجره يؤجره ايجارا لا من فاعله يفاعله (م٠ج) ٠

(٢) فى الاصل : ازرك ، والدرك : التبعة قال فى مختار الصحاح « الدرك التبعـــة يسكن ويحرك يقال : مالحقك من درك فعلي خلاصه » ٠ ففى الاشياء المؤجرة تبعات احيانا ينهض بها المؤجر للمستأجر (م٠ج) ٠

(٣) لعله سقط منه « على » أو « على حسب » لتتسق الجملة ٠ (م٠ج) ٠

الوجوه التي نذكرها . ثم ذكرت الموصى اليه وسمَّيْتَه وقررته بالقبول إنْ كان حاضراً ، وإنْ كان غائبا فلا بأسَ ، وهو بالخيار ، إنْ شاء قَبِلَ وإنْ شاءَ لم يقبل .

ثم يؤرخ جميع هذه الكتب بالشهر والسنة اللذين أنت فيهما من شهور العرب وسني الهجرة . ثم توقع الشهادة على المشترطين ، والمشترط عليهم ، وتقريرهم بانَّ ماعقدوه على أنفسهم في صحةٍ منهم وجواز أمرٍ منهم قد أقروا به طوعاً بعد تفهمه ومعرفة ما فيه .

وأما المحاضر ، فانَّ الكاتب يكتب اذا حضر القاضي رجلان ، فادعى أحدهما على صاحبه حقاً فأقر له به ، ويذكر اسمه ونسبه في يوم كذا ، من شهر كذا ، من سنة كذا ، فلان بن فلان ، وفلان بن فلان . فعرفهما بأسمائهما ونسبهما ، وإن لم يكن يعرفهما بأسمائهما ونسبهما قال : رجل ذكر أنَّه فلان بن فلان ، ويصفه ويحليه . ورجل ذكر أنَّ اسمه : « فلان ابن فلان » ويصفه ويحليه أيضاً . فادعى فلان ، أو الذي ذكر أنَّه فلان على فلان ، أو على الذي ذكر أنَّه فلان كذا وكذا ، فأقر له بذلك . وإنْ كانت وكالة قال : قد ذكر أنَّه قد وكل [٢٧٥] فلان بن فلان ، ويذكر ماوكله به ويقول حضر فلان بن فلان ، فقبل منه ذلك وتولاه له . فانْ أحضر المدعي كتابا يريد أنْ يثبته بحق أو بيع أو غير ذلك قال : وأحضر معه كتابا ادعى فيه على فلان بن فلان ، أو الذي ذكر أنه فلان بن فلان مافيه نسخته . وينسخ الكتاب ثم يقول : واحضر معه من الشهود فلان بن فلان ، وفلان بن فلان ، وادعى شهادتهما له بما تضمنه الكتاب الذي أحضره فسألهما القاضي عما عندهما في ذلك فَشهدا أنَّ فلان بن فلان أقرَّ عندهما وأشهدهما على نفسه في صحة منه وجوازِ أمْرٍ مما سمي ووصف فيه ، فقبل القاضي شهادتهما بذلك وأمضاها . وإنْ أراد القاضي أنْ يُسجِلَ بذلك ، وليس يجوز أن يسجل إلاّ على مَنْ عرفه ، فليذكر في صدر الكتاب اشهاد القاضي ويسميه وينسبه في مجلس حكمه وقضائه وهو يلي

القضاء لعبدالله فلان بن فلان . ويذكر لقبه ، والناحية التي استقضاه عليها ، ويذكر حضور من حضره ، ونسخة الكتاب الذي ادّعى عنده بما فيه . ويذكر بعد ذلك شهادة الشاهدين ولا يسميهما ، بل يقول : رجلان عرفهما القاضي بما قبل معه شهادتهما » ، ثم يقول : فانفذ القاضي الحكم بما ثبت [٢٧٦] عنده من اقرار فلان بن فلان بجميع ما سمى ووصف في الكتاب المنسوخ في صدر هذا الكتاب بشهادة الشاهدين المذكورين فيه ، وحكم به ، وأمضاه بعد أنْ سأله فلان بن فلان ذلك ، وقد جعل القاضي فلان بن فلان كل ذي حجة على حجته . ثم يشهد على نفسه بانفاذ ذلك ، ويؤرخ الكتاب بالوقت الذي يسجل فيه جملة في الشروط مقنعة . واذا أضاف اليها علم الكاتب باختلاف الفقهاء والعلماء حتى يحتاط على ألفاظه ويخرجها من الخلاف الى الاجماع فيحوطها من تأولٍ يُبْطلها ، وذلك مثل قولهم : « لاشرط فيه ولا خيار » ، وقوله : « وتفرقا جميعاً بعد عقد البيع بينهما عن تراضٍ بذلك » ، وقوله : « واختارا فيما وقع عليه عقد هذا البيع فثبتا على امضائه » . وانما ذلك لما قد رُوي في باب الخيار من الاختلاف ، وانه قد جاء البيع صفقةً أو خيارا . وجاء أنَّ الخيار الى ثلاث، وجاء « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

فقوله : « لاشرط فيه ولا خيار » يوجب الصفقة . وقوله : « واختارا بعد عقد هذا البيع فيما وقعت عليه عقدة هذا البيع فثبتا على امضائه » ، يزيل الخيار في ترك الثلاث . وقوله : « وتفرقا بعد عقدة هذا البيع عن تراضٍ منْهما » ، يزيل هذا التأويل في قوله : « البيعانَ بالخيار ما لم يتفرقا »[1] . [٢٧٧]

---

(١) فى النهاية لابن الاثير ج٢ ص ٩١-٩٢ : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا . الخيار: الاسم من الاختيار وهو طلب خير الامرين : اما امضاء البيع أو فسخه . وهو على ثلاثة أضرب : خيار المجلس وخيار الشرط وخيار النقيصة ، أما خيار المجلس فالاصل فيه قوله : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا الا بيع الخيار » . أى : الا بيعا شرط فيه الخيار فلا يلزم بالتفرق . وقيل : معناه : الا بيعا شرط فيه نفى خيار المجلس فلزم بنفسه عند قوم . وأما خيار الشرط فلا تزيد مدته على ثلاثة أيام عند الشافعى أولها من حال العقد أو من حال التفرق . وأما

فتكرار هذه الالفاظ قد أخرج البيع عن شروط الخيار كلها ، وأوجب صحتـــه .

وكان مع علمه بمذاهب الفقهاء وخلافهم ، عالماً بوجوه الكلام ، مميزاً لما تحتمله ألفاظ الخواص والعوام حتى يأتي في لفظه ، وتعلم قوله بحراسة الشروط من الاشتباه في المعاني ، والاشتراك فيها . وذلك مثل استعمال كثير من أصحاب الشروط في موضع ذكر التسليم قولهم : « بغير دافع ولا مانع ». وظنهم أنَّ « غير » لما كانت جَحْداً في بعض أحوالها انّها تقوم مقام « لا ». وليس الامر كذلك ، لانَّ « لا » حرف جحد لا يجوزَ أنْ ينصرف في معناه في هذا الموضع الى معنى آخر . و « غير » قد تـكون بمعنى الـكثرة فيقال : « لقيت فلانا غير مرة » و « جاءني غير واحد من أصحابنـــا » . بمعنى : « لقيته أكثر من مرة » و « جاءني أكثر أصحابنا » .

فاذا قلت : « بغير دافع » جاز أنْ يحتمل معنى القول انك أكثر من دافع[1]. واذا قلت : « بلا دافع » ، جاز أنْ يحتمل شيئاً من ذلك . فاذا فهم هـذا الاشتراك والاشتباه ، وأخرج لفظه عن التأويل والاشتباه ، وأخرج لفظه عن التأويل والاحتمال مع اخراجه إيَّاه عن الحادث الذي يوجبه الفقـه ، كان بالـكفاية [٢٧٨] موصوفا ، وبالحذق في صناعته معروفا ــ إنْ شـاء الله تعالى ــ .

حيار النقيصة فان يظهر بالمبيع عيب يوجب الرد آو يلتزم البائع فيه شرطا لم يكن فيـــه ونحو ذلك » (وينظر لسان العرب ــ خير) .

(١) هذه من مبالغات المؤلف رحمه الله فى الاحتياط فغير لم ترد وحدها لتكون مشتركة وانما أيد نفيها قوله « ولا مانع » (م٠ج)

كاتب صاحب المظالم

وأمَّا كاتب صاحب المظالم ، فهو مثل كاتب القاضي في جميع أوصافه وعلمه بواجب الكلام وممتنعه ومحتمله ومعرفة الشروط ، وما يوجبه الحكم فيها . غير انَّه لايحتاج الى الكتب والشهادات ، لانَّه لا يحكم بشيء يسجل به ، وانَّما اليه أنْ يخرج الأيدي الغاصبة ، ويثبت الايدي المالكة ، ويلزم الناس الحقوق بالخبر الشائع والشهرة والاستفاضة وشهادة صلحاء المجاورين وأهل الخير المستورين . وليس اليه تعديل شاهد ، ومتى تكافأت الشهادات عنده ممن هذه سبيله في الستر والخبرة ، وتوازنت الاستفاضة والشهرة حتى لايوجد في أحدهما من القوة على صاحبه ومشابهة الحق في بعض أحواله ما يجوز له أنْ يغلب على الخير ، ويحكم به ، وأعجزه مع ذلك أنْ يوقع بين الخصوم في منازعتهم صلحاً يرضون به ردّهم الى القاضي ليقْطع بينهم الحادثة باليمين التي جعلت عوضاً من البينة[١] ، فليس بين كاتب صاحب المظالم ، وبين كاتب القاضي كبير فرق يذكر فنستقصيه[٢] .

---

(١) وهى ما يثبت الحق ويؤيد الصدق عند القاضى (م٠ج) ٠

(٢) أى : نتقصاه ونبلغ بالتفصيل منتهاه (م ٠ ج) ٠

كاتب الديوان

وأمَّا كاتب الديوان ، فيحتاج ـ مع ماقدمنا من الأوصاف ـ أنْ يكون جيد الفهم ، صحيح الذهن ، عارفاً [٢٧٩] بأحكام الديوان ، غير جاهل مع ذلك بأحكام الديوان ، غير جاهل مع ذلك بأحكام الحكام[١] . ويكون مع هذا قد عرف أصول الأموال التي تحمل الى بيت المال واقتسام وجوهها ، وكيف كان السبب فيها . وأحكام الارضين في وظائفها واملاك أهلها ، وما يجوز للامام أنْ يقطعه منها . ووجوه تفرقة الأموال وسبيلها ، وما يجوز في جميع ذلك مما لايجوز .

ونحن نذكر باباً باباً من ذلك بأخصر ما أمكننا فيه ـ اِنْ شاء الله ـ .

---

(١) فى الاصل : حاصل ، فى الموضعين .

وجوه الاموال

وجوه الاموال ثلاثة : فيء ، وصدقة ، وغنيمة[١] .

أما الفيء : فمعناه مارجع على المسلمين نفعـــه ، وهو مأخوذ من : « فاء ــ يفيء بالعشي »[٢] اذا رجع . ومنه قول الله تعالى : « فقاتلوا التي تَبْغِي حتى تفيءَ الى أمْرِ الله »[٣] .

وهو ينقسم أقساما كثيرة[٤] :

فمنه : ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين مما يوجـــد في مدنهم بعد فتحها ، فيقسم بين المسلمين ، فليس فيه خمس وذلك مثل كنز الفخيرجان[٥] الذي وجد بعد فتح الاهواز ، وما يجري مجراه .

---

(١) بحثت هذه المسائل بالتفصيل قديما وحديثا ، ومن الكتب القديمة المهمة فى هذا الموضوع كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى المتوفى سنة ٢٠٣ هـ ، وكتاب الاموال للامام الحافظ أبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ، وكتاب الخراج للقاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبى حنيفة ، وكتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر ، وكتاب أدب الكتاب للصولى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ أو ٣٣٦ هـ . وهى كتب مطبوعة متداولة .

(٢) فى اللسان : « فاء : رجع . وفاء الى الامر يفىء وفاءه فيئا : رجع اليه » وفيه : « والفىء بالعشى : ما انصرفت عنه الشمس » .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

(٤) فى أدب الكتاب للصولى ص ١٩٨ : « الفىء : ووجوهه خمسة .... » .

(٥) فى أدب الكتاب ص ١٩٨ : « كالذى فعل عمر ــ رضى الله عنه ــ فى كنز الفخيرجان ، وقد أتى به السائب وقد ولاه قسمة الغنائم بنهاوند لما فتحها الله على المسلمين . جمـــع السائب الغنائم فقسمها ثم جـاء من دله على الـــكنز فاستخرجه ، وكان سفطين من جوهر فأتى بهما عمر ــ رحمه الله ــ فأمره أن يبيعهما ويقسم ثمنهما بين الذرية ، ولم يأمره أن يخمسه . فتبين انه جعـــله فيئا ، ولم يجعله غنيمة » .

ومنه : ما أفاء الله ـ سبحانه ـ على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أهل المدن والقرى التي أجلاهم الرعب ، فلم يقاتلوا ، ولم يوجف عليهم بخيل ولا ركاب . فذلك لايخمس ، ويفرق بين المسلمين [٢٨٠] كما ذكر الله ـ سبحانه ـ في سورة « الحشر »[١] .

ومنه : الأرضون التي صالح أهلها عليها بشيء يؤدونه في كل سنة ، فذلك ـ أيضا ـ فيء لايخمس . ومنها الأرضون التي فتحت عنوة وأقرت في أيدي أهلها ، وجعلوا عمّالاً للمسلمين بها ، وضُرِب عليهم فيها الخراج ، كما فعل عمر ـ رضي الله عنه ـ بالسواد . فذلك فيء لا يخمس[٢] .

ومنه : جزية رؤوس أهل الذمة ، وما يؤخذ من نصارى بني تغلب عوضا عن الجزية[٣] .

وأمَّا الصدقة : فليست تلزم عند الشيعة إلا في سبعة أصناف : العين ، والورق ، والبر ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والمواشي السائمة ، وأما غيرهم فنحن نذكر قوله .

وما يلحق بذلك الركاز[٤] ، وهو ما وجد من دفائن الجاهلية وفيه

---

(١) قال تعالى : « وما أفاء الله على رسوله منهم ، فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير . ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ، فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » . (سورة الحشر ، الاية ٦ وما بعدها) .
(ينظر كتاب الخراج للقرشى ص ٣٤ ، والاموال لابن سلام ص ٢٢١ وما بعدها ، والخراج لابى يوسف ص ٢٣ وما بعدها) .

(٢) ينظر كتاب الاموال ص ٥٥ وما بعدها .

(٣) ينظر كتاب الخراج للقرشى ص ٦٥ ، وكتاب الاموال ص ٢٩ .

(٤) فى كتاب الخراج للقرشى ص ٣٢ : « قال يحيى : سألت حسن بن صالح عن الركاز فقال : هو الكنز العادى ما كان من ضرب الاعاجم وفيه الخمس . وقال غير الحسن : الركاز هو الذهب والفضة التى لم تخلق مع الارض ، ففيه الخمس. » وفى الخراج لقدامة بن جعفر ص ١٣٦ : « وسمى الركاز بهذا الاسم ، لانه ركز بالارض ، أى : ادخل فيها » .

الخمس . وقاس أهل العراق المعادن عليه ، وقال أهل الحجاز : منها الصدقة معجلة[1] .

فأما الغوص[2] وسيب البحر فلا زكاة فيه على مذهب أكثر الفقهاء ومنهم من يقيسه بالركاز .

فالصدقة اذنْ ضربان : زكاة وخمس . والزكاة[3] تجب في كل سنة إذا حال عليها الحول على المال . فان كان ورقاً ، كان في كل مائتي درهم خمسة دراهم وما زاد فبحساب ذلك ، فان كان عيناً ففي كل عشرين [٢٨١] دينارا نصف دينار وما زاد فبحساب ذلك ، وما نقص عن هذين العددين فلا شيء فيه[4] . وليس عند الشيعة في المائتي درهم اذا زادت زيادة على الخمسة الدراهم حتى يبلغ مائتين وأربعين درهما فيكون فيها ستة دراهم . وكذلك مازاد في كل أربعين درهما درهم ، وما نقص عن ذلك فلا شيء فيه ، وهو بمنزلة الاشناق والاوقاص[5] . وليس عندهم في الزيادة على العشرين

---

(١) فى الخراج لقدامة ص ١٠٤ : « وأهل العراق يجعلون الركاز المعدن والمال المدفون كليهما . ويقولون : ان فيهما الخمس . ويقول أهل الحجاز : ان الركاز هو المال المدفون خاصة ، وفيه الخمس . فاما المعدن فليس بركاز ، ولا خمس فيه ، انما فيه الزكاة » .

(٢) وهو الغوص فى البحر لاستخراج اللؤلؤ . (م.ج) .

(٣) فى الاصل : **الركاز** .

(٤) فى كتاب الاموال ص ٤٠٨ : « حدثنا يزيد عن حبيب بن أبى حبيب عن عمرو ابن هرم . عن محمد بن عبدالرحمن الانصارى : ان فى كتاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفى كتاب عمر فى الصدقة : أن الذهب لا يؤخذ منه شىء حتى يبلغ عشرين دينارا ، فاذا بلغ عشرين دينارا ففيه نصف دينار . والورق لا يؤخذ منه شىء حتى يبلغ مائتى درهم ، فاذا بلغ مائتى درهم ففيها خمسة دراهم » . وفى ص ٨٨ أيضا : « حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي قال : « فى كل عشرين دينارا نصف دينار ، وفى كل أربعين دينار ، وفى كل مائتى درهم خمسة دراهم » .

(٥) الاشناق : سيفسرها **المؤلف** .

الاوقاص : سيفسرها **المؤلف** .

فى الاموال ص ٣٨٣ : « ان الاوقاص لا فريضة فيها » . وفى ص ٣٨٤ : « قال حدثنا حجاج عن ابن جريج وحماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن طاوس أن معاذ بن جبل قال باليمن : « لست بآخذ من اوقاص البقر شيئا حتى آتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فان رسول الله لم يأمرنى فيها بشىء » .

ديناراً شيء حتى تبلغ ثلاثين ديناراً فيكون فيهـــا نصف وربع ، وما زاد فبحساب ذلك . ومالا يجب في الزيادة فيه ربع دينار ، فليس يلزم فيه شيء .

والتجارة فيها الصدقة بحساب ثمنها اذا كانت مما يجب فيه الزيادة . فانْ بقيت سنين في يد صاحبها ، فقد اختلف الناس في ذلك فقـــال قوم : يزكيها لما مضى عليها من السنين . وقال قائلون : ليس عليه غير زكاة واحدة وهو المعمول عليه .

وليس على الحلي زكاة الا عند الشافعي[1] وأهل الحجاز ، ولا على المواشي العاملة غير السائمة . ولا على الخيل ، ولا على الحمير صدقة[2] ، وانما الصدقة في الشاء والابل والبقر السائمة وفي كل خَمْسٍ من الابل شاة . ثم مازاد على ذلك ففي كل خَمْس شاة الى خَمْس وعشرين ، فاذا صارت ستاً [٢٨٢] وعشرين ففيها بنت مخاض . فانْ لم يوجد فابن لبون[3] ذكر الى خمس وثلاثين . فاذا بلغت ستاً وثلاثين ، ففيها بنت لبون الى خمس وأربعين . فاذا بلغت ستاً وأربعين ففيها حقة الى ستين[4] . فاذا بلغت احدى

وفى ص ٣٨٤ : « قال أبو عبيد : والاوقاص : ما بين الفريضتين ، وهو عـــلى التفسير الذى ذكرناه فى حديث ابن لهيعة الاول · وكذلك الاشناق فى الابل · وليس يؤخذ فى صدقة البقر من الاسنان غير سنين » ·

(١) هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى ، أبو عبدالله ، أحد الائمـــة الاربعة · توفى سنة ٢٠٤ هـ · (معجم الادبـــاء ج ٦ ص ٣٦٧) ·

(٢) فى أدب الكتاب ص ٢١٠ : « وقال أهل الحجاز : لا زكاة فى خيل ولا رقيق الا زكاة الفطر التى تلزم الاحرار · ولا فى شيء من دواب الوحش ، ولا زكاة فى لؤلؤة ولا ياقوت ولا مرجان ولا لباس ولا فى شيء من العروض الا زكاة التجارة ، فهى على ما سميت لك فقس على ذلك » ·

(٣) الناقة اللبون : الملبن ، وابن اللبون : ولدها فى هذه الحالة ·

(٤) فى أدب الكتاب ص ٢٠٠ : « وفى الابل اذا بلغت خمسا شاة ، واذا بلغت عشرا شاتان ، واذا بلغت خمس عشرة ثلاث شياه ، واذا بلغت عشرين ففيها أربع ، فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض ، فان لم تكن ابنة مخاض فابن لبون الى خمس وثلاثين · فاذا زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس وأربعين · فاذا زادت واحدة ففيها حقة الى ستين · فاذا زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين · فاذا زادت واحدة ففيها حقتان الى مائة وعشرين · ثم يكون فى كل أربعين ابنة لبون ، وفى كل خمسين حقة · وبعض الفقهاء يقول : تستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين كما كانت فى الابتداء لكل خمسين شاة » ·

وستين ففيها جَذَعة[1] الى خمس وسبعين ، فاذا زادت واحدة ففيها بِنْتا لَبُونٍ الى تسعين ، فاذا زادت أخرى ففيها حقتان الى مائة وعشرين . فاذا زادت ففيها جذعتان ، ثم بحساب ذلك في كل أربعين بنتُ لبون . وفي كل خمسين حقة ، وفي كل ستين جذعة" . ومن الفقهاء من يستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين فيجعل في كل خمسين شاة[2] الى آخر الفرائض .

وليس بين الاشناق صدقة ، وهو ما بين الفريضتين في الابل ، واحدها شنق .

وأما البقر ففي كل ثلاثين تبيع"[3] ، وفي كل أربعين مسنة" ، وما زاد فبحساب ذلك .

والوقص في البقر مثل الشنق في الابل ، وهو ما بين الفريضتين[4] .

وأمَّا الغنم فليس في مادون أربعين صدقة ، فاذا صارت أربعين ففيها شاة حتى تبلغ مائة واحدى وعشرين . فاذا بلغَتْها ففيها شاتان الى مائتي شاة وشاة ، فاذا بلغتها ففيها ثلاث شياه . ثم ليس في زيادتها شيء حتى تبلغ أربعمائة . فاذا بلغتها ففيها أربع شياه ، وما زاد بعد ذلك ففي كل مائة شاةٍ شاة" [5] .

فأمَّا زكاة الأقوات ، فانّ الفقهاء يقولون : اِنَّ كُلَّ ما اقتاته[6]

---

(١) الجذع : الصغير السن ، وهو يختلف فى اسنان الابل والخيل والبقر والشاء .

(٢) فى أدب الكتاب ص ٢٠٠ : « وبعض الفقهاء يقول : تستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين كما كانت فى الابتداء لكل خمسين شاة » .

(٣) التبيع : العجل المدرك ، الا انه يتبع أمه بعد .

(٤) ينظر كتاب الاموال ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، وما بعدها ، وكتاب الخراج لابى يوسف ص ٧٦ وما بعدها .

(٥) فى أدب الكتاب ص ٢٠٠ : « وفى الغنم فى كل أربعين شاة ، ثم ليس فيها شيء حتى تزيد على عشرين ومائة ، فاذا زادت واحدة ففيها ثلاث شياه الى ثلثمائة . ثم يكون فى كل مائة شاة ، ولا يؤخذ من الزيادة شيء حتى تكمل مائة ، ويحول عليها الحول وهى على هذا التمام » .
« وينظر كتاب الاموال ص ٣٨٦ وما بعدها » .

(٦) أى اتخذه قوتا وهو الفعل الصحيح المشهور (م.ج)

الناس من البر والشعير والذرة والحمص والعدس واللوبيا والدخن وما أشبهه مما يؤكل ويعتمد [٢٨٣] في القوت عليه من الحبوب أو يدخر من الثمار الجافة مما هو قوت كالتمر والزبيب ففي كل خمسة أوسق[١] منه العشر . وفيما سقته السماء أو شرب بَعْلاً[٢] ، أي : بعرقه ، وما سقي بالناضح[٣] والدولاب فيه نصف العشر . والوسق ستون صاعا ، والصاع[٤] عند أهل الحجاز خمسة أرطال ، وثلاث بالعراقي ، وعند أهل ثمانية أرطال ، وعند الشيعة تسعة أرطال . وقد ذكرنا قول الشيعة فيما يلزم الزكاة عندهم من ذلك[٥] .

وما كان من الأبازير مثل الشونيز[٦] والسمسم والخردل ، ومن الفواكه مثل العنب والتين والعنّاب والنبق والفسدق والجوز ، فلا صدقة فيه[٧] .

---

(١) الوسق : مكيلة معروفة ، وقيل : هو حمل بعير ، وهو ستون صاعا بصاع النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو خمسة أرطال وثلث . فالوسق على هذا الحساب مائة وستون منا .

(٢) جاء فى مختار الصحاح : « والبعل – أيضا – العذى ، وهو ما سقته السماء ، وقال الاصمعى : « العذى : ما سقته السماء ، والبعل ما شرب بعروقه (م.ج) . وفى الحديث الشريف : « ما سقى بعلا ففيه العشر » . وهو ما شرب من النخيل بعروقه من الارض من غير سقى سماء ولا غيرها . (ينظر النهاية ج١ ص ١٤١) .

(٣) الناضح : الثور أو الحمار أو البعير الذى يستقى عليه الماء ، والانثى ناضحة (اللسان – نضح) .

(٤) فى الخراج للقرشى ص ١٤١ : الصاع : القفيز الحجاجى ، وهو ثمانية أرطال . ... وهو أقل من ثمانية أرطال وأكثر من سبعة أرطال ... الحجاجى على صاع عمر – رضى الله عنه – ... الحجاجى هو الصاع ... الصاع مثل الحجاجى ... صاع عمر أو قفيز عمر مثل الحجاجى ... »

(٥) فى أدب الكتاب ص ٢٠١ : « وصدقة الارض العشر مما يخرج الله منها اذا بلغت خمسة اوسق . والوسق ستون صاعا ، والصاع خمسة أرطال وثلث بالرطل البغدادى فى قول أهل الحجاز . وهو فى قول أهل الكوفة خمسة أرطال بهذا الرطل اذا كانت الارض تشرب سيحا او ماء السماء ، وان كانت تشرب بدولاب وما أشبهه ففيه نصف العشر » .

(٦) الشونيز – بالزاى – وهو الحبة السوداء من الحبوب (م.ج) .

(٧) قال أبو عبيد فى كتاب الاموال ص ٥٠٣ : « فالعلماء اليوم مجمعون من أهل العراق والحجاز والشام على أن لا صدقة فى قليل الخضر ولا فى كثيرها اذا كانت فى أرض العشر ، وكذلك الفواكه عندهم . وانما اختلفوا فى غيرها من الحبوب والقطانى » .

ومن الزكاة ، زكاة الفطر وهي واجبة على كل مسلم من ذكر أو انثى ممن قدر على أدائها . فمن كان حُرّاً بالغاً فعليه أنْ يؤديها عن نفسه ، ومَنْ كان عبداً أوْ طفلاً أدّاها عنه مالكه أوْ وليه ، وهو صاع من كل طعام يكون قوتاً للانسان على مذهب أهل الحجاز والشيعة . وأمَّا أهْل العراق فيخرجون في ذلك نصف صاع حنطة أو صاعاً من شعير أو بر أو زبيب . ومن لم يجد فأداء ثمن ذلك على أعدل قيمة ، أو أخرج خبزاً أو غير ذلك ، أجْزاه على مذهب العراقيين والشيعة ، ولم يُجْزِ عنه على مذهب أهل [٢٨٤] الحجاز .

فأمّا الغنيمة : فهو ماغنمه المسلمون من عسكر المشركين ففي ذلك الخمس ، تجمع الغنائم فتقسم أخماساً فيأخذ السلطان الخمس فيفرقه أخماسا على مارتبه الله ـ عز وجل ـ في سورة الأنفال[1] ، فيجعل سَهْم اللهِ والرسول للامام ، وأربعة أخماس الخمس الباقية لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ويجعل باقي الغنائم لمن شهد الحرب ، فيقسم بينهم فيعطى الفارس سهمين ، والراجل سهما على مذهب الحجازيين والشيعة ، ويُدفع على مذهب أهل العراق الى الفارس سَهْم وسهمان لفرسه ، والى الراجل سهم .

---

(١) قال تعالى فى سورة الانفال ، الآية ٤١ : « واعلموا ان ما غنمتم من شىء ، فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان ، والله على كل شىء قدير » .
(وينظر كتاب الخراج لابى يوسف ص ١٨ وما بعدها ، وكتاب الخراج للقرشى ص ١٧ وما بعدها) .

حكم الارض فيما يُجتبى منها

وأما ما افتتح من الأرضين عنوةً ، فالامام فيها مخير ، إنْ شاء قسمها بين أهلها المستحقين لها ، وأخَذَ الخمس منها فقسمه على أهله ، كما فعل رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في بني النضـير[1] . فاذا فعل ذلك صارت أرضَ عشرٍ وملكها أهلها ، وكان ما يؤدون عنها صدقة . وإنْ شاء أنْ يقرها في أيدي أهلها بخراج يضربه عليهم أو مقاسمة أو معاملة إنْ كانت نخلا وشجراً . أوْ يكون ذلك فيئاً يقسمه على أهل الفيء مع ما يقبضه من جزية رؤوس أهل الذمة ، فعل ذلك[2] .

وقد أقر عمر ــ رضوان الله عليه ــ بمشورة من الصحابة ، الخراج

---

(١) تنظر أحكام الارضين فى أدب الكتاب للصولى ص ٢٠٩ ، ومقالة « أحكام الرسول فى الاراضى المفتوحة » للدكتور صالح أحمد العلي . (مجلة كلية الاداب والعلوم العدد الاول ص ٢٣ وما بعدها ، حزيران ١٩٥٦) .

(٢) فى الخراج لقدامة بن جعفر ص ١٣٥ : « الفيء وهو أرض العنوة . اختلف المسلمون فى أرض العنوة ، فقال بعضهم : تخمس ، ثم تقسم الاربعة الاخماس بين الذين افتتحوها . وقال بعضهم : « ذلك الى الامام ان رأى أن يجعلها غنيمة فيخمسها ويقسم الباقى كما فعل رسول الله ــ عليه السلام ــ بخيبر ، فذلك اليه . وان رأى أن يجعلها فيئا فلا يخمسها ولا يقسمها بل تكون موقوفة على كافة المسلمين كما فعل عمر بارض السواد وأرض مصر وغيرها مما افتتحه عنوة ، فعل . والوجهان جميعا فيهما قدوة ومتبع ، لان رسول الله ــ عليه السلام ــ قسم خيبر وصيرها غنيمة ، وأشار الزبير بن العوام فى مصر وبلال فى الشام بمثل ذلك ، وهو مذهب مالك بن أنس . وجعل عمر بن الخطاب السواد وغيره فيئا موقوفا على المسلمين ممن كان منهم حاضرا فى وقته ومن أتى بعده ، ولم يقسمه وهو رأى أشار به عليه على بن أبى طالب ــ رضوان الله عليه ــ ومعاذ ابن جبل » .

في أيدي أهله ، وضرب عليهم الخراج لكل جريب درهم وقفيز . وأحسب ذلك قد كان رسماً في أيام الاعجام[1] [٢٨٥] فأقَرَّه عمر ، لانَّ زهيراً ـ وكان جاهلياً ـ يقول : [من الطويل]

فَتُغْلِلْ لكم ما لا تُغِلُّ لأهْلِها
قُرى بالعراق من قَفيزٍ ودِرْهَمِ[2]

وجعل على أهل الذمة الجزية طبقات . وانما كان يُؤْخَذ منهم في أيام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكل حالم دينار أو قيمته من المعاز[3] ، فجعل هو الطبقة العليا أربعة دنانير ، والوسطى دينارين ، والسفلى دينارا واحداً . وللامام أنْ يزيد في الخراج والجزية ، ويقبض منهما على حسب مايراه أعْمَرَ للبلاد وأرْفَق بالعباد .

وهذا مذهب أكثر الفقهاء . وأصل أراضي العنوة للمسلمين مشاع بينهم ، وانما يتبايع الناس فيها السكنى وقيمة الابنية والنخل والشجر وغير ذلك .

فأمَّا الأرض التي صالح عليها أهلها بشيء معلوم يؤدونه في كل سنة، فهو على ماصولحوا عليه ولا يزاد فيه عليهم ولا ينتقصون منه . وعلى الامام أنْ يقضي ذلك على سائر الارض ويعدل بين عامرها وغامرها ، فيخفف عن الغامر ، ويزيد على العامر ، ويتفقد ذلك في كل مدة من الأزمان . فقد يعمر الغامر ، ويخرب العامر ، فيردُّ فضل ذلك على بعض حتى لا يُضعف

---

(١) فى الاصل الامام . يقول الدكتور مصطفى جواد : « الظاهر ان أصلها الاعجام جمع العجم ، وقد جمعت كما جمعت الاعراب ، ثم اختص الاسم باهل البادية ، وقد جمع الجاحظ العجم على الاعجام فى الحيوان ج١ ص ١٨٦ » .

(٢) البيت من معلقة زهير بن أبى سلمى (ينظر شرح ديوانه ص ٢١ ، وشرح المعلقات السبع ص ١٠٣) . يقول : « يعنى هذه الحرب تغل لكم من هذه الدماء ما لا تغل قرى بالعراق وهى تغل القفيز والدرهم . وهذا تهكم منه أى استهزاء » .

(٣) المبادر الى الذهن من ظاهر اللفظ ان أصله من (المعز) وهو خلاف الضأن من الغنم ، ولكن يعرض لنا سؤال لماذا كان يختار المعز على الضان ؟ فلعل للفظة أصلا آخر اذن . (م.ج) .

أحوال بعض رعيته . وهذا هو أصل القوانين في أراضي الصلح . وهـذه الأرضون لاهلها يتبايعونها ويملـكونها ، وإنما عليهم فيها وظيفة[١][٢٨٦] الفـاوون[٢] .

وأما الأرض التي أسْلم أهلها عليها مثل مخاليف اليمن والطـائف ففيها الصدقة . وكذلك المدن التي أختطها المسلمون مثل البصرة وما شاكلها من جميع ذلك ، الصدقة من العشر نصف العشر ـ كما ذكرنا ـ هي ملك لأهلها . وقد اختلف الناس فيها إذا ملكها الذمي بعد المسلم ، فقـال قوم : « عليه فيها العشر » ، لانّ الحق انما يجب على الأرض . وقال آخرون : « بل عليه الخراج » ، لانّ الحق عليه في أرضه . وانما وجب على المسلم الصدقة ، لانه ممن يجري عليه حكم الشريعة .

وأمَّا ما أُجلي أهله عنه ، فلم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، فالامام ـ أيضاً ـ مُخيَّر فيه ، إنْ شاء قسَّمه على سائر المسلمين ، وإنْ شاء أقرّه وجعل غلته مقسومة عليهم . وقد فعل النبي ـ صلى الله وسلم ـ في خيبر مثل ذلك[٣] .

وأمَّا الصوافي[٤] التي كانت للملوك من الـكفار ، فهي للامام يقطع منها ذوي البلاء وأولي الغنـاء[٥] ، ويستعين بغلتهـا في نوائب المسلمـين ، ويصرفها في مصالحهم . وقد أقطعت الائمة مما جرى في هذا المجرى أشياء،

(١) الوظيفة : ما يعين من عمل أو رزق أو طعام للانسان أو عليه ، فيقال : وظف له ووظفه ، اذا اعطاه . ووظف عليه اذا أخذ ذلك منه . (م٠ج) .

(٢) يظهر انه اصطلاح زراعى مثل كرى الانهار العامة المشتركة واصلاح الارضين الزراعية . (م٠ج) .

(٣) قال أبو عبيد فى الاموال ص ١١٠ : « وممن من عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل خيبر ، وانما افتتحت عنوة ... فقسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرضها ومن على رجالها ، وتركهم عمالا فى الارض ، معاملة على السطر . لحاجة المسلمين اليهـم ، حتى اجلاهم عمر ـ رحمه الله ـ حين استـغنى الناس عنهم » .

(٤) الصوافى : الاملاك ، والارض التى جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها . واحدتها : صافية .

(٥) أى الضرورى والكفاية فى المهمات (م٠ج) .

وعلى المقطع لها فيها الصدقة .

فأمَّا ماخرج من هذا من أراضي العنوة أو الصلح أو العشر أو مالا يملكه الامام ، وانـّما هو لجماعة المسلمين أو لاهله [٢٨٧] من أهل الذمة وأهل العهد ، فلا يجوز اقطاعه .

وأمَّا الأرض الموات ، وهي التي لامالك لها ، فهي لمن أحياها واستخرج لها شُرباً . وعليه فيها إن كان مسلماً ، الصدقة ، وان كان ذميا الخراج . ويجوز أن يقطع الامام من أرض الموات قبل أن تحيا ماشاء ، لانـّه لا ملك عليها لأحد وكذلك أراضي الجوامد والمعادن والقبوض والاحكام والجزائر وما أشبه ذلك[١] .

وأمَّا نصارى بني تغلب ، فان عمر – رضي الله عنه – أعفاهم من الجزية ، وضاعف عليهم الصدقة ، لانـّه خشي مع أنفتهم من الصغر واعطاء الجزية ، أن يصيروا الى أرض العدو فيزيدوا في شوكته . وكان أمير المؤمنين – عليه السلام – يقول : « إنّ لي فيهم رأياً لو فرغت لهم »[٢] .

★ ★

فأمَّا الوجوه التي تصرف فيها هذه الاموال ، فانّ الفيء لاهل هذه الآيات : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القُرى ، فلله وللرسول ولذي

---

(١) ينظر الخراج للقرشي ص ٨٤ وما بعدها ، والخراج لابى يوسف ص ٦٣–٦٧ ، وص ٩١ وما بعدها .

(٢) فى كتاب الاموال ص ٢٨ : « وحدثنى سعيد بن سليمان عن هشيم ، قال : أخبرنى مغيرة عن السفاح بن المثنى عن زرعة بن النعمان – أو النعمان بن زرعة – انه سأل عمر بن الخطاب وكلمه فى نصارى بنى تغلب ، وكان عمر قد هم أن يأخذ منهم الجزية فتفرقوا فى البلاد . فقال النعمان –أو زرعة بن النعمان– لعمر : يا أمير المؤمنين ان بنى تغلب قوم عرب يأنفون من الجزية ، وليست لهم أموال ، انما هم أصحاب حروش ومواش ، ولهم نكاية فى العدو ، فلا تعن عدوك عليك بهم . قال : فصالحهم عمر بن الخطاب على أن اضعف عليهم الصدقة واشترط عليهم أن لا ينصروا اولادهم . قال مغيرة : فحدثت أن عليا قال : « لئن فرغت لبنى تغلب ليكونن لى فيهم رأى ، لاقتلن مقاتلهم ، ولاسبين ذراريهم ، فقد نقضوا العهد ، وبرئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم » .

القُربى واليتامى والمساكين وابنِ السبيل كي لا يكونَ دُولَةً بين الاغنياء منكم»[1] الى آخر الآية . ثم فسر أنها في كل زمان ولكل قرن ، فقال : « للفقراءِ المهاجرينَ الذين أُخْرِجوا من ديارِهم وأموالهم »[2] الى آخر الآية . فنص بهذه الآية على المهاجرين ، فقال : « والذين تَبَوَّأوا الدارَ والايمانَ من قبلهم ، يُحِبّون مَنْ هاجَر اليهم ، ولا يَجِدون في صُدورِهم حاجةً »[3] [٢٨٨] الى آخر الآية .. فنصَّ بهذه الآية على الانصار ، ثم قال : « والذين جاءوا مِنْ بَعْدِهم ، يقولون : رَبَّنا اغْفِرْ لنا ولاخواننا الذين سَبَقُونا بالايمانِ ، ولا تَجْعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا »[4] الى آخر الآية . فنص بها على كل من أتى بعدهم من المهاجرين ، فليس أحد من المسلمين إلاّ وله في الفيء حق .

ولم يزلْ مال الفيء في أيام الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يُحمَلُ فيقسم على المقاتلة والذرية والصغير والكبير ، ويرضخ[5] منه للعبيد وضربهم ، ولا يجمع منه شيء الى أنْ خولف ذلك وجعل مال الفيء لارزاق الجند ، وجعل ما فضل عن ذلك مجموعاً في بيت مال المسلمين للحوادث والنوائب . فمال الفيء ، والآن في هذا الوقت ، لارزاق الائمة وأعوانهم وخلفائهم وحكامهم وعمالهم ، وللمقاتلة ومن يجري مجراهم من سائر ولاة أمورهم وأموالهم ، وللفتوق التي تنفتق عليهم .

★ ★

(١) سورة الحشر ، الآية ٧ ، وتكملتها : « وما اتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب » .

(٢) سورة الحشر ، الآية ٨ ، وتكملتها : « يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، اولئك هم الصادقون » .

(٣) سورة الحشر ، الآية ٩ ، وتكملتها : « مما اوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فاولئك هم المفلحون » .

(٤) سورة الحشر ، الآية ١٠ ، وتكملتها : « ربنا انك رؤوف رحيم » .

(٥) يقال : رضخ له أي اعطاه قليلا ومصدره الرضخ ومثله الزبد يقال زبده أى رضخ له من مال . (مصطفى) .

فأمَّا الصدقات فهي لأهل السُهمان[1] الثمانية التي نص الله عليها ، فقال : « إنَّما الصَّدقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلَّفةِ قلوبُهُم ، وفي الرقابِ والغارمينَ ، وفي سبيلِ اللهِ وابنِ السبيلِ ، فريضةً من اللهِ ، واللهُ عليمٌ حكيمٌ »[2] .

والفقير : الذي ليس له مادة ، وله قوت .

والمسكين : الذي ليس له قوت . [٢٨٩]

والعامل عليها : هو المتولي لجبايتها .

والمؤلفة قلوبهم : هو المستميل الى الاسلام ، أو كفت ، أو جنفت عاديته وشره[3] من وجوه المشركين والمنافقين وأهل الخلاف . وقد قال قوم : إنّ ذلك قد سقط وزال لظهور الاسلام ، وقال آخرون : إنَّه قائم ثابت ، وإنَّ للامام أنْ يعطي من يريد تألفه من مال الصدقات ما رأى على أنْ لايتجاوز الثُمن .

وفي الرقاب : في فك الرقاب من الأَسْر .

والغارمين : المُفْدَحين بالدَّيْنِ ، إذا لم يستدينوه في معصية ، أو كانوا قد حملوا حمالات في الدماء ، واحتاجوا منها الى أخذ الصدقة .

وفي سبيل الله : كما أريد به وجه الله من سائر وجوه البر .

وابن السبيل : كل منقطع به في بلد غربة ، فهو ابن سبيل .

فهذه وجوه الصدقات التي يصرف مالها فيها . وليس لأهل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها شيء ، لانّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرّم ذلك عليهم ، إذْ كانَتْ الصدقة أوساخ الناس ، فنزههم عنها .

★ ★

وأمَّا الغنائم : فانها لمن ذكره اللهُ ـ عز وجل ـ في سورة الأنفال ،

---

(١) السهمان ـ بضم السين ، جمع السهم بمعنى النصيب .
(٢) سورة التوبة ، الآية ٦٠ .
(٣) يقول مصطفى جواد : « فالشر هو الذى ينبغى كفه » .

حيث يقول : « واعلموا أنَّ ما غَنمتم مِنْ شَيء ، فانّ لله خُمُسَه ولِلرسول ولذي القُربي واليتامى والمساكين وابن السبيل ، اِنْ كنتم آمنتم باللهِ وما أنْزَلنا على [٢٩٠] عَبْدِنا يوْمَ الفرْقان ، يَوْمَ التقى الجمعانِ ، واللهُ على كلِ شيء قديرٌ »[١] فتقسم الغنائم على خمسة أسهم[٢] ، فيجعل أربعة منها لمن شهد الحرب من المسلمين . ثم يقسم الخمس خمسة أخماس فيجعل سهم الله لذي الأمر القائم بأمر الله بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – . ثم تقسم أربعة أخماس الخمس بين ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . وذوو القربى ، بنو هاشم وبنو عبدالمطلب دون غيرهم من سائر بطون بني عبد مناف . وقد زعم أنّ الخمس يقسم على ستة أسهم ، فيكون سهم لله – عز وجل – مفرداً عن سهم رسوله، ويكونان لذي الأمر ، وهذا قول شاذ . وذكر آخرون : أنّ سهم ذوي القربى قد سقط ، وما ذلك بعجب من زعمهم ، وكيف يسقط من بين سائر السهام ؟ وأيّ آية نسخته ؟ أم أيّ سنة أسقطته ؟ وكيف يحرمونه ؟ واِنّما جعل عوضا لهم مما نُزّهوا عنه من مال الصدقات . والله المستعان .

فهذه وجوه جبايات الأموال ، ووجوه تفرقها .

★ ★

فأما أحكام الخراج فكثيرة لايحتمل كتابنا هذا استيعابا ، ولا فرق بينها وبين سائر الاحكام اِلا فيما نحن ذاكروه . وهو أن صاحب الديوان يحكم بالخطوط التي يجدها في ديوانه ، ويلزم من سبب[٣] [٢٩١] اليه

---

(١) سورة الانفال ، الآية ٤١ .

(٢) فى الخراج لقدامة ص ١٠٧ : « وظاهر هذه الآية ينبىء أن الغنيمة فى ستة أوجه ، ولكن يفسر قوله : « لله » انما هو افتتاح كلام ، لان كل شىء لله – عز وجل – . فجعل سهم الله ، وسهم الرسول – عليه السلام – واحدا . ولم تكن الغنائم تحل لاحد قبل يوم بدر » .

(٣) فى الاصل : سبق ، ولعلها « من سبب اليه بها الاموال » وهو من المصطلحات الجبائية فى تلك العصور وهو أن يذكر سبب وجوب جباية المال ويسمى التسبيب وكذلك التحصيل (م.ج) .

بها الاموال اذا عرفت . والحـــكام لايفعلون ذلك ، ويمضي ضمان الثمار والغلات وأبواب المال ، وسائر وجوه الجبايات ، وذلك لا يُمضيه الفقهاء والحكماء ، لانَّ تضمين الغلة قبل أن تحصد هي المخـابرة[1] التي نهي عنها . وبيع الثمار قبل أنْ يبدو صلاحها ، هو بيع الغرر[2] ، وبيع ماليس عندك . وقد نهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنهما وحرمهما . وأبواب المال من الجوالي[3] وغيرها أيضاً باطل ، لانَّ الجوالي مال على رقاب بأعيانها تجب في أوقاتها بأعيانها[4] ومتى مات الواحد قبل محل ما عليه أو أسلم ، بطل ماعليه .

ووجوه الجبايات من الاسواق والعراص والطواحين على الانهـــار التي ينفرد بملكها انسان من المسلمين دون سائرهم باطل أيضا عند الحكام وجميع ذلك جائز عند الكتاب وعلى مذهب أحكام الخراج . والمتألفة من الـكتاب يجعلون مكان تضمين الثمـار المساقاة ، ومكان تضمين الغـلات تضمين الارض . وكانوا يتأولون في ضمان الارحاء أنّ ماءها ماء الخراج فيجعلون الجباية خراجا . وكذلك في الاسواق فانهم كانوا يجعلون الفدية فيها لما كانت مشتركة بين سائر المسلمين كالخراج الذي منفعته لســـائر المسلمين [٢٩٢] . فكذلك في سائر مايحكمون به من الاحكام المخالفـــة لاحكام الفقهاء وأصحاب المظالم .

وإنّما اختاروا أنْ يؤرخوا ضماناتهم بسني الخراج ، لانها أبداً على حال واحدة ولا تدور فتصير شهور الشتاء فيها صيفاً ، والصيف شـتاءاً ، لانَّها جارية على حساب الشمس . فاما سنو العرب فانَّها تدور للفضل

---

(١) يقال : « خابره أى زارعه على نصيب معين كالثلث والربع » ولكن المشهور بالمنع هو « المخاضرة » وهى بيع الثمار والغلات قبل ظهور صلاحها (م.ج) .

(٢) الغرر بالتحريك قال فى مختار الصحاح : « والغرر بفتحتين الحظر ونهى رسول الله ـ ص ـ عن بيع الغرر وهو مثل بيع السمك فى الماء والطير فى الهواء »

(٣) فى مختار الصحاح : « واستعمل فلان على الجالية ، أى : على جزية أهل الذمة ، والجمع : الجوالى » .

(٤) لعلها زائدة ، أو للتوكيد . (م.ج) .

الذي بين السنة الهلالية والسنة الشمسية ، فتصير شهور الشتاء في بعضها صيفاً ، والصيف شتاءاً ، والربيع خريفاً ، والخريف ربيعا . فسنةُ الخراج أصحُّ عندهم في أوقات الخراج وادراك الغلات ، وبلوغ الثمرات . وحوز أموال الضمانات ، فانما استعمل متألفة الكتاب الاحتياطات في ضماناتهم لذكر سنة الخراج ، وأنْ يقولوا بعد ذلك ويوافق ذلك من شهور العرب شهر كذا من سنة كذا ، فيكون ذلك ماضيا على حكم أصحاب الدواوين والقضاة . وانما كان أصحاب الدواوين يفعلون هذا في الاوقات التي كان العدل فيها فائضاً ، والجور مستقبحاً ، فأما الآن فقد سهل الامر في ذلك ، والف الجور والظلم حتى مايحتاج متأول منهم الى تأول . والله المستعان .

صاحب الشرطة

فأمّا صاحب الشرطة ، فينبغي أنْ يعلم أنَّ صاحبه إنَّما نُصب لشيئين :

أحدهما : معونة الحكام وأصحاب المظالم والدواوين [٢٩٣] في حبس من أمروه بحبسه ، واطلاق من رأوا اطلاقه واشخاص من كاتبوه باشخاصه واخراج الايدي أو اقرارها والشد عليها ، وكذلك جعل له اسم المعونة .

والآخر : النظر في أمور الجنايات ، واقامة الحدود والعقوبات ، والتفحص عن أهل الرِّيبِ والعِناد والعيث[1] والفساد ، وقمعهم ، والاخذ على أيدي اللصوص والسراق والمقامرين والفساق ، وتعزير من وجب تعزيره منهم ، وإقامة الحد على من استحق الحد منهم .

وانما اشتق له اسم الشرطة من زيّه ، لانّ من زي أصحاب الشرط نصب الاعلام على مجالس الشرطة . والاشراط : الاعلام ، ومنه قيل : أشراط الساعة ، أي : اعلامها ودلائلها . فلما دَلّ صاحب الشرطة على نفسه بالاعلام التي نصبها على موضع قعوده ، سمي بذلك .

وشرطة الخميس : الذين كانوا مع أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ .

---

(١) فى الاصل : العبث . يقول الدكتور مصطفى جواد : « لعل الاصل : والعيث بالياء ، أى الفساد » .

من هذا اشتق لهم اسمهم ، لانّ الجيش الخميس . ولما شهروا أنفسهم من بين سائر الجيش بالتبع له بالقتال معه ، وصاروا أعلاما في ذلك قيل : شرطة الخميس .

فينبغي لهذا الكاتب أنْ يجعل له مع المعرفة بأحكام الله ـ عز وجل ـ في الحدود والديات ، والجراح[1]، والجنايات ، الرقة على المستورين وذوي الهيئات[2] [٢٩٤] ، والحرصَ على سير المسلمين من أهل المروءات. فقد جاء : « أَقيلوا ذوي المروءات عثراتِهم »[3] . وأنْ يكون العفو أحَبَّ اليه من العقوبة مالم تقم بيّنة على حَدّ ٍ ، فقد جاء : « ادرأوا الحد بالشبهات »[4] . أمَّا اِذا قامت بيّنة على وجوب حَدّ ٍ ، فينبغي أنْ يحرص على اِقامته ، وأنْ لاتأخذه رأفة بصاحبه ، ولا تعطله رقة على مرتكبه ، فانَّه ليس بأرحم من الله ـ عز وجل ـ بعباده ، ولا أولى بالتفضل عليهم . ولو علم الله ـ سبحانه ـ أنّ الصلاح في تعطيل الحدود ورحمة أهلها ، لما أمرنا باقامتها ، ولا قال : « ولا تأخُذْكُم بهما رَأْفَةٌ في دينِ اللهِ اِنْ كنتم تؤمنونَ باللهِ وباليومِ الآخرِ »[5] . ولا قال : « ولكم في القصاص حياةٌ ياأولى الألباب »[6] . ولا تحمله القسوة على أصحاب الحدود أو غيرهم من المفسدين على أنْ يزيد في حدودهم ، أو يتعدى بهم أمر الله ـ عز وجل ـ فيهم ، فانَّ الله ـ سبحانه ـ يقول : « ومَنْ يَتَعَدَّ حدودَ اللهِ فقد ظلمَ نفسَهُ »[7] . وحسب الانسان أنْ يقف حيث وقف بهحكم

---

(١) الجراح جمع الجرح ، لان للجروح حدودا فى الدين ولها ديات تسمى الاروش جمع الارش بوزن العرش . (م.ج) .

(٢) ذوو الهيئات هم الاعيان .

(٣) فى نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٥ : وقال عليه السلام : « أقيلوا ذوى المروءات عثراتهم ، فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه » .
العثرة : السقطة . اقاله عثرته : رفعه من سقطته .

(٤) فى النهاية لابن الاثير ج٢ ص ١٠٩ : « ادرأوا الحدود بالشبهات » أى : ادفعوا .

(٥) سورة النور ، الآية ٢ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .

(٧) سورة الطلاق ، الآية ١ .

الله . فلو علم الله ـ عز وجل ـ أنّ الزيادة في العقوبة على ما حَـدَّ هو أردع لاهل المعاصي لزاد فيها .

وأقل الحَدِّ حَدُّ السـكران ، وهو أربعون جلدة . ثم أنَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ جعله ثمانين ، وعليه الناس في هذا الوقت(١) .

والسكران : هو الذي لايضبط نفسه ، ولا يحصـل شيئاً من فعله وقوله . ثم حد القاذف [٢٩٥] وهو ثمانون ، وانَّما يجب على من قذف حُـرَّاً أوْ حُـرَّين مسلمين . فانْ قذف عبداً أوْ أَمَـةً أو مشركاً لم يكن عليه حد(٢) .

ثم حَدُّ الزاني والزانية ، وهو اِنْ كانا بكرين جلد مائة وتغريب عام ، وإنْ كانا ثيبين فجلد مائة ، والرجم على قول أهل العراق ، والرجم وحده على قول أهل الحجاز والشيعة . والبكر من الرجال : الذي لازوجة له ، ومن النسـاء : التي لازوج لها . والثيب من الرجال : من كانت له زوجة مسلمة . والثيب [من النساء](٣) : من كان لها زوج حر مسلم(٤).

ثُمَّ حَدُّ السارق ، وهو القطع ليده اليمنى إذا سـرق من حرز ، وبلغت قيمة ما سرقه ربع دينار فصاعدا على قول أهل الحجاز والشيعة ، وعشرة دراهم على قول أهل العراق . والقطع من الرسغ على قول الفقهاء جميعا . ومن أصول الاصابع على قول الشيعة .

وليس على مختلس ولا خائن قطع ، وإذا قطع الرجل ثم سـرق قطعت رجله اليسرى ، فانْ سرق لم يقطع على قول الشيعة وبعض الفقهاء،

---

(١) فى الاحكام السلطانية للماوردى ص ٢٢٠ : « فان عمر ـ رضى الله عنه ـ حد شارب الخمر اربعين الى ان رأى تهافت الناس فيه فشاور الصحابة فيه ، وقال أرى الناس قد تهافتوا فى شرب الخمر فماذا ترون . فقال علي ـ عليه السلام ـ : « أرى أن تحده ثمانين ، لانه اذا شرب الخمر سكر ، واذا سـكر هذى ، واذا هذى افترى ، فحده ثمانين » .

(٢) ينظر الاحكام السلطانية ص ٢٢١ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) ينظر الاحكام السلطانية ص ٢١٥ .

وخلد الحبس . وقال آخرون : تقطع يده اليسرى ثم رجله اليمنى[1] .

ثم حَدُّ القاتل عمداً ، وهو القتل إذا طلب أولياء المقتول القَوَد ، فانْ عَفَوا أوْ قبلوا الدية ، فذلك . ومن لا وليّ له فللامام إنْ شاء قتل ، وإنْ شاء أخَذَ الدية وعفا[2] .

وحَدُّ الجارح أو القاطع [٢٩٦] بعض أعضاء الانسان عمداً ، القِصاص : العين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالاذن ، والسن بالسن ، « والجروح قِصاص » ، كما قال الله ـ عز وجل ـ[3] .

ولا يجب الحدّ إلا باقرار أوْ بيِّنة ، ولا يقبل إقرار الزاني على نفسه حتى يشهد أربع شهادات . وكل من أقر على نفسه بما يوجب حَدّاً ، وكان صحيح العقل ، قبل اقراره ، وأقيم الحد عليه . فانْ رجع وأكذب نفسه ، قَبْلَ أنْ يقام الحد عليه ، درىء الحد عنه . وإنْ قامت بيِّنة بشهادة شاهدين في سائر الحدود وشهادة أربعة في الزنا ، أقيم الحد على من تقوم البينة عليه ، فانْ رجع بعض الشهود أوْ تتعتع أوْ توقف ، درئت الحدود ، لأنّا أُمِرْنا أنْ ندرأها بالشبهات . فهذه جوامع مافي الحدود .

* *

فأما الجنايات[4] ، فهي تنقسم قسمين : عَمْداً وخَطأً . وقد ذكرنا ما في العمد بما أغنى عن اعادته .

وأما الخطأ فينقسم قسمين : خطأ محض ، وخطأ شبيه بالعمد . فأمَّا

---

(١) ينظر الاحكام السلطانية ص ٢١٧ .

(٢) ينظر الاحكام السلطانية ص ٢٢٢ .

(٣) قال تعالى فى سورة المائدة ، الآية ٤٥ : « وكتبنا عليهم فيها ، أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالانف ، والاذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما آنزل الله ، فاولئك هم الظالمون » .

(٤) فى الاحكام السلطانية ص ٢٢٢ : « الجنايات على النفوس ثلاثة : عمد ، وخطأ ، وعمد شبه الخطأ » .

الخطأ المحض ، فهو أنْ ترمي غَرَضا فتصيب انسانا أو طائراً فيقتل رجلاً ، فهذا خطأ محض . فأمَّا الخطأ شبه العَمْد ، فأنْ تقصد الرجل بالرمية أو بالضربة اللتين ليس مثلهما يقتل فيموت ، فذلك الخطأ يشبه العمد . وفيه وفي العمد اذا عفي عن القود مائة من الابل أثْلاث ، ثلاثون حقة(1) ، وثلاثون [٢٩٧] جذعة ، وأربعون خلفة(2) . وتسمى هذه الدية المغلظة . وعلى القاتل خطأ بعد الدية الكفارة تحرير رقبة مؤمنة ، أوْ صيام شهرين متتابعين .

وفي الخطأ المحض مائة من الأبل أخماساً ، فعشرون منها حقاق ، وعشرون جذاع ، وعشرون بنات مخاض ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون بنو لبون(3) .

وديات النساء على النصف من ديات الرجال(4) .

وديات أهل الكتاب على الثلث من ديات المسلمين(5) .

ودية المجوس وعابد الوثن ثلثا عشر الدية(6) .

---

(١) الحق من الابل : هو الذى دخل فى السنة الرابعة ، وعند ذلك يتمكن من ركوبه وتحميله . وجمعه : الحقاق . (اللسان ـ حقق) .

(٢) الخلفة : بوزن فرحة وجمعها الجنسى خلف وهى الحوامل من النوق . وفى الاحكام السلطانية ص ٢٢٤ : « واما العمد شبه الخطأ ، فهو ان يكون عامدا فى الفعل غير قاصد للقتل . كرجل ضرب رجلا بخشبة أو رمى بحجر ، يجوز أن يسلم من مثلها أو يتلف فافضى الى قتله . أو كمعلم ضرب صبيا بعود ، أو عزر السلطان رجلا على ذنب فتلف ، فلا قود عليه فى هذا القتل . وفيه الدية على العاقلة مغلظة ، وتغليظها فى الذهب والفضة والورق أن يزاد عليها ثلثها ، وفى الابل ان تكون ، أثلاثا . منها ثلاثون حقة ، وثلاثون جذعة ، وأربعون خلفة فى بطونها أولادها » .

(٣) فى الاحكام السلطانية ص ٢٢٤ : « وان كانت ابلا فهى مائة بعير اخماسا ، منها عشرون ابنة مخاض ، وعشرون ابنة لبون ، وعشرون ابن لبون ، وعشرون حقة ، وعشرون جذعة » .

(٤) فى الاحكام السلطانية ص ٢٢٤ : « ودية المرأة على النصف من دية الرجل فى النفس والاطراف » .

(٥) فى الاحكام السلطانية ص ٢٢٤ : « واختلف فى دية اليهودى والنصرانى ، فذهب أبو حنيفة الى أنها كدية المسلم ، وقال مالك : نصف دية المسلم ، وعند الشافعى انها ثلث دية المسلم » .

(٦) فى الاحكام السلطانية ص ٢٢٤ : « واما المجوسى ، فديته ثلثا عشر دية المسلم ثمانمائة درهم » .

والدية على أهل العين ألف دينار ، وعلى أهل الورق عشرة آلاف درهم عند قوم ، وعند قوم آخرين اثنا عشر ألف درهم(١) .

وفي الرقيق قيمتهم(٢) .

ولا يقتل مؤمن بكافر ، ولا حر بعبد ، ولا والد بولد . ويقتل الذكر بالانثى في قول جميع الفقهاء إلاّ الشيعة فانّهم يأخذون نصف الدية من أولياء المرأة ، ثم يقتل الرجل . وقولهم في ذلك أقيس ، وإنْ كانوا لايرون القياس .

وكل شيء في بدن الانسان منه واحد ، كالأنف والذكر وما أشبه ذلك ، ففيه اذا جنى عليه فعطله(٣) ، الدية كاملة . وكل ماكان أكثر من واحد فبحساب ذلك . ففي فرد العين نصف الدية ، وفي الاذن الواحدة نصف الدية . ومن أبطل على الانسان [٢٩٨] نظره أو سمعه أو لسانه ، كان في ذلك الدية ، وإلاّ فبحساب مايسمع من الحروف أو يبينها بلسانه أو بحساب ماينظر .

والاصابع والاسنان بحسابها ، فيكون في كل واحد من الاصابع خمس من الابل ، وفي كل واحد من الاسنان ثلاث من الابل . وبعض الفقهاء يجعل في أصابع اليدين الدية كاملة وفي أصابع الرجلين الدية كاملة . ويحسب على ذلك فيكون له بكل أصبع عشر من الابل . والشيعة تجعل الدية في الاصابع والأسْنان على قدر المنفعة ، فيفضلون بعض ذلك على بعض(٤) . ولست أحفظ تفصيل ذلك ، وهو في كتب الديات المصنفة للكُليني(٥) ولحسين بن سعيد وغيرهما ، مبيّن .

---

(١) فى الاحكام السلطانية ص ٢٢٤ : « ودية نفس الحر المسلم ان قدرت ذهبا ألف دينار من غالب الدنانير الجيدة ، وان قدرت ورقا اثنا عشر ألف درهم ، وقال أبو حنيفة عشرة آلاف درهم » .

(٢) فى الاحكام السلطانية ص ٢٢٤ : « ودية العبد قيمته » .

(٣) فى الاصل : لسطلمه .

(٤) ينظر الاحكام السلطانية ص ٢٢٥ .

(٥) لعله محمد بن يعقوب بن اسحاق الفقيه الامامى المتوفى سنة ٣٢٩ هـ .

وكل ما تعمـده صاحبه من ذلك ، ففيه القصاص والحـد فيما يجب فيه الحد . وعلى صاحب الشرطة أنْ يُنهيـه الى الامام ، فاذا أَمره أنْ يقيد أو يقبض فعل ذلك ، ويجري الحق في القصاص وتحريزه من الخطأ فيه ، وسبر الجراح بالأميال وغيرها حتى يوقع القصاص على حقيقته ، أو على غاية مايمكنه من الاجتهاد في إصابته .

وكل ما لادية فيه من خدش وشجة غير موضحة ، ففيه حكومـة والشجاج التي لا دية فيها ، وهي دون الموضحة الدامية والباضعة والخارصة والدامغة[1] التي فيها الدية [٢٩٩] الموضحة ، وفيهـا خمس من الابل . والهاشمة والمأمومة ، وهي التي تبلغ أم الدماغ . والجايفة[2] ثلث الدية في كل واحدة منها .

والتعزير أقل من الحَدّ على مذهب أكثر الفقهـاء ، وقال مالك : ذلك الى الامام ، إنْ شاء زاد في الحد ، وانْ شاء نقصه[3] .

هذا مافي الحدود ، والديات ، والقصاص في الجنايات .

★ ★

وينبغي لصاحب الشرطة أنْ يرسم بكل ربع من أرباع عمله صاحباً له عفيف الطعمة ، عارفاً بأحكام الشرطة . ويقرن به عارضا يكتب قصص

---

(١) الباضعة من الشجاج : التى تقطع الجلد وتشق اللحم ، تبضعه بعد الجـلد وتدمى ، الا انه لا يسيل الدم ، فان سال فهى الدامية .
الخارصة : هى التى اخذت فى الجلد ، ولا قود فيها ولا دية .
الدامغة من الشجاج : التى تهشم الدماغ حتى لا تبقى شيئا ، أو التى انتهت الى الدماغ .
فى اللسان (دمغ) : « وأنواع الشجاج عشرة : أولها القاشرة وهى الخارصة ، ثم الباضعة ، ثم الدامية ، ثم المتلاحمة ، ثم السـمحاق ، ثم الموضحة ، ثم الهاشمة ، ثم المنقلة ، ثم الامة ، ثم الدامغة . وزاد أبو عبيد : الدامعة ـ بعين مهملة ـ بعد الدامية » . وينظر الاحكام السلطانية ص ٢٢٦ .

(٢) الجايفة : هى الطعنة التى تنفذ الى الجوف . جاء فى الحديث : « فى الجائفة ثلث الدية » . (ينظر النهاية لابن الاثير ج ١ ص ٣١٧) .

(٣) التعزير : تاديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ، ويختلف حكمه باختلاف حاله وحال فاعله . (ينظر الاحكام السلطانية ص ٢٢٧) .

المرفوعين اليه ، وفي أي شيء رفعوا ، وأي صاحب مسلحة[1] رفعهم . ويعمل مايجتمع من هذه القصص التي يرفعها عرّاض الارباع اليه في كل يوم جامعاً يعرضه على من فوقه من أمير أو إمام ، فيوقّع تحت ذكر كل رجل فيما يراه في أمره من تأديب ، أو حبس ، أو اطلاق ، أو اقامة حَدّ إنْ كان الموقع إماما . وأنْ ينسخ هذه الجوامع والقصص والتوقيعات ، وما يخرج بها من الامام من اقامة حد أو ايقاع قصاص في ديوان الشرطة . وكذلك ما يخرج من صلح بين المترافعين ومبارأة[2] من مطالبة ، فانّ الذي يثبت من ذلك في مجلس الشرطة نظير مايثبت من المحاضر ، ونسخ السجلات في ديوان الحكم .

وليس ينبغي لصاحب الشرطة [٣٠٠] أنْ يقدم بالتعزير إلا على من عرف بالريب ، وألف منه العيث[3] . وكان قد عرف غير مرةٍ في مثل ما أُتُّهم به .

فأمّا المقامر والشاطر[4] والمؤاجر[5] ومن يجري مجراهم من نبّاذ[6] ، وخمّار ، وقوّاد ، فيعزرون ، ويؤدبون ، وينهون عن المعاودة . فان عادوا حُبسوا ، واذا تابوا وضمنوا أنْ لايعودوا أُطْلِقُوا .

ولا ينبغي له أن يحبس أحداً بقذف ودعوى إلاّ إذا كان ظنيناً في جيرته[7] ، متهماً عند أهل الخبرة .

فهذه جمل مايحتاج صاحب الشرطة وكاتبه الى استعماله في عملهما .

---

(١) المسلحة : قوم ذوو سلاح ، أو قوم فى عدة بموضع رصد قد وكلوا به بازاء ثغر . واحدهم : مسلحى ، والجمع : المسالح .

(٢) جاء فى مختار الصحاح « بارأ شريكه : فارقه وبارأ الرجل امرأته » فالمباراة : المفاصلة بعد نزاع وخصام (م.ج) .

(٣) فى الاصل : العبث ، والعيث أقرب الى الفساد من العبث (م.ج) .

(٤) فى مختار الصحاح « الشاطر هو الذى أعيا أهله خبثا وقد شطر يشطر – بالضم – شطارة وشطر ايضا من باب ظرف » وقد تطور معنى الشاطر فصار يطلق على العيار وهو العايث العابث ويكون فاتكا أحيانا ولصا أحيانا أخرى (م.ج) .

(٥) فى الاصل : المزاجر ، والمؤاجر هو من آجر على نفسه ليلاط به بأجر من الاجور النقدية واكثر المؤاجرين كانوا من المماليك المهملين ، والشبان الفقراء الذين أسيئت تربيتهم منذ صغرهم (م.ج) .

(٦) النباذ هو صانع النبيذ أو بائعه (م.ج) .

(٧) الجيرة جمع الجار ، فالجيران يطلعون فى العادة على سيرة جارهم .

كاتب التدبير

وأمّا كاتب التدبير ، فهو وزير السلطان وأخص أصحابه به . ولولا الرعية لم يكن سلطان ، ولولا العامة لم تعرف الخاصة . ومنزلة السلطان من رعيته كمنزلة الروح من جسدها الذي لاحياة له الاّ بهـا . ومنزلة الرعية منه كمنزلة الجسد الذي لايظهر للروح عمل الاّ فيه . فحاجـة الرعية الى صلاح سلطانها كحاجة الجسم الى بقاء روحه . وحاجة السلطان الى اصلاح رعيته كحاجة الروح الى صحة جسدها .

والدِّينُ والسلطان مربوطان كل واحد منهما بصاحبه ، فلولا ماأمر به الدين من طاعة السلطان ، لكان أمره واهيا ، ولولا ماعليه السلطان من أخذ الناس بشرائع الدين ، لـكان الدين متروكا . فمتى دخل الدين خَلَلٌ ، وهن [٣٠١] من السلطان بقدره ، ومتى عرض من السلطـان وهنٌ ضاع من الدين بحسبه . وكذلك قال أردشير في عهده : « اعلموا أن المُلْكَ والدّينَ أخوان توأمان لابقاء لاحدهما الاّ بصـاحبه ، فالدين أنيسٌ ، والملْكُ حارس » . الى آخر الكلام .

وليس يكون السلطان عزيزاً الاّ في الأعوان ، ولا تستقيم طاعـة الأعوان الاّ بالـكفاية ، والاّ كانوا مسلطين أو مسخرين . والضرر بهذين الصنفين أكثر من النفع . ولا يتهيـأ أنْ يكفوا الاّ بالاموال ، ولا تكثر الأموال وتزخر[1] الاّ بعمارة البلدان . ولا تعمر البلدان الاّ بالعدل ، ولا

(١) أى : تكثر ، على سبيل الاستعارة (م.ج) .

يكون العدل تاما حتى تكون نيّة السلطان في صلاح رعيته ، كنيّته في صلاح جسده ، بل يكون في بعض أحواله مؤثراً لصلاحها على صلاحه ، فقد قال أردشير : « وقد كان من الملوك قبلنا من كان صحة ملكه أحب اليه من صحة جسده » .

ومن أولى ما نظر السلطان فيه ، اختيار الوزير الصالح[1] ، فانّ أعماله واسعة ، وأشغاله كثيرة . ومتى أراد مباشرة جميعها بنفسه أضاع أكثرها . فقد قيل : « إذا لزم الراعي نفسه مباشرةَ ماينبغي أنْ يفوضه الى الكفاة ، وفَوّضَ ماينبغي أنْ يباشره بنفسه الى غيره ضاع أمره » .

والسلطان يزيد برأي [٣٠٢] وزيره استبصاراً ، كما يزيد المصباح بالدهن ضياءا ، وإنّما يظفر السلطان من الراحة ، واللذة ، والأمن ، والاستبانة بمقدار ما يظفر به من الوزير الصالح ولولم يكن في البيان عن الحاجة الى الوزير الصالح الاّ قول موسى – عليه السلام – وهو نبي ، ويكلمه الله – عز وجل – وحيه . ولو استغنى أحد عمن يؤازره ، لاستغنى هو لموضعه من ربه : « واْجعَل لي وزيراً من أهلي . هارونَ أخي . اشدُدْ به أزري . وأشْرِكْهُ في أمري . كي نُسَبِّحَكَ كثيرا . ونذكرك كثيرا . إنّك كُنْتَ بنا بَصيرا »[2] .

وليس ينبغي للسلطان أنْ يختار من الوزراء الاّ الذي يجمع مع الصلاح أدباً وحكمة ، ومع العقل تجربة وحنكة ، ومن يجري على عرق[3] في الخير معروف ، وديدن في ذلك من آبائه مألوف ، وأنْ يكون من بيت رياسة . فانّ ذلك مما يعينه على صحة السياسة ، لانّ العروق عليها تنبت الشجر ، وقلّ أصل طاب الاّ طاب فرعه . فان اتفق له مَنْ يجمع

(١) ينظر بحث تقليد الوزارة وشروطها وانواعها فى كتاب الاحكام السلطانية ص ٢٠ وما بعدها .

(٢) سورة طه ، الآيات : ٢٩–٣٥ .

(٢) أى : يأتيه ويفعله ، وهو من التعابير الشائعة بين الادباء قديما (م٠ج) .

الفَهْمَ والدراية بنفسه ، ويبرع الى الرياسة في أصله ، فقد تَمَّ له مايريده، وإلاّ طلب من يجتمع له العقل والدراية . ولا عليه أنْ لايكونَ من أصل شريف ، ونسب معروف ، فانّه قد يكون الانسان بفضله نسباً لمن بعده من أهله ، ويكون آخر شين أصله ، فضيحة لمن ساد من [٣٠٣] أهله . وأن يكون من ذوي المودة للسلطان والاعتقاد لولايته . ومن لايذيع له سراً ، ولا يحابي في رأي يراه صواباً له أحداً . فاذا وجد ذلك فوّض اليه واعتمد عليه .

وينبغي للوزير أنْ يعلم أنَّ الله ـ عز وجل ـ قد أعطاه منزلة لم يعطها أحداً بعد السلطان غيره فيقابل نعمة الله عنده في ذلك بما يستحقه من الشكر عليها ، وتأدية الامانة فيها الى أهلها ، فانه يجمع بذلك الفوز عند الله ـ عز وجل ـ والذكر الجميل في العاقبة . وإنْ كان ممن لايعتقد إمامة من سلطانه ، ويرى أنَّه غاصب على مافي يده ، فليس اعتقاده ذلك مما يطلق له غشَّه ، ولا يرخص له في ترك نصحه لاحوال منها : أنَّه قد قبل نعمته ، وشاركه في أمره ، فوجب عليه المكافأة على النعمة ، وأن يعلم أن وِزْرَه في معاونته والدخول معه فيما غَصب عليه ، أعظم من الوِزر في تأدية الأمانة اليه . ومنها أنَّ الله ـ عز وجل ـ قد أمر بتأدية الامانات الى أهلها أمراً عاماً لايجوز تخصيصه إلاّ ببيان منه . وقد رُوي عن الصادقين ـ عليهم السلام ـ مايدل على أنّ الأمر بذلك عام ، وهو قولهم : « أدّوا الأمانةَ ولو الى قتلة أولاد الانبياء » .

ومنها : أنه لابُدَّ للناس مع فقد أئمة العدل ، من السلطان ، لانَّهم لو فقدوا [٣٠٤] السلطان مع عدم الائمة لأكل بعضهم بعضا . لكن مثل السلطان ـ وإنْ جارَ ـ كمثل المطر الدائم الري ، إنْ كان يضر بالابنية ويقطع المسافر وذا الحاجة . فما ينفع الله به من اخراج الثمرات والزيادة في الاقوات أكثر ، وقد روي عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أنَّه قال في حديث طويل : « ولا بُدّ من إمارة بَرّة أوْ فاجرة » . قيل له : « هذه

البرة قد عرفناها ، فما الفاجرة ؟ » . قال : « يُقاتل بها العدو ، ويُجبى بها الفيء ، ويؤخذ بها على يد الظالم » . في قول كثير قبل ذلك وبعده .

ثم إنّ الوزير محتاج الى معاملة طبقات من الناس ، فمنهم سلطانه ، ومنهم حكامه ، ومنهم جنده ، ومنهم عماله ، ومنهم خاصته ، ومنهم رعيته . وأوصاف بعض هؤلاء تخالف أوصاف بعض ، ولكل طبقة معاملة غير معاملة الطبقة الاخرى .

★ ★

[فأما] معاملة الوزير لسلطانه ، فأول ما ينبغي أنْ يعامل به السلطان توقيره ، وتعظيمه ، والشكر له على ما رفعه اليه بالنصيحة له والتقرب الى قلبه بكل ما يجد السبيل اليه ، مما لايثلم دينا ، ولا يسقط مروءة ، والصبر على ملازمته ، والاجتهاد في خدمته . ثم عليه إذا رآه قد أراد أمراً وأمر به وكان صوابا ، أنْ يشجعه عليه ويُزَيّنه له ، ويبصره مافيه من الذكر الجميل ، والقول الجزيل حتى [٣٠٥] يزيد علما بصواب رأيه ، وسروراً بما وفق له . واذا رآه قد أراد أمراً أو أمر به ، وكان خطأً عنده ، بَصَّرَه ما في عواقبه من الشين ، وما في تركه من الزين ، وبيَّن(١) له الخطأ فيه بأبهى خطاب وأرفقه . وكما انّه ليس له أنْ يكتمه النصيحة ، وإنْ خالف هواه ، فكذلك ليس له أنْ يخرج كلامه في ذلك مخرج التأديب له والتقويم فانّ الوزير العاقل لو شاء أنْ يُبَصِّرَ سلطانه جميع عيوبه بالامثال التي يضربها ، والعيوب التي يذكرها من غيره حتى يعرف عيبه بعيب غيره ، لفعل. وقد قيل : « من كتم السلطان نصحه ، والأطباء مرضه ، والاخوان سره ، خان نفسه » .

ورُوي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقوله أحق

(١) لان الوزير هو الذي يقوم بالفعل المذكور (م٠ج) .

بالتقدمة ، : « انما الدين النصيحة لله ، ولرسوله ، ولذوي الامر ، وكافة المسلمين »[١] .

★ ★

وأما معاملته حكامه ، فاول ذلك أنْ يختار منهم ذوي العلم والسنن والفرائض ، والامر والنهي ، والحظر والاباحة ، وأولى المعرفة بدقائق الاحكام ، وأصول الحلال والحرام ، والعلم بما يوجبه أقسام الكلام . وينتخب ممن هذا وصفه من هو معروف بالستر والصيانة ، والعدل والديانة . فيذكره لسلطانه ، ويشير عليه باستكفائه الحكم بين رعيته ، ثم يعهد اليه [٣٠٦] عن السلطان بأنْ لايحتجب عن الناس ، وأنْ يكون مجلسه متوسطا لمصره ، وأنْ يعدل بين الخصمين اذا حضراه في نظره اليهما وخطابه لهما في مجلسه . ولا يلقن أحدهما حجته ، وأنْ لايفتي في علمه ، وأنْ يتجنب القضاء في الاوقات التي يتغير فيها طبعه بغضب ، أو هوى ، أو جوع ، أو عطش ، أو نعاس ، أو شبق . وأنْ لايعجل الحكم في شيء حتى يتبين الحق فيه ، فاذا أتاه ما يشتبه الحكم فيه عليه ، شاور الفقهاء فيه ، وأخذ بآرائهم ولم يستغن برأيه عنهم . وإنْ لم يجدْ عندهم في ذلك ما يقنعه ويليق بالحق والصواب عنده ، أنهاه الى السلطان ، وأخذ فيه برأيه . وأنْ جعل في العهد آيات من كتاب الله ــ عز وجل ــ في الأمر بالعدل والزجر عن الجور ، كان ذلك أحْسَنَ وأوْكَدَ ــ إنْ شاء الله ــ .

ثم ينبغي أنْ يعلم الحكام منه شدةً في ذات الله ــ عز وجل ــ وحرصاً على إقامة الحق وإنصاف المظلوم ، وظلفاً[٢] عن أموال الناس . وأنْ يوقر في نفوسهم أنّ المحمود منهم عنده ، من ظهرت عفته ، وطابت طعمته ، وحسنت

(١) في رياض الصالحين ص ٦٦ : « عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « الدين النصيحة » قلنا : « لمن ؟ » قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولائمة المسلمين وعامتهم » . رواه مسلم .

(٢) ظلف عن الشيء واظلف نفسه عنها أى : كف أو كفها عنه ، فهو ظلف النفس وظليفها أى نزهها .

سيرته ، وثبتت أمانته ونزاهته ، وبرىء من معاملة الهوى وترك الرشى(١). ثم إنْ ظهر أنَّ أحداً من حكامه على طبقاتهم التي صنفناها من القضاة ، وأصحاب المظالم ، وكتّاب الدواوين ، وأصحاب الشرط ، جارَ في حكم ، [٣٠٧] أوْ مالَ مع خصم ، أو خرج مما جُعل اليه ، أو تعدّاه الى غيره ، نكل به وجعله أدباً لغيره ، وعظةً لمن بعده . ثم لم يستعن به في شيء من أمره . فاذا فعل ذلك أوْشَكَ أنْ تستقيم طرائقهم ، وتصلح خلائقهم ، ولا يميل بهم الشره الى اسقاط أنفسهم .

★ ★

وأما معاملته الجند ، فينبغي أنْ يختار منهم ذوي البطش ، والقوة ، والحيلة ، والحنكة ، ممن قد عرف الحربَ وجرّبها ومارسها ، وصُلي بها ممن يحسن حمل السلاح . ويعمل به ، ويضع الاقدام موضعه ، والانحياز(٢) موضعه ، ولا يجمح به الغضب والبسالة الى التهور في الهلكة ، ولا يحمله حب الحياة على الفرار والرضى بما يورث العار . فاذا ظفر بمن هذه صفته ، تمسَّك به وقدّمه على غيره من جنده ، وإنْ ظفر بمن له الجَلَدُ والقوة ، ولم تكن له الحنكة والتجربة ، قارن به ذوي الحنكة ، وأمره أنْ يطيعهم ويتصرف في أمرهم ، فانَّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ قال : « موقف الشيخ في الحرب ، أعجب اليَّ من مشهد الغلام »(٣) . وإنْ ظفر بذي الحنكة والتجربة والرأي والمكيدة ، وكان عادما للجلد ، جعل بين يديه من هذا الصنف من يتدبر بتدبره ، ويتصرف على ارادته ليجتمع له الحالان من جماعة إنْ عدمها من واحد .

ثم ينبغي له أنْ يُجمل الفرض(٤) في سياستهم ، وأن يجتمع له في

(١) جمع الرشوة .
(٢) الانحياز : ضد الاقدام فى الحرب (م.ج) .
(٣) فى نهج البلاغة ج ٣ ص ١٦٩ : « رأى الشيخ أحب الى من جلد الغلام » .
(٤) فى مختار الصحاح : « وأجمل الصنيعة عندفلان ، وأجمل فى صنيعه » وقال: « وفرض له فى العطاء وفرض له فى الديوان من باب ضرب » آراد : ينبغى آن يحسن اعطياتهم فى سياسته اباهم .

صدورهم [٣٠٨] المحبة والهيبة . وأنْ يكون بعضُهم في موافقة بعض ، والتآلف معه كأعضاء الجسم في تآلفها وتعاونها . وأنْ يتفقد من أمورهم مايعود عليهم بفضله(١) ، ويكفون به مؤنة أنفسهم ومن يلزمهم أمره . وأن يزيد ذا البلاء منهم والطاعة في مرتبته ومنفعته ، ليستدام بذلك ما حمد منه وارتضى من فعله ، وينافسه مَنْ لا بلاء له فيما يرى من الزيادة والمنفعة ، فيباريه في ابلائه ، ويسابقه الى رضى سلطانه . ومتى أساء واحد منهم أو قَصَّرَ تلقّاه بالاستعتاب الرقيق ، والاستصلاح الجميل من غير اعتبار ألْتِه(٢) ، ولا كشف لغامض عورته ، فانه لايصلحهم إلا بعض التغاضي عن فَلَتات زللهم من حيث لايُملى لهم ، ويزاد في احتمالهم فيعود بذلك تمرنهم على الخطأ وتجرئتهم على ركوب الهوى . ولا يستفرغ وسعهم حتى لايكون لهم جمام(٣) يمترى به نشاطهم ، فيكل بذلك حدّهم ولا يزيد عليهم في ذلك حتى يصير فراغا يدعوهم في ذلك الى استعمال ماينعمهم(٤) ويفسدهم . وأنْ لا يؤخر عنهم أطماعهم في وقت حلولها ، ليقطع بذلك عذرهم ، ويستقيم به أمرهم . وأنْ يقبض أيديهم عن ظلم الرعية ، وأخْذ أموالها ، والتنزل عليها ، والتعرض لأولادها وحرمها ، ويعرفهم إنّما اقيموا لحماية الناس من مثل هذه الاحوال . [٣٠٩] ثم متى ظهر أنّ أحدهم قد فارق شيئاً من ذلك أو فعله أحسن تأديبه ليرتدع به غيره .

ثم ليكن أول تدبره في حروبه ، كتمان سره ، وتحصينه من سائر

---

(١) فى الاصل بفعله . يقول الدكتور مصطفى جواد : « لعل الاصل : (بفضله) بدلالة قوله قبله : « بما يعود عليهم » ، والفعل عام لا عائدة خاصة فيه .

(٢) أى : نقصه وتقصيره ، جاء فى المختار : « ألته حقه : نقصه ، وبابه : ضرب ، ويقال : ألت الشيء بنفسه أى : نقص ، فهو لازم متعد ، والاعتبار هنا بمعنى التحقيق .

(٣) الجمام : الراحة .

(٤) فى الاصل : يقيمهم . يقول الدكتور مصطفى جواد : « لعل الاصل غير الوارد فى النص ك « ينعمهم » لان فى زيادة التنعيم فسادا . اللهم الا اذا آراد بالاقامة الهيج والاثارة .

أهل عسكره حتى لايقف له عدوه على خبر ، وأذكاء العيون والجواسيس على عدوه حتى لايخفى عليه أثر .

ثم ليجعل الحذر رأس مكيدته ، ولا يغتر بضعف من عدوه ، فان صرعات الاغترار لاتستقال . وليستعد له بأكثر من قدره ، فانه إن لقيه صغيراً وقد أعدّ له كثيرا ، لم يضره ذلك ، وإن وقع الأمر بضد ذلك فلا خفاء بما يلحقه منه . ولينتهز الفرصة إذا أمكنته فانها تمرّ مرّ السحاب ، كما قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « قلّ من ضيّع فرصة قد أمكنته، وأخرها حتى تفوته ، فظفر بمثلها »[1] .

واعلم أنّ التأني عند امكان الفرصة يعود من الضرر بمثل ما تعود به العجلة قبل امكانها . وليأخذ بالأناة ما استقامت ، ولا يعجل بمناجزة العدو ما وجد الى الحيلة سبيلا . فانّ أهنأ الظفر ماكان بالمخاتلة دون المخاطرة ، وأحزم الناس من لم يلتمس من عدوه القتال ، وهو يجد الى غيره سبيلا . وقد قيل : إذا كان وزير السلطان من يأمره بالمحاربة فيما يقدر فيه على حاجته بالمسالمة ، فهو أشد عداوة [٣١٠] له من عدوه . ولا ينبغي أن يضجر بمطاولة عدوه والابطاء عن لقائه حتى تمكنه الفرصة، وتبدو له العورة . وليكن الظفر بالدعة[2] أحبّ اليه من الظفر بالغلبة ، فانّ في ذلك وفورَ أصحابه وسلامة دينه . وإذا ظهر على عدوه وضع أوزارَ الغضب عنهم مع أوزار الحرب ، وبدل بالقسوة رحمةً ، فانهم يصيرون حينئذ رعية بعد أن كانوا مقاومين . ولا يقاتل عدوه إلا بعد الاعذار اليه ، واقامة الحجة عليه ، وتبصيره الخطأ فيما ركبه . فان قبل وأناب ، سرّ برجوعه وتقبل ذلك منه . وإن أبى وصدّ[3] وأقام على الشقاق حاربه .

---

(١) فى نهج البلاغة ج ٣ ص ١٧٨ : « اضاعة الفرصة غصة » .

(٢) فى الاصل : بالطاعة ، يقول الدكتور مصطفى جواد « يعنى بها التفادى من الحرب ، ومنه أخذت المؤادعة وهى المصالحة ، ذلك لانه حثه من قبل على عدم التماس القتال وعلى المسالمة » .

(٣) فى الاصل : وأصدوا .

فانْ كان العدو من المشركين فالسُّنَّة في قتاله بعد الدعاء ، والاعذار أنْ لايقبل منهم غير الاسلام . فانْ أسْلَم وإلاّ قوتل حتى يُقْتَل أو يظفر به . فاذا ظفر به كان الامام بالخيار في أمره ، إنْ أحَبَّ قتل ، وانْ أحب فادى ، وإنْ أحَبَّ مَنَّ . وكل ذلك قد فعله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكانت نساؤهم وذراريهم رقيقاً للمسلمين . وإنْ كان العدو من أهل الكتاب لم يقبل منه غير الاسلام ، فانْ أبى طُلبت منه الجزية عن يدٍ وهو صاغر . فانْ أباها قوتل حتى يُقتل أو يظفر به . ومن أُسر منهم وسبي من [٣١١] حرمهم وذراريهم ، فسبيلهم سبيل من قبلهم . وإنْ كان من المتلصصة وقطاع الطريق ومن جرى مجراهم من المحاربين على غير تأويل ، فالسّنة في قتالهم بعد الوعظ والزجر أنْ يقاتلوا حتى يقتلوا أو يظفر بهم . فانْ تابوا من قبل أنْ يقدر عليهم ، عفا عنهم ، وإنْ لم يفعلوا حتى ظفر بهم لم يقبل توبتَهم ، وكان الامام مخيرا في قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو قتلهم ، أو صلبهم ، أو نفيهم من الارض . وهو على قول كثير من المفسرين تخليدهم الحبوس .

وليس للمسلمين أنْ يسترقوا ذراريهم ، ولا أنْ ينكحوا نساءهم ، لانَّ الشهادةَ وظاهرَ الملة يجمعنا وإياهم . وإنْ كان من البغاة والمتأولين على الأئمة وعظوا ، فانْ أفاءوا قبلَ منهم ، وإنْ لم يقبلوا الوعظ استوى بهم حتى يبدأوا بالقتال ويجاهروا بالخلاف وحمل السلاح ، فاذا فعلوا ذلك وبدروا بالقتال ، قوتلوا حتى يكفوا عن بغيهم . ومن أُسر منهم ، اطلق ولم يتبع منهم مدبر ، ولم يجهز على جريح .

وليكن الوزيرُ في حروبه على غاية الاكماش(١) والاقبال على النظر في وجوه الحيل والتدبير اللذين يصرف بهما عن نفسه ورعيته المعرة ، ويوقع بهما على عدوه المضرة ، وترك التشاغل عن ذلك بلذةٍ [٣١٢] أو

---

(١) رجل كمش : عزوم ، ماض ، سريع فى أموره . الاكماش ، السرعة . أكمش فى السير وغيره : أسرع . (اللسان – كمش) .

بنوم . فليس أخو الحرب بالنؤوم ولا السؤوم ، وانما يضيع في هذا الباب اذا أضاع الحزم فيه لنفسه وخاصته وسائر من تحت يده .

فهذه جملة ما ينبغي للوزير أنْ يسوس بها جنده ، ويجري عليها أمره في حربه .

★ ★

وأمَّا معاملته الأعوان والعمال ، فأول ذلك أنْ يختارهم في أماناتهم وثقتهم وعملهم بما يُسند اليهم ويدربهم فيه حتى يكونوا أفضل من يسيره الوقت(١) اليه من نظرائهم . وأنْ لايؤثر بالعمل من وجب حقه ، وتأكدت حرمته اذا لم يكن معه كفاية من عمله ، بل يسع هذا الصنف من الناس ماله ، فيقضي به حقوقهم عنه . ولا يضيع أمر سلطانه بأنْ يسندها الى من لايضطلع بها . وليكن من يختاره من الكفاة ذوي النزاهة والطلب دون ذوي الشره والنَّطف(٢) . وليكن باختيارهم أعنى منه بجمعهم فانَّ زجاء(٣) الاعمال ليس بكثرة الأعوان لكن بصالحي الاعوان . وليس ينتفع بالأعوان حتى يكونوا لمن هم معه وادِّين ، وعلى نصيحته مثابرين ، ولا يتبع بالمحبة والنصيحة اِلاّ مع الرأي والعفة .

وأعمال السلطان كثيرة ، ومن يحتاجون اليه فيها من العمال كثير ، ومن يجمع لهم كل ما يحتاجون اليه قليل . والوجه الذي يستقيم [٣١٣] به تدبير الوزير في أمرهم أن يعرف ماعند كل واحد منهم من الرأي والغناء والامانة وما فيه من العيوب . ثم يوجه لكل عمل من أعماله من قد عرف أنَّ له من الرأي والقوة مايحتاج اليه في ذلك العمل . وانَّ مافيه من العيب لا يضر

---

(١) يقول الدكتور مصطفى جواد : « فى هذه الجملة غموض يزول بوجهين : احدهما ان يكون : « أفضل من يسيره الوقت اليه » أى : ييسره له من هؤلاء الثقات الامناء . والاخر ان يكون الفعل يسير : ييسر ، ومصدره التيسير ، وهو بمعنى العبارة الاولى على الحقيقة لا المجاز » .

(٢) النطف : هو العيب والفساد والشر .

(٣) زجاء الاعمال ـ بالزاى ـ أى : نجاحها ، يقال : زجا الامر يزجو زجوا وزجاء ، نجح وتيسر ، وزجا الخراج : سهلت جبايته .

به ، وأنْ ينتقدوا أمورهم بعد ذلك حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء .

ثم عليه أن لا يدع محسنا بغير ثواب ، ولا مسيئاً بغير تأديب وعقاب ، فانّه إنْ ضيّع ذلك منهم تهاون المحسن واجترأ المسيء ، وفسدت الامور .

وأنْ يتهم بعضهم على بعض ، ويعرف مخرج النصيحة من مخرج السعاية ، فقد تتشابه مخارجهما على من لم يلطف ، ليتميز مابينهما ، ومتى وجد بعض أصحابه طريقا الى اهلاك بعض أو تهجينه أو تغطية محاسنه فأتاه في ذلك جهراً[1] ، إمّا للبغي والحسد ، وإمّا للمنافسة في المحل .

وليعلم عماله منه أنّ الخير لايصاب عن جهته إلاّ بالمعونة على الخير، وأنّ الشر لايلحقهم من جهته إلاّ بالمعونة على الشر ، فانهم اذا علموا ذلك منه وافقوه عليه وتصنعوا به له . والمتصنع خير من أنت واجده بعد الموافقة .

ثم ليعلم أنّه ليس من أحَدٍ خلا من العيوب ولا من الفضائل ، بل كل واحد من الآخرين جميعا منافسون[2] له ، فلا يطرح [٣١٤] ذا العيب الواحد حتى لايستعين به ولا يخشى ذا الفضيلة حتى لايركن اليه ، بل يتوقى عيب هذا ، ويستمتع بما فيه من الفضائل ويستمتع بفضل هذا ، ويتقي ما فيه من العيوب .

وليعلم أنّ كثيراً من الأعوان والعمال ربما تجمعوا عند السلطان بجمع المال وتوفيره ، وركبوا في ذلك ظلم أهل الخراج ، فالافضاء لهم ، والاحسان اليهم ، والعدل عليهم لتوفر ماله ، وبالتقصي[3] عليهم والظلم لهم يكون ذهابه . فمن تزين عند سلطانه بما يخرب به مملكته ، ويفسد من أجله سلطانه ، ويقرب اليه بعاجل يفسد به الآجل ، فانّ عقوبته الابادة به. وقد كانت الاكاسرة تقتل أمثال هؤلاء ، وتقطع أيديهم وأرجلهم ، وتمثل

---

(١) أى : ساء له ، وحقق معه جهارا ليرتدع . (م.ج) .

(٢) فى الاصل : منافسين . يقول الدكتور مصطفى جواد : لعل الاصل : « منافسون له » خبر « كل » على المعنى لا على اللفظ .

(٣) اى الاستقصاء ومداقة الحساب .

بهم . وكان المامون(١) يقول : « ما استغزر الفيء بمثل العدل ، ولا استنزر بمثل الجور » .

فمن وجد من عماله قد أتى من ذلك ما وصفناه ، فانما أتى بما يعود بالضرر على الكافة ، وينتقض به عرى المملكة ، فليبالغ في عقوبته وتأديبه . ومن رآه مستقصياً لحقوق عمله من غير اضرار رعيته ، ولا تحيف لمن تحت يده ، مؤثراً للعدل، عاملاً بما يعود بالعمارة وصلاح الأحوال ورفاهة العيش، فليعلم انما حلب حلباً للسلطان شطره ، وعمل بما يعود عليه في سلطانه نفعه . فليحسن اليه ، وليتبين جميل أثره عليه [٣١٥] .

فهذه جملة ما ينبغي للوزير أن يسوس به عماله .

★ ★

فأما نظره في أمور الاموال ، فهو أن يطالب منها بالواجب دون مالا يجب ، وأن لايرهق الرعية في المطالبة بها ، بل يتحلبها ويقبل ميسورهم فيها . فان ذلك أدوم للاحوال وأرجى للاموال . فقد ترى الحالب اذا ألح في الحلب انقطع اللبن ، واذا ترفق لم يزدد الضرع مع الحلب إلا غزارة . فاذا صار المال اليه أحسن تقديره ، وابتدأ بازاحة علل السلطان في نفقاته ومؤونته وجميع مصالحه ، ثم ثنى بالاعمال بين الجند والحكام والكتاب والعمال وسائر الأولياء على طبقاتهم ومراتبهم ، فأزاح عللهم(٢) ، ووفاهم حقوقهم ، ثم قبض لنفسه ولمن في جملته مارسمه سلطانه له ، ثم جعل ما يفضل من ذلك عدة لفتق ينفتق على المملكة من عدو محتاج الى محاربته ، أو فتق تدعو الضرورة الى سده ، أو بلد يطيف به العدو فيحتاج الى تحصينه ، أو ما أشبه ذلك .

---

(١) هو عبدالله بن هارون الرشيد ، سابع الخلفاء من بنى العباس فى العراق ، توفى سنة ٢١٨ هـ (ينظر تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٣) وفوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٩) .

(٢) ازاحة العلل : قضاء الحاجات .

الصـــدقــة

وأمَّا الصدقة[1] ، فأربعة أخماس الخمس في الغنائم ، فلا تقع يده على شيء منها إلاّ ريثما يصرفه الى أهله ويفرقه في سبيله . وليجعل ماينفقه أقل مما يجتنبه ، فانه متى كانت نفقة الانسان أكثر من دخله عد فقيرا . والسلطان من أحوج الناس الى ضَبْط ماله ، وتقدير مايفيده وينفقه ، فقد تكون [٣١٦] الرعية بلا مال ، ولا يكون السلطان بلا مال .

وجماع أمر المال أربعة أشياء ، وهو : فائدته من أجمل وجوهه ، ثم حفظه ، ثم تثميره ، ثم انفاقه في مايعود بعاجل النفع وآجله . فَمَنْ أضاع شيئاً من هذه الاربعة وجوه ، لم يقسم له أمر ماله إنْ هو لم يفد لم يكن له مال . وإنْ أفاده من الجهات المذمومة ، لم يكن ما يعتقده عوضاً من سوء الثناء وغليظ الجزاء . وإنْ أفاده من الجهات المحمودة ثم لم يحفظ مايفيده أوشَكَ أنْ يبقى بغير مال ، وإنْ حفظه ولم يثمره لم تمنعه قلة النفقة والتقتير فيها من سرعة الفساد كالكحل الذي إنَّما يستعمل منه مثل

(١) فى الاحكام السلطانية ص ١٠٨ : « الصدقة : زكاة ، والزكاة صدقة ، يفترق الاسم ويتفق المسمى ، ولا يجب على المسلم فى ماله حق سواها . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ليس فى المال حق سوى الزكاة » . وفى ص ١١٧ : « واما قسم الصدقات فى مستحقيها فهى لمن ذكر الله – تعالى – فى كتابه العزيز بقوله : « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » . (سورة التوبة ، الآية ٦٠) .

الغبار ، وهو مع ذلك سريع فناؤه قليل لبثــه . وإنْ هو أفاد وحفظ وثمر ولم ينفق كان كالفقير الذي لامال له . إذْ ليس يصـــل اليه من نفع ماله شيء في عاجله ولا آجله ، ولم يمنع ذلك ماله من أنْ يفارقه ويذهب عنــه كالماء الذي يجتمع من مسيل الاودية والأشجار ، فاذا لم يكن مُقنطرا[1] يخرج منه بمقدار ما ينبغي تحلَّب وسال من جوانبه . وربما انبثق منه البثق العظيم ، فذهب الماء ضياعا .

والذي به فائدة السلطان ، عمارة البلاد وغزو الامم المخالفة ، فانَّ بعمارة البلاد يكثر الفيء ، وبالغزو تكثر الغنائم .

وأمَّا الوجوه المحمودة ، فهو لزوم العدل في [٣١٧] جميــع ذلك ، وشريعة الدين . وأمَّا التقدير في النفقة ، فانْ يكون الانفاق دون الفائدة .

فهذا أصل ما يتوفر به مال السلطان ، ويستقيم عليه حاله إذا ساس به الوزير أمره .

★ ★

وأمَّا معاملته لخاصته ، فانَّ خاصة الوزير أربعة ، وهم : صــاحب سره ومشورته ، وصاحب خبره ، وكاتبه ، وحاجبه .

أمَّا صاحب السرِّ والمشورة ، فينبغي أنْ يكون أوثق أصحابه[2] في نفسه ، وأشدهم مشاركة له ، وصحبته[3] لاتقتصر منه على المحبة والمشاركة حتى يكون ممن يجمع معها رأياً وجودة معرفة واجتهاداً في النصيحة . فقد قيل : « شاوِرْ نصيحاً أوْ عاقلا » . وأنا أقول : « ولا تشاوِرْ إلاَّ من جمع النصيحة والعقل ، فانَّ نصيحة من لاعقل له غير نافعة ، وعقــل من

---

(١) اى مبنيا على مجراه قنطرة ، وهى بمقام السد الفنى الحديث كقنطرة حربى بين بغداد وسامراء ففيها ثلاث فتحات لمجرى ماء نهر دجيل ، وهى قنطرة . (م.ج) .

(٢) فى الاصل : أصاحبه .

(٣) فى الاصل : ومحبة . يقول الدكتور مصطفى جواد : « لعل الاصل : وصحبته لانه من أوثق أصحابه كما قال » .

لانصيحة له ربما أوقع في ورطة » . وقال بعضهم : « لا تشاوِرْ أحداً في شيء له خيرُه وعليه شرُّه ، فانَّه ربما أذْهله الخوف أو الطمع من تصفح ما تسبق اليه النفس ، ولكنْ شاوِرْ فارغاً[1] عاقلا محباً للصواب ، مَعْنيّاً به ، لايبالي إنْ كان ذلك لك أو عليك » . فردّ هذا القول أحمد ابن الطيب[2] ، وقال : « هذا عندي فاسد ، لانَّ مشاورة العاقل المحب إذا كان شريكاً في الأمر أحرى بالصواب ، ولانّ الحاجة تبعث الحيلة . وليشاور فيما يحتاج الى المشاورة فيه ذا الرأي والنصيحة من ثقاته وبطانه ولا يضره أن يعم المشورة فيما لايبالي باظهاره من أراد أنْ يخلطه بثقاته [٣١٨] ويعرفه أنه قد جعله في منزلة من يستشيره ويستنصحه ويعمل برأيه .

فأمّا ما يَكْرَهُ إذاعته ، فليذكره عند الضرورة الى المشورة فيه للبطانة ، وللموثوق بها دون غيرها . ولكنَّ ذكره له بالنظائر والاشباه لا بالتصريح والافصاح . وكانوا يكرهون أنْ يشاوروا في الحروب ، خوفاً من ظهور السر أوْ بدوّ العورة . ولذلك قيل : « ما استطعت أن تحترس في حربك بكتمان سرك من تقاتل فافعل » .

واعلمْ أنَّ اذاعة السر من وجوه منها : المستشار ، ومنها وضع الثقة في غير موضعها . ومنها : الاستهانة بمن يحضر السر من صغار الخدم ومن لا يؤبه له من العجم . ومنها : لحن القول . ومنها : الفراسة . ومنها : تعقب مخارج الأمر والنظر فيه . فليحترس الوزير من ذلك أجمع ، يستقم له أمره ، وينكتم عليه سره . وإنْ ظهر من مشير على أنَّه لم ينصح له

---

(١) أى مشغول البال بشأن من شؤون نفسه وقد تقدم مثله فى باب الاستشارة (م٠ج)٠

(٢) أحمد بن الطيب : أحد العلماء الفهماء ، المحصلين العلماء ، البلغاء ٠ المتقنين ، له فى علم الاثر الباع الواسع ٠ وهو تلميذ الكندى ، وكان أحد ندماء أبى العباس المعتضد بالله ٠ قتل فى صفر سنة ٢٨٦ هـ ٠
(ينظر معجم الادباء ج ٣ ص ٩٨ وما بعدها) ٠

فلا يكشفه عن مذهبه ، فانَّما هو أحد رجلين : اِمّـا رجل تعمد الغش ، فذلك أهل لأن تسقط منزلته ولا يستعتب فيما أتاه ، لانَّه اِنَّما يستعتب من يراد اصلاحه . واِمَّا رجل اجتهد فأخْطأ ، فليس ينبغـي أنْ يعنف على خطـأ لم يعتمده . وهذا من أوصاف المستشار والمشـورة مع ما تقدم كاف .

صاحب الخبر

وأمَّا [٣١٩] صاحب الخبر ، فينبغي أنْ يكون من أصح عماله ديانةً ، وأكملهم أمانةً ، وأظهرهم صيانةً ، لانه مأمون على الدماء والاموال . وهو عين الوزير التي ينظر بها في رعيته ، ورائده في مصالح من تحت يده . فليس ينبغي أنْ يتقدمه أحد في الصدق والثقة والامانة غير القضاة ومن جرى مجراهم .

ومتى نصب الوزير لرفع الاخبار من يخالف هذه الصفة ، فقد غَشَّ نفسه ، وأضاع الحزم في سياسته ، وخان الامانة في رعيته . وعلى الوزير أنْ يوسع على صاحب الخبر في رزقه ، ويشتري بذلك دينه وأمانته ، ويعلمه أنَّه إنَّما فعل ذلك به من بين نظرائه ، لئلا تشره نفسه الى أموال الرعية ، ولا يحتاج الى استئكالها[1] والتكسب منها .

ثم يعلم أنَّه متى ظهر على أنَّه ولد خبراً في خاصيٍّ أو عامي أو كذب فيه لانحرافه عن انسان ، أو هواه فيه ، أو لغرض يفيده بما يأتيه أتى من عقوبته ونيله بالمكروه في نشره ما يؤدب به أمثاله من أهل طبقته ، وليتفقد أحواله ، ويفحص في السر والعلانية عنه . فمتى وجده قد أتى شيئاً مما نهاه عنه ، وزجره عن فعله ، حقق له مايوعده به[2] .

---

(١) جاء فى مختار الصحاح : « وهو يستأكل الضعفاء ، أى : يأخذ أموالهم » .

(٢) ومنه الايعاد ، واسمه الوعيد وهو التهدد . (م.ج) .

وأمّا الكاتب ، فينبغي أنْ يكون مقبول [٣٢٠] الصورة ، حسن الأدب ، خفيف الظل ، مُفْتَنَاً فيما رسمناه من أبواب الكتابة ، لحاجة الوزير الى ملابسة جميع هذه الابواب ، والنظر فيها ، والاستعانة بالكاتب الذي بين يديه في جميعها . فانما يظفر الوزير من الراحة بمقدار ما عند كاتبه من الكفاية ، كما انّ السلطان إنّما يظفر من الراحة بمقدار ما عند وزيره منها .

وعلى الكاتب الصبر على الملازمة والاجتهاد في النصيحة والوفاء للوزير في حال الدولة والنكبة ، والمواساة له بنفسه في حال اليسرة ، والعسرة ، والرجاء ، والشدة ، وكتمان أسراره ، وطي أخباره ، وتزيين أموره بكل ما يجد السبيل اليه .

ومتى ظفر الناس بعيبٍ من عيوب صاحبه ، اجتهد في ستر ذلك وتغطيته والتأول فيه حتى يخرجه من العيب فيه ، كما يحكى عن بعضهم ، وقد قال بعض الملوك : « رسل الملوك ، إني رأيت في مذهبكم مساكين يشكون الجوع ويسألون الناس في الطريق . فقد كان ينبغي لملككم أنْ يغنيهم عن ذلك » . فقال له : « إنّ ملكنا لرأفته رعيته ، ومحبته لمنافعهم ، علّى في رعيته قوماً في أموالهم حقوق لله — عز وجل — لايستحقون من الله — عز وجل — الثواب في الآخرة إلاّ باخراجها . فلو أغنى المساكين ، لما وجد الأغنياء الذين في أموالهم [٣٢١] الحقوق من يدفعون ذلك اليه . فكان ثوابهم يبطل . فترك ملكنا هؤلاء المساكين على أحوالهم ، انما هو لهذا المعنى ، ولتعرض الاغنياء للثواب ، بمواساتهم » .

فتأوّل لملكه فيما عابه به رسول عدوه تأولاً حسناً أخرجه من العيب به ، فكذلك ينبغي أنْ يكون كاتب الوزير له فيما يحمل به أمره ، ويزيل به عيباً إنْ لحقه .

وليس للكاتب أنْ يوقع توقيعا ، ولا أنْ يكتب كتابا عن الوزير

إلاّ بعد اذنه ، واستطلاع رأيه إلاّ أنْ يكون قد فوّض ذلك اليه ، وأمره أنْ يوقع ويكتب عنه بما يراه .

وعلى الوزير اذا فعل الكاتب جميع ما ذكرناه ، ولزم ماوصفناه ، أنْ يكفيه مؤنته ، ويزيد على الكفاية بالاحسان اليه والافضال عليه ، فانّ الله – عز وجل – يقول : « للذين أحْسَنُوا الحُسْنَى ، وزيادةٌ »[1].

والحسنى : المكافأة . والزيادة : هي الزيادة على الاستحقاق في المجازاة .

(١) سورة يونس ، الآية ٢٦ .

الحــاجب

وأمَّا الحــاجب ، فهو المؤتمن على الاعراض . وأداء الأمـانة في الأعْراض أوجب منها في الاموال ، لانّ الأموال وقاية للاعراض . ولهذا ترى الاحرار يرضون بذهاب أموالهم ، ويأنفون من أنْ ينالوا بضرر في أعراضهم . فكذلك ينبغي للوزير أنْ يجعل حاجبه ، مَنْ صَحَّ عقله وغريزته ، وحسن خلقه ، ولانت كلمته . وأنْ يحظر استعمال [٢٢٣] المجازاة في الاذن عليه ، أو الحجبة عنه ، ويعرفه أنه قد ائتمنه على أعراض مَنْ يغشاه ، وإنّما أعراضهم أقدارهم . ويأمره أنْ يوقرها عليهـــم ويوفيهم حقوقهم ، ولا يتجاوز بامرىء فوق حده ولا ينتقصه عن قدره . وأنْ يتوقى الجور في ذلك ، فانَّه متى رفع انساناً فوق قدره وضع نظيره ، وظلم مَنْ فوقه ، لانَّه [إنْ] لم يرفع نظيره كما رفعه فقد وضع منه[(١)] والحق من فوقه بمن لايلحقه ، فقد ظلمه . ومتى وضع انساناً دون قدره فقد ظلمه ، ووضع منه ورفع نظراءه عليه .

وأنْ يتلقى من يحجبه عنه بالعذر الموجب ذلك بالبشاشة ، واللطافة واظهار الود ، حتى يكون انصرافه مع حسن لقاء الحــاجب يقوم مقـام وصوله وقضاء حوائجه . ثم متى وقف على أنَّ حاجبه قد خالف وصيته أو تعدى مارسمه له ، أو استجعل[(٢)] في ايصال الناس اليه ، أوْ حجبهم

---

(١) فى الاصل : منهم .

(٢) أى : أخذ جعلا منهم . قال فى مختار الصحاح : « والجعل ـ بالضم ـ ما جعل للانسان من شىء على فعل ، وكذا الجعالة ـ بالكسر ـ والجعيلة ـ أيضا ـ . وجاء فى معجم الادباء فى أخبار بعض الحجاب : « أجلس للناس وخذ رقاعهم فى الحوائج الكبار واستجعل عليها » ج١ ص ٤٨ .

عنه كما يستعمله الناس في هذا الدهر من التقدمة لمن كرمهم ونفعهم ، وتأخير من قبض يده عنهم ومنعهم ، أدّبه وصرفه عن حجبته .

فهذه جملة ما ينبغي للوزير أنْ يسوس بها خاصته .

★ ★

وأمَّا معاملته الرعية ، فأصل مايساس به الرعية العدل . وقد قيل : « خير السلاطين ، أعدلهم على الرعية ، وخير [٣٢٣] الرعية ، أصلحها على عدل السلطان » .

فاذا عدل الوزير فيهم ، وقام بالقسط في كافتهم ، فليجمع الى عدله رأفةً عليهم عفواً عن جاهلهم ، وتبصيراً له ، وشدةً على مفسدهم ، وتقويماً له . وأنْ يخلط أمر اللين بالشدة ، والرأفة بالغلظة ، ليستقيم على كل واحد منهما من لايستقيم إلاّ بذلك فيصلح على الرأفة والرقة واللين أهل الحياء والفضل والدين ، وتصلح على القسوة والغلظة والابعاد أهل الجهل والشر والفساد .

وقد قال صاحب المنطق[١] : « الرياسة لاتقوم إلاّ بطريقين مختلفين ، وذلك ان سفل الناس انما يذعنون للسلطان بالخوف ، فلا بُدَّ من الشدة عليهم . وأمَّا الأفاضل فيذعنون بالمحبة والرضى ، فقد يحتاج السلطان الى الرفق بهم حتى يجتمع له الناس طوعاً وكرها » .

وبهذا الادب ، أدَّبَ اللهُ ـ سبحانه ـ نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبهذه السياسة أمره بأنْ يسوس أمته ، فقال : « واخْفِضْ جناحَك لمن اتَّبَعَك من المؤمنين »[٢] . وقال : « يا أيُّها النبيُّ جاهِدِ الكفّارَ والمنافقينَ ، واغْلُظْ عليهم »[٣] .

---

(١) صاحب المنطق ، هو أرسطو .
(٢) سورة الشعراء ، الآية ٢١٥ .
(٣) سورة التوبة ، الآية ٧٣ .

وينبغي للوزير أنْ يكون أشَدّ الناس على الظالم من رعيته ، وإنْ كبر محله[1] ، وخص بسلطانه حتى يقمعه ، ويأخذ الحق منه . وألطفهم بالمظلوم منها وإنْ صغر محله وخمل ذكره حتى ينصفه [٣٢٤] ويأخذ له بحقه . ومتى وجد الرعية على سبيل تحزب[2] وتلفف وتجمع ، فرّقهم وشَرّدهم ، ولم يدعهم في ذلك في أمرهم . فاذا رآهم ينظرون في أمر الدين مع نقص عقولهم وبعد اقامتهم[3] . ورضاهم مع ذلك عن أنفسهم ، واعجابهم برأيهم سبب لكل شر ، وداعية الى كل فساد وضر . ومتى حضروا لشهادة تبرعاً من غير أنْ يستدعوا أو يضعوا أنفسهم للامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أنْ يأذن لهم في ذلك سلطانهم ، وتشاغلوا بذلك عن مهنهم وأسواقهم وتجاراتهم ، ورأوا الترؤس[4] ورفع من أرادوا ، وحط من أرادوا ، نُكّلَ بهم ، وبولغ في معابتهم ، ولم يقرهم السلطان ووزيره على ذلك من رأيهم وفعلهم . فقد روي عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أنّه يُستعاذ بالله من شرهم ، فقال : « أعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يملكوا ، واذا تفرقوا لم يعرفوا » . وقال واصل بن عطاء[5] : « ما اجتمعت العامة إلاّ ضَرّت ، ولا تفرقت إلاّ نفعت » . قيل : « قد عرفنا مضرة اجتماعهم ، فما منفعة افتراقهم ؟ » . فقال : « يرجع الطيان الى تطيينه ، والحائك الى حياكته ، والفلاح الى فلاحته ، فيكون في ذلك مرفق للمسلمين » .

ولهذا كانت الاكابر تمتحن العامة ، مَنْ وجدته فارغاً أكْسَبَتْه شغلاً وجعلت له عملا ، لانّ الفراغ مبعثة [٣٢٥] للفكر الرديّة والهمم

---

(١) فى الاصل : عقله ، يقول الدكتور مصطفى جواد : لعل الاصل : « وان كبر محله » ليقابل ما بعده وهو : « وان صغر محله » .

(٢) اى : أن يكونوا حزبا والبا عليهم .

(٣) يقول الدكتور مصطفى جواد : « هذه الجملة ينبغى أن تكون جوابا لقوله : (فاذا رآهم) وهى غامضة » .

(٤) أى : أن يكونوا رؤساء . (م.ج) .

(٥) واصل بن عطاء ، من موالى بنى ضبة أو بنى مخزوم . رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين . توفى سنة ١٣١ هـ (٧٤٨ م) .
(ينظر النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣١٣ ـ ٣١٤ ، والاعلام ج ٩ ص ١٩١) .

المنكرة ، وفي العمل زوال هذه الفكرة والشغل عنهـــا ، ورفاغة[1] العيش وحسن الحال ، فالمكتسب الذي يُستفاد بالعمل . وكان عمر بن عبدالعزيز إذا نظر الى الطغام والحشو من العوام ، قال : « قبح الله هذه الوجوه التي لا تُرى إلاّ عند كل شر » . وتمثّل المنصور ، وقد رأى جماعة منهم ، وقد وقفوا للنظر اليه في بعض أيام ركوبه ، فقال : [من الوافر]

لقـــد جمعت من شتّى لأمر	كما قال الحمار لسَهْـــمٍ رامٍ
ومتن خلالة وجنــاح نســر	حديدة صيقل ، في عود نبع[2]

ثم أمر بتفريقهم ، ففرقوا .

وقال الـكندى[3] : « بغض العامة للسلطان كبغض الصبيان للمعلم ، فليس ينبغي أنْ يجازيهم على ذلك بالبغض لهم ، ولكن بالتأديب والتقويم ، فانهم اذا تقوّموا عرفوا فضل ما أريد بهم ، كما انَّ الصبي اذا كبر وعقل ، عرف فضل الادب » .

وينبغي للوزير أنْ يتفقد رعيته ، وينزل كل أحد منزلته ، فانَّمـا يستخرج ما عند الرعية ولاتها ، وما في الدين علماؤه ، وما عنـد الجنود قادتهـــا .

وليوسع على الكريم منهم ، وليضيّق على اللئيم ويسقط رتبته ، فانّ الكريم اذا احتاج خيف ضره ، واللئيم اذا شبع ظهر شَرُّه . وقـد قال أردشير : « إنَّ العاقل المحروم ، سَلّ عليكم [٣٢٦] لسانه وهو أقطـع سيفيه . وإنّ أشَدَّ ما ضَرّكم به من لسانه ، ما صرف القول فيه والحيلة الى الدين ، فكان بالدين يحتج ، وله فيما يظهر يغضب ، فيـكون للدين

(١) رفاغة العيش : العيش اللين السهل . والرفاغية : سعة العيش .
(٢) النبع شجر تتخذ منه القسى والسهام .
(٣) الكندى : هو يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى ، أبو يوسف فيلسوف العرب والمسلمين فى عصره . نشأ فى البصرة ، وانتقل الى بغداد فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك . توفى نحو سـنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م) . (ينظر طبقات الاطباء ج ١ ص٢٠٦ ، والاعلام ج٩ ص٢٥٥) .

يكاؤه ، واليه دعاؤه ، وهو أحد البائعين والمصدقين والمناصحين منكم ، لأنّ بغضة الناس موكلة بالملوك ، ومحبتهم ورأفتهم موكلتان بالضعفاء » . ثم قال : « وقد كان من قبلنا محتالون للطعانين على الملوك بالدين فيسمونهم المبتدعة ، فيكون الدين هو الذي يقتلهم[1] ويريح الملك منهم » .

ولا ينبغي للملك أنْ يعترف للعبّاد والنساك بأنّ أحداً أسدك منه[2] بالدين ، ولا أحدب عليه ، ولا أشد تقصياً[3] له منه . وأنْ لا يدعهم من الامر والنهي في نسكهم ودينهم ، فانّ خروج النساك من أمر الملوك ونهيه عيب عليه وثلمة في سلطانه .

وينبغي للوزير أنْ يأمر الرعية بعد منعه إياهم من الاختلاف في الدين والتعصب والتلفف باجماع الكلمة ، واتفاق النية ، والائتلاف فيما بينهم . فبذلك أمر الله – عز وجل – حيث يقول : « واعْتَصِمُوا بحَبْلِ الله جميعا ، ولا تفرقوا »[4] . وحيث يقول : « ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا »[5] . وقد قالت القدماء : « بالجماعة تمام[6] أمر الدنيا ، وعليه مداد الغلبة » . ومن دواعيها وتوابعها : الأمن والسلامة . ومن توابع الفرقة: الخوف والهلكة والفتنة . فما مَثَلُ الفرقة إلاّ مثل الموت المفرق [٣٢٧] بين الروح والجسد ، ولا مثل الالفة إلاّ مثل الحياة الجامعة لهما ، المظهرة لافعالهما ومنافعهما .

ألا ترى أنّ الشعرات المتفرقة تكون في نهاية الضعف والدقة ، فاذا فتلت كان منها الحبال التي تطوع[7] بها الجواميس والفيلة . وانّا لنجد الدواب والطير قد كاست وأبصرت الصلاح في الجماعة ، فهي تألفها[8] ،

---

(١) يقول الدكتور مصطفى جواد : « لانهم كانوا مبتدعة » .
(٢) أى : ألصق به .
(٣) أى : أشد استقصاء أو رعاية .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٠٥ .
(٦) فى الاصل : تماهر .
(٧) أو : تصرع : (م.ج) .
(٨) أى : تألف جماعتها .

وتنفر من الوحدة ، وتهرب عنها ، وكفى بالانسان فيلاً[1] وجهلاً أنْ يقصر فهمه عمَّا أبصرته النملة ، وفهمته النحلة وما أشبهها .

والجماعة لاتكون اِلاّ برئيس جامع لها ، واِلاّ قَلَّ لبث اجتماعها ، وتفرقت كلمة أهلها . ولا رياسة اِلاّ بطاعة ، ولا طاعة اِلا بشريعة ، ومتى خالف الذي يأخذ الناس بالشرع شريعته ، كان المأخوذون بها الى الخلاف لها أسرع .

وليعلم الوزير أنَّ التوددَ من الذليل يُعَدُّ مَلقـاً ، والتودد من العزيز يُعَدّ تواضعا ونبلا . فليتودد الى العامة يَنَلْ بذلك محبتَهم وشرف الذكر فيهم ، ولا يقتصر على التودد اليهم دون ايداع الهيبة صدورهم ، واِلاّ لم يكن للتودد موقع عندهم . فانَّه اذا ساس رعيته هـذه السياسة ، صحت له عليهم الرياسة ، وصلحت أخلاقهم ، واستقامت طباعهم ، وأقبلوا على منافعهم ، وتركوا ما لاعائدة فيه عليهم ، ولا فائدة في [٣٢٨] استعماله لهم ، وانتفعوا ، وانتفع بهم — اِنْ شاء الله — .

★ ★

فهذه أبواب الكتابة الظاهرة ، فأما الكتابة الباطنة فانّ القول — لما كان فيه مايحتاج الانسان الى ستره وكتمانه ورمزه لنوع من أنواع الرأي في استعمال ذلك ، ووجه من وجوه المصلحة المقصودة فيه حتى لا يقف عليه اِلاّ من وثق به وسكنت النفس اليه — جعلت الترجمة والتعمية[2] في الكتاب بدلاً من التبيين ، والرمز والاشارة ، وسائر ماينبغي به القول .

---

(١) فال رأيه فيلة وفيولا وفيلولة : اذا أخطأ . والفيل : جمع الفيلة — بفتح الفاء — . أو هو مصدر مقيس . (م.ج) .

(٢) فى أدب الكتاب للصولى ص ١٨٦ : « الترجمة فى المكاتبة : أصل هذه اللفظة فارسية ، وكذلك الترجمان . وقد تكلمت بها العرب بعد ذلك وعربتها ... وهى شبيهة بالمعمى ، وهو ما يكنى من الشعر كأن يسمى الالف فاختة ، والباء صقرا ، والتاء عصفورا . ثم يردد الحروف على هذا . وترجمت له الامر : أوضحته له » .

فعمي وترجم من[1] الكتاب : ما أريد ستره وكتمه ، كما رمز وعمي من القول ما أريد ستره . وقد قلنا : إنّ الكتابة تتغير في كل أوان بتغير أوضاع أهلها ، وحروفها المستعملة كثيرا في اللسان العربي تسعة وعشرون حرفاً ، منها ثمانية وعشرون حرفا لها صورة معلومة غير الالف فانها لما كانت ساكنة أبداً ، وكان لايوصل الى النطق بساكن ، وصلت باللام لتكون حركة اللام مفتاحاً للنطق بها ، فجعلت لام الألف[2] .

فأمَّا الألف التي في أول حروف المعجم ، فليست ألفاً على الحقيقة ، وإنما هي همزة تسمى الالف الحقيقية على الاستعارة . وقد تقع في لغات العرب التي يستعملها بعضهم حروف لا صورة لها مثل همزة بين بين ، والألف الممالة الى الياء ، والالف المفخمة بالواو ، والشين [٣٢٩] التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي ، والجيم التي كالكاف .

وكان من الواجب أنْ يفرد كل حرف من حروف المعجم بصورة ، لكنهم استثقلوا ذلك فجمعوا حروفا كثيرة ، وحرفين بصورة واحدة . كالباء التي صورتها وصورة التاء والثاء واحدة ، وكالسين التي صورتها وصورة الشين واحدة . وكذلك سائر الحروف المشتركة الصورة ، فصلوا بينها بالنقط فكان ذلك أخف عليهم . فصارت الصور ثماني عشرة صورة لتسعة وعشرين حرفا . فمن الناس من قد جعل التعمية على عدد الحروف ، ومنهم من قد جعلها على عدد الصور ، ومنهم من قد زاد في ذلك ونقص .

وأنا أذكر من وجوه الحيلة في استخراجه ما يحضرني ـ إنْ شاء الله ـ .

---

(١) فى الاصل : به .

(٢) فى أدب الكتاب ص ١٨٦ : « فحروف : أ ب ت ث ، تسعة وعشرون حرفا أولها الالف ، وهى همزة ، لانه لا يبتدأ الا بمتحرك ، والالف ساكنة لا تتحرك . وقال احمد بن يحيى من أجل ذلك قالوا : بعد أن أتوا بالالف واللام ليعلموا أن هذه هى الالف الحقيقية ، وهى التى تقع فى آخر : حتى ، ومتى ، وفى حياة ، وزكاة » .

فأول ، انَّ كل قول مترجم أو معمى ، فأما أنْ يكون شعراً منظوماً أو كلاما منثورا . وانَّ التعمية غير الترجمة . والترجمة ما ترجم به عن شكل الحرف . أمَّا شكل حرف آخر غيره يبدل منه أو بصورة تخترع له ليست من صور الحروف . فأما ماترجم بحرف مثله فهو كوضعنا العين مكان الجيم ، والالف مكان الواو . وقد استعمل ذلك في الترجمة البسطامية[1] ، وهما مشهورتان . وقد يكون هذا النوع من الترجمة في بعض الحروف ، وقد يكون [٣٣٠] في سائرها .

فأمَّا ما ترجم عنه بصورة مخترعة له ، فهو كثير في الترجمة ، ولكل انسان أنْ يخترع منه ما أحب . ومنه ترجمة لآل مقلة ولابي الحسن علي بن خلف بن طيّاب[2] ـ رحمه الله ـ .

فأمَّا التعمية ، فهي تنقسم ثلاثة أقسام :

أحدهما : التعمية بالمعاني المشتقة ، كتعميتنا بالطاء باسم الطير ، والواو باسم الوحش ، والعين باسم العطر . وهذه التعمية بالاجناس . وإمَّا أنْ يوضع لكل حرف اسم من أسماء الناس ، أو الوحش ، أو الطير . كتصييرهم النون : قبجة ، والجيم : بطة ، والكاف : رمان ، والصاد : رند[3] ، وأشباه ذلك . والأولى أغلق من هذه .

---

(١) بسطام : ليس من كلام العرب ، وانما سمى قيس بن مسعود ابنه بسطاما باسم ملك من ملوك فارس · (ينظر المعرب ص ٥٦ ، واللسان « بسطم » وشفاء الغليل ص ٦٣) ·

(٢) ذكره الصولى فى كتابه : « أخبار الراضى بالله والمتقى لله » عدة مرات ، ففى ذى الحجة سنة ٣٢٣ هـ عين علي بن خلف بن طياب على الخراج · وفى سنة ٣٢٧ هـ نهبت داره فى الجانب الغربى ببغداد · وفى هذه السنة أيضا طولب بالاموال التى ضمنها فما قدر الا على الشيء اليسير ، فوجه الى قرى بعيدة · وفى السنة نفسها أخذ من الاموال بالموصل نحو ألف ألف دينار سرا وجهرا فقبض بجكم على كاتبه على بن خلف وعلى أخيه · وذكر الصولى ان على بن خلف بن طياب كان حيا فى سنة ٣٣٠ هـ ، قال : « وورد الخبر ان يانسا المؤنسى وعلي بن خلف قائلا ابن مقاتل الصغير المكنى أبا الحسن فقتلاه » · (ينظر أخبار الراضى ص ٦٨ ، ١٠٣ ، ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣١) ـ

(٣) الرند ضرب من الآس البرى طيب الرائحة جدا ·

والثاني : من وجوه التعمية ، أنْ تعمى الكلمة بتغيير مراتب حروفها فتجعل آخرها أولها ، وأولها آخرها . وترتب سائر حروفها على هذا الترتيب .

مثل تصييرنا الهاء أول اسم الله ـ عز وجل ـ والألف آخرها ، والصورة : « هللاّ » .. وهذه التعمية التي بتغير مراتب الحروف تنقسم أقساماً ، منها ما ذكرناه ، ومنها أنْ يجعل أول حرف من الكلمة في أول السطر ، وثانيها في آخر السطر ، وثالثها يلي أولها في أول السطر ، ورابعها الى جانب ثانيها في آخر السطر . وكذلك الى أنْ تلتقي الحروف في وسط السطر . وأمَّا أنْ يجعل آخر حرف من الكلمة تالياً لأولها ، ثم يجعل ثاني الكلمة [٣٣١] تالياً لهما ، والذي قبل آخرها تاليا للثالث ، وكذلك الى آخر التعمية . وقد يسلك هذا المسلك في التعمية لمن يترجم عن ذلك ، أما بابدال الحروف ، وأما باخراج الصور ، فيكون أغلق . وربما جعلت مراتب الحروف على غير هذا ، على حسب مايتفق للانسان .

والوجه الثالث : من وجوه التعمية بالزيادة والنقصان . أما بالزيادة فان تزاد حروف أغفال بين الحروف المعماة أو المترجمة لايحتسب بها ، يراد بذلك أنْ يشكل المستخرج كزيادتنا ياءاً بعد ميم « محمد » وكافاً بعد حائه ، وجيماً بعد ميمه ، وصاداً بعد داله ، فتصير صورته : « ميحكمجدص » . وربما فعل هذا ، وترجم عنه بنوع من نوعي الترجمة . أو تجعل لكل حرف من حروف المعجم صورة مفردة ، ولا يقتصر بها على الاشتراك الذي يحصل في صورة المشتركات منها .

وأمَّا النقصان ، فانْ يجعل للحروف المقترنة مثل : « مَعَ » ، و « عَنْ » ، و « منْ » ، و « ما » ، و « هل » وأشباه ذلك ، صورة مفردة ، فيجعل بكل حرفين منها حرف واحد ، وأنْ يجعل لاسم الله ـ عز وجل ـ صورة واحدة . ولا يجعل لكل حرف من ذلك صورة ليعمى بذلك على من يريد استخراج الكلام ، إذ كان أكثر ما يتضح من الكلام ، إنَّما هو بأمْثال

هذا . وأنْ يجعل للحروف [٣٣٢] التي تشترك في الصورة شكلاً واحداً كالجيم والحاء والخاء والعين والغين ، وأشباه ذلك .

وصور التعمية أكثر من أنْ تحصى ، لانـّها بالوضع والاصطـلاح ، وليست بالطبع . ووجوه الوضع والاصطلاحات ليست مما تحضر فيها الصنعة الطبيعية بل هي بلا نهاية .

ومما يحتال به في استخراج المعمّى والمترجم اِذا طال ، أنْ يعد كـُلّ مافيه من كل صورة من صور الحروف أو نوع من أنواع ما يترجم به منها تكتب كل واحد من ذلك على عدده الاول فالاول حتى تأتي على آخره . فانْ كانت الاشكال في تسعة وعشرين ، فقد جعل لكل حرف صورة ، واِنْ كانت أكثر زيد فيها اغفال ، واِن كانت أقل وكانت زائدة على ثماني عشرة فقد جعل للحرفين منها أو للثلاثة صورة واحدة . وان كانت ثماني عشـرة بلا زيادة فقد جعل لكل الحروف المشتركة في الصورة صورة واحدة مشتركة بينها على ما وضعت عليه حروف المعجم . ثم ينظر الى أكثر حروفهـا ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه فيقضي على كل واحدة من الجمل بما سنذكره منها وجُزْ بهِ التجربة . وهو أن أكثرها وقوعا في هـذا المسلك الألف ، ثم اللام ، ثم الميم ، ثم الياء ، ثم الواو ، ثم الباء ، ثم النون ، ثم الراء ، ثم العين ، ثم الفاء والكاف فهما [٣٣٣] لشيء واحد . ثم الدال ، ثم الفاء ، ثم النون ، ثم القاف ، ثم الحاء ، ثم الجيم ، ثم الذال ، ثم الصاد ، ثم الشين ، ثم الضاد ، ثم الخاء ، ثم الزاي ، ثم الطاء والعين ، ثم الظاء . وهذا النوع يصدق فيما طال من المعمى أو المترجم لتكوّن الحروف فيه ووقوع جميعها في نظمه . فأما السطر والسطران ونحوهما فلا يصدق هذا فيه .

واِذا كان ذلك فينبغي أنْ يستعمل في استنباطه حيلة أخرى ، وهي أنْ يعرف ما يأتلف من الحروف في اللسان العربي ، وما لايأتلف . فاذا وقع الظن على حرفين ، نظرت هل هما مما يأتلف أم لا ؟ فان كان مما يأتلف طلبت كل واحد منهما في موضع آخر ، ونظرت أيضاً هل هو مما يقترن أو

لا يقترن ؟ ثم ذلك فافعل حتى تظهر لك الالفاظ بحقائقها .

ومما يستشهد به ـ أيضا ـ في هذا النوع ، الحروف التي يكثر اقترانها في هذا اللسان مثل : « من » ، و « مع » ، و « عن » ، و « ما » ، و « في » والألف واللام فان صورها تأتي معاً في مواضع كثيرة فيدل ذلك على استنباط الحروف بعد الاصلين اللذين قدمناهما .

ومما يعين على الاستدلال على هــذه الحروف اذا طلبت وهي على صورها أو افرد كل اثنين منها بصورة ، معرفة مايقع منها في هذا اللسان أكثر ، وما يقع [٣٣٤] بها فيه أقل . فأكثرها مافيه « لا » ، ثم « من » ، ثم « ان » ، ثم « ما » ، ثم « في » ، ثم « لم » ، ثم « عن »، ثم « هو »، **ثم « هم » ، ثم« إذْ » ، ثم « ثُمَّ » ، ثم « هي » ، ثم « أو »، ثم « لو »،** ثم « بل » ، ثم « هل » ، ثم « كل » ، ثم « أي » ، ثم « لن » ، ثم « كم » ، ثم « مع » ، و « أم » و « ذي » ، ثم « ذا » ، ثم « لي » و « ذو » ، و « رُبَّ » ، ثم « مُذْ » ، و « هُنَّ » .

فهذه مراتب الحروف المقترنة في الاعداد .

ومما يستدل به على استخراج المعمى ـ أيضاً ـ استدلالاً قوياً ، فواتح الكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » وكالتحميد ، والتمجيــد في أوائل الكتب ، وكالصدور التي قد كثر استعمالها من أهل الدهر مثل : « أطال الله بقاءك » ، و « ياسيدي أطال الله بقاءك » ، و « أطال الله بقـــاء الوزير » ، و « أطال الله بقاء سيدنا الأمير » ، و « من عبدالله أبي فلان لعبدالله أبي فلان » ، و « أما بعد » في أوائل الكتب ، وأشباه هذا .

وإذا اتفقت الشهادات ، ووجدْتها في التكرار تصح ، فاقْض باليقين فيها . فانَّ هذا من جنس ما يستخرج الحق فيه بالظنون مما قدمنا ذكره في أول الكتاب .

فأمَّا الحروف التي تقترن وتأتلف في هذه اللغة مع كل حرف ، فهي حروف المد واللين ، وهي : الواو ، والألف ، والياء . ثم انَّ مخــارج

الحروف ثلاثة عشر مخرجاً . أولها من بين الشفتين مخرج [٣٣٥] الواو والباء والميم والفاء ، وهي حروف الشفة . ومن طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الثاء والظاء والذال ، وهي حروف النفث . وأدخل من ذلك قليلا بأطباق اللسان على أصول الثنايا مخرج التاء والدال والطاء وهي حروف الاطباق . وأدخل من ذلك قليلا الى ظهر اللسان مخرج الصاد والسين والزاي ، وهي حروف الصفير . ومن طرف اللسان مخرج الراء والنون واللام .. ومن أحد جانبي اللسان مخرج الضاد . ومن الناس من يخرجها من الشق الايمن ، ومنهم من يخرجها من الايسر . وفيما بين وسط اللسان وجانبه مخرج الياء والجيم والشين . وفوق ذلك الى أصل اللسان مخرج الكاف ، وفوقه من أصل اللسان القاف . ثم حروف الحلق من ثلاثة مخارج، أولها مما يلي الفم مخرج الخاء والغين ، ومن وسطه مخرج العين والحاء . ومن أقصاه مما يلي الصدر : الهمزة والالف ، وهي أدخلها الى الصدر . ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة . فكلما تقارب مخرج الحرفين كانا أثقل على اللسان منهما اذا تباعدا . ومن شأن العرب استعمال ما خَفَّ ، وتجنب ماثقل ، وكذلك لايكادون يجمعون بين حرفين من مخرج واحد [٣٣٦] أوْ مخرجين متساويين ، واذا اجتمعا أدغموا أحدهما في الآخر .

والأصل في الادغام انه إذا اجتمع حرفان من مخرج واحد ، أوْ على صورة واحدة ، وسبق أحدهما بالسكون ، وكانا متجاورين ، ادغمت أحدهما في الآخر لاغير . وذلك مثل قوله : « فقلنا : اضْرِب بِعَصاك الحجر »(١) وقوله : « عَصَوا ، وّكانوا يعتدون »(٢) .

وإن كانا في كلمة واحدة ، لم يجز غير الادغام ، نحو قوله : « فَلِمَ تُحاجُّونَ فيما ليس لكُم به عِلْمٌ »(٣) . واذا سكن الثاني لم يجز

(١) سورة البقرة ، الآية ٦٠ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٦١ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ٦٦ .

الادغام ، نحو قوله : « ها أنتمُ هؤلاء حاجَجتُم »[1] . ومثله : « مددت » ، و « رددت » ، و « كللت » .

وإذا اجتمع حرفان متجاوران من مخرج واحد أو على صورة واحدة وهمـا متحركان ، كنْتَ بالخيـــار ، إنْ شئْتَ أظهرْتَ ، وانْ شئت أدغمت ، كقولك : « ضربَ بكر عمراً » أو « ضربْ بكر » .

فانْ كان الحرفان من كلمة واحدة وهما متحركان ، نظرت لما كان من ذلك في الاسم فأظهرته ، نحو : « العدد » و « المدد » وكقوله : « لقـد قُلْنا إذَنْ شَططا »[2] .

واذا كان من فعل ادغمت ، نحو : « مَدَّ » و « رَدَّ » ، ولا تقل : « مَدَدَ » و « رَدَدَ » وذلك لخفة الاسماء وثقل الأفعال . فكذلك حـكم اللام والراء ، لأنَّـهما من مخرج واحد في الادغام . وحكم الدال والسين في قوله : « لقد سَمِعَ اللهُ »[3] لتقارب مخارج الحرفين . فحروف الحلق لا تأتلف ، ولا [٣٣٧] تقترن الهمزة والالف منها ، لأنَّـهمـا من حروف الزوائد ، واحداهما من حروف المد واللين فهما يجتمعان مع سائر الحروف. ولا يجمعون بين القاف والكاف في أصل بناء كلمة . فانْ كانت الكاف زائدة للتشبيه جاز ذلك فقالوا : « كقولك » ، ليس هذا مقارنة وانما هي مجاورة .

وأمَّا الجيم والشين والضاد ، فلأنَّ بعضها أطول مدى في المخرج من بعض. وأنَّ مراتب بعضها دون مراتب بعض في مخرجها ، تقارنت في بعض أحوالها ، فقارنت الجيم الضاد بتقديم الضاد في « الضجيع » ولم تقارنها بالتأخـــير . وقارنت الشين الجيمَ بالتقديم والتأخير ، فقيل : « جَشّ » و « شَجَّ » ولم يقارن الضادُ الشينَ بتقديم ولا تأخير لتقارب مخرجهما . وأما حروف الصفـير فانّ بعضها لايقارن بعضاً ، وحروف النفْث لايقارن بعضها بعضا . وأمَّـا

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٦٦ .
(٢) سورة الكهف ، الآية ١٤ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٨١ .

حروف الانطباق فتتقارن ، لانّ مخارجها وإنْ كانت متساوية فانها متباينة .
وأكثر العرب تدغم مايقارن منها فيقال في : « متطهّر » : « مُطَّهِّر » ، وفي « عندْتُ » : « عَنتُّ » . قال الله — عز وجل — : « إنَّ اللهَ يُحِبُّ التوّابين ويُحبّ المُتَطَهِّرِين »[١] . وقال : « لو يُطِيعُكُم في كثيرٍ من الأمر لَعَنِتُّم »[٢] .

والحروف التي تخرج من طرف اللسان [٣٣٨] فليس يكاد يجمعون بين اثنين منهـــا إلاّ ادغموا أحدهما في الآخر كقولهـم : « الرحمن » و « النجوى » . فاذا تأخرت اللام فربما أظهروا الحرفين ، وربما اكتفوا من الحرف المتقـدم وأسْقطوه فقالوا في : « [بني] الحارث » : « بلحارث » وفي « من الاشياء » : « ملأشياء »[٣] .

وحروف الشفة يأتلف بعضها مع بعض بخفتها وقلة الكلفة على اللسان فيهـــا [٤] .

فهذه جمل القول في مخارج الحروف ، وما يأتلف من حروف كل مخرج ، وما لا يأتلف ، فأمّا استيعاب جميعها فيطول . فاذا بدأت بالتاء من حروف المعجم فأضفها الى سائر الحروف بالتقديم والتأخير ، ثم مابعدها على

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢٢ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ٧ .

(٣) هذا اسلوب شائع فى الشعر خاصة ، وقد كثر فى شـــعر الهذليين والعرجى وجميل بثينة .
يقول العرجى (ديوانه ص ٧) :
حتى بدا ســـاطع ملفجر تحســـبه سنا حريق بليـــل حين يضـــطرم
ويقول (ص ١٢٧) :
وملآن فاضـــرب لى ، ولا تخلفـــننى لدى شعبة الاصغاء ان شئت موعـدا
ويقول (ص ١٧٨) :
وما أنس ملأشياء ، لا أنس قولهـــا لخادمها : قومى اسألى لى عن الـــوتر
ويقول جميل بثينة (ديوانه ص ١٩) :
وما أنس ملأشـــياء ، لا أنس قولها وقد قربت نضـــوى : أمصر تريـــد

(٤) يقول الجاحظ فى البيان والتبيين ج١ ص ٦٩ : « فان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير . والزاى لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا بتأخير . وهذا باب كبير . وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التى اليها يجرى » .

الترتيب ، تبيَّن لك ما يأتلف منها وما لا يأتلف ، وغنينا عن الاطالة بذكره ـ إنْ شاء الله ـ .

وإذا وجدت التعمية أو الترجمة حروفاً موصولة ، فاعلم أنَّها بابدال الحروف . فانْ وجدت أكثر كلماتها الموصولة على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف ووجدت في الافراد فيها ماتجاوز الأربعة ، فاعلم أنَّه لم يرد فيها حرف أغفال . وإنْ وجدت أكثر مافيها من الكلمات يتجاوز الأربعة ، وزيد على الستة والثمانية ، فاعلم أنَّه قد زيد فيها حروف اغفال ، لأنَّا قدَّمْنا أنَّ أكثر ما يجيء من الاسماء السالمة على خمسة أحرف ، وأنَّ أكثر ما يجيء من الافعال على أربعة ، وانَّ مازاد على ذلك [٣٣٩] فقد لحقته الزيادة ، وبيّنا وجوهه . فاذا صَحَّت لك الحروف ، وقامت في نفسك ، ولم يصح لك نظمها ، علمت أنَّ ترتيب الحروف في تلك التعمية قد غيَّرت ، واستعملت التقديم والتأخير ، والقلب والابدال ، أبداً حتى يصح لك ، وهذا أتْعب باب في التعمية .

ثم اعلم أنَّ أسهل كلام العرب ، وأكثر ماتستعمله من الحروف ، ما كان بطرف اللسان أو الشفتين وليس يكاد يكون اسماً أو فعلاً ، مبنيّاً من أربعة أحرف فما زاد ، إلاّ وفيه أحد هـذه الحروف أو اثنان منها ، إلاّ الشاذ كـ « اسحاق »[1] .

وعِلْمُ هذا دليلٌ عظيم على استنباط المعمى والمترجم اذا كان لكل كلمة منه فصل . فاذا امتحنت فصول الكلمات ، وقسْتَ بعضها الى بعض ، وقلت : إنَّ بعض هذه الحروف فيها أو جميعها اذا [كانت] أكثر الكلام نظرت أكثرها فيها فهو أكثرها في اللسان العربي ـ كما ذكرنا ـ . ثم الذي

(١) في المعرب للجواليقي ص ١٣ : « أسماء الانبياء ـ صلوات الله عليهم ـ كلها أعجمية ، نحو : ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، والياس ، وادريس ، واسرائيل ، وأيوب ، الا اربعة اسماء وهي : آدم ، وصالح ، وشعيب ، ومحمد » . ثم قال : « واسحاق : اعجمي ، وان وافق لفظ العربي . يقال : اسحقه الله يسحقه اسحاقا » .

يليه في الـكثرة ، ثم الذي يليه حتى يؤتى على آخره ، فهذا جاء في المنثور من الكلام .

فأمَّا الشعر ، فاستخراجه أيسر ، وذلك ، لان الشعر موزون مقفى ، فوزنه وقافيته تُعينان على استخراجه . وطريق ذلك أنْ تنظر الى حرف القافية ، أين هو من التعمية والترجمــة ، ثم تعد الحروف من أول [٣٤٠] البيت الى آخره . فانْ كان من أربعة عشر حرفاً أو نحوها وما فوقها ودونها فهو من الارجاز وقصير الشعر . وإنْ كان فيما بين ذلك ، فهو من متوسطه . وإنْ رأيت حرف القافية يلي بيت العدد بتقديم أو تأخير من حيث لا يبعد ، فالبيت مُصَرَّع . فانْ وجدْت بيتاً أنقص من بيت في عــدد حروفه ، فلا يغلطنك ذلك ، واعلم أنَّه ربما لحقه الخَرْم والزخاف ، وهما نقص في حروف الشعر . وربما كان في الكلام الحرف الممدود أو المشــدد ، وكل واحد منهما في الشعر حرفان ، وهو في الـكتابة واحد فلهذا ربما نقص بيت عن بيت في عدد حروفه . ثم اعدد الحرف إن كانت الـكلمات مفصولة ، واعْرِضْها على الاوزان ، فاذا وافقهـــا استنبطت الحروف بالحيل التي قدّمناها . فاذا خرج من ذلك ما يتفق من ذلك أنْ يكون كلامـا موزونا مقفى ، وعاد مثله من الحروف في الابيات فانتظم ولم يختلف ، فقد أصبت استـخراجـــه .

وأوزان العروض السالمة ثمانية ، منــها خماسيان وستة سـباعية . فالخماسيان : « فعولن » و « فاعلن » ، والستـــة السباعية : « مفاعيلن » ، و « مستفعلن » ، و « فاعــلاتن » ، و « مفــاعلتن » ، و « متفاعلن » ، و « مفعولات » . فاذا وقفت على وزن بيت ، وأردت أن تدري من أي [٣٤١] نوع من العروض ، فانظر ، فان كان أوله « فعولن » أو مزاحفه ، فهو من الطويل أو المتقارب . و إن أردت أن تعلم من أيهما فانظر ما يلي « فعولن » ، فان كان « فعولن » أو مزاحفه فهو من المتقارب ، وإن كان « مفاعيلن » أو مزاحفه فهو من الطويل . وليس في العروض بيت أوله

« فاعلن » . وإن كان أوله « مفاعيلن » أو مزاحفه ، فهو من الهزج . وإن وليه « فاعلان » أو مزاحفه ، فهو من المضارع ، وربما كان مزاحف الوافر « مفاعيلن » . ومحنـة ذلك أن تنظـر ، فان رأيت الاوزان كلها « مفاعيلن » ولم يكن في نصف البيت « فعولن » فهو من الهزج . وإن كان فيها « مفاعيلن » أو في نصف البيت « فعولن » فهو من الوافر . وإن كان أول البيت « مستفعلن » أو مزاحفه ، فهو من البسيط أو الرجز ، أو السريع ، أو المنسرح ، أو المجتث . فان أردت أن تعلم من أيها هو ، فانظر الى ما يليه ، فان كان « فاعلن » أو مزاحفه ، فهو من البسيط . فان وليه « مستفعلن » أو مزاحفه ، فهو من الرجز ، أو السريع ، إلا أنّ ثالث السريع « فاعلن » وثالث الرجز « مستفعلن » . وإن وليه « مفعولات » أو مزاحفه [٣٤٢] فهو من المنسرح . وإن وليه « فاعلاتن » أو مزاحفه فهو من المجتث . وإن كان أول البيت « فاعلاتن » أو مزاحفه ، فهو من المديد ، أو الرمل ، أو الخفيف ، أو المقتضب . فان أردت أن تعلم من أيها هو ، فانظر الى مايليه ، فان كان « فاعلن » أو مزاحفه ، فهو من المديد . وإن كان الذي يليه « فاعلاتن » أو مزاحفه ، فهو من الرمل . وإن كان الذي يليه « مستفعلن » أو مزاحفه ، فهو من الخفيف . وإن كان الذي يليه « مفتعلن » ، فهو من المقتضب . وإن كان أول البيت « مفاعلتن » أو مزاحفه ، فهو من الوافر . وإنْ كان أول البيت « متفاعلن » أو مزاحفه ، فهو من الكامل .

فهذه جمل واشارات تدل ذا القريحة ممن تخرج بالعروض ، ونظر فيها ، وتعينه في معنى ما أرَدْنا الدلالة عليه من استخراج المعمي في الشعر - إنْ شاء الله - . وقد اشتهر في أيدي الناس بيت قد جمعت فيه حروف المعجم ، وهو هذا : [من السريع] .

قد ضَجَّ زَحْر وشكا بثه مذ سخطت غصن على الافظ

واستعملوا التعمية فيه ، فاذا أرادوا الالف ، قالوا : الحرف الرابع

من الرابع ، واذا أرادوا الحاء ، قالوا : الحرف الثاني من الثالث ، واذا أرادوا الميم ، قالوا : الحرف الاول من السادس ، واذا أرادوا الدال ، قالوا : الثاني من الاول [٣٤٣] • وكذلك مايريدونه من الحروف • وكل أحد يقدر على أن يقول مثله وتصييره وسما بينه وبين من يكاتبه ، الا أني ذكرت هذا البيت لشهرته وكثرة استعمال أهل هذا الزمان له في التعمية .

فهذه أبواب في استخراج المترجم والمعمى تدل وترشد ، وفيها كفاية وغنى لمن أنعم النظر ، وأعمل الفكر ، وتثبت وتصبر ، وقد تتفتَّح للانسان اذا داوم على هذا الباب ، وشغل به طُرف ، وتسنح له سبل لم نذكرها . ولعلها لا تخطر له ببال تدله على ما يحتاج اليه ، وتسهل ذلك عليه ، الا ان ذلك بعد لزوم ما نهجناه له ، وأرشدناه الى مسلكه ــ أن شاء الله ــ •

* *

قد انتهينا الى الغرض فيما أردنا أن نتكلم فيه من أقسام البيان ، وتوهمنا انـّا قد سلكنا من الاطالة له بعض ما لعله يظن بنا مخالفة لما وعدنا به في أول كتابنا من الايجاز ، ولم نأت في كل فصل الا بأقل ما يمكن أن يؤتى به • واذا نظرت في كل باب منه ، وجدتنا قد اختصرناه ، وانما طال الكتاب لكثرة فنون القول وأقسامه ، واختلاف معاني البيان وأحكامه ؛ لانـّا لم نحب أن نخل بشيء منه حتى ندل عليه ، ونشير اليه •

ونحن نحمد الله ــ عز وجل ــ من قبـل كل شيء وبعده ، ونسأله أن يصلي على محمد ، وجميع [٣٤٤] رسله ، وأهل بيوتات المرسلين ، وعلى جميع المؤمنين المسلمين ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يقينا شر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأن يصلح لنا سائر أمورنا وأحوالنا ، انه سميع الدعاء ، فعال لما يشاء • وحسبنا الله ، ونعم الوكيل ، ولا حول ، ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وعليه نعتمد ، وبه نستعين •

* *

تم كتاب البرهان في وجوه البيان ، والمنة لله ، والعزة لله رب العالمين •

وافق الفراغ من نساخته يوم الجمعة ، أول شهر ربيع الاول من شهور سنة سبع وسبعين وستمائة ، بخط العبد الفقير الى الله سبحانه ، المقر بذنبه [٣٤٥] الراجي رحمة ربه ، المستغفر من ذنبه ، ابراهيم بن سليمان بن عبد ربه ـ عفا الله عنه ـ وعن مالكه ، وعن والديهم ، وعن الناظر فيه بعين الصلاح ، وعن جميع المسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات • والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم] • [٣٤٦] •

مصادر التحقيق ومراجعه

١ ـ أبنيـة الصرف في كتاب سيبويه • الدكتورة خـديجة الحديثي • بغداد ١٩٦٥ م •

٢ـ الاتقان في علوم القرآن • جلال الدين السيوطي • القاهرة ١٣٦٨ هـ •

٣ ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية • الماوردي • القاهرة •

٤ ـ أحياء علوم الدين • الغزالي • القاهرة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م •

٥ ـ أخبار الراضي بالله والمتقي لله • الصولي • تحقيق هيوارث • القاهرة •

٦ ـ أدب الكتاب • الصولي • تحقيق الاستاذ محمد بهجـة الاثري • القاهرة ١٣٤١ هـ •

٧ ـ الأسلام والشعر • الدكتور يحيى الجبوري • بغداد ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م •

٨ ـ اعجاز القرآن • الباقلاني • تحقيق سيد صقر • القاهرة •

٩ ـ الاعلام • خيرالدين الزركلي • الطبعة الثانية ـ القاهرة •

١٠ـ اغاثة الامة بكشف الغمة • المقريزي • القاهرة ١٩٤٠ م •

١١ـ الاغاني • أبو الفرج الاصفهاني • طبعة دار الكتب المصرية •

١٢ـ الأمالي • أبو علي القـالي • طبعة دار الـكتب المصرية الثالثة ، ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م •

١٣ـ الامتاع والمؤانسة • أبو حيان التوحيدي • الطبعة الثانية • القاهرة •

١٤ـ أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك • ابن هشام الانصاري • طبعـة محمد يحيى الدين عبدالحميد • القاهرة •

١٥- الايضاح في شرح مقامات الحريري • المطرزي • طبعة ايران •
١٦- الايضاح في علوم البلاغة • الخطيب القزويني • طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد وطبعة محمد عبدالمنعم خفاجي (القاهرة) •
١٧ - البديع • ابن المعتز • طبعة كراتشكوفسكي •
١٨- بديع القرآن • ابن ابي الأصبع المصري • تحقيق الدكتور حفني محمد شرف • القاهرة •
١٩- البرهان في علوم القرآن • الزركشي • تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم • القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م •
٢٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة • السيوطي • القاهرة •
٢١- البلاغة - تطور وتاريخ • الدكتور شوقي ضيف • دار المعارف القاهرة ١٩٦٥ م •
٢٢- البلاغة عند السكاكي • الدكتور أحمد مطلوب • بغداد ١٩٦٤ م •
٢٣- البيان العربي • الدكتور بدوي طبانة • الطبعة الثالثة • القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م •
٢٤- البيان والتبيين • الجاحظ • تحقيق عبدالسلام هارون • القاهرة •
٢٥- تأريخ بغداد • الخطيب البغدادي • القاهرة •
٢٦- تأريخ الخط العربي وأدائه • محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي الخطاط • القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م •
٢٧- تأريخ الطبري • مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م •
٢٨- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن • ابن أبي الأصبع المصري • تحقيق الدكتور حفني محمد شرف • القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م •
٢٩- تفسير غريب القرآن • ابن قتيبة • تحقيق سيد أحمد صقر • القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م •
٣٠- تفسير المنار السيد محمد رشيد رضا • الطبعة الثالثة • القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م •

٣١- تلخيص الخطابة . ابن رشد . تحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي . القاهرة ١٩٦٠ م .
٣٢- التمام في تفسير أشعار هذيل . ابن جني . تحقيق الدكاترة أحمد مطلوب وخديجة الحديثي وأحمد ناجي القيسي . بغداد ١٩٦٢ .
٣٣- جمهرة خطب العرب . أحمد زكي صفوت . الطبعة الاولى بالقاهرة
٣٤- حاشية محمد الامير الازهري على مغني اللبيب لابن هشام الانصاري . القاهرة ١٣٧٢ هـ .
٣٥- حكاية أبي القاسم البغدادى . محمد بن أحمد أبو المطهر الازدي . هيدلبرج ١٩٠٢ م .
٣٦- الحماسة البصرية لابن أبي الفرج البصري . حيدر آباد الدكن ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
٣٧- الحيوان . الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة .
٣٨- خاص الخاص . الثعالبي . بيروت ١٩٦٦ م .
٣٩- خزانة الادب وغاية الارب . تقي الدين أبو بكر علي بن حجة الحموي . الطبعة الاولى . القاهرة ١٣٠٤ هـ .
٤٠- الخط العربي وتطوره في العراق في العصور العباسية . سهيلة الجبوري . بغداد ١٩٦٢ م .
٤١- دائرة المعارف الاسلامية (مادة قدامة) .
٤٢- دروس في البلاغة وتطورها . الدكتور جميل سعيد بغداد ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
٤٣- دلائل الاعجاز . عبدالقاهر الجرجاني . القاهرة .
٤٤- ديوان أبي الاسود الدؤلي . تحقيق عبدالكريم الدجيلي . بغداد ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
٤٥- ديوان أبي تمام . طبعة الدكتور عبدالحميد يونس وعبدالفتاح مصطفى . القاهرة .

٤٦ـ ديوان أبي العتاهية • تحقيق الدكتور شكري فيصل • دمشق ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٦٥ م •

٤٧ـ ديوان أبي نواس • تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي • القاهرة ١٩٥٣ م •

٤٨ـ ديوان الأعشى الكبير • تحقيق الدكتور م• محمد حسين • القاهرة ١٩٥٠ م •

٤٩ـ ديوان امرئ القيس • تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم • الطبعة الثانية • القاهرة ١٩٦٤ م •

٥٠ـ ديوان أوس بن حجر • تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم • بيروت ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م •

٥١ـ ديوان البحتري • بيروت ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م •

٥٢ـ ديوان بشار بن برد • نشر محمد الطاهر بن عاشور • القاهرة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م •

٥٣ـ ديوان جرير • طبعة محمد اسماعيل الصاوي • القاهرة • الطبعة الاولى •

٥٤ـ ديوان جميل بثينة • بيروت •

٥٥ـ ديوان حسان بن ثابت • بيروت •

٥٦ـ ديوان الخنساء • بيروت •

٥٧ـ ديوان ذى الرمة • طبعة كمبردج ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩ م •

٥٨ـ ديوان صريع الغواني • تحقيق الدكتور سامى الدهان • القاهرة •

٥٩ـ ديوان طرفة بن العبد • تحقيق الدكتور علي الجندي • القاهرة ١٩٥٨ م •

٦٠ـ ديوان العرجي • تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي • بغداد •

٦١ ـ ديوان عروة بن الورد • تحقيق عبدالمعين الملوحي• دمشق١٩٦٦م•

٦٢ـ ديوان علي بن الجهم • تحقيق خليل مردم • دمشق •

٦٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة • طبعة محمد محيي‌الدين عبدالحميد • القاهرة •

٦٤- ديوان عنترة العبسي • القاهرة •

٦٥- ديوان الفرزدق • بيروت •

٦٦- ديوان القطامي • تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور أحمد مطلوب • بيروت ١٩٦٠ م •

٦٧- ديوان مجنون ليلى • تحقيق عبدالستار فراج • القاهرة •

٦٨- ديوان المعاني • أبو هلال العسكري • القاهرة ١٣٥٢ هـ •

٦٩- ديوان النابغة الذبياني • بيروت •

٧٠- ديوان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات • تحقيق الدكتور جميل سعيد • القاهرة •

٧١- رسالة الصداقة والصديق • أبو حيان التوحيدي • تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني • دمشق ١٩٦٤ م •

٧٢- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين • النووي • تحقيق رضوان محمد رضوان • القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م •

٧٣- زهر الآداب وثمر الالباب • الحصري القيرواني • تحقيق الدكتور زكي مبارك • الطبعة الثالثة • القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م •

٧٤- سر الفصاحة • ابن سنان الخفاجي • تحقيق عبدالمتعال الصعيدي • القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م •

٧٥- سنن ابن ماجة • تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي • القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م •

٧٦- السيرة النبوية • ابن هشام • تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي • الطبعة الثانية • القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م •

٧٧- شذور الذهب • ابن هشام الانصاري • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • القاهرة •

٧٨- شـــرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • القاهرة •
٧٩- شرح ديوان الحماسة • المرزوقي • تحقيق عبدالسلام هارون وأحمد أمين • القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م •
٨٠- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى • دار الكتب بالقاهرة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م •
٨١- شرح ديوان كعب بن زهير •دار الكتب بالقاهرة ١٣٦٩هـ -١٩٥٠م•
٨٢- شرح المعلقات السبع • الزوزني • القاهرة •
٨٣- شعر الحطيئة • تحقيق عيسى سابا • بيروت ١٩٥١ م •
٨٤- شعر الخوارج • تحقيق الدكتور احسان عباس • بيروت ١٩٦٣ م •
٨٥- الشعر والشعراء • ابن قتيبة • بيروت ١٩٦٤ م •
٨٦- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل • الخفاجي • تحقيـــق محمد عبدالمنعم خفاجي • القاهرة •
٨٧- صبح الاعشى • القلقشندي • دار الكتب القاهرة •
٨٨- طبقات الشعراء • ابن المعتز • تحقيق عبـــدالستار أحمد فراج دار المعارف بالقاهرة •
٨٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده • ابن رشيـــق القيرواني • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • الطبعـــة الثانيـــة • القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م •
٩٠- عيون الاخبار • ابن قتيبة • دار الكتب بالقاهرة •
٩١- الفاخر • أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم • تحقيق عبدالعليـــم الطحاوى • القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م •
٩٢- فرق الشيعة • النوبختي • تصحيح هـ • ريتر • استانبول ١٩٣١ م •
٩٣- فن التقطيع الشعري والقافية • الدكتور صفاء خلوصي • بغـــداد ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م •

٩٤ـ فن الشعر • ارسطوطاليس • ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي • القاهرة ١٩٥٣ م •
٩٥ـ فهرست ابن النديم • القاهرة •
٩٦ـ فوات الوفيات • ابن شاكر الكتبي • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد •
٩٧ـ القاموس المحيط • الفيروزابادي •
٩٨ـ قدامة بن جعفر والنقد الادبي • الدكتور بدوي طبانة • الطبعة الثانية القاهرة •
٩٩ـ قطر الندى وبل الصدى • ابن هشام الانصاري • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • القاهرة •
١٠٠ـ الكامل في التاريخ • ابن الأثير • القاهرة •
١٠١ـ الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف • المبرد • تحقيق الدكتور زكي مبارك • الطبعة الاولى • القاهرة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م •
١٠٢ـ كتاب الاموال • أبو عبيد القاسم بن سلام • القاهرة ١٣٥٣ هـ •
١٠٣ـ كتاب التشبيهات • ابن أبي عون • تحقيق محمد عبدالمعين خان • مطبعة جامعة كمبردج ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م •
١٠٤ـ كتاب الخراج • القاضي أبو يوسف • الطبعة الثانية • القاهرة • ١٣٥٢ هـ •
١٠٥ـ كتاب الخراج • يحيى بن آدم القرشي • القاهرة ١٣٤٧ هـ •
١٠٦ـ كتاب الخراج وصناعة الكتابة • قدامة بن جعفر • لندن ١٩٦٥ م •
١٠٧ـ كتاب الخراج وصنعة الكتابة • قدامة بن جعفر • نسخة مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد •
١٠٨ـ كتاب الصناعتين • أبو هلال العسكري • تحقيق علي محمدالبجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم : الطبعة الاولى • القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م •

١٠٩ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل • الزمخشري • القاهرة • الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ ـ١٩٥٣م•
١١٠ـ لسان العرب • ابن منظور •
١١١ـ مباحث في علوم القرآن • الدكتور صبحي الصالح • الطبعة الرابعة بيروت ١٩٦٥ م •
١١٢ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر • ابن الاثير • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • القاهرة •
١١٣ـ مجلة كلية الآداب والعلوم ببغداد •
١١٤ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق •
١١٥ـ مجمع الامثال • الميداني • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • القاهرة • الطبعة الثانية ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م •
١١٦ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء • أبو القاسم الراغب الأصفهاني • بيروت ١٩٦١ م •
١١٧ـ محك النظر في المنطق • الغزالي • تحقيق النعساني • بيروت١٩٦٦م
١١٨ـ محمد بن عبدالملك الزيات صاحب التنور • محمود الهجرسي • القاهرة ١٩٦٥ •
١١٩ـ المخصص • ابن سيده • القاهرة •
١٢٠ـ معجم الادباء • ياقوت الحموي • القاهرة •
١٢١ـ معجم البلدان • ياقوت الحموي •
١٢٢ـ المعرب من الكلام الاعجمي • الجواليقي • تحقيق أحمد محمد شاكر • القاهرة •
١٢٣ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب • ابن هشام الانصاري • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد •
١٢٤ـ المقصور والممدود • ابن ولاد • القاهرة ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م •
١٢٥ـ الملل والنحل • الشهرستاني • تحقيق محمد سيد كيلاني • القاهرة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م •

١٢٦- مناهل العرفان في علوم القرآن • محمد عبدالعظيم الزرقاني • الطبعة الثالثة • القاهرة **١٣٧٢** هـ •
١٢٧- المنتظم • ابن الجوزي • طبعة الدكن **١٣٥٧** هـ •
١٢٨- المنصف • ابن جني • تحقيق ابراهيم مصطفي وعبدالله أمين • القاهرة **١٩٥٤** م •
١٢٩- الموسوعة العربية الميسرة • القاهرة **١٩٦٥** م •
١٣٠- الموشح • المرزباني • تحقيق علي محمد البجاوي • القاهرة **١٩٦٥** م
١٣١- الموشى أوالظرف والظرفاء • الوشاء • بيروت **١٣٨٥**هـ - **١٩٦٥**م •
١٣٢- ميزان الذهب • أحمد الهاشمي • الطبعة الثانية عشرة • القـاهرة **١٣٧٨** هـ - **١٩٥٨** م •
١٣٣- نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة • قدامة بن جعفر • مطبوع مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة • بريل **١٨٨٩** م •
١٣٤- النجوم الزاهرة • ابن تغري بردي • طبعة دار الكتب بالقاهرة •
١٣٥- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري • ميخائيل عواد • بيروت **١٩٦٤** م •
١٣٦- النقد • الدكتور شوقي ضيف • القاهرة **١٩٥٤** م •
١٣٧- نقـد الشعر • قدامة بن جعفر • تحقيق كمال مصطفى • القاهرة **١٩٦٣** م •
١٣٨- نقد النثر • المنسوب الى قدامة بن جعفر • تحقيق الدكتور طه حسين وعبدالحميد العبادي • الطبعة الرابعة • القاهرة **١٩٣٨** م •
١٣٩- نهاية الارب • النويري • طبعة دار الكتب بالقاهرة •
١٤٠- نهاية الرتبة في طلب الحسبة • الشيزري • تحقيق الباز العريني - القاهرة **١٣٦٥** هـ - **١٩٤٦** م •
١٤١- النهاية في غريب الحديث والاثر • مجدالدين أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزري (ابن الاثير) . تحقيق طـاهر أحمـد الزاوي

ومحمود محمد الطناحي • القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م •
١٤٢- نهج البلاغة للامام علي بن أبي طالب • شرح الامام محمد عبده • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • القاهرة •
١٤٣- الوزراء والكتاب • الجهشياري • الطبعة الاولى • تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي • القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م •
١٤٤- وفيات الاعيان • ابن خلكان • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد الطبعة الاولى • القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م •

الفهارس

الموضوعات

البرهان في وجوه البيان

البيان الاول

الاعتبار

البيان الثاني

الاعتقاد

البيان الثالث

العبارة

البيان الرابع

الكتاب

القوافي

الهمزة

الباء

النون

الاعـلام

الهمزة

البـــاء

التـــاء

الثـــاء

الجيـــم

الحـــاء

الخـــاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السـين

الشـين

الصـاد

الظـاء

العـين

الغين

الفاء

القاف

الـكاف

اللام

الميـم

النون

الهـــاء

الواو

اليـــاء

الـكتب

الاماكن

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	السطر	الصفحة
بالغة	باللغة	٣	١١
احتذاؤها	احتذاؤه	٧	١٨
لا تتبع	لا تنبع	٩	١٨
واضع	مواضع	١٢	٣١
ين وقال	وقال	١٥	٥٢
[قلة]	[قلة](٤)	١٥	٥٣
معيشيتهم	معيشتهم	٧	٥٦
لحركة	الحركة	١٢	٧٦
بجرعاتك	بجرعائك	١٨الهامش	٩٣
ومما جرى ٠٠ بذلك★	ومما جرى من الالقاب على جهة التعظيم تلقيب الخلفاء أنفسهم ومن رفعوا منزلته من أوليائهم وذلك مشهور يغني عن تمثيله ٠ ومن اللقب ما جرى على سبيل الذم [كتلقيبهم](٤) بذنب العنز(٥) ورأس الكلب(٦) وأنف الناقة قبل أن يمدح بنوه بذلك(٧) ٠	٣	١٢٢
أثلاث	أثلات	١	١٣٥
الوحي	الواحي	٨	١٤٠
نفتح	تفتح	١	١٩٤
محتبسة	محتسبة	٤	٢٠١

★ حدث خلل في هذه الفقرة حيث زاد سطر ونقص آخر ٠

الخطأ	الصواب	السطر	الصفحة
بعضض	بعض	١	٢١٢
فانهما	فانهـــا	١٣	٢٥٦
أقشاب	أقتـاب	١٨	٢٧٦
١٨٦	١٨٩	٣	٢٨٤
الفضل	الفصـــل	١٢	٣١٧
مذكر	مذكرا	هامش٢	٣٢٢
[عشرة]	[كم عشرة]	١٦	٣٥٥
وعند أهل	وعند أهل العراق	٦	٣٨٢
الاباريز	الابازير	٩	٣٨٢
وأن	وان	١٥	٤٠٥
يجتنبـه	يجتنيـــه	٤	٤١٣
ولـكن	وليـــكن	١٢	٤١٥
أي مشغول	أي غير مشغول	هامش١	٤١٥
٢٢٣	٣٢٣	٦	٤٢٠
الملوك	الملك	٧	٤٢٤
الشقـة	الشفـــة	٢	٤٣١
المعمي	المعمى	٢١	٤٣٦

شكر وتقدير

قرأ الاستاذ الكبير الدكتور مصطفى جواد ـ حفظه الله ـ النصف الاخير من الكتاب وعلق عليه تعليقات عظيمة النفع جليلة القدر ، أثبتناها في الهوامش باسمه الكريم • جزاه الله كل خير وأبقاه ذخرا للامة العربية والعاملين في سبيل رفع كلمة الضاد في كل مكان •

المحققان

١٠٠٠ ـ ٥ ـ ١/١٠/١٩٦٧
مطبعة العاني ـ بغـداد